



كلية الآداب و العلوم الإنسانية - بني ملال



جامعة السلطان مولاي سليمان
جامعة السلطان مولاي سليمان
Université Sultan Moulay Slimane

مركز الدراسات في الدكتوراه تكوين: الحوار الديني والثقافي في الحضارة الإسلامية

بحث لنيل شهادة الدكتوراه في موضوع

الْفَيْتْرَةُ الْمَرْجَعِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَفِي مَرْجَعِيَّةِ الْفِكْرِ الْغَرْبِيِّ
وَبِنَاوَتُهَا فِي الْمَدَنِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

الجزء الأول

إشرافه الدكتور
أ.د: سعيد شبار

إنجاز الطالب
عبد الرحيم أشن

الموسم الجامعي

1444 / 1443

2022 / 2021

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكرو وتقدير

أتوجه بالحمد والشكر لله عز وجل على أن أعانني على إتمام هذا البحث، ووفقني لطلب العلم، ومن عليّ بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى، فله الحمد والشكر والثناء الحسن.

وأقدم بالشكر الجزيل والتقدير وخالص الدعاء لفضيلة الأستاذ الجليل والمربي الفاضل الأستاذ الدكتور سعيد شبار؛ الأستاذ بالكلية ورئيس المجلس العلمي المحلي لبني ملال حفظه الله ورعاه، المشرف على هذا البحث، على ما قدم لي من توجيهات ونصائح وإرشادات، صاحب ذلك تواضع وسعة صدر، ودماثة خلق، وحسن توجيه، فلقد أفدت من علمه وسمته ووقاره وخلقه، شكر الله له وبارك في علمه، وأصلح ذريته، وأمدّ في عمره على طاعته.

ثم أتوجه بالشكر والتقدير إلى جامعة المولى سليمان وكلية الآداب والعلوم الإنسانية؛ لخدمتهما للعلم وطيبته، وتهيئة السبل الملائمة لهم.

ولا أنسى أن أقدم بالشكر والتقدير والدعاء للأساتذة الأفاضل في كلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال على تشجيعي وقبول هذا الموضوع والموافقة عليه ليكون رسالة علمية لنيل الدكتوراه، وخاصة الأساتذة الأفاضل بوحدة الحوار الديني والثقافي في الحضارة الإسلامية؛ كل من فضيلة الأستاذ الدكتور سعيد شبار، وفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الرحمن العضاوي، وفضيلة الأستاذ الدكتور محمد الناصري، وغيرهم؛ على ما قدموه وبذلوه من نصح وتوجيهات واهتمام ببحتي هذا، وأشكر أيضا كل من قدم لي خدمة، أو مشورة أو توجيهها من كافة الزملاء والأصدقاء.

وهذا جهد بشري؛ وحسبي أنني بذلت جهدي واستفرغت وسعي، فإن كان صوابا فمن الله وإن كان خطأ فمن نفسي، وأستغفر الله وأتوب إليه.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على نبينا سيدنا محمد بن عبد الله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله إمام المتقين.

وبعد:

فمن نعم الله على المسلمين الهداية للإسلام الذي هذب الفطر، وقوم النفوس، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، هذا الدين القويم الذي جمع المحاسن كلها والمصالح جميعها، وجاء ليتم مكارم الأخلاق؛ فتحول به الناس؛ حتى أصبحوا خير أمة أخرجت للناس، فحملوا القيم السامية الرفيعة الثابتة حتى في أضيق الظروف، فالمسلم لا يظلم، ولا يخون ولا يغش، ولا يقطع شجرة، ولا يمثّل، ولا يغدر، ولا يخون، ولا ينتقم لنفسه...

والناظر اليوم إلى واقع الإنسانية؛ يتضح له بما لا يدع مجالا للشك الانهيار الذي أصاب منظومة القيم الأخلاقية، جراء ما وصل إليه المجتمع من تغير وتحول وتخل عن القيم، مما جعله يتحول إلى الفوضى والفساد والانحلال وفقدان الرصيد الأخلاقي، وبرز ذلك في تبني الإنسان الحديث لقيم فاسدة واتباعه منهج تغليب العقلانية المادية على المنزع الروحي الفطري؛ ما أفرز انحطاطا أخلاقيا وتدهورا قيميا واجتماعيا غير مسبوقين، أخرج الإنسان المعاصر من رتبة الإنسانية. ولم يقف الأمر عند هذا الحد من الانحطاط القيمي والأخلاقي بل تعداه إلى مستوى النظر إلى الأديان والثقافات باعتبارها تشكل عائقا يحول دون انخراط الإنسان في مجتمع المعرفة والحدثة.

كما يتجلى ذلك في ظهور كثير من الدعاوى الإيديولوجية والفلسفية إلى مطلب فصل العلم عن الأخلاق، وإسقاط القيم الأخلاقية والروحية من النظم التعليمية والإعلامية، وتعويضها

بالقيم الصناعية المستبدة بالإنسان في أفق الإجهاز النهائي على قيم الفطرة التي خلق عليها الإنسان.

وأمام هذا يصرخ "هانس كينغ"¹ في الإنسانية قائلاً: "عالمنا اليوم في محنة وكرب بلغا من الإلحاح مبلغا عظيما يدفعنا إلى سبر غورهما وعوارضهما بسبب عمق هذا الألم المستشري"²، ذلك ما عبرت به فعاليات البرلمان العالمي للديانات المنعقد بشيكاغو عام 1993م، عن الأزمة الأخلاقية التي يعيشها العالم اليوم، فهو ألم ومرض قد استشرى في جسم الإنسانية، بدت عوارضه في جميع مناطق هذا الجسم، وأصبحت حركته مشلولة، فقد استبطن المرض واستقل في مفاصله، ولا يخفى ذلك على عموم الناس، بله المتخصصين الذين عبروا على أن لا حل لذلك إلا بالأخلاق، فهي العنصر "الكائن في صميم التعاليم الدينية العالمية"³، والتي بإمكانها إن هي أنزلت منزلتها وأخذت بعين الاعتبار، أن تخلص "العالم من محنته"⁴.

لقد استشعر بذلك العالم المعاصر اليوم خطورة مطلب فصل العلم عن القيم، مما دفع بالعديد من المنظرين في علوم التربية إلى دق ناقوس الخطر، والمطالبة برتق ما فتق من علاقة بين القيم الأخلاقية وبين المناهج التربوية والتعليمية، وضرورة إعادة الصلة بينهما؛ لما لذلك من أثر كبير في إعادة بناء الإنسان المعاصر؛ فالمجتمعات الغربية التي دعت في نهاية القرن التاسع عشر إلى الفصل بين التعليم والدين، وجدت نفسها في منتصف القرن العشرين

¹ هانس كينج ولد بتاريخ 19-03-1928 في سورزيه (Sursee) في مقاطعة لوتسرن في سويسرا هو لاهوتي سويسري، قس رومي كاثوليكي (سابق) و مؤلف. منذ عام 1960 وحتى 1996 درس كونج كبروفيسور، آخر ما درسه كان اللاهوت المسكوني (ecumenical theology) في جامعة ايبيرخارد كارلس (Eberhard Karls Universität) في مدينة توبنغن، جنوب غرب ألمانيا. وحتى عام 2013 كان كونج رئيس الجمعية التي أنشأها "مؤسسة الأخلاق العالمية".

بعد الدراسات التي أجراها، والبحوث التي أعدها، والمقارنات التي فرّق خلالها بين حق جليّ وباطل خفيّ، توصّل إلى أن الإسلام هو دين سماوي حقيقي، وأن محمداً رسول الله قد تلقى وحي الله، وبلغه كما أمره الله.

² هانس كينغ: نحو أخلاق عالمية، إعلان عالمي صادر عام 1993م، مجلة التسامح، مسقط، ع7، السنة الثانية، 1425هـ/2004م، ص 58 وما بعدها.

³ هانس كينغ: نحو أخلاق عالمية، مرجع سابق، ص 61.

⁴ المرجع السابق ص 61

أمام أزمة تربوية كبيرة انعكست سلباً على الواقع التربوي والأخلاقي لدى المتعلمين في المجتمعات الغربية.

لذا تجند العديد من هؤلاء المتخصصين بإيلاء أهمية عظمى للقيم والأخلاق وأصبح لديهم "وعي أخلاقي خاص"¹، بناء على وعيهم بدورها في إنقاذ الإنسان، و"تجلى هذا الوعي في مظاهر شتى منها: تقوية تدريس مواد الأخلاق وإحداث كراسي لها في المعاهد والجامعات، وعقد المؤتمرات حول الإشكاليات الأخلاقية المستجدة"،² وهو ما جعل أيضاً "المارشال بيتان"³ يوجه نداءه إلى أمته عقب توقيع الهدنة بعد هزيمة فرنسا في الحرب العالمية الثانية قائلاً: "إنني أدعوكم أول كل شيء إلى نهوض أخلاقي"⁴.

إذا كان هذا التوصيف لأزمة التعليم عند فصله عن القيم قد ظهر في الغرب وتحدث عنه علماء التربية، فإن كثيراً من الباحثين في هذا المجال في العالم العربي الإسلامي اليوم قد استشعروا خطورة هذا الفصل بين التعليم والقيم، وحذروا من نتائجه على التجارب التعليمية والنظم التربوية.

وبهذا تُجمع مختلف المقاربات التربوية على ضرورة عودة المؤسسات إلى ممارسة دورها في التعليم إلى جانب ترسيخ القيم الحضارية للمجتمع.

إن المتأمل في أغلب مشاريع إصلاح التربية والتعليم في المجال التداولي العربي والإسلامي يجدها تركز الجهود على إصلاح المنظومة التقنية، خاصة على مستوى التجهيزات والوسائل التعليمية، وتوفير الظروف الملائمة للدراسة والتكوين الفني والتربوي للمدرسين. في

¹ طه، عبد الرحمان: روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، ط1، 2006م، ص85.

² المرجع السابق، ص85.

³ فيليب بيتان (بالفرنسية Philippe Pétain) (24 أبريل 1856 - 23 يوليو 1951) كان عسكرياً ورجل دولة فرنسياً أكرم بلقب المارشال في 1918. رئيس الدولة الفرنسية (1940-1944) ورئيس الوزراء (1940) ووزير الحربية (1934). حُكم عليه بالموت بتهمة الخيانة العظمى (عند انتهاء الحرب العالمية الثانية).

⁴ دراز، عبد الله: الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، بيروت، ص 101.

حين تغيب الرؤية الإصلاحية الشاملة والمتوازنة والمتجددة؛ خاصة على مستوى المناهج التعليمية التي تعتبر البوصلة المتحركة في باقي عناصر المنظومة التربوية.

وهنا يطرح سؤال الإصلاح في نظام التربية والتعليم بدءاً برؤية الإصلاح الشاملة والمتوازنة التي يجب أن ينطلق منها هذا النظام، وانتهاءً بآليات التنفيذ، وبينهما أسئلة كبيرة؛ من قبيل تحديد مواصفات المتعلم عند نهاية مسار التكوين، والكفايات المعرفية والتواصلية والمنهجية والتكنولوجية التي يُتوقع أن يمتلكها، وهندسة نظام التكوين بمختلف مسالكه وشعبه، وموقع الوحدات الدراسية المكونة للمناهج، ومحتويات هذه الوحدات، ومدى تناغم المفاهيم والقيم بشكل أفقي فيها اعتباراً لوحدة الفئة المستهدفة، وطرق ووسائل التدريس، ومواصفات وخصوصيات المدرس، ومحيط التعلم وغير ذلك. انطلاقاً من هذه الإشكالات التي تسلم بدورها إلى طرح سؤال جوهري هو: كيف السبيل إلى صياغة مشروع متكامل يعمل من جهة على ضبط الإطار المفاهيمي للأخلاق والقيم، وبيان طرق إدماجها في النظم التربوية والتعليمية والإعلامية باعتبارها المجالات الأوسع والأخطر لإعادة ترتيب منظومة القيم لدى الأجيال المكونة للمجتمعات القادمة؟

لقد حاولت العديد من المرجعيات الإجابة عن ذلك من خلفياتها الإيديولوجية والفلسفية، إلا أن شبه إجماع لدى العديد من المفكرين والباحثين أثبتت فشل تلك المقاربات في علاقتها بدينامية المجتمع، بل يذهب كثير منهم إلى بيان أنها أفسدت المجتمع في مختلف بنياته الاجتماعية والاقتصادية والتربوية.

ويبقى دين الإسلام الذي ارتضاه الله سبحانه لعباده، هو الكفيل بالإجابة عن هذا الإشكال لشموليته وخصائصه؛ ومن أهم مزاياه وخصائصه أنه ثابت، ثابت في مصادره، ثابت في أهدافه، ثابت في ضوابطه، ثابت في قيمه، ثابت في أحكامه وتشريعاته، لا يتغير ولا يتبدل، وإنما فيه مرونة لمواجهة مقتضيات تغير العصور والبيئات بضوابط شرعية ذكرتها في صلب البحث.

ويحاول البحث أن يثبت حقيقة مهمة، وهي ثبات القيم الإسلامية ومرونتها وصلاحياتها لكل زمان ومكان، وتغيير القيم الغربية بل إفلاس المجتمع الغربي من رصيد القيم.

ولهذا فإن موضوع الثبات والتغير في القيم من الأهمية بمكان في حياة الأفراد والأمم، وكثيرا ما تتداخل قيم الإسلام بغيرها من القيم السائدة في عصرنا هذا، لسيطرة وسائل الإعلام التي تروج لها في كل آن وحين، وينتج عن ذلك اضطراب وحيرة في الأنفس، والتباس وإيهام في الأفهام عند كثير من الناس. لتبقى المرجعية الدينية أحد أهم المرجعيات التي أثبتت بفعل ديناميتها وحركيتها ومرونتها وقدرتها على استيعاب مختلف التغيرات على امتداد المجتمع، واستمراريتها في بناء الفرد والمجتمع، وقد ارتبطت الأخلاق في عقيدة المرجعية الدينية بفلسفة "الثواب والعقاب" المترتب عن كل سلوك حسن أو قبيح، وما يميز هذه القيم في المرجعية الدينية عن باقي النظريات هو ارتباطها بالجانب العملي، حيث أعطت القدوة عن طريق الأنبياء والرسول، فلا يوجد نبي أو رسول إلا وقد اتصف بمجموعة من الأخلاق التي اشترك فيها مع باقي إخوانه من الأنبياء. والخطاب القرآني يقدم كل نبي بخلق من الأخلاق، فيكون مجموع أخلاقهم قد أسس منظومة من القيم والأخلاق للبشرية بأكملها، فلم يكن من المعقول أن ينادي النبي بإتباع ما لا يطبقه.

وبذلك وضع الوحي توجيهات أخلاقية للإنسان، ولم يتركه هملا، وأمده بما يضمن سلامته من تشريعات، ويبقى تدبيرها مسؤولية الإنسان، قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾¹. فما يرى اليوم من تقسخ الأخلاق، وبُعد عن مبادئها إنما يرجع فيه الأمر إلى فعل الإنسان، والذي قد يعود في أي لحظة إلى تمثل هذه الأخلاق.

ومجمل القول فإن الخطاب القرآني يعد المرجعية المنهاجية التي بإمكانها أن توجه الناس في سلوكهم العام في جميع الاتجاهات، لشمولية أخلاقه، وانفتاحه على ما ينفع البشرية من

¹ سورة: الشمس، الآيات: 7-10.

صالح القول والعمل، دامجا للتجارب الإنسانية عبر تاريخها في قالب يسمح باستيعاب كل المتغيرات النفسية والعقلية والزمانية والمكانية. وإنما اكتسب ذلك من توازن أخلاقه وثباتها.

ولذا فإن دراسة هذا الموضوع يسهم إسهاما فعالا في تأصيل القيم في الإسلام وإبرازها، وفي دفع الشبهات عنها، لأن للقيم الإسلامية تميزها المتمثل في مضامينها المشتمة على كل ما فيه الخير والصالح في كل زمان ومكان، وهذه القيم تتعرض اليوم في جهات كثيرة من العالم الإسلامي إلى غزو مستمر بسبب كثافة وسائل الإعلام المختلفة وشدة تأثيرها، والتي هي في أغلب الأحيان غريبة في توجهها وخصائصها العامة، وهي تجذب إليها كثيرا من الشباب وبعض المفكرين من داخل البلاد العربية والإسلامية، حتى تأثروا بها وأصبحوا يعملون على ترويج قيم غريبة على دينهم وبيئاتهم ونشرها في مجالات مختلفة، الأمر الذي يتطلب توضيح نبل القيم الإسلامية وخصائصها الرفيعة المتميزة، ودفع الشبهات التي تنتشر بسبب تلك الوسائل خاصة القنوات الفضائية وشبكة المعلومات العنكبوتية: الإنترنت، التي جعلت العالم قرية واحدة، وهذا يتطلب مقاومة قوية للدفاع عن القيم الإسلامية.

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

يأخذ هذا البحث أهميته من محاولته الإسهام في إبراز أهمية التربية على القيم، باعتبارها عنصرا مهما في إرساء ودعم منهج الحضارات المختلفة من خلال رؤية استراتيجية كونية تتشد الإنسان الحضاري المؤهل؛ وتؤمن بحوار الحضارات والثقافات وتواصلها باعتباره خيارا استراتيجيا يؤدي بالإنسانية إلى الاستقرار في سبيل تعزيز احترام التنوع الثقافي الخلاق، وتقوية التفاهم بين الشعوب؛ وإرساء منهج تربية للأجيال وإقامة أسس جديدة قوية وراسخة للتعاون الإنساني في عالمنا المعاصر.

أسباب اختيار الموضوع:

ويمكن إجمالها في داعيين؛ ذاتي وموضوعي:

الدوافع الذاتية:

✓ كون هذا الموضوع هو من بين اهتماماتي؛ وله ارتباط بوظيفتي ومجال من مجالات الاشتغال.

✓ محاولة الإسهام في بناء قيم حضارية وترسيخ قيم حقوق الإنسان والمواطنة من خلال المناهج التعليمية.

✓ استجماع القوة والقدرة على خوض غمار البحث، إتماما لمساري العلمي.

✓ النأي بالنفس عن استسهال الراحة والتهاون، والأخذ بتلابيبها لمقارعة قضايا الإنسانية.

✓ الرغبة في البحث في مجال القيم من خلال المدرسة المغربية.

وأما الأسباب الموضوعية فيمكن إجمالها في:

✎ فراغ الساحة العلمية والفكرية من دراسة ميدانية تسلك بالقيم مسلكا علميا في تنشئة الشباب على السلوك النبوي.

✎ بيان قدرة المرجعية الدينية على استنبات مناهج ومسالك جديدة في بناء القيم.

✎ حاجة الإنسانية إلى بيان سلامة المرجعية الدينية مما يعتقده كثير منهم جراء الأحكام المسبقة.

✎ إبراز القيم الإسلامية وتأصيلها وذلك بالمقارنة مع القيم الغربية.

✎ دفع الشبه والتهم والافتراءات من جراء الهجوم الغربي على المجتمع الإسلامي.

✎ معرفة مجالات الثبات والتغير في القيم الإسلامية.

✎ الوقوف على مستوى الانحطاط في المجتمع الغربي نتيجة فقدان القيم.

﴿ معرفة جذور الثبات والتغير في القيم في الإسلام وعند الغربيين.

﴿ بيان العوائق والحواجز العلمية والمنهجية والواقعية التي تحول دون نفاذ قيم المرجعية الدينية إلى المناهج التعليمية وواقع المجتمعات الإسلامية.

﴿ بيان دور الفاعلين في التربية على القيم..

إشكالية البحث:

تبعاً لما سبق بيانه فإن القدرة على بيان قدرة المرجعية الدينية على التفاعل مع دينامية المجتمع عبر بناء منظومته التربوية يحتاج لوضوح الإشكالية التي يمكن معالجتها في هذا البحث عبر فصوله ومباحثه.

ومن ثم:

- فإذا كانت القيم الأخلاقية من أهم الأصول الكلية التي أصل لها الخطاب القرآني وبينها السلوك النبوي.
- واتضح الانهيار الذي أصاب منظومة القيم؛ واستشعره العالم المعاصر اليوم، تجلى ذلك في تجند العديد من هؤلاء المتخصصين بإيلاء أهمية عظمى للقيم والأخلاق.
- وأن ذلك انعكس على منظومة التعليم عند فصله عن القيم.
- وأن هناك إجماع من مختلف العقلاء على ضرورة عودة المؤسسة التعليمية إلى ممارسة دورها في التعليم إلى جانب ترسيخ القيم للمجتمع.
- واتضح أن أغلب مشاريع إصلاح التربية والتعليم تركز على إصلاح المنظومة التقنية،
- وإذا كانت المرجعية الدينية قد ندبت نفسها إلى أن تكون أحد أهم المرجعيات القادرة على استيعاب مختلف التغيرات على امتداد المجتمع.

فإن الإشكال المطروح يمكن صياغته كالتالي:

كيف يمكن بناء القيم بالمدرسة المغربية بالتوفيق بين ثباتها وتغيرها في المرجعية الإسلامية وفي مرجعية الفكر الغربي؟

أي هل تمتلك المرجعية الدينية القدرة على الاستمرار والتفاعل مع صيرورة المجتمع المتغير والمتحرك على بناء القيم؟

وانطلاقا من الإشكال الرئيس يمكن صياغة أسئلة فرعية كالتالي:

- ما أصول القيم الحضارية في المرجعية الإسلامية؟
- ما قواعد المرجعية الإسلامية في التفاعل مع دينامية المجتمع؟
- ما مسالك بناء القيم الحضارية بالمؤسسات التربوية؟
- ما العوائق الذاتية والغيرية أمام تفاعل قيم المرجعية الإسلامية مع المجتمع؟

منهج البحث وبنيته المعرفية:

سنعتمد في الإجابة على بعض من الأسئلة السالفة وغيرها على مرجعيتنا الإسلامية باعتبار الإسلام؛ "قوة حضارية وتلاقحا فكريا" دون إغفال للفكر الإنساني والاجتهادات البشرية المتميزة. وسينصب المجهود على الشق الإجرائي في تنزيل معالم رؤية ومشروع تربوي قيمي حضاري قابل للإنجاز، كما سنسائل المؤسسات التربوية من خلال دراسة تقييمية لمنظومتها القيمية وتطبيقاتها العملية، ونركز على مخطط استراتيجي يعتمد مؤشرات ممكنة التحقق وقابلة للتفعيل، وأكثر واقعية لبناء الإنسان المؤهل الذي يعتمد على نظام فكري وأسلوب مبتكر لتحقيق أهداف سامية، ويصبح مواطنا صالحا مصلحا مساهما في تنمية مجتمعه. يعمل على نشر ثقافة السلام، وترسيخ قيم التسامح والتعايش بين البشر أجمعين، في إطار من الالتزام بمبادئ حقوق الإنسان وبميثاق الأمم المتحدة والمصادق عليه من طرف المغرب، والتشبث بالقيم

الدينية والأخلاقية السامية التي هي الرباط المتين الذي يجمع بين الحضارات الإنسانية المتعاقبة.

ولمقاربة هذا البحث سأحاول جاهدا اعتماد مقاربة استقرائية لمجموعة من المباحث التي اهتمت بالموضوع خلال نهاية الألفية الثانية وبداية الألفية الثالثة، وأطلع على أهم الدراسات الميدانية التقييمية للوضع التربوي بالمغرب والتي اهتمت برصد منظومة القيم، كما سأسعى إلى رصد مجمل التحولات القيمية والدينية ببلدنا والعوامل المؤثرة فيها والأسباب المباشرة وغير المباشرة وعلاقة هذه التحولات بمنظومة القيم وبالفاعل التربوي.

طبيعة الموضوع الذي أنا بصدد البحث فيه، تقتضي مني اعتماد المنهج النسقي (الذي يضم المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي، والمنهج الاستقرائي، والمنهج التاريخي).

🔹 المنهج الوصفي:

إن قضية بناء القيم كباقي مواضيع الظاهرة الإنسانية التي تجعل البحث يتوسل بالمنهج الوصفي باعتباره منهجا يقوم على أساس رصد موضوع الظاهرة بهدف فهم مضمونها واستخراج خصائصها ووصف طبيعتها ونوعية العلاقة بين متغيراتها وأسبابها واتجاهاتها...

وبهذا سندخل إلى هذا الموضوع، ثم العمل على ترتيب الأفكار والبحث في المصطلحات، وكيفية توظيفها.

🔹 المنهج التحليلي:

سنستعين في هذا البحث - إن شاء الله تعالى - بالمنهج التحليلي لقراءة وتحليل الظواهر التي تدفع إلى تردي القيم عموما؛ وبالمؤسسات التربوية خصوصا، وتأثيرات الفاعل التربوي، والبدائل الممكنة لترسيخ القيم.

🔹 المنهج الاستقرائي:

وسيتّم إعمال هذا المنهج - بإذن الله - وذلك بتتبع جزئيات هذا الموضوع من خلال إحصائيات رسمية وغيرها، للوصول إلى القضايا الكلية لموضوع البحث.

📌 المنهج التاريخي:

سيحضر هذا المنهج - إن شاء الله - عندما أتحدث عن التأصيل لقضية القيم الحضارية، وكذلك من خلال المقارنة بين الماضي والحاضر لموضوع البحث.

📌 المنهج المقارن:

وذلك لمقابلة آراء بعض الغربيين المعاصرين ومن تابعهم من المفكرين في بلاد الإسلام ومقابلتها بالفكر الخلفي عند مفكري الإسلام.

📌 المنهج الاستنباطي:

يهدف إلى استنباط واستخلاص النتائج وترتيبها ووضع الفروض التي تثيرها الدراسة لتكون مجالاً لدراسات مستقبلية محتملة.

الدراسات السابقة:

عند اختيار هذا الموضوع، بحثت في بعض المكتبات الجامعية، وبعض المواقع الإلكترونية المخصصة للبحث في رسائل الماجستير والماستر والدكتوراه المنجزة، كذا بعض المكتبات الإلكترونية، واستشارة بعض المتخصصين في المجال، فتبين لي أنه لم يسبق تناول قضية: "القيم في المرجعية الإسلامية وفي مرجعية الفكر الغربي وبنائها في المدرسة المغربية"، وهذا لا ينفي أن هناك مجموعة من الدراسات والرسائل العلمية المنجزة حول الموضوع بشكل عام نذكر منها:

1 - كتابات الأستاذ الدكتور سعيد شبار¹ حول الموضوع:

تناول أستاذنا الدكتور سعيد شبار مسألة القيم في عدد من الدراسات والمقالات، كما ضَمَّن هذه الإشكالية في مباحث من مؤلفاته؛ تناول فيها قضايا الحداثة والتجديد وغيرها من المفاهيم في المجال التداولي العربي والإسلامي، وقد جمع في ذلك بين الجانب المعرفي الفكري النظري والجانب العملي التطبيقي والواقعي، ومن إسهاماته العلمية في الجانب النظري محاضرة ألقاها - الأستاذ سعيد شبار - برحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال بعنوان: " منظومة القيم والأخلاق في المجتمعات المعاصرة"²، تناول فيها أزمة القيم في المجتمعات المعاصرة؛ داعياً فيها إلى تجاوز المقاربة التجزئية ذات الطابع التقاطعي والصراعي حيث تم تصنيفها إلى: قيم مادية و روحية؛ فردية وجماعية، وهذا الاختلاف مرده إلى اختلاف المرجعيات التي تستند إليها كالدين و العلم و العقل، و العرف والعادة، ومقدمات في الوقت نفسه مقارنة تفسيرية تتساقط والمرجعية الإسلامية التي من أسسها التكامل بين العلم والإيمان.

ومن إسهامات الدكتور سعيد شبار في هذا الباب كذلك دراسة له بعنوان: "كرونا واستعادة مفهوم الإنسان والقيم الإنسانية"؛ وهي المقالات القليلة التي ربطت بين الوباء المعاصر وأزمة القيم؛ حيث اتضح بشكل جلي منطق الصراع في التعامل مع هذه المعضلة بين من

¹ كاتب وباحث مغربي حاصل على دكتوراه الدولة في موضوع: " الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر دراسة في الأسس المرجعية والمنهجية "، أستاذ التعليم العالي بجامعة السلطان مولاي سليمان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال - المغرب، مشرف ومؤطر في وحدة التكوين والبحث في ماستر الحوار الديني والحضاري وقضايا التجديد في الثقافة الإسلامية، كلية الآداب - بني ملال. مشرف ومؤطر في وحدة التكوين في الدكتوراه: الحوار الديني والثقافي في الحضارة الإسلامية. رئيس مركز دراسات المعرفة والحضارة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة المولى سليمان - بني ملال، ومحكم في نشر الأبحاث والمقالات لدى مراكز وهيئات علمية متعددة. رئيس المجلس العلمي المحلي لبني ملال - المغرب، شارك بإسهامات علمية في مجموعة من المؤتمرات العلمية داخل المغرب وخارجه، وله عدة مقالات ودراسات وحوارات منشورة. من بين كتبه؛ كتاب "النص الإسلامي في قراءات الفكر العربي المعاصر"، كتاب "المصطلح خيار لغوي وسمة حضارية"، كتاب "الحداثة في التداول الثقافي العربي الإسلامي" .. "تحو إعادة بناء المفهوم"، وكتاب "النخبة والإيديولوجية والحداثة".

² شبار سعيد، " منظومة القيم والأخلاق في المجتمعات المعاصرة"، محاضرة برحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال، بتاريخ 20/01/2012.

يملك سلطة القرار والعلم ومن هو دونه، وهو منطق نتج حسب أستاذنا من الصراع المفتعل بين العلم والإيمان، يقول في بيان ذلك:

"لقد عاشت البشرية طويلا خدعة صراع قيم الدين والدنيا، وصراع العلم والعقل والإيمان، وأن لها أن تحيا دنياها بدينها، وأن يصطحب العلم والعقل مع الإيمان. فلا فساد في تلك الأصول إلا من جهة ما يدخل عليها من غلو وتطرف، سواء كان في الدين أو العلم أو العقل. والمطلوب حينها إصلاح الغلو والحد من التطرف لا إلغاء الأصل. تحتاج البشرية الى الإيمان الذي يمنحها الطمأنينة واليقين، والمعنى والغاية من الخلق والحياة؛ والى قيمه التي تمنحها التعاون والتضامن، والتكافل والتآزر، وحب الذات والآخرين، وتطرد عنها الجشع والطمع، والاسراف والتبذير. وإذا حمل العقل والعلم والتجربة، قيما إضافية لها نفس غايات إسعاد الانسان، وجلب النفع له ودفع الضرر عنه، فذلك التكامل المطلوب. فلقد تحدثت الفلاسفة قديما وحديثا عن قيم الخير والجمال والحق والعدالة والسعادة والفضائل...، وهي عينها المقررة في الأديان وبأبعاد ومعاني إضافية تعلي من تلك القيم ومن فعاليتها. والعلم الذي تؤطره القيم هو أنفع للناس من العلم الذي يتاجر بمصائر الناس وبوجودهم".¹

2 - الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية: للدكتور راغب السرجاني

ويشتمل هذا البحث على مجموعة من المباحث نجملها فيما يلي:

أهمية الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية؛ وتكلم فيه عن الحضارات السابقة والأخلاق، وحقوق الإنسان في الحضارة الإسلامية، ونظرة الإسلام للإنسان من خلال المساواة بين الناس، العدل في الإسلام، وحقوق المرأة في الحضارة الإسلامية، وحقوق الخدم والعمال في الحضارة الإسلامية، وحقوق المرضى وذوي الاحتياجات الخاصة، وحقوق الأقليات في الحضارة الإسلامية، وحقوق الحيوان في الحضارة الإسلامية، وحقوق البيئة في الحضارة الإسلامية.

¹ - يراجع "شبار سعيد، "كرونا واستعادة مفهوم الإنسان والقيم الإنسانية"، مركز معارف للدراسات والابحاث، نشر بتاريخ

الإسلامية، كما تناول موضوع رعاية الحضارة الإسلامية لحرية التفكير، وحرية الرأي في الحضارة الإسلامية، وتطرق أيضا لموضوع المؤاخاة في المجتمع المسلم أهميتها ومكانتها، وموضوع التكافل في المجتمع الإسلامي، والعلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، وغيرها من المواضيع التي اهتمت بالقيم والأخلاق في الحضارة الإسلامية.

3 - المنهاج النبوي في التربية على منظومة القيم الحضارية الإسلامية: للدكتور خالد

الصمدي وهو بحث منشور في الشبكة العنكبوتية بتاريخ: 2013/09/27.

وتكلم فيه عن المعلم باعتباره من معالم المنهاج النبوي في التربية على القيم الإسلامية بحيث ينبغي تنبيهه إلى أن الغاية من التعليم لا تقف عند نقل المعرفة، وإنما النفاذ إلى مقاصدها وغاياتها واستثمارها في بناء منظومة من القيم لدى المتعلم، تصحيح نية المتعلم وتحرير مقصده من طلب العلم الذي ينبغي أن تكون معرفة الله فيه أسمى الغايات.

واعتبر الباحث أن المرجعية الإسلامية تمكن المربي من معرفة أنجح السبل والطرق الموصلة إلى بناء منظومة القيم الحضارية لدى الناشئة. وذكر الباحث في بحثه هذا أيضا بعض خصائص القيم التي منها:

أ - القيم فطرة ربانية: وعلل ذلك بقوله: " والناظر في أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، يجد منها "العدل، والبر، والرحيم، والعفو، والغفور، والشكور، واللطيف، والسلام، والمؤمن..." وغيرها من الصفات والأسماء التي طبع الله بها فطرة الإنسان حين خلقه من سلالة من طين، ثم نفخ فيه من روح العدل، والسلام، والرحمة، والغفران، والعفو، والصفح، واللفظ، والشكر وغيرها من جليل القيم والخصال....

ب - قيم واقعية: وبين الباحث في هذه الخاصية أن القيم الإسلامية بهذه الصفة ليست قيما نظرية مثالية، وإنما هي خلاصة شريعة نزلت حسب الوقائع والأحداث، واستجابت لمشاكل الناس وقضاياهم، وليست فكرا يبتغي المدنية الفاضلة التي لا وجود فيها للشر، وبالتالي فهي

واقعية في مراميها وأهدافها قاعدتها قوله تعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾¹، والعجلة هنا الترقى في سلم الرضا بحسب الطاقة والاستطاعة، فالعدل على سبيل المثال؛ قيمة إسلامية راسخة، ولكن تحقيقه في الواقع مدافعة للظلم بقدر الاستطاعة، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صدق فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من نار فليأخذها أو ليتركها..."

4 - دور القيم الدينية في التنمية الاجتماعية للباحث: بمنصور اليمين، وهو بحث لنيل درجة الماجستير في علم الاجتماع تخصص ديني من جامعة الحاج لخضر باتنة الجزائر.

وقد جاء البحث في خمسة فصول، تناول الباحث في الفصل الأول المتمثل في الفصل التمهيدي، إشكالية الدراسة وفروضها وأهمية الدراسة وأسباب اختيارها وأهدافها، ومجالات الدراسة الميدانية، وكذلك المنهج، أما الفصل الثاني فتناول المتغير الأول من الدراسة المتمثل في القيم بصورة عامة، من خلال إيراد التعريف اللغوي للقيم، ثم بعض المقاربات النظرية التي حاولت الإحاطة بموضوع القيم في الدراسات الفلسفية والنفسية والاجتماعية، مع ذكر أهم خصائص القيم وأنواعها، مع تناول بعض المصطلحات التي يراها البحث متداخلة في مفهومها مع القيم، وعلاقة القيم ببعض المواضيع الأخرى كالدين والمجتمع والنظام الاجتماعي والعقيدة.

أما الفصل الثالث فتناول فيه الباحث التنمية الاجتماعية، من خلال محاولة تحديد مفهوم التنمية بصورة عامة والتنمية الاجتماعية بصورة خاصة، مع التطرق لعنصر المقاربات النظرية في دراسة التنمية في الفكر الماركسي والفكر الوظيفي ممثلاً بماكس فيبر ودراسته المعروفة حول الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، ونقده بالمنظور الإسلامي للتنمية، مع التطرق كذلك لأحد أهم عناصر هذا الفصل والمتمثل في مجالات التنمية الاجتماعية، ومحاولة إبراز

¹ طه: الآية 84.

مكونات التنمية في ظل مقاصد الشريعة الإسلامية، كمحاولة تأصيلية في توجيه البحث نحو أهم المتطلبات التي يجب أن تسعى مخططات التنمية الاجتماعية نحو تحقيقها.

والفصل الرابع من البحث فحاول التطرق فيه الباحث إلى القيم الإسلامية من منطلق أن القيم عبارة عن اعتقاد، ومصدرها هي العقيدة الصحيحة، وعليه تم التطرق إلى مفهوم القيم الإسلامية وخصائصها وأنواعها، وتركيز الاهتمام نحو بعض النماذج من القيم الإسلامية التي لها دور في تحقيق التنمية الاجتماعية.

أما الفصل الخامس والأخير فعرض الباحث فيه البيانات الميدانية وحللها وفسرها، واستخلص نتائجها.

5 - قيم الإسلام الخلقية وآثارها: رسالة ماجستير في الثقافة الإسلامية، للباحث/ عبد الله بن محمد العمرو، وقد اقتصر على القيم الخلقية عرضاً وتحليلاً، ولم تتعرض للمقارنة.

6 - أثر الغزو الثقافي على قيم الإسلام: رسالة ماجستير في الثقافة الإسلامية للباحث/ أحمد مبشر جالو، وتقتصر كما يبدو من عنوانها على أثر الغزو الثقافي، وبالتالي فهي تبحث في انعكاسات ذلك الغزو على قيم الإسلام، تعرض فيها الباحث إلى آثار الغزو الثقافي الغربي على قيم الإسلام الخلقية في المجالات النظرية والمنهجية والعملية، ثم تعرض إلى آثار الغزو الغربي على القيمة الخلقية، ثم آثاره على المجال الاجتماعي في الإسلام، ثم ذكر العلاج، وهو نوعان: علاج نظري لتصحيح المفاهيم والتمسك بعقيدة التوحيد، ثم الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج، مع ضرورة وضع منهج تربوي للقيم الخلقية، والنوع الثاني: عملي نادى بضرورة علاج عملي بالتربية الروحية والتوجيه والمراقبة والضبط والتقويم والمتابعة.

7 - الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية: رسالة دكتوراه في الفقه والأصول، للباحث / عابد محمد السفيناني، وقد درس فيها ثبات الشريعة الإسلامية من حيث ثبات

الوحي، بمعنى أنه القول الحق الذي لا يتغير ولا يتبدل، وكذلك شمولها لا وجه الحياة البشرية، في ثبات القرآن والسنة الشريفة.

8 - الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية: كتاب للدكتور/ يعقوب المليجي، كما يتضح من مقدمته، أصله مذكرات في مجال الأخلاق أعدها المؤلف لطلابه في فرع الجامعة في القصيم، وقد بلغت مراجعه تسعة عشر مرجعاً.

9 - القيم الخلقية دراسة نقدية في الفكر الإسلامي، والفكر المعاصر: وهو كتاب للمؤلفة د. سامية عبد الرحمن عبد السلام، وهذه الدراسة على القيم الخلقية فقط.

فضلاً عن أن الباحثة ذكرت في كتابها أنها رأت الاختصار على علم القيم الخلقية فقط لسعة البحث في القيم بعامة، ولأهمية القيم الخلقية من جانب آخر.

هذه أهم الدراسات السابقة، أما الكتابات الأخرى في الموضوع فهي إما عن جانب من القيم؛ كالعناية بصلة القيم بالحرية في كتاب د. عادل العوا، أو تكون منصبة على جانب الأخلاق فقط.

تلك هي بعض من الدراسات التي اطلعت عليها؛ وهي وإن كانت تشترك مع هذا البحث في بعض جزئياته إلا أن مقصود البحث وكياناته غير تلك التي عالجتها الدراسات السابقة.

صعوبات البحث:

لا شك أن الباحث يسعى لتحقيق مطلب عظيم، وإضافة جديد للمعرفة، ومن ثم فلا بد من الصعوبات وبعض العراقيل؛ وهي تتنوع وتختلف باختلاف الموضوع. وفي هذه البحث واجهتني صعوبات عديدة وبفضل الله عز وجل ثم بفضل أساتذتي الفضلاء وعلى رأسهم فضيلة المشرف الأستاذ الدكتور: سعيد شبار، حفظهم الله جميعاً، وزملائي، وبالجهد والبحث والقراءة والانتقل من مكتبة إلى أخرى والبحث والتنقيب والجهد المتواصل استطعت - بحمد الله - تجاوزها.

من هذه الصعوبات:

- 1 - **صعوبة الموضوع؛** لأنه مرتبط بالفلسفة قديمها وحديثها، ولا ريب أن الفلسفة من العلوم الصعبة، ولاعتمادها على العقل البشري.
- 2 - **حدثة علم القيم؛** وهو من العلوم الجديدة، وبعضهم يربطه بعلم الأخلاق ويجعلهما علما واحدا، وبعضهم يفصله، والحقيقة أن القيم أعم والأخلاق أخص، ولم أجد في العصور الماضية من سماه علم القيم وإنما يسمى علم الأخلاق.
- 3 - **ندرة الكتابات والمراجع الإسلامية** التي تتحدث مباشرة عن القيم وثباتها وتغيرها، ولا ريب أن القرآن والسنة هما المصدران في الأخلاق، ولكن قليل من المفسرين من يركز على جانب الأخلاق، وكل مفسر له منهج في تفسيره، إما يركز على الأحكام، أو اللغة والبلاغة، أو الإعجاز. والحقيقة أن القرآن بحر زخار يغرف منه الفقيه واللغوي والمؤرخ والمربي ونحوه.
- 4 - **تشعب الموضوع وسعته وصعوبة الخوض فيه،** وشاعته واختلاف وجهات النظر في مقاربتة.
- 5 - **قلة الدراسات العلمية والميدانية التي** واكبت تنزيل مشروع بناء منظومة القيم.
- 6 - **صعوبة التدقيق في المؤشرات لقياس أثر التربية على القيم ودورها في حل معضلة العنف والتأسيس لبناء مجتمع التسامح والتعايش والتآزر.**

خطة البحث:

تم تقسيم البحث على الشكل الآتي:

الباب الأول:

المنطلقات التأسيسية لبناء القيم.

الفصل الأول: مفهوم القيم وأهميتها.

المبحث الأول: مفهوم القيم.

- المطلب الأول: الدلالة اللغوية للقيم.
 - المطلب الثاني: مفهوم القيم في المرجعية الإسلامية.
 - المطلب الثالث: مفهوم القيم في مرجعية الفكر الغربي.
- مقارنة بين القيم في المرجعية الإسلامية وفي مرجعية الفكر الغربي.

المبحث الثاني: أنواع القيم.

- المطلب الأول: أنواع القيم في المرجعية الإسلامية.
 - المطلب الثاني: أنواع القيم في مرجعية الفكر الغربي.
- مقارنة بين النظرة الإسلامية والغربية للقيم.

الفصل الثاني: أسس القيم وخصائصها.

المبحث الأول: أسس القيم في المرجعية الإسلامية وفي مرجعية الفكر الغربي.

- المطلب الأول: أسس القيم في المرجعية الإسلامية.
 - المطلب الثاني: أسس القيم في مرجعية الفكر الغربي.
- مقارنة بين أسس القيم في المرجعية الإسلامية وفي مرجعية الفكر الغربي.

المبحث الثاني: خصائص القيم في المرجعية الإسلامية وفي مرجعية الفكر الغربي.

- **المطلب الأول: خصائص القيم في المرجعية الإسلامية.**
- **المطلب الثاني: خصائص القيم في مرجعية الفكر الغربي.**
- مقارنة بين خصائص القيم في المرجعية الإسلامية وفي مرجعية الفكر الغربي.

الباب الثاني:

الثبات والتغير في القيم في المرجعية الإسلامية وفي مرجعية الفكر الغربي.

الفصل الأول: الثبات في القيم في المرجعية الإسلامية وفي مرجعية الفكر الغربي.

المبحث الأول: الثبات في قيم المرجعية الإسلامية.

- **المطلب الأول: الثبات في مصادر المرجعية الإسلامية.**
- **المطلب الثاني: الثبات في مصالح الشريعة ومقاصدها.**
- **المطلب الثالث: الثبات في الضوابط.**

المبحث الثاني: الثبات في القيم في مرجعية الفكر الغربي.

- **المطلب الأول: جذور الثبات في مرجعية الفكر الغربي.**
- **المطلب الثاني: التحول عن الثبات في مرجعية الفكر الغربي.**

الفصل الثاني: التغير في القيم في المرجعية الإسلامية وفي مرجعية الفكر الغربي.

المبحث الأول: التغير في القيم في المرجعية الإسلامية.

- **المطلب الأول: أسباب التغير.**
- **المطلب الثاني: مجالات التغير.**

المبحث الثاني: التغير في قيم مرجعية الفكر الغربي.

- المطلب الأول: التغير في أصول القيم.

- المطلب الثاني: التغير في مجالات القيم.

الباب الثالث:

آفاق بناء منظومة القيم في المدرسة المغربية.

الفصل الأول: واقع منظومة القيم في المدرسة المغربية والمجتمع.

المبحث الأول: القيم في المنظومة التربوية.

- المطلب الأول: القيم في الوثائق التربوية.

- المطلب الثاني: القيم في المناهج التعليمية؛ منهاج مادة التربية الإسلامية مثالا.

المبحث الثاني: القيم في المدرسة المغربية.

- المطلب الأول: المدرسة المغربية.

- المطلب الثاني: القيم في المدرسة المغربية.

- المطلب الثالث: واقع التربية على القيم في المدرسة المغربية

الفصل الثاني: مؤسسات التربية على القيم في المجتمع المغربي

المبحث الأول: الأسرة والتربية على القيم.

- المطلب الأول: الأسرة ومكانتها في المرجعية الإسلامية.

- المطلب الثاني: العوامل الأسرية ودورها في التنشئة الاجتماعية.

- المطلب الثالث: واقع التربية على القيم في الأسرة المغربية.

المبحث الثاني: المسجد والتربية على القيم.

- **المطلب الأول:** المسجد ووظيفته في المرجعية الإسلامية.
- **المطلب الثاني:** دور المسجد في التربية على القيم.
- **المطلب الثالث:** واقع التربية على القيم في المسجد.

المبحث الثالث: الإعلام والتربية على القيم.

- **المطلب الأول:** مفهوم الإعلام ووسائله وتطوره.
- **المطلب الثاني:** دور وسائل الإعلام في التربية على القيم.
- **المطلب الثالث:** واقع القيم في الإعلام.

خاتمة:

المصادر والمراجع:

الفهرس:

الباب الأول:

المنطلقات التأسيسية لبناء القيم.

الفصل الأول: مفهوم القيم وأهميتها.

الفصل الثاني: أسس القيم وخصائصها.

الفصل الأول

مفهوم القيم وأهميتها

المبحث الأول: مفهوم القيم.

- المطلب الأول: الدلالة اللغوية للقيم.
 - المطلب الثاني: مفهوم القيم في المرجعية الإسلامية.
 - المطلب الثالث: مفهوم القيم في مرجعية الفكر الغربي.
- مقارنة بين القيم في المرجعية الإسلامية وفي مرجعية الفكر الغربي.

المبحث الثاني: أنواع القيم.

- المطلب الأول: أنواع القيم في المرجعية الإسلامية.
 - المطلب الثاني: أنواع القيم في مرجعية الفكر الغربي.
- مقارنة بين النظرة الإسلامية والغربية للقيم.

الفصل الأول مفهوم القيم وأهميتها

المبحث الأول: مفهوم القيم.

مصطلح القيم من المصطلحات التي شاع استخدامها في الآونة الأخيرة فأصبح يتردد كثيرا على مسامعنا وعلى ألسنة التربويين والمفكرين والمتقنين وغيرهم، ما يشير إلى الحمولة التربوية والثقافية لهذا المصطلح الذي أصبح حديث الساعة والعصر...

فما المقصود إذن بالقيم في اللغة؟ وما دلالتها اللغوية والاصطلاحية في الفكر الإسلامي ومرجعية الفكر الغربي؟

المطلب الأول: الدلالة اللغوية للقيم.

"القيمة في اللغة: واحدة القيم، وأصله الواو، لأنه يقوم مقام الشيء، والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، تقول: تقاوموه فيما بينهم، وإذا انقاد الشيء واستمرت طريقته فقد استقام للوجهة"¹. وترجع القيمة إلى "الفعل قوم، حيث أدرجها ابن منظور على النحو الآتي:

نقيض الجلوس: وفعلها قوم من القيام وهو نقيض الجلوس، فهو مأخوذ من قام يقوم قوما وقياماً وقومة وقامة، والقومة المرة الواحدة، ورجل قائم من رجال قوم وقيم وقيام وقوم قيل هو اسم للجميع، ونساء قيم وقائمات"².

الوقوف والثبات: يقال للماشي قف لي أي تحبس مكانك حتى آتيك، وكذلك قم لي بمعنى قف لي، وعليه فسروا قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ

¹ ابن منظور محمد بن مكرم بن علي الأنصاري لسان العرب، باب القاف ج5 ص 3783 ط جديدة، دار الكتب العلمية لبنان 2009.

² المرجع نفسه باب القاف ج5 ص 3781.

كَلَّمَآ أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْآ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ فَامُوءَآ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ فَدِيرٌ¹.

"قال أهل اللغة والتفسير: قاموا هنا بمعنى وقفوا وثبتوا في مكانهم غير متقدمين ولا متأخرين، ومنه التوقف في الأمر وهو الوقوف عنده من غير مجازة له"².

الصلاح والاعتدال والاستقامة: "يقال استقام له الأمر، وقوله تعالى: ﴿بَاسْتَفِيمُوءَآ إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوءَ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾³، أي في التوجه إليه دون الآلهة، وقام الشيء واستقام اعتدل واستوى"⁴. فالشيء القيم ما له قيمة بصلاحه واستقامته، ومنه قوله عز وجل: ﴿دِينَا فَيِّمَآ﴾⁵ أي مستقيماً، والدين القيم هو الثابت المقوم لأمر الناس ومعاشهم، وأمر قيم مستقيم، وخلق حسن، ودين قيم مستقيم لا زيغ فيه. "وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْمُوءَ﴾"⁶، "ومعنى قوله استقاموا أي عملوا بطاعته ولزموا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم"⁷.

وفي هذا السياق صدرت رسالة جامعية عن مكتبة لبنان بيروت تحت عنوان "معجم ألفاظ القيم الأخلاقية وتطورها الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم" لنوال كريم زرزور بينت فيها المدلول اللغوي للقيمة واستعمال القرآن الكريم "للجذر (قوم) خلصت فيه إلى

¹ البقرة: آية 19.

² ابن منظور: مرجع سابق ص 3782

³ فصلت: آية 6.

⁴ ابن منظور: مرجع سابق باب القاف ج 5 ص 3782

⁵ الأنعام: آية 161.

⁶ فصلت: آية 29.

⁷ ابن منظور: مرجع سابق باب القاف ج 5 ص 3782.

أن القيمة أخذت من مادة (ق و م) وقد استعمل جذرها للدلالة على معان مختلفة هي: الانتصاب والوقوف وقام الأمر إذا اعتدل واستقام، والقوام: العدل، كما فصل في ذلك ابن منظور أكثر في لسانه¹. وتذكر أيضا أن في القرآن الكريم وردت المادة بصيغها المختلفة إحدى وستين وستمئة مرة تدور كلها حول الثبات والنهوض والانتصاب والاعتدال بمعانيه المادية والمعنوية، والتعديل وإزالة الاعوجاج².

المطلب الثاني: مفهوم القيم في المرجعية الإسلامية.

تنوعت المفاهيم حول القيمة لدى المفكرين والمتقنين والباحثين التربويين بتنوع تخصصاتهم وتوجهاتهم وثقافتهم، ويمكن رصد هذه المفاهيم المختلفة على النحو الآتي:

- "معايير عقلية ووجدانية تستند إلى مرجعية حضارية، تمكن صاحبها من الاختيار بإرادة حرة واعية وبصورة متكررة نشاطا إنسانيا، يتسق فيه الفكر والقول والفعل، يرجحه على ما عداه من أنشطة بديلة متاحة فيستغرق فيه، ويسعد به، ويحتمل فيه ومن أجله أكثر مما يحتمل في غيره دون انتظار لمنفعة ذاتية"³.

- "مجموعة من الأحكام المعيارية المتصلة بمضامين واقعية، يتشربها الفرد من انفعاله، وتفاعله مع المواقف والخبرات المختلفة، ويشترط أن تتال هذه الأحكام قبولا من جماعة اجتماعية معينة، حتى يتجسد في الفرد سلوكا.

¹ ابن منظور: المرجع السابق، باب القاف ج5 ص 3782

² نوال كريم زرزور: معجم ألفاظ القيم الأخلاقية وتطورها الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم ص 11، نقلا عن: خالد الصمدي: القيم الإسلامية في المنظومة التربوية ص 17 ط 1، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة الإيسيسكو، المغرب 2008

³ خالد الصمدي: نفس المرجع ص 18.

- فالقيم مثل عليا سامية، تتأسس على مجموعة من المبادئ والقوانين الوضعية أو الإسلامية، متعارف عليها بين أفراد المجتمع، تجعل الفرد من خلال هذه المبادئ والقوانين يحكم بحسن الشيء أو قبحه، فيفضل هذا السلوك أو الموقف ويذم ذلك" ¹.

- "القواعد والسلوك التي يستطيع الناس من خلالها، وبواسطتها أن يستمدوا آمالهم، ويوجهوا تصرفاتهم" ².

- والقيم هي "المقياس والمبادئ التي نستعملها للحكم على قيمة الشيء، وهي المعايير التي نحكم من خلالها على الأشياء (الناس، والأغراض، والأفكار، والأفعال، والمواقف) بأنها جيدة، وقيمة، ومرغوبة، أو على عكس ذلك أنها سيئة، ومن غير قيمة، أو قبيحة" ³.

أولاً: القيم في القرآن الكريم.

"الْقِيَمُ جَمْعُ قِيَمَةٍ، وَجَذَرُهَا قَوْمٌ، وَوَرَدَتْ مُشْتَقَاتُهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ حَوْلِي سِتْمِائَةٍ وَتِسْعٍ وَخَمْسِينَ (659) مَرَّةً، مِنْهَا قَامَ وَأَقَامَ وَقِيَامٌ وَقَائِمٌ وَقِيُومٌ وَقِيَمٌ وَقِيَمٌ وَقِيَمٌ وَقِيَمٌ وَقِيَمٌ وَمِثْلُهَا فِي حَوْلِي مِائَةٍ وَسِتِّينَ (160) مَرَّةً، وَاسْتَقَامَ وَمُسْتَقِيمٌ فِي سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ (47) مَرَّةً، وَقِيَامَةٌ فِي سَبْعِينَ (70) مَرَّةً، وَقَوْمٌ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ وَاثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ (382) مَرَّةً" ⁴.

- فالله سبحانه حيٌّ قَيُّومٌ، يقوم بذاته ويستغني عن غيره، ويسوس الأمور ويسيطر عليها، فهي خاضعة له، ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ ⁵.

¹ مجلة علوم التربية: العدد 47 مارس 2011 ص 26.

² عبد الرحيم وهابي: المناهج التعليمية ومنظومة القيم ص 17.

³ ماجد زكي الجلاد: تعلم القيم وتعليمها تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريس القيم، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة 200م، ص 22.

⁴ نوال كريم زرزور، "معجم ألفاظ القيم الأخلاقية"، بيروت: مكتبة لبنان، 2001 ص 11.

⁵ طه: آية 108.

وهو سبحانه القائل: ﴿أَقَمَنَّ هُوَ فَأَيِّمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾¹، فهو بها عليمٌ، ولها حفيظٌ، وعليها رقيبٌ.

- والدين القيم الموصول إلى كل خير بلا انحراف أو زيغ، وما سواه أديانٌ غير مستقيمة ﴿بَأْفِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾².

- والصراط المستقيم: الواضح الموصول إلى هدفه وغايته دون عناء في الجهد، ودون ضلال في الطريق، ﴿بَاسْتَفِمْ كَمَا أَمَرْتُ﴾³، ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾⁴.

- والقرآن يهدي للتي هي أقوم: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلتي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾⁵، من العقائد والشرائع والأخلاق، فمن اهتدى بهديه كان أقوم الناس، والكتب القيمة هي الكتب التي يعدلها ثمنٌ غال، ومكانة رفيعة، وفائدة كبيرة، وتجمع ما في غيرها من الخير.

- وقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾⁶، إذ اكتملت في خلقه صفات الحسن في التكوين الجسمي والعقلي والروحي، بما يتناسب والهدف من الخلق والوظيفة في الوجود.

1 الرعد: آية 34.

2 الروم: آية 42.

3 هود: آية 112.

4 الفاتحة: آية 5.

5 الإسراء: آية 9.

6 التين: آية 4.

- وكان بين ذلك قواماً: توسطاً واعتدالاً ورشداً في الأمر بلا إفراط ولا تفريط: ﴿وَالَّذِينَ

إِذَا أَنْعَمُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يُفْتِرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾¹.

وهكذا فإن جماع المعاني اللغوية في أصولها القرآنية تشير إلى أن الكون كله قائم على نظام تتقوّم به أشيائه وظواهره، وأن حياة الإنسان في الكون تتقوّم بمنظومة من القيم تحدد تصوراتّه، وعلاقاته، وأعماله الظاهرة، والباطنة.

وإذا تأملنا في الدلالات المختلفة لمجمل الألفاظ القرآنية ذات العلاقة بجذر القيم، فإننا سنجدّها تتركّز في أربعة مجالات من الدلالة، تتطافر وتتعاون في إعطاء الدلالة الكلية للقيمة والقيم في الاصطلاح القرآني، وهذه المجالات الأربعة هي:

1- الوزن والفائدة والثمن والخيرية، فالأمر الذي لا قيمة له لا وزن له ولا فائدة فيه، أما الأكثر قيمةً فهو الأفضل، والأكثر خيراً: ﴿وَلْيَكِ الَّذِينَ كَفَرُوا بَيَّاتٍ رَبِّهِمْ وَلِيَفَّيْهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُفِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾².

2- الثبات والاستقرار والتماسك: ﴿إِنَّ الْمُتَفِيسِينَ فِي مَقَامٍ آمِينَ﴾³.

3- المسؤولية والرعاية؛ فالقائم على الأمر مسؤول عن رعايته وإدارة شؤونه: ﴿الرَّجَالُ

فَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾⁴، والله سبحانه هو: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ

1 الفرقان: آية 67.

2 الكهف: آية 100.

3 الدخان: آية 48.

4 النساء: آية 34.

الْفَيْئُومُ¹، وهو سبحانه قائم على كل نفس: ﴿أَقِمْنَ هُوَ فَأَيِّمُ عَلَى كُلِّ

نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ²﴾.

4- الاستقامة والصلاح: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَفْلَمُوا عَلَى الطَّرِيفَةِ لَأَسْفَيْنَهُمْ مَّاءٌ

غَدَفًا³﴾.

المنتبغ لأي القرآن الكريم تجده يؤصل للقيم، من أول آية يتصفحها؛ يؤصل للقيم من جميع مستوياتها، في علاقة الانسان مع ربه، وعلاقته مع نفسه، وعلاقته مع بني جنسه، وعلاقته مع الكون الذي يحيط به، ولهذا يبين القرآن الكريم أن إرسال الرسل ما هو إلا لتنظيم شؤون الانسان وعلاقته مع نفسه وما سواه

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُوجِي

إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ⁴﴾.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا

هُوَ سُبْحَانَهُ، عَمَّا يُشْرِكُونَ⁵﴾.

1 البقرة: آية 253.

2 الرعد: آية 34.

3 الجن: آية 16.

4 الأنبياء: آية 25.

5 التوبة: آية 31.

وقوله سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾¹.

هذا في علاقة الانسان مع خالقه، أما في علاقته مع نفسه فيقول الحق سبحانه: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾² وقوله سبحانه: ﴿بَاعْتِزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَفْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ﴾³، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكَ الْمَيِّتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِعَیْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ وَالْمُنْخَفِضَةُ وَالْمُؤَفَّوْذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾⁴.

فالقرآن الكريم يوجه الانسان إلى أن يعتني بنفسه وصحته، في جسمه وعقله وروحه، وطعامه وشرابه وملبسه ومسكنه، حتى يظفر بالسعادة والراحة والطمأنينة.

وفي حق أبناؤه: يقول سبحانه: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾⁵. ويقول عز وجل: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾⁶

وفي حق أقربائه يقول جل وعلا: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾⁷، وقوله سبحانه: ﴿كُتِبَ

¹ الإسراء: آية 23.

² المائدة: آية 7.

³ البقرة: آية 220.

⁴ المائدة: آية 4.

⁵ النساء: آية 11.

⁶ البقرة: آية 231.

⁷ النساء: آية 8.

عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ
بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ¹.

وفي حق جاره يقول عز وجل: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ
وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
مُخْتَالًا فَخُورًا²﴾.

وفي حق أخيه المسلم حرم الخمر وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوفَعَ بَيْنَكُمْ
الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ
أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ³﴾.

وفي حق المخالف في الدين؛ قال سبحانه: ﴿لَا يَنْهَيْكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ
يُفْتَلِكُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِّنْ دِينِكُمْ أَوْ تَبَرَّوْهُمْ وَتَفْسِطُوا إِلَيْهِمْ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ إِنَّمَا يَنْهَيْكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ
وَأَخْرَجُوا مِّنْ دِينِكُمْ وَظَلَمُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ
فَإُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ⁴﴾، وقال سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُفْتَلُونَكُمْ

1 البقرة: آية 180.

2 النساء: آية 36

3 المائدة: آية 93.

4 الممتحنة: الآيتان 9-8.

وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ¹ وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاِجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾².

وفي سبيل تفعيل منظومة القيم في القرآن الكريم، غاص في أغوار النفس البشرية ليعيد بناءها حتى تستقيم مع القيم الانسانية النبيلة.

وقد علل الله سبحانه وتعالى الغاية من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾³ فغاية الرسالة هي رحمة ومصلحة للإنسان، ومن تم يسعى القرآن الكريم إلى البحث في العوائق التي يمكن أن تحول دون تحقيق تلك المصلحة المنشودة، وقد عالجها من جانبيين، من جانب الأصل القويم الذي خلق عليه الانسان وسماه الفطرة، ومن جانب الطارئ الذي طرأ على القيم المتأصلة في الخلقة البشرية وسماه الهوى.

القرآن الكريم هو الكتاب الذي نزل بلسان عربي مبين (أي بلغة العرب فقط)، فاستنباط الأحكام الفقهية يجب أن يكون قائماً على تفهم الأساليب العربية، هذا المصدر الإسلامي التشريعي الأول هو البيان الذي فيه تبين لكيفية الإرث، الصلاة والزكاة... إلخ. استدلل الشافعي على أنه نزل بلسان العرب بأدلة نقلية في الباب الخامس في كتابه "الرسالة"⁴، منها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁵.

حيث ينظر الشافعي إلى هذا المصدر التشريعي على أنه كل الشريعة وجامع لأحكامها.

¹ البقرة: آية 190.

² الأنفال: آية 62.

³ الأنبياء: آية 106.

⁴ الشافعي، الرسالة، عن أصل بخط الربيع بن سليمان، كتبه في حياة الشافعي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1989 ط2، ص46.

⁵ الشعراء: آية 195.

تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن الكريم، أما الكتب السابقة فقد وكل حفظها إلى الناس، فلقد مضى على القرآن الكريم قرون عديدة، ووصل إلينا كما أنزله الله تعالى، وسيخترق بإذن الله أحوال المجتمع المعاصر وظروفه وتحدياته ليصل من بعد إلى أن يرث الأرض ومن عليها، ما طالته الأفواه النافخة ولا الأصوات اللاغية ولا الأيدي المحرفة، وليتم الله نوره ولو كره الكافرون¹.

يدعو القرآن الكريم إلى تربية الأفراد والأمم على القيم، وما الأحكام والتشريعات فيه إلا وسائل لتحقيقها، فلا قيمة لتمثلها وممارستها إن لم تفض إلى التربية الإيمانية، قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾².

ويمكن القول إن القرآن الكريم هو المصدر الأساسي للقيم إذ تنتظم فيه كالاتي:

- قيم اعتقادية تتعلق بالعتيدة وما يجب على المكلف اعتقاده في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

- قيم خلقية تتعلق بما يجب على المكلف أن يتحلّى به من الفضائل وما يتخلّى عنه من الرذائل.

- قيم عملية تتعلق بما يصدر عن المكلف من أقوال وأفعال وعقود وتصرفات³. وهي على نوعين:

¹ مانع بن محمد بن علي المانع، القيم بين الإسلام والغرب، دار الفضيلة، سلسلة الرسائل الجامعية، السعودية، الرياض، 2005، ط 1، ص. 182 بتصرف.

² الحجرات: الآية 14.

³ قاسم محمد محمود خز علي، القيم التربوية القرآنية والحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة القدس للأبحاث والدراسات، العدد خمسة وعشرون، ايلول 11-6، ص36 بتصرف.

العبادات: من صلاة وصوم وزكاة وحج ونذر ونحوها، ويقصد بها تنظيم علاقات الإنسان بربه.

والمعاملات: من عقود وتصرفات وعقوبات وجنایات وغيرها؛ ويقصد بها تنظيم علاقات المكلفين ببعض سواء كانوا أفراداً أم أمماً أم جماعات، وهذه تضم قيماً تتصل بالأسرة والقضاء ونظم الحكم وأصوله ومعاملات الدولة الإسلامية، ومعاملات غير المسلمين كما تضم القيم المادية والاقتصادية، والقيم المتعلقة بالعبادات والأسرة، ملزمة ثابتة لأنها تتعلق بأمر تعبدي، لأمجال للعقل فيه ولا يتطور بتطور البيئات، "أما فيما عدا العبادات والأحوال الشخصية من قيم المعاملات فتأتي قيماً عامة كقواعد عامة ومبادئ أساسية لم يتعرض لتفصيلها القرآن الكريم لأنها تتطور بتطور البيئات والمصالح"¹.

من هنا يتضح لنا أن الإسلام قد وضع قواعد نظرية أخلاقية متكاملة تقود إلى الفضائل في أحسن ما تكون عليه، وهذا الأمر نابع بطبيعة الحال من غاية رسالة الإسلام التي هي رحمة للعالمين: "فلقد حدد الإسلام القيم الأخلاقية السامية والفضائل النبيلة التي يجب على أي فرد أو جماعة أو مجتمع الالتزام بها، وبعد هذا الهدي المحدد للقيم الأخلاقية يصبح واجب المفكرين والمصلحين الاجتهاد في شرح وتفصيل تلك القواعد، ودعوة الناس إلى الالتزام بما شرعه الله تعالى لعباده، وبما جاء في سيرة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم"².

فالقرآن الكريم يدعو إلى مكارم الأخلاق، ويحث على الفضيلة والخير وينهى عن الشر، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْبَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾³، وإذا تأملنا الآيات القرآنية

¹ مانع بن محمد بن علي المانع، القيم بين الإسلام والغرب، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض 2005م، ص184.

² موزة احمد راشد العبار، القيم الأخلاقية بين الفكرين الإسلامي والغربي في عصر العولمة، الدار العالمية للنشر والتوزيع،

2008 ط 1، ص11.

³ النحل: الآية 90.

التي خاطبت الإنسان وأيقظت ضميره وأثارت شعوره، ونظرنا فيما فيها من الأوصاف الفاضلة والأخلاق الحسنة، فإن القرآن يرسم للإنسان طريق الخير في الحياة ويدفعه إلى السير فيه، ويعمل لإبعاده عن الشر؛ فإله سبحانه خلق الإنسان وهو يعلم ما يصلح للإنسان وما لا يصلح له.

والإسلام يجعل حسن الخلق في قمة الأهداف التي ينبغي أن يتنافس فيها الأفراد، ويجعل حسن الخلق لذاته درجة دينية ترفع قدر صاحبها عند الله.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله هي أسس الحياة الفاضلة في المجتمع المسلم، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْأَكْتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾¹.

إذا كان القرآن الكريم المصدر الأول من مصادر التشريع والهادي إلى القيم والتخلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل فما مكانة القيم في السنة النبوية؟

ثانياً: القيم في السنة النبوية.

تعتبر السنة النبوية المصدر الحي المتجدد للفكر الإسلامي، الذي يعبر بدقة وصدق عن روح النصوص التشريعية ومقاصد الأحكام الشرعية، لأن السنة النبوية تجسد قيم الإسلام الحقيقية، ورسالة أمة ومسؤولية حياة، يتشرف بها من اختصه الله بالمساهمة فيها، مع يقينه بعظم الأمانة وثقل التكليف، وتزداد الحاجة اليوم إلى إبراز الجانب القيمي في السنة النبوية، بالنظر إلى طغيان الحياة المادية بما تحمله من فتن الشهوات والشبهات في حياة الشباب على وجه الخصوص وسائر أفراد المجتمع بشكل عام، مما يجعل المربين والمربين أمام تحديات

¹ آل عمران: آية 110.

غير مسبقة في محاولاتهم لبناء التحصين الذاتي وتعزيز الجانب القيمي والأخلاقي أثناء تربية الأجيال.

إن القيم التي حفلت بها السنة النبوية تقوم بدور مهم في حياة الفرد والمجتمع والأمة والإنسانية، لأنها قيم إنسانية إيجابية، وواقعية وثابتة، ومرنة في التطبيق الذي يساير حاجيات الإنسان في كل زمان ومكان، لأنها مضبوطة بضوابط الهدي المحمدي المستمدة من الهدي القرآني، الذي يؤدي بالمتعلم المستهدف بالتربية إلى سلوكيات إيجابية محمودة في مواقف وأحوال مختلفة.

وقد كان للقيم المستمدة من السنة النبوية بمصادرها المختلفة أثر كبير في بناء الشخصية الإسلامية الإنسانية القوية، وتمثل هذا الأثر في جيل الصحابة والتابعين، بحيث رباهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة بالقول والفعل والتقرير، وأخذها عنهم التابعون وتابعو التابعين ليتمثلوا بدورهم عبر وسائط مختلفة: القدوة والأسوة الحسنة لتصل إلينا سنة النبي وسيرته صلى الله عليه وسلم تقتدي بهما الإنسانية إلى يوم الدين.

ولو تأملنا في أفعاله صلى الله عليه وسلم وجدناها تقول: إني أصنع أمة لها تاريخ الأرض من بعد، ولم يكن مثله في الصبر على البلاء والثبات على الحق واستقرار النفس والطمأنينة، ولا في الرحمة ورقة القلب والسمو.

باختصار شديد، إن السنة النبوية منهج حياة لمن امتثلها واتخذها قدوة، إذ فيها الكثير من النماذج والمواقف والعبر، وهي سجل تربوي حافل بالقيم والمعايير والمهارات و دليل الحياة اليومية داخل بيوتنا وفي مؤسساتنا التعليمية وفي برامجنا الإعلامية للخروج من قوقعتنا، لكن وجب علينا أن نلقتها ونعرفها للطفل منذ سنواته الأولى لإشباع حاجاته، وذلك عن طريق الاقتداء بسيد الخلق في كل الأمور وفي كل المواقع، والسنة تمثل مواقف عالية من الإنسانية التي لا ترقى إليها مواقف أخرى، وعرض هذه المواقف في سموها وعلوها تعطي التلميذ انطبعا

بمحاولة التشبه والتأثر، وخاصة إذا كان السلوك صادرا عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو عن أحد صحابته وحوارييه¹.

فالقيم الإسلامية هي صمام أمان التربية، خاصة إذا نظرنا إلى واقع عالمنا اليوم نجد أن القيم السائدة فيه لا تعبر عن قيم حضارتنا، وهذا يزيد من واجب المربين والمصلحين للاشتغال وإعطاء البديل، وهذا ما أكدّه الدكتور حسن السيد شحاتة بقوله: "إن واقع مجتمعنا العربي بشكل عام تغزوه القيم والثقافات الغربية، ونتفاخر فيما يأتينا من الغرب، فكثير من القيم والعادات الموجودة في عالمنا العربي مستوردة الأفكار والثقافات، ثم نتساءل هل نحن في مجتمع عربي أم غربي"²

السنة النبوية: حسب اصطلاح المحدثين: ما استنته النبي صلى الله عليه وسلم طريقة مشروعة لأئمة بقوله أو بفعله أو تقريره، فهي على هذا تقابل القرآن الكريم.

تُعد السنة النبوية المطهرة المصدر الثاني من مصادر القيم في الإسلام، وقد بين القرآن الكريم مكانة السنة النبوية ودعا إلى اتباع النبي صلى الله عليه وسلم اتباعا كاملا.

ووظيفة السنة النبوية المطهرة من القرآن الكريم أنها مؤكدة له ومفسرة لما جاء به، ومقيدة لمطلق القرآن الكريم ومخصصة لما أتى من حكم عام، ومنشئة لحكم جديد لم يرد في القرآن الكريم، وناسخة لحكم ورد فيه.

¹ محمد صلاح الدين مجاور، تدريس التربية الإسلامية، الكويت دار القلم، الطبعة الأولى، 1976 - ص 315.

² شحاتة حسن "صراع القيم لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية كلية التربية عين شمس مصر ص: 96.

ويعد القرآن الكريم الجانب النظري في صياغة القيم من أجل نشرها والعمل على ترسيخها، ووضعت السنة النبوية المطهرة الاجراءات التطبيقية في واقع المسلمين وحياتهم، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالناس ويقول لهم: (صلوا كما رأيتموني أصلي)¹.

وإذا كانت السنة المطهرة بهذه المكانة العظيمة بعد كتاب الله عز وجل فإنها مصدر عظيم من مصادر القيم الإسلامية، فكل ما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أقوال وأفعال وتقريرات يعتبر من القيم لأن السنة النبوية حجة كما أسلفنا، وواجب على المسلمين الاتباع لكل ما صدر عن النبي بصفته رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان مقصودا به التشريع والافتداء وما صدر عن طبيعته البشرية فهو قيمة ملزمة إذا قام دليل يدل على أن المقصود من فعله الافتداء، وقيمة غير ملزمة إذا كان غير ذلك، فهي قيم تخضع للاختيار، أما ما ثبت بدليل يقصد به التشريع وافتداء المسلمين به فهو قيمة ملزمة وسنة واجب اتباعها.

و"أما كيفية استنباط القيم من نصوص الكتاب والسنة المطهرة فلا بد لمن يريد القيام بها أن يعرف طرق الفقهاء في الاستنباط، وأن يتعرف على المدلولات اللغوية، والفهم العربي لهذه النصوص، والطريقة التي اتبعها الرسول صلى الله عليه وسلم في بيان أحكام القرآن، ثم لا بد من التعرف على الطرق المعنوية للاستنباط من غير النصوص أيضا كالقياس والاستحسان والمصالح والذرائع وما إلى ذلك"³.

والسنة النبوية المطهرة؛ مصدر يزخر بالقيم الإسلامية الكثيرة، وحياة النبي صلى الله عليه وسلم كلها مواقف نبيلة والمجتمع الإسلامي الذي عاصر النبي صلى الله عليه وسلم لا

¹ أخرجه البخاري (631)، ومسلم (674).

² محمد محمود خزعلي، القيم التربوية في ضوء الرؤية القرآنية والحيث النبوي الشريف، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد الخامس والعشرون، 2011م، ص82.

³ مانع بن محمد بن علي المانع، القيم بين الإسلام والغرب، ص191.

مثيل له في التاريخ، ولأن السنة مصدر رئيسي للقيم بعد القرآن أمر لازم وضروري ومهم وواجب اشتقاق القيم منها ومن القرآن الكريم¹.

ومن هنا يتضح لنا أن من يقرأ السنة النبوية ويطلع على أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم، فإنه سيجد جميع أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم مستقاة من الدين الإسلامي ومبادئه، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم نموذج أخلاقي يحتذى به، مثالا واقعيا يدركه الناس قبل البعثة وبعدها، فقد كان قبل بعثته يلقب بالصادق الأمين "فالصادق لا يكذب، والأمين لا يخون، وما أدراك ما الصدق والأمانة؟ وما أدراك ما الكذب والخيانة؟ أما الصدق والأمانة فيمكن أن تحيي أمة وليس فردا، وكذلك الكذب والخيانة يدمران أمة وليس أمة"².

بل إن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُوفٍ عَظِيمٍ﴾³ وعندما سئلت عائشة رضي الله عنها عن أخلاقه قالت: "كان خلقه القرآن"⁴.

ثالثا: القيم في التراث الإسلامي.

إن مصطلح التربية على القيم لم يكن حاضرا بهذه العبارة في التراث الفكري التربوي الإسلامي، وإنما حضر بتجليات مختلفة منها الآداب والأخلاق، إذ كان يسري في كل عملية تربوية، فالأخلاق حاضرة في البيت والعشيرة والمسجد، بالإضافة إلى جو عام يسود الوسط الاجتماعي يُعلي من شأن الخلق الحسن، ويحط من قيمة المتعاطي للخلق الرذيل، فينبذه ويطرده ويقصيه حتى يعود إلى رشده.

¹ مانع بن محمد بن علي المانع، القيم بين الإسلام والغرب، ص 191 بتصرف.

² موزة احمد راشد العبار، القيم الأخلاقية بين الفكرين الإسلامي والغربي في عصر العولمة، الدار العالمية للنشر والتوزيع 2009م، ص125.

³ القلم: الآية: 04.

⁴ أخرجه أحمد (25813) واللفظ له، وأبو يعلى (4862)، والطحاوي في (شرح مشكل الآثار) (4435) مطولاً.

والجدير بالذكر أن التربية في الإسلام لم تعرف يوما ما هذا الفصل ولا التفريق بين التربية والتعليم عموما وترسيخ الأخلاق والآداب الحميدة خصوصا، ويظهر ذلك بجلاء في افراد عدد من الكتب والمؤلفات التي اهتمت بآداب المدرس والمتعلم وما يجب أن يكون بينهما من علاقات الود والاحترام والتقدير، وما يجب على المدرس أن يحرص عليه في تنشئة المتعلم على الأخلاق الفضيلة وكونها لا تتفصل عن عملية تلقينه وتدريبه للعلوم المختلفة، نذكر على سبيل الايجاز لا الحصر، **ابن سحنون** وآراؤه التربوية من خلال كتابه "آداب المعلمين"، **والشيخ الرئيس ابن سينا** وآراؤه التربوية في العديد من كتبه التي كتبها بالعربية والفارسية وخاصة رسالته المسماة بـ "السياسة"؛ أي سياسة الصبيان والغلمان، كما ترك **الامام ابو حامد الغزالي** ثروة تربوية خاصة في كتابيه؛ "إحياء علوم الدين" ورسالة "أيها الولد"، أما **ابن خلدون** فقد ترك تراثا تربويا مهما وآراء في التربية يمكن اعتبارها أساسا لمدارس تربوية عديدة، خاصة ما ضمنه في كتاب "المقدمة".

لم تكن التربية عندهم علما مستقلا، ولكنها كانت حاملة للقيم، وأساس تلقي العلوم الشرعية من فقه وحديث وتفسير، كما كانت الممارسة التعليمية التي تجري في مجالس التعليم يسودها جو من الخشوع والاحترام والتقدير الذي يضفيه العالم والمتعلم على المجلس؛ لإيمانهم الراسخ بقداسة العلم والتعلم وخاصة ما ارتبط منه بعلوم الوحي.

ومن مصادر القيم في التراث الإسلامي:

أ - الإجماع: وهو في مرتبة بعد الكتاب والسنة ، وتعريفه: أن يجتمع علماء العصر على أمر فيكون إجماعهم حجة فيما أجمعوا عليه"، وله حدود أبستمولوجيا، فقد قيد بالسنة وباجتهاد الصحابة الذي يعد أول إجماع معتبر لأنه اجتهادهم، ولا يمكن أن يُغفل عن السنة في موضع الاجتهاد، فلا بد أنهم اجتهدوا حيث لا يقوم نص من السنة أو أثر على الرسول صلى الله عليه

وسلم على خلاف ما اجتمعوا عليه، ولكن إذا حكموا السنة فيما اجتمعوا عليه كانت السنة هي الحجة¹.

وقيد أيضا بإجماع العلماء والفقهاء، لأنها مهمة الذين يدركون الحلال والحرام في الأمور غير المنصوص عليها في الكتاب والسنة، فما دام أساس الإجماع هو الوصول إلى رأي في الأمر بالتحليل أو التحريم، فلا يتصور أن يكون ذلك إلا من العلماء المجتهدين².

ويعرف الإجماع في اصطلاح الأصوليين "بأنه اتفاق جميع المجتهدين من المسلمين في عصر من العصور بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم على حكم شرعي في واقعة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْرِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَتَبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا فَلِيلًا﴾³، فإذا ثبت الإجماع حول حادثة بذاتها"⁴ فإنها تندرج ضمن السلم القيمي الحاكم للجماعة المسلمة ولأفرادها.

ب- القياس: هو كل ما نزل بمسلم ففيه حكم لازم، أو على سبيل الحق فيه دلالة موجودة، وعليه إذا كان فيه بعينه حكم إتباعه، وإذا لم يكن فيه بعينه طلب الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد والاجتهاد القياس⁵.

¹ محمد أبو زهرة الشافعي، حياته وعصره، أداؤه وفقهه، دار الفكر العربي، القاهرة، مارس 1948م، ط 2، ص 228. بتصرف.

² المرجع نفسه: ص 23. بتصرف.

³ النساء: آية 82.

⁴ محمد أبو زهرة الشافعي، حياته وعصره، أداؤه وفقهه، دار الفكر العربي، القاهرة، مارس 1948م، ط 2، ص 228.

⁵ الشافعي، الرسالة، ص 488.

فهو يتفق مع علماء أصول الفقه على أن القياس هو: "إلحاق واقعة لم يرد في حكمها نص ولا إجماع بواقعة أخرى ثبت حكمها بأحدهما لاشتراكهما في علة الحكم التي لا تدرك بمجرد معرفة اللغة العربية، بل بالاجتهاد"¹.

وقد قيد الشافعي القياس بالكتاب والسنة، كما قيده بوضع شروط يجب أن تتوفر في القائس منها:

- 1 - "العلم بأحكام كتاب الله، فرضه، وأدبه، ناسخه ومنسوخه، عامه وخاصه، وإرشاده.
- 2 - أن يستدل على ما احتمل التأويل منه بسنن رسول الله، فإذا لم يجد سنة فبإجماع المسلمين، فإن لم يكن إجماع فبالقياس.
- 3 - أن يكون عالما بما مضى قبله من السنن وأقاويل السلف، وإجماع الناس واختلافهم، ولسان العرب.
- 4 - أن يكون صحيح العقل حسن التقدير، حتى يميز المشتبه ويثبت في حكمه"².

رابعاً: نماذج من القيم الإسلامية.

إن مرجعية القيم الإسلامية هو كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لأنها مذكورة فيهما ومنصوص عليها نصاً واضحاً، فهي غايات لذاتها وفي الوقت نفسه وسائل لغيرها تهدف إلى تحقيق غاية، وهذه الغاية هي حياة صالحة للناس جميعاً³، كما أن القيم الإسلامية في القرآن والسنة مترابطة متماسكة، ويذكر عدد من هذه القيم معاً في آية واحدة أو في آيات متتابعة، وعلى هذا الأساس فإنه لا يمكن الفصل بين القيم الإسلامية، وأن محاولة الفصل بين القيم الإسلامية هو لغرض منهجي بحث، فقيمة الأخوة، وقيمة الإيثار، وقيمة البر

¹ محمد مصطفى شلبي، أصول الفقه الإسلامي، مرجع سابق، ص. 203.

² الشافعي، الرسالة، ص. 510.

³ فهمي محمد علوان: القيم الضرورية ومقاصد التشريع الإسلامي، الهيئة المصرية الهامة للكتاب، مصر، 1989، ص. 11. بتصرف.

قيم إسلامية متداخلة مع بعضها البعض، كما تؤكد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ولأن القيم الإسلامية أمر كامن في مدى عمق الإيمان سواء لدى الفرد أو المجتمع بأن الحياة الدنيا هي ما ييسره الله تعالى للعبد من الهدى والنعمة والخيرات، وأن الآخرة هي الفوز بالنعيم الدائم في الجنة، وأن من أيقن من دينه أن البعث حق، وأن الدار الآخرة هي المصير، وأن هذه الدار الدانية قنطرة إلى الأخرى، وباب إلى السوء أو الحسن عمل لها وقدم ما يجده فيها، فإن شك فيها، أو تكاسل عنها، وآثر عليها. واستعد لآماله، وغفل عن مآله¹ وبهذه القناعة الإسلامية ما يبرز اختصاص العقيدة الإسلامية التي يلي ذكرها دون غيرها من العقائد.

ومن نماذج القيم الإسلامية:

قيمة العفة:

العفة لغة: الكف عن القبيح، يقال عف عن الحرام أي كف، والاستغفار طلب العفة، وقال ابن منظور العفة: "الكف عما لا يحل ويجهل"²، والعفة أيضا النزاهة، والسؤال من الناس، والاستغفار طلب العفاف وهذا معنى قوله تعالى ﴿وَلَيْسَتَعْبُوهِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾³.

والعفة اصطلاحاً: قال الراغب: "العفة حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة"⁴، وقال أيضاً: العفة هي ضبط الملاذ الحيوانية، وهي حالة متوسطة من إفراط هو شره وتفريط وهو جمود الشهوة، وقال الجاحظ: هي ضبط النفس عن الشهوات وقصرها على الاكتفاء بما يقيم أود الجسد ويحفظ صحته فقط، واجتناب السرف في جميع الملذات وقصد الاعتدال، وأن يكون ما يقتصر عليه من الشهوات على الوجه المستحب المتفق على ارتضائه وفي أوقات

¹ صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح، موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، درا الوسيلة للنشر والتوزيع، طبعة 1998، ص1 بتصرف.

² ابن منظور لسان العرب. ج: 9. ص: 253.

³ النور، آية: 33.

⁴ الراغب الأصفهاني مفردات ألفاظ القرآن، ص 573.

الحاجة التي لا غنى عنها، وعلى القدر الذي لا يحتاج إلى أكثر منه، ولا يحرس النفس والقوة أقل منه، وهذه الحالة هي غاية العفة.¹

ومن أنواع العفة قال الماوردي: العفة والنزاهة والصيانة من شروط المروءة، والعفة نوعان: إحداها: العفة عن المحارم، والثانية: العفة من المآثم، فأما العفة عن المحارم نوعان: إحداها ضبط الفرج عن الحرام، والثانية كف اللسان عن الأعراس، وأما العفة عن المآثم نوعان أيضا: إحداها الكف عن المجاهرة بالظلم، والثانية زجر النفس عن الإسرار بخيانة.²

ولقد امتدح المولى عز وجل الحافظين فروجهم والحافظات، وجعل ذلك من سمات الفلاح وعلامات الفوز في الدار الآخرة، فقال تعالى: ﴿فَدَأْفَلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ بُعِلُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝﴾^{3 4}.

وقد وعد الله هؤلاء المفلحين بقوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْيَرْدَ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁵.

كان ذلك هو الجزاء في الآخرة، فإن أثر القيمة الإسلامية في حفظ الفرج وما يستلزمها من غض البصر والعفة عن المحارم في الحياة سواء على الفرد أو المجتمع يؤدي إلى تماسك بنيان المجتمع، وسلامته من الأمراض الاجتماعية الفتاكة، كاختلاط الأنساب والأمراض

¹ الجاحظ "تهذيب الأخلاق" ص: 21 بتصرف (المكتبة الشاملة).

² صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملح، موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، مرجع سابق، ص. 2873 بتصرف.

³ المؤمنون، الآية 5-1

⁴ الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، أدب الدنيا والدين، تحقيق مصطفى السقا، بيروت، 1978 ص. 390 بتصرف.

⁵ المؤمنون، الآية 10-11

المهلكة كمرض "الإيدز" الذي انتشر بصورة تؤدي إلى الخراب والدمار في الحياة، أما على المستوى الفردي فإن حفظ الفرج يجنب صاحبه ويلات الزنا، ولا ريب أن الإسلام قد أوضح بجلاء الطرق الكفيلة بحماية الفرد والمجتمع من هذه الآفة المهلكة والمتمثلة في الزنا، فحث على العفة والطهارة، وأمر بغض البصر ومنع التبرج وغلظ عقوبة الزنا، وحث على الزواج لمن يقدر عليه تحصينا للفرج، وحفاظا على المجتمع، ووقاية من الانحراف، فطريقة النبي صلى الله عليه وسلم الحنيفة السمحة فإن منها التزويج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل¹، ومن مقاصد الزواج ذكر الإمام الغزالي: "تكاثر النسل وإبقاءه على أنه المقصد الأول للزواج، وجعل حفظ الفرج وكسر الشهوة المقصد الثاني"².

قيمة النزاهة:

قال الجرجاني: النزاهة هي عبارة عن اكتساب مال من غير مهانة ولا ظلم للغير³ وأضاف المناوي قيذا آخر في تعريف النزاهة على أنها الإنفاق في المصارف الحميدة، فقال: "النزاهة هي اكتساب المال من غير مهانة ولا ظلم، وإنفاقه في المصارف الحميدة"⁴.

قيمة صلة الرحم:

حقيقة الصلة في هذه القيمة - صلة الرحم - العطف و الرحمة، أما صلة الله تعالى لمن وصل رحمه فهي عبارة عن لطفه بهم، ورحمته إياهم، وعطفه عليهم بإحسانه و نعمه، أوصلتهم بأهل ملكوته الأعلى وشرح صدورهم لمعرفته و طاعته، واختلفوا في حد الرحم التي تجب وصلها، ف قيل: كل رحم محرم، وقيل: هو عام في كل رحم من ذي الأرحام في الميراث يستوي فيه المحرم وغيره، وصلة الرحم هي الاحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل

¹ صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملح، موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، مرجع سابق، ص.9 بتصرف.

² أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، احياء علوم الدين، دار الشعب، القاهرة، د س ن، ج: 2، ص: 24.

³ علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الكتاب العلمية، بيروت، 1980ص.260 بتصرف.

⁴ صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملح، موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، مرجع سابق، ص.314

والموصول، فتارة تكون بالمال وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة و السلام و غير ذلك، كما أن الصلة بر وإحسان، ويكون حسن العشرة و الصحبة للأهل و الولد بالمدارة، وسعة الخلق و النفس وتام النفقة، وتعليم الأدب و السنة، وحملهم على الطاعة لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْاً أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾¹، والصفح عن عثراتهم و الغض عن مساوئهم في غير إثم أو معصية، قال القاضي عياض رحمه الله: لا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة و قطيعتها معصية كبيرة، و الأحاديث تشهد لهذا، ولكن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة بالكلام ولو بالسلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة و الحاجة فمنها واجب، ومنها مستحب و لو قصر عما يقدر عليه وينبغي له لا يسمى واصلاً²، "والبر بالوالدين والإحسان إليهما والعطف عليهما والرفق بهما والرعاية لأحوالهما وعدم الإساءة إليهما وإكرام صديقهما من بعدهما، هو باب من أبواب صلة الرحم"³.

قيمة الإيثار:

الإيثار لغة يعني "تقديم الشيء"، وهو كذلك الاختيار والتفضيل"⁴، واصطلاحاً: قال القرطبي: "هو تقديم الغير على النفس في حظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الإسلامية، وذلك ينشأ في قوة اليقين وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة"⁵.

وأما درجات الإيثار فقد قال ابن القيم رحمه الله: "الإيثار على درجات:

¹ التحريم: الآية 6.

² صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملح، موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ص 2614-2615 بتصرف.

³ المرجع السابق: ص 727.

⁴ أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ص 26.

⁵ صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملح، موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، مرجع سابق، ص 629.

الأولى أن تؤثر الخلق على نفسك فيما لا يحرم عليك ديناً، ولا يقطع عليك طريقاً، ولا يفسد عليك وقتاً، يعني أن تقدمهم على نفسك في مصالحهم، مثل أن تطعمهم وتجوّع، وتكسوهم وتعرى، وتسقيهم وتنظّم، بحيث لا يؤدي ذلك ارتكاب إتلاف لا يجوز في الدين، وكل صلاح يعود على الإنسان بصلاح قلبه ووقته وحاله مع الله فلا يؤثر به أحداً،

والثانية: إثارة رضا الله تعالى على رضا غيره وإن عظمت فيه المحن وثقلت فيه المؤمن وضعف عنه الطول والبدن، وإثارة رضا الله عز وجل على غيره: هو أن يريد ويفعل ما فيه مرضاته، ولو أغضب الخلق وهي درجة الأنبياء، وأعلاها للرسول عليهم صلوات الله تعالى وسلامه، وأعلاها لأولي العزم منهم، وأعلاها لنبيينا صلى الله عليه وسلم،

والثالثة أن تنسب إثارة إلى الله دون نفسك، والسخاء أعلى مراتب العطاء والبذل، وهو الذي لا يصعب عليه العطاء والجواد أن يعطي الأكثر، ويبقى له شيئاً، أو مثلما أعطى، والإيثارة هو أن يؤثر غيره بالشيء مع حاجته إليه¹.

ومن الأسباب التي تعين على الإيثارة:

- "تعظيم الحقوق: فإذا عظمت الحقوق عنده، قام بواجبها ورعاها حق رعايتها، واستعظم اضعافها.

- مقت الشح: فإن مقت الشح وبغضه يلزم الإيثارة.

- الرغبة في مكارم الأخلاق: فالإيثارة أفضل درجات مكارم الأخلاق².

قيمة الأخوة:

الأخوة لغة: قال بعض النحويين سمي الأخ أخاً لأن قصده قصد أخيه، والأخ من النسب معروف وهو من جمعك وإياه صلب أو بطن، وقد يكون الصديق والصاحب، قال الله عز

¹ ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988، ط 2، ص 303.

² المرجع السابق: ص 304.

وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾¹. واصطلاحاً قيل: هي مشاركة شخص لآخر في الولادة من الطرفين أو من أحدهما أو من الرضاع، ويستعار لكل مشارك لغيره في القبيلة أو في الدين أو في صنعة أو في معاملة أو في مودة أو في غير ذلك من المناسبات، قال ابن حجر يرحمه الله في قوله تعالى: "﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ يعني في التوَادد وشمول الدعوة".²

وذكر أهل التفسير أن الأخ في القرآن الكريم ورد على خمسة أوجه: أحدهما الأخ من الأب والأم أو من أحدهما، ومنه قوله تعالى ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمُ هُودًا﴾³، والثالث في الدين والمتابعة، ومنه قوله تعالى في آل عمران: ﴿بِقَاصِبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾⁴ والخامس صاحب، ومنه قوله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَلِي نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ قِفَا لَأَكْهَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾⁵ وأياً كانت المعاني، فإن من طبيعة الإنسان أن يكون ألفاً مألوفاً، ذلك أنه يستعين من خلال الاستخلاف والمؤاخاة على أداء الرسالة المنوطة به في الدنيا لتحقيق أهداف من أهم أسباب حدوث الألفة بين الناس، وإذا كان الدين هو أكبر باعث في المؤاخاة والتآلف، فإنه بذلك يعزز الألفة والتجمع على تعاليم الدين من أجل صلاح الدنيا والحياة والمجتمع، ومن الأمور التي من شأنها إشاعة الألفة والتآلف بين

¹ الحجات: الآية 10.

² صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح، موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ص. 317.

³ الأعراف: الآية 64.

⁴ آل عمران، الآية 103.

⁵ ص: الآية 22.

الاخوان، النصيح والتناصح، والغض عن الهفوات، ووجوب زيارتهم ومودتهم، وذلك كله بهدف تحقيق التماسك الاجتماعي المطلوب بما يعين على تحقيق مقاصد الشرع الإسلامي¹.

قيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

المعروف لغة هو ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه، وقوله تعالى: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا﴾². قال الزجاج: "المعروف هنا ما يستحسن من الأفعال.

والمنكر من الأمر خلاف المعروف، وهو ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه"³،

أما المعروف اصطلاحاً: فهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع، ونهى عنه من المحسنات والمقبحات،

والمنكر اصطلاحاً: كل ما قبحه الشرع وحرمه ونهى عنه، أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اصطلاحاً: فالأمر بالمعروف هو الدلالة على الخير، والنهي عن المنكر هو المنع عن الشر، ومن صور الأمر بالمعروف: التعاون على البر والتقوى الذي يعني أن يظاهر المسلم أخاه ويعينه في فعل الخيرات، وعلى طاعة الله عز وجل وتجنب معصيته⁴.

المطلب الثالث: مفهوم القيم في مرجعية الفكر الغربي.

إذا كان مفهوم القيم في الفكر الإسلامي يتماشى مع الفطرة الإنسانية والتعاليم الإسلامية لبناء شخصية سوية مستقيمة؛ فما مفهوم القيم في الفكر الغربي؟

¹ أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، أدب الدنيا والدين، دار المنهاج، الطبعة الأولى 2013م، ص175 بتصرف.

² لقمان: الآية 15

³ أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ص.233

⁴ صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح، موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، مرجع سابق، ص.525 بتصرف.

يختلف المفكرون الغربيون في تحديد مفهوم القيم، بل إن بعضهم يشعر بغموض هذا المفهوم لديهم. يقول رالف بارتن بيرى¹: "والحقيقة أنه لا يوجد للقيمة معنى ثابت عام.. فمختلف الناس يعنون أشياء مختلفة في سياقات مختلفة"².

ومصطلح القيم في مرجعية الفكر الغربي مصطلح جديد لا يتجاوز القرن التاسع عشر الميلادي، وإن كان موضوعه موجودا في الفلسفة والأديان منذ القدم.

ويعتقد بعضهم³ أن "لوتسه"⁴ هو أول من استخدم لفظ القيمة، وهو بالألمانية «WERW» بالمعنى الفلسفي، وهو الذي يحدد ويشترط "ما كائن"، أما « نيتشه»⁵ فهو الذي أذاع مصطلح القيمة، ووسعه. وهو مسؤول عن سيادة القيمة بصفتها تصورا أسمى دو وأقصى للفلسفة، ثم جاء «فند لبانت»⁶ وغيرهم⁷.

¹ رالف بارتن بيرى، عالم أمريكي شهير، ولد سنة 1879م، حاضر في الفلسفة والأديان الطبيعية في العديد من كبريات الجامعات الأمريكية والفرنسية. ينظر: رالف بارتن بيرى، آفاق القيمة: دراسة نقدية للحضارة الإنسانية، ترجمة: عبد المحسن سلام.

² رالف بارتن بيرى، آفاق القيمة، المترجم: عبد المحسن عاطف سلام المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى 2011م، ص:12.

³ من أمثال ريمون روبيه Roubey

⁴ هو: رولف هارتمان 1817 - 1881م، فيلسوف ألماني، حاول الجمع بين العلم والنظرية والتفكير والوجدان، والمعرفة والقيمة. أهم كتبه: الميتافيزيقيا، المنطق والعالم الصغير وغيرها. انظر: عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية ص: 398، الطبعة الأولى، الناشر: دار ابن زيدون، بيروت، مكتبة مدبولي، القاهرة. وانظر: الموسوعة العربية العالمية 12 / 170 - 197، الطبعة الثانية 1419هـ / 1999م

⁵ هو: فريدريك نيتشه 1844م/1900م، فيلسوف ألماني وشاعر وعالم كلاسيكي، كان شديد العداء للنصرانية، نادى بفلسفة القوة وأخلاق السادة، من مؤلفاته: وهكذا تكلم زرادشت، ميلاد المأساة وغيرها. انظر: الموسوعة العربية العالمية 2 / 604. عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية ص: 389-491.

⁶ هو وليام فندلبانت 1848 - 1915م، ألماني أشتهر بتاريخه: الفلسفة، وتطبيقه مبادئ النقد الكنطي على العلوم التاريخية، عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ص: 346.

⁷ من الجدير بالذكر أن نزعات أصحاب فلسفة القيم ظهرت بكل قوة في الثلث الأول من القرن العشرين الميلادي وعلى رأسهم ماكس شيلر 1879 - 1928م، رينيه لوسن 1880-1959، ولدي لا فل 1883 - 1910م ينظر: عبد الرحمن بدوي، الأخلاق النظرية ص: 30-31.

ومن بعده جاء "مونستر برج"¹ حيث طغى عليه النظر في القيم على سواها من العلوم، حتى جعل الفلسفة لديه، هي: علم القيم مقابل العلوم التجريبية التي تعنى بالوقائع².

والقيمة في هذا الإطار تعني الشيء الذي يشرط ويحدد ما هو كائن؛ أي الذي لا يكتفي بوجود الموجود، دون أن يضفي عليه حكما معينا، فالقيمة ترتبط بالأشياء لا بحكم، وحكمها هو الذي يعترف للأشياء بصفة القيمة؛ بصفة أنها جديرة بالتقدير.

وفي المعجم الفلسفي: القيمة تطلق على ما يتميز به الشيء من صفات تجعله مستحقا للتقدير كثيرا أو قليلا. فإن كان مستحقا للتقدير من أجل غرض معين كالوثائق التاريخية، والوسائل التعليمية، كانت قيمته إضافية³.

وعند رالف بارتن بيري القيمة هي: "الأشياء التي تكون موضع اهتمام أو نفع أو شغف"⁴ وعلى هذا فإن «كلمة القيمة» [كما يقول بيري] تشير إلى تلك الناحية من الحياة التي تعودنا أن نستعمل لها الكلمات المباركة. وهي تشير أيضا إلى دلالات أخرى، وتستعير المعنى البراق لصفات مثل: الخير، الحسن، والحق، الوجوب، وجدير، وجميل، ومقدس، وعادل، وأسماء مثل: السعادة، والرفاهية، والحضارة؛ وهي تشير إلى اسم مشترك لما تعنيه هذه الكلمات⁵.

¹ هو: هوجونستربرج 1843 - 1919م، سيكلوجي أمريكي من أصل ألماني، أحد مؤسسي علم النفس التطبيقي في أمريكا،

انظر: محمد شفيق غربال وآخرون، الموسوعة العربية الميسرة 2.1792.

² هذبريج، فلاسفة علم النفس، ص102. نقلا عن صلاح قنصوة، نظرية القيم في الفكر المعاصر ص: 2 0 دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987م. وانظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي 2 / 212-215.

³ ينظر: بول موي: المنطق وفلسفة العلوم ص: 222، ترجمة: فؤاد حسن زكريا، القاهرة. نقلا عن: عادل العوا، العمدة في فلسفة القيم، ص 277-278.

⁴ آفاق القيمة، ص: 12

⁵ آفاق القيمة، ص: 19.

هذه محاولات توضيحية لتجريد المفهوم العام للقيم، مع ذلك فإن كثيرا من العلماء المهتمين بهذا المجال لا يقفون عندها، وإنما يتعدونها إلى عناصرها الجزئية بحيث يشعر المرء بأنها هي القيم بعينها.

والقيم على ما تقدم هي: المبادئ والمثل التي تركز عليها الحياة الإنسانية، وتتمثل في قيم عليا أو مطلقة يحصرها كثير من الفلاسفة في ثلاث قيم:

الحق: الذي ينبثق منه المنهج العلمي في تقويم الفكر.

والخير: الذي ينبثق منه علم الأخلاق.

والجمال: الذي ينبثق منه علم الجمال. وقد زاد بعضهم قيمة أخرى كقيمة "التقديس الديني"، وغيرها من القيم.¹

وهذا التقسيم الثلاثي للقيم هو التقسيم المتعارف عليه بين الفلاسفة الذين يبحثون في القيم بصفاتها الركيزة الثالثة للفلسفة، وهي: «المعرفة، الوجود، القيم»، وبحكم اتساع مفهوم القيم في العصر الحاضر، وازدياد اهتمام الباحثين والدارسين به، لم تعد محصورة في القيم العليا الثلاث أو الأربع السابقة أو غيرها؛ فلئن كانت قيمة الخير تنطوي على القيم الخيرة المنبثقة منها، ويتركز البحث عن هذه القيمة في مثالياتها المطلقة، فقد صارت النظرة والتأمل للقيم العديدة التي يقوم عليها نظام الوجود وبها تكسب الأشياء، وخاصة حياة الإنسان وحركته قيمتها الحقيقية، أي إنسانيتها، وهذه القيم هي صفات تكسب المتعلق بها شخصا كان أو عملا أو غيره قيمته من اتصافه بها وتمثله إياها، وعلى أساسها تبني الحياة الإنسانية الصحيحة وتستقيم²، ويمكن أن نضرب بعض الأمثلة على هذه القيم ذات الفاعلية الحيوية في زمننا

¹ توفيق الطويل، أسس الفلسفة، مكتبة النهضة، الطبعة الثالثة، ص: 378 بتصرف.

² عبد الرحمن بن زبد الزيندي، السلفية وقضايا العصر، دار إشبيلية، 1998م، ص: 461 بتصرف.

المعاصر، وهي: الحرية، العدل، التقوى، الوفاء، المساواة، السلام، الصدق، الإحسان، التعاون، الأمانة، وغيرها¹.

لقد تعددت التعريفات لمصطلح القيمة والقيم بتعدد المذاهب والمدارس العلمية المختلفة، فكل مذهب ومدرسة ينظر إلى القيمة من وجهة نظر مختلفة؛ وذلك تبعاً لمذهبه الذي ينتمي إليه.

ففي المجال الاقتصادي: يعرف علماء الاقتصاد عادة القيمة بأنها: "قيمة التبادل؛ والقيمة بهذا المعنى يقصد بها السعر المقدر للسلعة. ومع ذلك يميز بين القيمة والسعر على أساس أن القيمة حقيقية، بينما السعر اعتباري (Convencional) بحسب التراضي بين المتبادلين للسلعة، ولهذا قد تكون أكبر أو أقل من السعر"²، علماً بأن هناك تفاوتاً بين جملة من الاقتصاديين في تحديد مفهوم القيمة وعناصرها ومعاييرها وأنواعها .

وأما التعريف السابق، فالاقتصاديون حين يتحدثون عادة عن القيمة يقصدون بها المعنى الوارد في التعريف، فهناك قيمة الاستعمال، وهناك قيمة التبادل، إذ هو في الغالب مجاناً؛ بينما الماس له قيمة ضئيلة في الاستعمال، وكبيرة جداً في التبادل. أضف إلى ذلك القيم المعنوية: كالقيم العقلية المتعلقة بالحق، والقيم الجمالية، والقيم الأخلاقية.³

وأما في المجال السياسي، فإن القيمة تعني: "المقاييس أو المبادئ التي يمكن الاختيار من خلالها بين البدائل في مجرى العقل، بمعنى آخر: إنها العامل المعياري في تحديد الفعل"⁴.

1 محمد الصادق عفيفي، الفكر الإسلامي: مبادئه، مناهجه، قيمته، أخلاقياته، ص 459 بتصرف.

2 عبد الرحمن بدوي، الأخلاق النظرية، ص: 89

3 المرجع نفسه، ص 89 - 93 بتصرف.

4 الدراسات العالمية للقيم في المجال السياسي، يحمل قيمة الجماعة النشطة، دراسة وطنية لتأثير نفوذ القائد المحلي، فريز، نيويورك ص3. 4. نقلاً عن محمد أحمد بيومي، علم اجتماع القيم، ص: 77ط.

وبناء على هذا التعريف فإن التركيز في الدراسة العلمية القيمة للسلوك السياسي يدور حول اكتشاف مسلمات القيمة الضمنية التي تشكل السلوك السياسي على مستوى الأفراد والأفعال، والتي تعد عوامل تفسيرية في التحليل السياسي، وتأثير ذلك السلوك السياسي على التحديث والتنمية¹.

أما في مجال علم النفس: فقد اهتم علماء النفس بدراسة القيم كل حسب اتجاهه ومدرسته التي ينتمي إليها؛ واتضح أن هناك مفاهيم للقيمة تضم جوانب معينة تتعلق بموضوعات معينة، وقد تراوحت بين التحديد الضيق على أنها: مجرد اهتمامات أو رغبات غير ملزمة؛ إلى تحديدات واسعة بحيث يراها البعض معايير مرادفة للثقافة ككل² وبين المعنى الواسع، ومن أجمع ما عرف به علماء النفس القيم ما يلي: أنها ذلك الجانب من الدافعية الذي يشير إلى المعايير الشخصية والثقافية، أو هي التوجه الاختياري نحو التجربة والذي يحتوي التزاما عميقا، أو الرفض الذي يؤثر في نظام الاختيار بين بدائل ممكنة في فعل، أو هي المعايير التي تشكل وتحقق الإرضاء القوي للرغبات وحاجات الفرد الملحة³.

أما في مجال علم النفس الاجتماعي: فقد عرفت القيم بأنها: "معيار اجتماعي ذو صبغة انفعالية قوية وعامة تتصل من قريب بالمستويات الخلقية التي تقدها الجماعة ويمتصها الفرد من بيئته الاجتماعية الخارجية، ويقيم منها موازين يزن بها أفعاله ويتخذها هاديا ومرشدا"⁴.

أما في مجال علم الاجتماع والتربية: فقد عرفت القيم بأنها: محطات ومقاييس تحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات والمواقف الفردية والجماعية من

¹ محمد أحمد بيومي، علم اجتماع القيم، ص: 79 - 77 بتصرف.

² ضياء زاهر، القيم في العملية التربوية ص: 10 - 12، ط، مركز الكتاب للنشر 1999 م، القاهرة وقد نسب المؤلف الحد الموسع للقيم للفيلسوف توماس بتصرف.

³ كلنجهن، س دراسة القيم، في دي. ن باريت القيم في أمريكا، اندريانا مطبعة جامعة نوتردام 1997م، ص ص 18 - 20.

نقلا عن: أحمد محمد بيومي، علم اجتماع القيم ص: 80 بتصرف.

⁴ فواد البهي السيد، علم النفس الاجتماعي ص: 294، الطبعة الثالثة.

حيث سنّها وقيمتها والرغبة بها، أو من حيث سوءها وعدم قيمتها وكراهيتها، أو في منزلة معينة ما بين هذين الحدين¹.

بعد هذه النظرة العامة والتعاريف المختلفة والمتنوعة لمفهوم القيم لدى نخبة من المفكرين الغربيين من ذوي الاتجاهات والتخصصات المختلفة، وذلك بهدف أخذ تصور كامل عن مفهوم القيم لديهم، وقد اتضح بعد دراسة تلك التعريفات ما يعانيه هؤلاء المفكرون من تخطيط واختلاف، وتباين وجهات النظر حول هذه المفاهيم ومدى ما يكتنف بعض تلك التعريفات من الغموض والإيهام، إلا أنهم يكادون أن يجمعوا على عامل مشترك يربط كل التعريفات تقريبا:

وهو أن القيم ما يتميز به الشيء عملا أم شخصية أم نظاما من صفات تجعله مستحقا للتقدير والثناء أو للذم والاحتقار، فهي بذلك صفات تكسب المتعلق بها قيمة بسبب اتصافه بها.

ولعل من أجود ما قيل في تعريف مفهوم القيم عند الغربيين هو أنها: "محطات أو مقاييس نحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات والمواقف الفردية والجماعية من حيث حسنها وقيمتها والرغبة بها، أو من حيث سوءها وعدم قيمتها وكراهيتها، أو في منزلة معينة ما بين الحدين. إلا أن هذا المفهوم يفتقر إلى عامل الالتزام العميق والرفض القاطع العملي لكل ما ينافي القيم المثلى"².

المقارنة بين مفهوم القيم في المرجعية الإسلامية ومرجعية الفكر الغربي:

من خلال عرض مفهوم القيم في المرجعية الإسلامية ومرجعية الفكر الغربي تظهر هناك عدة فوارق بين مفهوم القيم في الفكر الإسلامي، وبين مفهومها في مرجعية الفكر الغربي المعاصر يمكن إبراز أهمها فيما يلي:

¹ جيمس، ب شيفر، ووليام شرونق، قرار القيم الاسمية الظاهرية: البناء العقلاني للمدرسين ص:10 نقلا عن ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، ص:337.

² ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، دار المنارة - جدة، ص:338.

- إن المفهوم الإسلامي للقيم مستمد من شرع الله القويم، وتوزن عناصره بميزان الكتاب والسنة وليس بميزان الفكر البشري القاصر، أو بميزان التفاعل البشري مع البيئة الاجتماعية غير المنضبطين بضوابط الإسلام، وما ينتج عنهما من خبرات فردية أو جماعية.

- إن المفهوم الإسلامي للقيم يتميز بالوضوح والجلاء والتوسط بخلاف المفهوم الغربي المعاصر للقيم، الذي يتميز بالغموض والإيهام والتخبط الواضح في كثير من عناصره كما أكد على ذلك عدد من الباحثين الغربيين أنفسهم، حتى أن بعض علماء النفس دعوا بكل وضوح وصراحة إلى استبعاد موضوع القيمة من ميدان الدراسات النفسية، وطالب غيرهم من العلماء بالتنصل من دراسة القيم. وعلى العكس من ذلك نجد بينهم من طغى عليه النظر في القيم على سواها من العلوم حتى أصبحت الفلسفة لديه هي علم القيم مقابل العلوم الحسية الأخرى وإلى سيادة القيمة بصفاتها تصور أسمى وأقصى في الفلسفة.

- القيم في المرجعية الإسلامية مثل عليا سامية، تتأسس على مجموعة من المبادئ الإسلامية، المتعارف عليها بين أفراد المجتمع، تجعل الفرد من خلال هذه المبادئ والقوانين يحكم بحسن الشيء أو قبحه، فيفضل هذا السلوك أو الموقف ويذم ذلك.

- بينما في مرجعية الفكر الغربي الأشياء هي التي تكون موضع اهتمام أو نفع أو شغف؛ وعلى هذا فإن «كلمة القيمة» [كما يقول بيري] تشير إلى تلك الناحية من الحياة التي تعودنا أن نستعمل لها الكلمات المباركة.

وهي تشير أيضا إلى دلالات أخرى، وتستعير المعنى البراق لصفات مثل: الخير، الحسن، والحق، الوجوب، وجدير، وجميل، ومقدس، وعادل، وأسماء مثل: السعادة، والرفاهية، والحضارة؛ وهي تشير إلى اسم مشترك لما تعينه هذه الكلمات.

- القيم الإسلامية في القرآن والسنة مترابطة ومتماسكة، ويُذكر عدد من هذه القيم معا في آية واحدة أو في آيات متتابعة، وعلى هذا الأساس فإنه لا يمكن الفصل بين القيم الإسلامية، وأن محاولة الفصل بين القيم الإسلامية هو لغرض منهجي بحت، فقيمة الأخوة، وقيمة الإيثار،

وقيمة البر قيم إسلامية متداخلة مع بعضها البعض، كما تؤكد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ولأن القيم الإسلامية أمر كامن في مدى عمق الإيمان سواء لدى الفرد أو المجتمع بأن الحياة الدنيا هي ما ييسره الله تعالى للعبد من الهدى والنعمة والخيرات، وأن الآخرة هي الفوز بالنعيم الدائم في الجنة، وأن من أيقن من دينه أن البعث حق، وأن الدار الآخرة هي المصير، وأن هذه الدار الدانية قنطرة إلى الأخرى، وباب إلى السوء أو الحسن عمل لها وقدم ما يجده فيها.

- من خلال تعريف القيم في المرجعية الإسلامية تتجلى الغاية من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾¹ فغاية الرسالة هي رحمة ومصلحة للإنسان، ومن تم يسعى القرآن الكريم إلى البحث في العوائق التي يمكن أن تحول دون تحقيق تلك المصلحة المنشودة، وقد عالجها من جانبيين، من جانب الأصل القويم الذي خلق عليه الإنسان وسماه الفطرة، ومن جانب الطارئ الذي طرأ على القيم المتأصلة في الخلقة البشرية وسماه الهوى.

¹ الأنبياء: آية 106.

المبحث الثاني: أنواع القيم:

اتسمت القيم بسمات عليا؛ حيث شملت كل مناحي الحياة: الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وسائر العلاقات الإنسانية، فكان لابد من تقسيمها وتوزيعها.

المطلب الأول: أنواع القيم في المرجعية الإسلامية:

يصعب على الباحث في موضوع القيم أن يستعرض مختلف التعريفات التي أفرزتها وجهات النظر المتعددة بتعدد الحقول المعرفية التي تناولتها من قريب أو بعيد، مما حدا ببعض الباحثين إلى محاولة تصنيف الدلالات الاصطلاحية لمفهوم القيم في اتجاهات معينة قصد تيسير عملية الاستيعاب والتمثل السليم للمعاني التي تلامسها، من هذا المنطلق وجدنا الدكتور ماجد زكي الجلاذ يوظف القيم ويحشرها في ثلاثة اتجاهات رئيسية¹، وهي:

الاتجاه الأول: القيم مجموعة المعايير والمقاييس التي يُحكم بها على الأشياء من حيث الحسن والقبح.

الاتجاه الثاني: القيم تفضيلات يختارها الفرد.

الاتجاه الثالث: القيم حاجات، ودوافع، واهتمامات، واتجاهات، ومعتقدات ترتبط بالفرد.

ومن زاوية نظر فلسفية، اعتمد الدكتور صلاح قنصوة² تصنيفا رباعيا لنظريات القيمة بعد أن انتقد مختلف التصنيفات المتأرجحة، في نظره، بين التقدير الذي يحصر ويختزل مواقف القيمة في موقفين أو ثلاثة، وبين الإسراف الذي يتناول نظرة كل باحث على حدة إلى القيمة مع اعتماد نوع من المقارنة، ولكن دون أن يتجاوز ذلك إلى نظمها في مذاهب ونظريات

¹ ماجد زكي، تعلم القيم وتعليمها، بدون تاريخ الطبع، وبدون دار النشر، ص: 22 / 24 بتصرف.

² صلاح قنصوة، (1936 - 2019)، مفكر وفيلسوف مصري، ولد في القاهرة، وهو أحد أشهر أساتذة الفلسفة في العالم العربي، حيث كان أستاذاً في فلسفة الفن، وفلسفة العلوم، وفلسفة العلوم الاجتماعية، والنقد الفني، وأستاذاً في مناهج البحث وعلم الجمال.

معينة. وبعد أن عرض لتصنيفات أخرى حاول أصحابها أن يتجاوزوا فريقَي المقترين والمُسرفين مثل تصنيف " فرانكنا / Frankena " ¹ الذي قسم مواقف القيمة إلى ما يلي:

- النظريات الانفعالية الحديثة.

- نظريات الحدسيين واللاطبيين.

- نظريات الأخلاق الميتافيزيقية.

ومثل تصنيف " ريمون رويه . R Ruyer " ² الذي يتضمن المواقف الآتية:

النظريات الطبيعية، وتشمل مذهب اللذة والمنفعة العامة، ونظرية القيمة في المادة التاريخية عند ماركس، ونظرية القيمة المستمدة من قوانين الفيزياء، ونظرية " كوهلر Kohler " نظريات " الفاعل " الطبيعية، وتنقسم إلى:

- نظريات سيكولوجية [فولتير، نيتشه، هربارت..]

- وإلى نظريات اجتماعية [زيمل، دوركايم..]

- نظريات الفاعل اللاطبيعية [كانط، سارتر..]

- النظريات الواقعية.

- نظريات القيمة بوصفها "مشاركة" فاعل.

¹ وليام كلاس فرانكنا بالإنجليزية: (William Frankena) (21 يونيو 1908 - 22 أكتوبر 1994) كان فيلسوفًا أخلاقيًا أمريكيًا. وكان عضوًا في قسم الفلسفة في جامعة ميشيغان لمدة 41 عامًا (1937-1978)، ورئيسًا لذلك القسم لمدة 14 عامًا (1947-1961).

الربيع ميمون، نظرية القيم في الفكر المعاصر، المكتبة الوطنية للنصر الجزائر 1980م، ص: 58 بتصرف.

² نظرية القيم في الفكر المعاصر، ص: 60 . 61 بتصرف.

ويقوم تصنيف الدكتور صلاح قنصوه على تجميع مختلف التصنيفات في أربعة مواقف أساسية، وهي:

المواقف الطبيعية¹: وتتلخص رؤيتها في أن الإنسان والأرض والكون جميعاً أجزاء من طبيعة واحدة كبرى، تسري عليها قوانين واحدة، وتدرس بطريقة واحدة، ولا بد لكل تفسير أن يقع في نطاق ما هو طبيعي، فليس وراء الطبيعة شيء، وليس غير الخبرة الحسية مصدر للمعرفة والقيم، فالخبرة هي مصدر الأحكام العلمية مثلما هي منشأ أحكام القيمة، وترد بذلك القيمة إلى الذات أو الفاعل بما له من خصائص معينة، ولا ترد إلى الموضوع.

المواقف المثالية²: يتفق أصحابها على إنكار التجربة، بمعناها الضيق، مصدراً للمعرفة بالحقائق الثابتة والقيم المطلقة على السواء، أو وسيلة لإدراكها، بل العقل أو الحدس أو الوعي هو أداة إدراكها واكتشافها. والقيم عند هؤلاء ليست وسيلة إلى غاية تقوم خارجها، بل هي بينة بذاتها لا تحتل برهاناً، ولا تقبل تبريراً، عامة وليست جزئية، ضرورية وليست عارضة، لا تقبل شكاً أو جدلاً أو تحتل تناقضاً، تكاد تشبه بديهيات الهندسة ومصادراتها.

المواقف البرجماتية³: تنطلق هذه المواقف من رؤية مفادها أن الأفكار والمعتقدات ليست سوى أدوات في حياتنا العملية، وليست حقائق ضرورية توصلنا إليها بالبرهان والاستدلال، أو كشفنا عنها كصور مطابقة لحقائق خارجية مستقلة عنا، بل ينبغي النظر إليها كفروض عملية يوجهها الاختيار الذي تبعث عليه عوامل إنسانية متعددة، وبناء على هذه الرؤية، نستطيع أن نستنتج التصور القيمي الخاص للفلاسفة الوجوديين المتمثل في إثارة العمل على النظر، وفي أن القيمة لا تعدو كونها وسيلة، مقياسها هو إحراز نتيجة ناجحة تعود على صاحبها بالنفع.

¹ نظرية القيم في الفكر المعاصر، ص: 65 بتصرف.

² نظرية القيم في الفكر المعاصر، ص: 104 بتصرف.

³ المرجع نفسه ص: 131، ص: 193 بتصرف.

المواقف الوجودية: على الرغم من أن الوجوديين ينكرون على أنفسهم صوغ مذهب محدد الجوانب، إلا أن هناك خطأ مشتركاً في اتجاهات هؤلاء الفلاسفة يحدد موقفهم من القيمة، كما يرى صلاح قنصوه الذي يوضح ذلك الخيط الناظم بالقول: "ف عندهم جميعاً لا يتحدد الوجود الانساني إلا بوصفه وجوداً ذاتياً حراً، بل هو الحرية نفسها، لذلك تعلن الوجودية تمرداً على كل محاولة لإخضاع الإنسان للحتمية الاجتماعية أو الموضوعية العلمية، وكل ما من شأنه أن يقتصر حرية الإنسان في فخاخ ماهية سابقة، تقيد فعله، وتلزمه بالسلوك على وجه دون آخر. فالإنسان حر يواجه عالماً من البدائل والممكنات، وهو مسؤول عن الاختيار من بينها دون عون من فكر سابق، أو قوة عليا، وإلا كان مسلوب الحرية، وهو بهذا يمنح المعنى والقيمة لوجوده الخاص، وبالمقتضى ما يخلعه من معنى وقيمة على المعنى من حوله.."¹

اتضح لنا أن القيم متضمنة ومتداخلة ومن الصعب تصنيفها بدقة، ولكن تم تصنيف القيم – لأغراض الدراسة – تصنيفات متعددة بحسب عدد من الاعتبارات، كما يتضح مما يلي:

صنفها عبد الرحمن بدوي² إلى ثلاثة مجالات:

قيم عقلية / وقيم جمالية / وقيم أخلاقية.

وصنفها البعض على أساس ما هو مادي محسوس وغير محسوس:

أ- قيم مادية ب- قيم روحية.

وصنفها البعض بحسب الأشخاص:

¹ نظرية القيم في الفكر المعاصر ص: 151

² د. عبد الرحمن بدوي (4 فبراير 1917 - 25 يوليو 2002 القاهرة)، أحد أبرز أساتذة الفلسفة العرب في القرن العشرين وأغزرهم إنتاجاً، إذ شملت أعماله أكثر من 150 كتاباً تتوزع ما بين تحقيق وترجمة وتأليف، ويعتبره بعض المهتمين بالفلسفة من العرب؛ أول فيلسوف وجودي مصري، وذلك لشده تأثره ببعض الوجوديين الأوروبيين وعلى رأسهم الفيلسوف الألماني مارتين هايدجر

أ- قيم نظرية ب- قيم اقتصادية ج- قيم جمالية.

د- قيم اجتماعية هـ - قيم دينية و- قيم سياسية ز- قيم فنية¹

وقد صنف عبد الحميد الهاشمي² وفاروق عبد السلام³ القيم إلى:

أ - قيم متصلة بعلاقة الإنسان مع ربه.

ب - قيم متصلة بعلاقة الإنسان مع نفسه.

ج - قيم متصلة بعلاقة الإنسان مع الآخرين.

أما أبو العينين⁴ فقد صنف القيم إلى:

- قيم روحية وعقدية كحب الله، والإيمان بالله، والجهد في سبيل الله.

- قيم خلقية كالعدل، والأمانة والصدق، وإكرام الضيف، والتعاون.

- قيم عقلية تتصل بالمعرفة وطرق الوصول إليها كاستخدام التجربة والتفكير الناقد.

- قيم وجدانية وانفعالية كالحب والكره، وضبط النفس عند الغضب.

¹ طهطاوي: ص 46-48 بتصرف.

² استاذ علم النفس بجامعة الملك عبد العزيز، له عدة مؤلفات منها: كتاب: علم النفس التكويني؛ أسسه وتطبيقه؛ من الولادة إلى الشيخوخة. وكتاب: الرسول العربي المربي، إنما بعثت معلماً.

³ أستاذ بقسم الكيمياء، كلية العلوم بالوادي الجديد، جامعة الوادي الجديد؛ من مؤلفاته: كتاب: محمد صلى الله عليه وسلم في إنجيل يوحنا.

⁴ محمد محمد أبو العينين (5 سبتمبر 1951) رجل أعمال مصري. رئيس مجلس إدارة شركة كليبواترا جروب ورئيس لجنة الصناعة والطاقة السابق بمجلس الشعب المصري ونائب رئيس حزب مستقبل وطن، تخرج محمد أبو العينين من كلية التجارة وإدارة الأعمال بجامعة حلوان عام 1973.

- قيم اجتماعية مثل بر الوالدين، والتكافل الاجتماعي، والإحسان للغير.

- قيم مادية تتصل بالعناصر المادية كالاقتصاد، والاعتناء بالجسم، والاقتصاد في الانفاق.

- قيم جمالية تتصل بالذوق الجمالي، وإدراك الاتساق في الأشياء، والاعتناء بالمظهر، والنظافة والنظام.

تتعلق القيم في الفكر الإسلامي من منطلق الشرع المطهر الذي يربط المسلم بخالقه تعالى، ويجعله خليفة في الأرض يسعى لعمارتها معنويا ومادية. وقد جرت عادة المفكرين المسلمين المهتمين بدراسة القيم أن يردوها إلى ثلاث أنواع:

* **القيم العليا:** وهي القيم الكلية الكبرى التي تسمو بالإنسان إلى معالي الأمور وترفع مستواه على سائر المخلوقات ومن تلك القيم: الحق، والعبودية، والعدل، والإحسان، والحكمة وتعد هذه القيم من أرقى القيم الإسلامية وأسمائها وأعلاها على الإطلاق، وتكتسب هذه القيم مكانتها العالية من خلالها مضامينها.

* **القيم الحضارية:** وهي القيم المتعلقة المرتبطة ارتباطا وثيقا بالبناء الحضاري للأمة الإسلامية متمثلة في التقدم العقلي والمادي معا، وهي ذات طابع اجتماعي عمراني؛ الاستخلاف، والمسؤولية، والحرية، والمساواة، والعمل، والقوة، والأمن، والسلام، والجمال، وغيرها.

* **القيم الخلقية:** وهي القيم المتعلقة بتكوين السلوك الخلقي الفاضل عند المسلم؛ ليصبح سجية وطبعاً يتخلق به ويتعامل به مع الآخرين لتكوين مجتمع إسلامي فاضل تسوده المحبة والوئام، كالبر، والأمانة، والصدق، والأخوة، والتعاون، والوفاء، والصبر، والشكر، والحياء، والنصح، والرحمة.

وسيتناول - بشيء من التفصيل - قيمتين من كل نوع؛ وذلك على سبيل المثال لا الحصر.

أولاً: القيم العليا:

أ. الحق:

الحق في اللغة: خلاف الباطل، وهو مصدر حق الشيء من باب ضرب وقتل. وحققت الأمر أحقه: إذا تيقنته أو جعلته ثابتة لا زمة، وحققة الشيء: منتهاه وأصله المشتمل عليه¹، وحق الشيء بمعنى، ومنه الحاقة؛ لأنها ثابتة كائنة لا محالة². وأصل الحق: المطابقة والموافقة.

والحق في المصطلح الشرعي - كما جاء في النصوص - يطلق على أمور عدة، أبرزها:

أ - الله سبحانه الموجد للشيء بحسب ما تقتضيه الحكمة، ولهذا قيل في الله تعالى: ﴿وَرَدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلِيَهُمْ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾³

ب - فعل الله تعالى للموجد بحسب مقتضى الحكمة، ولهذا يقال فعل الله تعالى كله حق، قال تعالى: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾⁴.

ج - الاعتقاد الصادق للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه، كقولنا: "اعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حق، قال تعالى: ﴿بِهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" ⁵.

¹ أحمد بن محمد الفيومي المقرئ، المصباح المنير ص: 78 بتصرف، اعتني بها: يوسف الشيخ محمد، دار المعارف القاهرة، الطبعة الثانية.

² أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي: الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، القسم الثاني ص: 189 بتصرف من منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي السورية.

³ يونس: آية 30.

⁴ يونس: آية 5.

⁵ البقرة: آية 211.

الفعل والقول الواقع بحسب ما يجب، وبقدر ما يجب، وفي الوقت الذي يجب، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾¹ وكقولنا: فعلك حق، وقولك حق².

وهكذا نجد أن الحق ليس مجرد حكم مستخف في الأشياء يبحث عنه الإنسان، بل هو ذو معان ظاهرة ودلالات بينة فالله؛ حق ودينه - أخبار وشريعة - حق، وخلق الله في هذا الوجود حق، والمعرفة البشرية إذا قام فيها شيء من الحقائق السابقة حق،

وموقف المسلم تجاه الحق ليس حيادية، بل إنه مأمور بالبحث عن الحق والسعي لتحصيله، وحمله والحكم به وتطبيقه في واقع حياته، قال سبحانه: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾³. وفي المقابل ذم الله سبحانه المعرضين عن الحق، والمشوهين لصورته، والكاتمين له عن الناس، قال تعالى ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾⁴.

طبيعة الحق: يعتبر الحق من أهم المثل التي يعتمد عليها الإسلام في تزكية نفوس المسلمين وإعلاء شأنهم، ويتمثل الحق في العقيدة الصحيحة، والعلم النافع، والعمل الصالح، والخلق الكريم، ولذلك نجد أن القرآن الكريم يطلق اسم الحق على الإسلام: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَبِىَ بِاللَّهِ شَهِيداً﴾⁵

¹ يونس: آية 33.

² الراغب الأصفهاني، المفردات، ص 246.

³ ص، آية 25.

⁴ البقرة، آية 42.

⁵ عبد الرحمن الزنبيدي، السلفية وقضايا العصر، ص: 514 - 515 بتصرف.

⁶ الفتح، آية، 28.

والإسلام يدعو المسلمين أن يتمسكوا بالحق ويقفوا معه في كل أمر، وأن يعملوا لإعلاء كلمة الحق بكل ما يستطيعون حتى يصبح الالتزام بالحق رائد الإنسانية جمعاء. ومن سنن الله تعالى ألا يقوم الحق وحده وإنما ينهض به الرجال ذوو النفوس الكبيرة والصفات العالية¹.

ولكن هل الحق موضوعي ثابت في الأشياء بغض النظر عن الذات العارفة، وهو من ثم مطلق؟ أو أنه حكم ذاتي يطلقه الإنسان على الأشياء، مما يجعله نسبية متغيرة بحسب حال الذات العارفة، وجهدها البحثي.

هذان هما الرأيان لدى الفلاسفة في حقيقتها، فما هو المنظور الإسلامي في هذا الشأن؟ يجب ابتداءً أن نستبعد الموقف العندي الذي يقول: إن الحق رؤية شخصية بحتة تابعة للإنسان الباحث؛ فما توصلت إليه هو الحق وإن تناقضا، بل وإن لم يكن نتيجة بحث موجود. هناك حقائق موضوعية ثابتة، بغض النظر عن الذات الباحثة، أدركتها أو لم تدركها: كالذات الإلهية وأسمائها وصفاتها، وكل ما أخبر به سبحانه في كتابه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأحكامه القطعية، كتلك التي وردت فيها أعداد ومقادير.

وقد اختلف الأصوليون في شأن الأحكام الاجتهادية، هل تتجه إلى حق معين ثابت أم لا؟ فإن بحث المجتهدون في حكم قضية لم يأت فيها حكم قطعي واختلفوا فيها:

أيقال أنهم مخطئون إلا واحدة بحكم أن الحق لا يتعدد؟ أم يقال: إنهم مصيبون جميعا بحكم أنه ليس هناك حق متعدد، وإنما طلب اجتهاد يوصل صاحبه إلى ما يراه أنه حكم الله.² **اختلف في ذلك الأصوليون، وأكثر علماء السنة على القول الأول وهم يتفقون على أن المجتهد في الفروع مأجور أصاب أو أخطأ، فالمخطئ على ذلك معذور في خطئه، مثاب**

¹ عبد الكريم عثمان، معالم الثقافة الإسلامية، ص 53 - 54، الطبعة الثانية عشرة، 1405هـ / 1980م.

² سليمان بن عبد القوي الطوفي، شرح مختصر الروضة 3/ 602 تحقيق عبد الله التركي، وانظر: عبد الرحمن الزنبيدي، السلفية،

على اجتهاده، وإنما يختلف الأولون في قولهم بتفاوت الأجر بين المجتهدين¹. ومما يربطه الأصوليون بهذه المسألة، قول البعض²: لا إثم على من أخطأ الحق مع الجد في طلبه مطلقاً، ولو كان في إنكار الإسلام من مخالف في الملة كاليهود والنصارى³، وينبغي أن نعلم هنا أن أصحاب هذا القول، لم يصوبوا ما ينتهي إليه الباحثون عن الحق، وإنما يقولون بسقوط الإثم عنه نتيجة بذلهم الجهد والطاقة في البحث عن الحق. ثم إنهم - ومن يقول بقولهم - لا يقولون بارتفاع الإثم عن كل مخالف في الملة من اليهود والنصارى وغيرهم؛ لأن المواقف تختلف، فهناك من عرف الحق ورفضه، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾⁴، وهناك من قصر في طلب الحق وأغرض عينيه عن أنواره، فهذان الصنفان قامت الحجة عليهما، وآثمان عند الله تعالى.

ومع ذلك فإن أهل السنة والجماعة قد رفضوا هذه المقولة ورأوا أنها مقولة باطلة يقينا وكفر بالله تعالى، فالرسول أمر اليهود والنصارى بالإسلام واتباعه، ونعلم أن المعاند العارف مما يقل، وإنما الأكثر مقلدة اعتقدوا دين آبائهم تقليدا ولم يعرفوا معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم وصدقه، كما أنهم لم يسلكوا المنهج السليم في البحث الذي يركز على المبادئ الفطرية في العقل البشري، ومثل هذا إنما إثمه على نفسه، ولو سلك المنهج السليم متجردا للحق، باحثا عنه بجد ومثابرا للوصول إلى الحق، أي: الإسلام⁵.

معييار الحق: المنهج الإسلامي؛ يقول بتعدد المعايير بحسب أنواع الحق، وبحسب أحوال الباحثين عنه. فالطريق إلى معرفة الله تعالى، هو الفطرة البشرية التي تعرف الله وتوحده،

¹ سليمان الطوفي، شرح مختصر الروضة، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1407 هـ / 1987 م، 3 / 602 بتصرف.

² وهو قول بعض المعتزلة كالعنبري والجاحظ

³ سليمان بن عبد القوي الطوفي، شرح مختصر الروضة 3 / 602 بتصرف.

⁴ النمل: آية: 14

⁵ انظر: عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد، ابن قدامة وآثاره الأصولية، الطبعة الرابعة 1987 م، 2 / 392 - 393 بتصرف.

متى عريت عن الغشاوات الحاجبة لضوئها؛ ولهذا كان منهج القرآن الكريم إيقاظ هذه الفطرة وتذكيرها بالحقيقة التي شهدت بها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ فَالَوْ بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْفَيْمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَرِيلِينَ﴾¹.

أما صدق الرسالة، فإن الطريق إليه هو التفكير الذي يتجرد فيه الإنسان من المؤثرات غير المنطقية سواء كانت أهواء ذاتية أم ضغوطا اجتماعية؛ حيث ينظر في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته ودعوته والكتاب الذي جاء به بصفته معجزة نبوية، كما هي الحال في الطريقة القرآنية في إثبات صدق رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي إيراد أدلة كثيرة تتكاتف وتتعاقد لتؤدي إلى العلم اليقيني؛ ولذلك فإن النظر والتأمل في آيات الله تعالى وما تحويه من أخبار يحصل به العلم الضروري بصدق رسالته عليه الصلاة والسلام وأنه أعلى درجات النبوة².

قال تعالى: ﴿فَلِإِنَّمَا أَعْظُمُ بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِثْلٍ خَفٍ ثُمَّ تَتَّبِعُوا مَا يَصْحَبُكُمْ مِّنْ جَنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾³.

وأما الحقائق الكونية والاجتماعية، فقد وجه القرآن الكريم العقل بشأنها داعية إياه للنظر والتأمل والاعتبار من خلال استقراء التاريخ والواقع.

ب - العبودية:

¹ الأعراف: آية 172.

² أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال الشريعة، 1/ص: 12-13 بتصرف، عناية: عبد المعطي قلججي.

³ سبأ، آية 46.

العبودية في اللغة: "إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى، يقال: طريق معبد، أي مذل، وأصل العبودية الخضوع والذل والطاعة"¹.

العبودية في الاصطلاح: انطلاقاً من التعريف اللغوي للعبودية يحدد ابن تيمية رحمه الله العبودية في الإسلام، حيث تتجلى في عنصرين متكاملين: «العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله، في غاية المحبة له»².

فالعبودية والعبادة ليست مجرد خضوع بحث؛ إنما هي شعور العابد بعظمة المعبود وعلوه بما يليق بجلاله وعظمته، فالخضوع هنا خضوع قلبي وظاهري معاً، فأصل العبادة هو: الإذعان الكلي، والخضوع الكامل، والطاعة المطلقة.

ويعرف - رحمه الله - العبادة بأنها: "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان للجار واليتيم والمساكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك: من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه والشكر لنعمة، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء برحمته والخوف من عذابه، وأمثال ذلك: هي العبودية لله"³.

أنواع العبودية: العبودية نوعان: عامة، وخاصة.

أولاً: العبودية العامة: عبودية أهل السماوات والأرض كلهم لله، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم. فالناس كلهم عباد الله بل الأشياء كلها كذلك؛ فهي عبودية اضطرارية شاملة لجميع

¹ الراغب الأصفهاني، المفردات، ص: - 543، وانظر: أحمد الفيومي، المصباح المنير، ص202.

² ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، العبودية، ص: 12، تعليق: محمد منير الدمشقي.

³ ابن تيمية عبد الحليم، العبودية، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، دار الأصاله، 2005م، ص 8.

المخلوقات، وهي التي يسميها ابن القيم - رحمه الله - عبودية القهر والملك، قال تعالى: ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾¹، فهذا يدخل فيه المؤمن والكافر.

النوع الثاني: العبودية الخاصة والاختيارية وهي: عبودية الطاعة والمحبة واتباع الأوامر، وهي لذوي اللطف، وهي الأمور بها في نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾². "فالخلق كلهم: عبيد ربوبيته سبحانه، وأهل طاعته وولايته: هم عبيد إلهيته"³.

العبودية لله قيمة كبرى وأساسية: تعتبر العبودية لله أساس القيم كلها، فهي قيمة كلية شاملة مهيمنة على القيم الأخرى، بل وعلى الوجود الإنساني كله؛ وذلك لأنها تبدأ بالإيمان بالله رباً وإلهاً مشرعاً، وبرسله، ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جاءت به تفصيلاً بصفته التشريع المنزل من عند الله تعالى؛ ليحفظ للإنسان إنسانيته وليحقق الغاية المنشودة من وجوده على وجه هذه الأرض على أكمل الوجوه، ثم تتمثل في الالتزام بهذا التشريع، وترجع أهمية هذه القيمة العليا الكبرى إلى عدة أمور:

أنها غاية الوجود الإنساني في هذا الكون، ومن أجلها خلق الله الخلق؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁴، فغاية وجود الإنسان على وجه الأرض هي

1 مريم؛ آية: 64.

2 البقرة؛ آية: 21.

3 محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، 1/ 105، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

4 لاداريات: آية 56.

عبادة الله وحده لا شريك له، وإفراده بجميع أنواع العبادات القلبية والبدنية، مع كمال المحبة والخضوع والتذلل وتقريغ القلب عما سوى المعبود سبحانه وتعالى¹.

أنها الغريزة الفطرية الكبرى في الذات الإنسانية، وإن تاه عنها أغلب البشر؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾²، وذلك نتيجة فقدهم لهدى الله المنزل، أو بعدهم وإعراضهم عنه في تحديد معبودهم، وأسلوب وكيفية عبادته

أنها الغاية التي بعث الله تعالى رسله جميعا بها؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾³.

بعض الأبعاد الإنسانية لقيمة العبودية:

أ - الأخلاق: إن تحقيق العبودية الكاملة بعنصريها الحب والذل لله في غايتها يعني تلقائيا تحلي هذا المحقق لها بالفضائل وتخليه عن الرذائل، وذلك لأن تحقيق العبودية لله تعالى له أثر كبير في تسامي العبد خلقيا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾⁴، كما أن انحراف الإنسان خلقيا دليل على نقص في عبوديته وضعف في إيمانه، وتعلق جزئي أو كلي نحو محبوبات أخرى سوى الله تعالى، مالا أو جاها أو شهوة أو منصبا أو نحوها. فيرتكب في سبيل تحقيقها وإرضائها ما لا يتوافق ويتناسب مع الفضائل الخلقية المنبثقة من العبودية بصفاتها قيمة عليا.

ب - الحرية: إن العبودية لله تعالى بصفاتها القيمة التي تكفل للإنسان في حال تمثله بها وتحقيقه إياها كامل الحرية التي يسعى إليها غيره ممن لم يتمثل هذه القيمة في نفسه وواقع

¹ ابن تيمية عبد الحليم، العبودية، ص 8 بتصرف.

² يوسف: آية 103.

³ النحل: آية 36.

⁴ العنكبوت: آية 45.

حياته، فإذا آمن الإنسان بالله تعالى وأنه الخالق الرازق، الحي المميت، النافع الضار، حرر الإنسان نفسه من العبودية لغير الله تعالى إلى عبودية الخالق القدير العليم الحكيم، يقول ابن تيمية: " فكلما ازداد القلب حبا لله ازداد له عبودية. وكلما ازداد له عبودية ازداد له حبا وحرية مما سواه"¹.

ج - الكرامة الإنسانية: إن العبودية لله تعالى تحرر الإنسان من العبودية لغيره، فهي بذلك تحقق له منتهى الكرامة الإنسانية؛ فهي تزكي نفسه وتربطه بخالقه، وترفعه بالتالي فوق عناصر الذل والهوان التي كان أسير شباكها. وكلما بذل جهدا أكبر في تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى تعالت نفسه وتسامت، فازدادت كرامته وارتفعت تبعا لذلك.²

د - السعادة: تعد السعادة مطلبا عاما لكل البشر، وهي في إطار قيمة العبودية ممكنة التحقق إذا ما سعى إليها الإنسان وبحث عنها بكل جد ومثابرة، فالسعادة الحقيقية ليست مجرد تلذذ مادي جسدي فحسب؛ وإنما السعادة التي يقابلها الشقاء منشؤها القلب، والقلب مرتبط بالله تعالى، ومن ثم فسعادته إنما هي في محبة الله تعالى واتصاله به والعبودية له؛ "وهي غاية كمال العبد وسعادته التي لا كمال له ولا سعادة له بدونها أصلا، وكانت المحبة الصادقة إنما تتحقق بإيثار المحبوب على غيره من محبوبات النفوس واحتمال أعظم المشاق في طاعته ومرضاته"³.

وشقاؤه وتعاسته في البعد عن الله تعالى، والانقطاع عن جانبه؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْفَيْمَةِ أَغْمًى﴾⁴.

¹ ابن تيمية عبد الحليم، العبودية، ص: 71.

² عمر بن عبد الله عودة الخطيب، نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري، مؤسسة الرسالة، 1975م، ص 137 بتصرف.

³ ابن القيم، مفتاح دار السعادة ومشهور ولاية أهل العلم والإرادة، 1 ص: 113. عناية: علي بن حسن الحلبي، دار ابن عفان 1996م.

⁴ طه: آية 122.

يقول ابن تيمية - رحمه الله - : "والقلب فقير بالذات إلى الله من جهتين: من جهة العبادة، وهي العلة الغائية ومن جهة الاستعانة والتوكل وهي العلة الفاعلة. فالقلب لا يصلح ولا يفلح، ولا ينعم، ولا يسر، ولا يطيب، ولا يسكن، وألا يطمئن إلا بعبادة ربه وحده، والإنابة إليه، ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن، ولم يسكن، إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه بالفطرة من حيث هو معبوده ومحبوه ومطلوبه. وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة. وهذا لا يحصل له إلا بإعانة الله له، فإن القلب لا يقدر على تحصيل ذلك السرور والسكون إلا بتقدير الله له.

فالعبد أو الإنسان يفتقر إلى حقيقة إياك نعبد وإياك نستعين، فإنه لو أعين على حصول كل ما يحبه ويطلبه ويشتهي ويريده، ولم يحصل له عبادته لله. فلن يحصل إلا على الألم والحسرة والعذاب ولن يخلص من آلام الدنيا ونكد عيشها إلا بإخلاص الحب لله، بحيث يكون الله هو غاية مراده ونهاية مقصوده، وهو المحبوب له بالقصد الأول، وكل ما سواه إنما يحبه لأجله لا يحب شيئاً لذاته إلا الله، ومتى لم يحصل له هذا لم يكن حقق حقيقة «لا إله إلا الله» ولا حقق التوحيد والعبودية لله، ولا السعادة التي بحث عنها وطلبها¹.

ثانياً: القيم الحضارية.

أ. قيمة المساواة:

المساواة في اللغة: "السين والواو والياء أصل يدل على استقامة واعتدال بين شئين. يقال: هذا لا يساوي كذا، أي لا يعادله، وفلان وفلان على سوية من الأمر، أي سواء"². "ومكان سوى، وسواء: وسط، ورجل سوي: استوت أخلاقه وخلقه عن الإفراط والتفريط"³.

¹ ابن تيمية عبد الحليم، العبودية، ص: 72.

² أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة 3/ 112 - 113، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.

³ الراغب الأصفهاني، المفردات، ص: 441.

"والمساواة: المماثلة والمعادلة قدرة أو قيمة، واستوى القوم في المال إذا لم يفضل منهم أحد على غيره، واستوى على الفرس استقر، واستوى المكان اعتدل"¹.

وعلى هذا فالمساواة في اللغة العربية تطلق على عدة معان، وهي الاستقامة والاعتدال. المماثلة والوسطية والاستقرار.

المساواة اصطلاحاً: عرفت المساواة بتعريفات متعددة ومتشعبة؛ وذلك تبعاً لاتجاه صاحب كل تعريف، والعلم الذي ينتمي إليه. فمصطلح المساواة على سبيل المثال عند المحدثين يختلف تماماً عنه عند أهل البلاغة، وسأكتفي هنا بذكر مفهوم المساواة في المجال الأخلاقي، فهي تعني: «أن يكون للمرء مثل ما لأخيه من الحقوق وعليه مثل ما عليه من الواجبات دون زيادة أو نقصان»².

يقول ابن مسكويه: "وأقل ما تكون المساواة بين اثنين ولكنها في معاملة مشترك بينهما في شيء ما وأكثر من ذلك، وهي كذلك المثل بالحقيقة، لأنها تجعل كلا طرفي الشيء للآخر سواء بسواء والمساواة قيمة لا تنقسم ولا يوجد لها أنواع، وهي أشرف نسب العلاقات بين الأشياء"³.

الفرق بين العدالة والمساواة: في الحقيقة لا يوجد فرق بين العدالة والمساواة فالمساواة هي الغاية التي تسعى العدالة إلى تحقيقها، وهي الغاية المرجوة منها، يقول ابن مسكويه: «والعدالة في الأفعال مشتقة من معنى المساواة»، «فالعدل من شأنه أن يساوي بين الأشياء غير المتساوية.. ولكن ينبغي أن يكون عالم الوسط حتى يمكنه أن يرد الطرفين إليه. من هنا فقد جاء في تعريف العدل: إنه القسط اللازم للاستواء، وهو استعمال الأمور في مواضعها وأوقاتها ووجوهها ومقاديرها من غير سرف ولا تقصير ولا تقديم ولا تأخير. أي: لتحقيق المساواة

¹ أحمد الفيومي، المصباح المنير، ص: 150

² صالح بن حميد وآخرون، موسوعة نضرة النعيم 7 / 2791.

³ ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، دار الصحابة للتراث، الطبعة الأولى 1979م، ص: 118.

بين الطرفين دون زيادة أو نقصان، لان العدل من شأنه أن يساوي بين أشياء غير متساوية، فلما كان الأمر كذلك فإن كليهما «المساواة والعدل» قد يستعمل استعمال الآخر تسامحا، ولكنهما غالبا ما يستعملان معا. وإذا كانت العدالة خلقا فإن المساواة قيمة حضارية عليا وهدف أسمى¹.

ولقد تميز الإسلام بهذه القيمة الحضارية، والتي عجزت جميع النظم الحديثة والمنظمات الدولية عن تحقيقها، وقد أعلنها النبي صلى الله عليه وسلم وطبقها في واقع المسلمين، وبذلك يكون قد خرج للبشرية أعظم جيل عرفته الإنسانية على الإطلاق.

ومما سبق يتضح أن المساواة من أهم القيم التي جاء بها الإسلام؛ لأنها مرتبطة بالعدالة ارتباطا وثيقا.

إن معيار التفاضل بين الناس في الإسلام هو التقوى وحدها، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ²، لهذا فإن الإسلام متميز بهذا المبدأ العظيم، وهذه القيمة الكبرى مما يجعل المسلم يفخر بهذا الدين القويم.

فوائد المساواة: إن المساواة من القيم الحضارية الكبرى في الإسلام تعود على المجتمع المسلم بفوائد عديدة، منها:

تحقيق الاستقرار والطمأنينة في المجتمع المسلم بحيث يشعر كل فرد من أفراده أنه ليس أقل من غيره وأنه سيحصل على حقه في التعليم والوظائف العامة ونحوها.

القضاء على الفتن الطائفية؛ نظرا لشعور الذميين بأن لهم حق المواطنة على

قدم المساواة مع المسلمين.

¹ تهذيب الأخلاق ص: 121-123 بتصرف.

² الحجرات: آية 13.

إشعار المرأة بقيمتها، إذ هي مساوية للرجل في الإنسانية وأصل المسؤولية

والجزاء وحق العبادة وحصول الثواب، وأنها لا تشكل الجانب الأضعف.

القضاء على الغرور عند من يظنون أنفسهم فوق الناس، والقضاء على الوهن والضعف وخور العزيمة عند من يظنون أنفسهم دونهم.

اطمئنان كل فرد على عدالة الحكم وأن السياسة التي تقوم على ذلك هي سياسة عادلة لا تفرق بين الناس تبعا لا عراقهم ووضعهم الاجتماعي، أو موقعهم من السلطة.

ب - قيمة الجمال:

الجمال في اللغة: "هو ضد القبح، ورجل جميل وجمال جمالك أن تفعل كذا، أي أجمل ولا تفعله"¹. وقيل الجمال: الحسن الكثير، وذلك ضربان: أحدهما: جمال يخص الإنسان في نفسه أو بدنه أو فعله. والثاني: ما يوصل منه إلى غيره.

ويقال: "جميل وجمال على التكثر. ومنه قيل للحساب الذي لم يفصل، والكلام الذي لم يبين تفصيله: مجمل"². قال سيبويه: "الجمال رقة الحسن، والأصل جمالا بالهاء، مثل صبح صباحا لكنهم حذفوا الهاء تحقيقا لكثرة الاستعمال، وتجل تجملا بمعنى تزين وتحسن إذا اجتلب البهاء والإضاءة"³.

الجمال في الاصطلاح: عرف الجمال بأنه: "صفة تلحظ في الأشياء، وتبعث في النفس سرورا ورضى، والجمال من الصفات ما يتعلق بالرضى واللفظ، وهو أحد المفاهيم الثلاثة التي تنسب إليها أحكام القيم، أعني الجمال، الحق، والخير"⁴.

¹ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: 431/1.

² الراغب الأصفهاني، المفردات: ص 202-203.

³ انظر: أحمد الفيومي، المصباح المنير: ص 61.

⁴ جميل صليبا، المعجم الفلسفي: 407/1.

يقول الغزالي رحمه الله: عند حديثه عن الجمال، "إن جمال الأشياء وحسنها في اتصافها مما يليق بها من صفات الكمال، فإذا تكاملت صفات الجمال فيه كملت خلقتها، وكل شيء فجماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له فإن كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال، وإن كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر. ولكل شيء كما يليق به وقد يليق بغير ضده، فحسن كل شيء في كماله الذي يليق به".¹

وقد ورد الجمال في النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، وصفا لأشياء وحث عليها، كما وردت الألفاظ التي يفسر بها الجمال على أنه الحسن والزينة.

في الأفعال والأخلاق: قال سبحانه وتعالى: ﴿بَاصِبِرٌ صَبْرًا جَمِيلًا﴾²، وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾³، وقال تعالى: ﴿وَسَرَّحُوهُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾⁴، وقال تعالى: ﴿بَاصْبَحَ الصَّبْحِ الْجَمِيلِ﴾⁵، وقال صلى الله عليه وسلم "إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً"⁶.

أنواع الجمال: والمقصود بالجمال هنا الجمال في الصورة واللباس والهيئة، وهي على ثلاثة أنواع: فمنه ما يحمد، ومنه ما يذم، ومنه ما لا يتعلق به مدح وذم.

¹ أبو حامد الغزالي بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة - بيروت، 299/4، وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأسفار، للعلامة: زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي.

² المعارج: الآية 05.

³ المزمّل: آية 09

⁴ الأحزاب: الآية 49.

⁵ الحجر: الآية 85.

⁶ صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب قبول الصداقة من الكسب الطيب وتربيتها 572/2، رقم الحديث 65.

فالمحمود منه: وهو ما كان لله، وأعان على طاعة الله وتنفيذ أوامره والاستجابة له فقد كان النبي يتجمل للوفود. وهو نظير لباس آلة الحرب للقتال، ولباس الحرير في الحرب والخيلاء فيه. فإن ذلك التجمل محمود إذا تضمن إعلاء كلمة الله ونصر دينه وغيظ عدوه.

المذموم منه: هو ما كان للدنيا والرياسة والفخر والخيلاء والتوسل إلى الشهوات، وأن يكون هذا غاية العبد وأقصى مطالبه. فإن كثيرا من النفوس ليس لها همة في سوى ذلك.

وأما ما لا يحمد ولا يذم: هو ما خلا عن هذين القصدين، وتجرد عن الوضعين.

والمقصود أن قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن الله جميل يحب الجمال)¹ مشتمل على أصلين عظيمين:

فأوله: معرفة: فيعرف الله سبحانه بالجمال الذي لا يماثله فيه شيء.

وآخره: سلوك: فيعبد بالجمال الذي يحبه من الأقوال والأعمال والأخلاق.

فإن الله تعالى يحب من عبده أن يجمل لسانه بالصدق، وقلبه بالإخلاص والمحبة، وجوارحه بالطاعة، وبدنه بإظهار نعمه عليه؛ فيعرفه بصفات الجمال الذي هو وصفه، ويعبده بالجمال الذي هو شرعه، فجمع الحديث قاعدتين: المعرفة والسلوك.²

أقسام الجمال: ينقسم الجمال إلى قسمين اثنين: ظاهر وباطن؛ فالجمال الباطن هو: المحبوب لذاته، وهو جمال العلم والعقل والجود والعفة والشجاعة، وهذا الجمال الباطن هو محل نظر الله من عبده وموضع محبته. وأما الجمال الظاهر: فزينة خص الله بها بعض الصور عن بعض، وهو من زيادة الخلق التي قال تعالى فيها: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾³.

¹ سبق تخريجه: ص 39.

² ابن قيم الجوزية، الفوائد، دار عالم الفوائد، ص 227-259 بتصرف.

³ فاطر: الآية 01.

قالوا: "هو الصوت الحسن والصورة الحسنة. والقلوب المطبوعة على محبته كما هي مفطورة على استحسانه".¹

هذا وقد لفت القرآن الكريم إلى الجمال عن طريق الحديث عن آثاره، التي تكون آثارا على العين وعلى النفس، وقد جاء في الآية الكريمة ما يوضح ذلك قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَفَرَّةٌ لَّا بَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَبِأَعْلَوْا مَا تُومَرُونَ﴾².

فالسور أثر من آثار رؤية الجمال، وقد جاء في كتاب الظاهرة الجمالية في الإسلام: الحق والخير والجمال، إنها حقائق في هذا الوجود. وأنها قيم. وهذا يعني أنها في لقاء دائم وأن بعضها لا يفارق بعضها الآخر. وإنما يعني مستوى أهميتها في هذه الحياة. فالجمال له شخصيته المستقلة في التصور الإسلامي. وهذا لا ينفي لقاءه مع الحق والخير، ولكنه أيضا لا ينفي وجوده في مجالات لا حق فيه ولا خير، وبناء على خاصية الشمول... فإن الحق والخير من الميادين التي للجمال فيها كلمة ورأي، فالخير خير، ولكنه إذا زين بالجمال كان أقرب إلى الكمال.

والحق حق ولكنه إذا زين بالجمال كان أدق في تحقيق العدل.

فالأمر بالمعروف خير ولكنه إذا كان بأسلوب مهذب، بعيدا عن الغضاظة والغلظة، أي كان بالمعروف؛ كان أقرب إلى تحقيق الجدوى. وقد يوجد الجمال حيث لا يوجد الخير، وقد أشار القرآن الكريم إلى مثال على ذلك بقوله: ﴿وَلَأَمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ

¹ ابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص 331-332، تحقيق: السيد الجميلي.

² البقرة: الآية 69.

أَعْجَبَتْكُمْ¹، فقد وجد الجمال هنا لدى المشركة ولكنه لم يوجد الخير، وهكذا. فالجمال كيانه المستقل وصدقاته الحميمة².

فوائد الجمال:

إظهار المسلم بالصورة اللائقة نظيفا طاهرا جميلا.

كل ما في الكون من جمال يتدبره المسلم؛ دليل على جمال الخالق سبحانه وتعالى.

وجوب التحلي بالصبر الجميل، والهجر الجميل، والصفح الجميل؛ لأنها من القيم التي لا بد للمسلم من التحلي بها ليزداد جمالا فوق الجمال الذي وهبه الله إياه. فالمسلم يتجمل في ملبسه ومظهره دون غرور أو كبر، فلباسه ونعله حسن، ورائحته طيبة، يتطهر ويتوضأ خمس مرات استعدادا وتجمل للقاء ربه، مستجيبا لأمر ربه يأخذ الزينة عند كل مسجد، لهذا فالقيم الحضارية في الإسلام تعد المسلم الذي يحمل القيم الجمالية في باطنه وظاهره؛ ليظهر بالصورة اللائقة به.

القيم الخلقية:

قيمة البر:

البر لغة: "مصدر بر ببر، والباء في المضاعف تدل على عدة معان، ومن هذه المعاني الصدق، يقال: صدق فلان وبرت يمينه صدقت، وأبرها أمضاها على الصدق، وحجة مبرورة، أي قبلت قبول العمل الصادق"³. والبر: "التوسع في فعل الخير. يقال: بر العبد ربه، أي: توسع في طاعته، وبر الوالدين: التوسع في الإحسان إليهما"⁴.

¹ البقرة: الآية 219.

² صالح بن أحمد الشامي، الظاهرة الجمالية في الإسلام: ص121 بتصرف، الطبعة الأولى.

³ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة 1/177.

⁴ الراغب الأصفهاني، المفردات، ص114.

البر اصطلاحاً: يقول ابن تيمية - رحمه الله - في تعريفه البر: إن لفظ البر إذا أطلق تناول جميع ما أمر الله به كما في قوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَهِيَ نَعِيمٌ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَهِيَ جَحِيمٌ﴾¹، وقوله: ﴿وَلَكِنَّ الْأَبْرَارَ مَشِيتُوا فِيهِ﴾².. فالبر إذا أطلق كان مسماه مسمى التقوى، والتقوى إذا أطلقت كان مسماها مسمى البر، ثم قد يجمع بينهما كما في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾³، فعطف جل شأنه التقدير على البر و"عطف الشيء على الشيء في القرآن وسائر الكلام يقتضي مغايرة بين المعطوف عليه مع اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم الذي ذكر لهما"⁵.

وعرف البر بأنه: "اسم جامع يدخل فيه العقائد الإيمانية وأعمال القلوب وأعمال الجوارح، ويدخل فيه جميع المأمورات وترك المنهيات"⁶.

أنواع البر: ينقسم البر إلى نوعين اثنين، هما:

¹ الانفطار: الآيتان 13-14.

² البقرة: الآية 189.

³ المائدة: الآية 03.

⁴ شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية ال سعودية 1416هـ/1995م 165/7.

⁵ المرجع السابق، مجموع الفتاوى 172/7.

⁶ بناصر السعدي، الرياض الناظرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد المتنوعة الفاخرة، دار المنهاج، الطبعة الأولى 2005م، ص240.

الأول: الصلة: وهي: "التبرع ببذل المال في جهات محمودة، لغير عوض مطلوب، وهذا يبعث عليها سماحة النفس وسخاؤها، ويمنع شحها وإبائها؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾¹2".

الثاني: المعروف، ويتنوع إلى نوعين: قول، وعمل.

فأما القول: فهو "طيب الكلام وحسن البشر والتودد بجميل القول؛ وهذا يبعث عليه حسن الخلق، ورقة الطبع؛ ويجب أن يكون محدودا كالسخاء؛ فإنه إن أسرف فيه كان خلقا مذموما؛ وإن توسط واقتصد فيه كان معروفا وبرا محمودا"³.

وأما العمل: فهو "بذل الجاه، والمساعدة بالنفس، والمعونة في النائبة؛ وهذا يبعث عليه حب الخير للناس، وإيثار الصلاح لهم، وليس في هذه الأمور سرف، ولا لغايتها حد، بخلاف النوع الأول؛ وإن كثرت فهي أفعال خير تعود بنفعين: نفع على فاعلها في اكتساب الأجر، وجميل الذكر، ونفع عن المعان بها في التخفيف عنه والمساعدة له"⁴.

قال الماوردي - رحمه الله - أيضا: "إن البر يعد من أسباب الألفة؛ وذلك لأنه: يوصل إلى القلوب أطافا"⁵، ويثنيها محبة وانعطافا، ولذلك ندب الله تعالى إلى التعاون به، وقرنه بالتقوى له، فقال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾⁶.

1 الحشر: الآية 09.

2 علي بن محمد الماوردي، أدب الدنيا والدين: دار مكتبة الحياة بدون طبعة، ص 290-296.

3 الماوردي، آداب الدنيا والدين، ص 322.

4 المرجع السابق: ص 323.

5 لطف الشيء فهو لطيف من باب قرب ولزم وألصق. انظر: ابن فارس، معجم مقاييس 206/5.

6 المائدة: الآية 03.

"لأن في التقوى رضاء الله تعالى وفي البر رضاء الناس، ومن جمع بين رضاء الله تعالى ورضاء الناس فقد تمت سعادته وامت نعمته".¹

ويعد البر بصفته قيمة خلقية عظيمة من أكثر القيم الإسلامية جمعا للخير ووجوه الإحسان؛ ولذلك قرنه الله تعالى بالتقوى، وهو منتهى طريق الخصال الحميدة، وجامع لخيري الدنيا والآخرة، وهو كذلك وصف الله به تعالى أهل الخير فقال: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾²، ولهذا حث عليه ديننا الحنيف وشجع الناس على تطبيقه في واقع حياتهم، وقد كان من ثمرات ذلك انتشار جمعياته ومؤسساته ورجاله، سواء في العمل الخيري الإحساني والإغاثي أو في تقديم يد العون والمساعدة بأوسع معانيها؛ ولذلك عاش المسلمون في ظل الإسلام يكفل بعضهم بعضا، وانتشر الخير والبر والإحسان في كافة المجتمعات الإسلامية، بل تعدى هذا الخير والبر إلى غير المسلمين، فهي بحق من أجل وأعظم القيم، والتي يحق للمسلم أن يفخر بها؛ لأنها أثمرت ثمارا عظيمة، وصارت من محاسن هذا الدين العظيم.

فوائد البر: للبر فوائد عظيمة وكثيرة قد لا يتسع المجال لذكرها كلها؛ منها على سبيل المثال ما يلي:

أنها طريق موصل إلى الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾³.

¹ الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 290.

² الانفطار: آية 13.

³ الإنسان: آية 5.

زيادة في العمر وبركة في المال والنسل، عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يرد القدر إلا الدعاء، وإن الرجل ليحرم الزرق بخطيئة يعملها"¹.

من أسباب سعادة المرء في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّمَّنْ ذَكَرَ أَوْ انْتَبَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾².

دليل على حسن الخاتمة، فإن البر يؤدي إلى حسن الخاتمة والعاقبة الحميدة، وإذا خرج عنه المسلم مات ميتة جاهلية، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من خرج في الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية حمية يغيظ لعصبة، أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتله جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه)³.

نيل محبة الله تعالى ومن ثم محبة الناس. قال تعالى: ﴿لَا يَنْهٰيكُمْ اَللّٰهُ عَنِ الَّذِيْنَ لَمْ يُقَاتِلُوْكُمْ فِي الدِّيْنِ وَلَمْ يُخْرِجُوْكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْۚ اَن تَبَرُّوْهُمْ وَتُقْسِطُوْا اِلَيْهِمْۚ اِنَّ اِلٰهَ يَحِبُّ الْمُفْسِدِيْنَ﴾⁴.

¹ الترمذي 2193 وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه 90 وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه

² النحل، آية: 97.

³ مسلم 1848.

⁴ الممتحنة، آية: 8.

ينجي من العذاب يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾¹.

إحدى الصفات التي لا تكتمل مكارم الأخلاق إلا بها وهي أعلى درجات الصدق، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله: صلى الله عليه وسلم: (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر؛ وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً. وإياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار. وما يزال الرجل يكذب، ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذاباً).²

يؤدي إلى الألفة وشيوع روح المحبة في المجتمع. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة ما لا من نخل وكان أحب أمواله إليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَسْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾³ قام أبو طلحة إلى رسول الله فقال: يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول: لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبونه وإن أحب أموالي إلى بيرحاء وإنها صدقة أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله: (بخ بخ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح وقد سمعت ما قلت وإنني أرى أن تجعلها في الأقربين)، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه)⁴.

بالبر تطمئن النفوس الحائرة وتهدأ القلوب الفزعة وتستقر الجماعات، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل سلامي من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس) قال (تعديل بين الاثنين صدقة وتعين الرجل في دابته

¹ آل عمران، آية: 198.

² البخاري فتح الباري: 6094/10

³ آل عمران: آية 91.

⁴ البخاري، الفتح 1361/3.

فتحملة عليها صدقة، أو ترفع له متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة¹.

قيمة التعاون:

التعاون في اللغة: "التعاون من العون، والعون هو: الظهير على الأمر ويجمع على أعوان، والمعونة: الإعانة. رجل معوان: حسن المعونة أو كثيرها، واستعنت بفلان فأعانني وعاونني، وتعاوننا: أعان بعضنا بعضا"²

التعاون في الاصطلاح: عرف التعاون بأنه: التضامن والتعااض والترافد³. وذلك لأن الإنسان كما يقول ابن خلدون - رحمه الله - : "محتاج إلى المعاونة في جميع حاجاته أبدا بطبعه"⁴ ويقول في موضع آخر: "فلا بد في ذلك كله من التعاون عليه بأبناء جنسه ومالم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا تتم حياته.. وإذا كان التعاون حصل له القوت، والسلاح للمدافعة، وتحت حكمة الله في بقاءه وحفظ نوعه"⁵.

وعرف التعاون على البر والتقوى، بأن: "يظهر المسلم أخاه ويعينه في فعل الخيرات، وعلى طاعة الله، عز وجل ويجنبه معصيته"⁶، يقول ابن كثير - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾⁷، إن الله يأمر بالآلفة والاجتماع

¹ البخاري، الفتح 2707/5.

² ابن منظور لسان العرب 298-299/13.

³ د: جميل صليبا، المعجم الفلسفي 300/1.

⁴ ولي الدين أبو زيد عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة 1012/3. تحقيق علي عبد الواحد وافي، دار يعرب دمشق، الطبعة الأولى 2004م.

⁵ المرجع السابق: 338/1.

⁶ صالح بن حميد وآخرون، نضرة: 1010/3.

⁷ آل عمران: آية 103.

وينهى عن الفرقة والاختلاف¹، والحث على التواصل في ذات الله، متعاونين على البر والتقوى².

أقسام الناس في باب التعاون: قسم الماوردي - رحمه الله - "المتعاونين من الإخوان والأصدقاء إلى أربعة أقسام:

الأول: الذي يعين ويستعين. وهو معاوض منصف، يؤدي ما عليه، ويستوفي ماله، فهو كالمقرض؛ يسعف نفسه عند الحاجة، ويسترد عند الاستغناء، وهو مشكور في معونته، ومعدور في استعانتة. وهذا أفضل أحوال التعاون وأعدلها.

الثاني: الذي لا يعين ولا يستعين. هو شخص متروك، قد منع خيره، وقمع شره، فلا هو صديق يرجى، ولا هو عدو يخشى، ومن كان كذلك فهو كالصورة الممثلة يروك حسنها ويخونك نفعها، فلا هو مذموم لقمع شره، ولا هو مشكور بمنع خيره، وإن كان باللوم أجدر.

الثالث: الذي يستعين ولا يعين. وهو شخص لئيم ثقيل لا خير فيه، ومهين مستذل، قد قطع عنه الرغبة، وبسط فيه الرهبة، فلا خيره يرجى، ولا شره يؤمن، وحسبك مهانة من رجل يستقل عند إخلاله، ويستقل عند استقلاله فليس لمثله في التعاون حظ ولا في الود نصيب، وهذا داء لا دواء، بل وسم في الغذاء.

الرابع: الذي يعين ولا يستعين. فهو كريم الطبع، مشكور الصنع، قد حاز فضيلتي الابتداء والاكتفاء، فلا يرى ثقيلًا في نائبة، ولا يقعد عن نهضته في معونة، فهو من أشرف الناس تعاونًا وأسماهم نفسًا³.

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 98/2، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت الطبعة: الأولى - 1419 هـ.

² المرجع السابق: 90/2.

³ انظر: الماوردي، أدب الدنيا والدين ص: 277-278.

التعاون واجب ديني وضرورة اجتماعية:

اقتضت سنة الله ألا تقام هذه الحياة إلا على المعاونة والمشاركة، واتخاذ الناس بعضهم لبعض سخريا فالتعاون يعتبر بمثابة مستلزم ضروري لا يمكن أن يستغني عنه الفرد، لا بل وحتى المجتمع لا يمكن أن يتأسس بدونه، فإذا تم هذا التعاون تمكن الإنسان من القيام بمهمة الاستخلاف وعمارة الأرض التي خلق من أجلها. يقول ابن خلدون: "إن الاجتماع الإنساني ضروري ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم: الإنسان مدني بالطبع أي: لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم وهو معنى العمران. وبيانه أن الله خلق الإنسان وركبه على صورة لا تصح حياته وبقاؤها إلا بالغذاء، وهده إلى التماسه بفطرته، وما ركب فيها من القدرة على تحصيله، إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء. فلا بد من اجتماع القدرة الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم، فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف. وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضا في الدفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه"¹.

"فلكي تتم حكمة الله تعالى في بقاء الإنسان، وحفظ نوعه لا بد له من التعاون مع أبناء جنسه، وإلا لم يكمل وجودهم وما أراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إياهم"².

فوائد التعاون:

للتعاون فوائد كثيرة وعظيمة؛ منها يلي:

إمكان إنجاز الأعمال الكبيرة التي لا يقدر عليها الأفراد³.

¹ ابن خلدون المقدمة: 337/1.

² ابن خلدون المقدمة: 338/1.

³ المرجع السابق: 337/1.

شعور الفرد بالقوة ونزع شعور العجز عن نفسه، وقدرته على مواجهة الأخطار المحدقة به
ممن حوله من الإنسان والحيوان¹.

ثمرة من ثمرات الإيمان فضلا عن كونه حاجة ملحة للإنسان.

من ثمرات الأخوة الإسلامية ودليل على حب الخير للآخرين.

أساس التقدم، والإنتاج والنجاح والتفوق.

الشعور بالمساواة في الإنسانية يدفع إليه ويحض عليه.

سبب من أسباب الألفة والمحبة بين الناس.

يحقق سنة الله في خلقه ويحقق طبيعة الأشياء.²

¹ المرجع السابق: 338/1.

² صالح بن حميد وآخرون موسوعة نضرة النعيم 1028/3 بتصرف.

المطلب الثاني: أنواع القيم في مرجعية الفكر الغربي.

تشعبت مواقف المفكرين الغربيين بشأن دراسة القيمة تشعبا كبيرا فكثرت مذاهبهم وتعددت. وهذه أبرز النظريات التي تناولت القيم بالدراسة والتحليل في مرجعية الفكر الغربي من حيث توحيدها وتكثيرها وتنوعها وتعددتها:

النظرية اللاهوتية¹:

تقوم هذه النظرية على رد القيم إلى الله تعالى، سواء أكانت تلك القيم قيمة أخلاقية أم حقائق للمعرفة. ومن أبرز القائلين بهذه النظرية الفيلسوف الفرنسي نيقولا مالبراس (1938 - 1710م)، وهو من أتباع الفيلسوف الشهير رني ديكارت 1099-1715 يقول عن الحقائق الكلية أو المعاني العامة في الوجود، والتي تمثل مبادئ العقل في معرفته: إنه يستبعد القول بإحداث العقل الإنساني لهذه المعاني، ذلك أنها طبيعة لا نهائية، فهي بذلك تفوق قدرة العقل، ومن ثم فهو يعجز عن إيجادها فلا يبقى بعد هذا إلا احتمال واحد مطابق للعقل وهو وجود هذه المعاني في الله، فهو يرى أنه لا بد للعقل الإنساني أن يتسامى في حال الفكر إلى مستوى القبول من العقل الإلهي،².

وقال بهذا ديكارت، وجوتفريد ليبنتز (1949 - 1719م). الذي أكد على مقولة أن الأخلاق الضرورية متعلقة بالعقل الإلهي، وقد سبق الفارابي هؤلاء الفلاسفة فيما ذهبوا إليه؛ فعند تفسيره لقول أفلاطون بعالم الماهيات أو المثل القائمة - والتي هي الكليات، أو الأمور

¹ علم اللاهوت، هو علم دراسة الإلهيات دراسة منطقية، وقد اعتمد علماء اللاهوت المسيحيين على التحليل العقلاني لفهم المسيحية بشكل أوضح، ولكي يقارنوا بينها وبين الأديان أو التقاليد الأخرى، وللدفاع عنها في مواجهة النقد، ولتسهيل الإصلاح المسيحي، وللمساعدة بنشر المسيحية، ولأسباب أخرى متنوعة..

² ينظر: محمد علي أبوريان، تاريخ الفكر الفلسفي الفلسفة الحديثة 4/79-85، ترجمة محمود سيد احمد، الطبعة الأولى 2010م.

العامة - خارج الذهن الإنساني وخارج الأشياء: أن المقصود هو وجودها في علم الله؛ لأنه هو الموجد الخالق لها، لا في عالم مستقل¹.

ومثل ذلك في الخير أو القيم الخلقية، فقد ذهب كثير من الفلاسفة اللاهوتيين إلى أن الخيرية مردها إلى الله، والخير خير؛ لأن الله أمر به، كما أنه صادر عنه تعالى، ومن هؤلاء: جيرسون (1331) مولادترسكوت (1308) وليام أوكام (1349) وغيرهم من متأخري علماء اللاهوت.

كما أنهم يرون أنه من الخطأ أن يقال إن الله أمر به لأن طبيعته خير، فهي إنما كانت حقا وخيرا؛ لأن الله أمر بها أو وجه إليها؛ فهم بذلك ينكرون أن تكون في القيم ذاتها طبيعة أصلية، ومن ثم قالوا إن مقياس الأخلاق لا يقوم في طبيعة الأفعال، بل في إرادة الله².

النظرية المثالية³:

تنسب النظرية المثالية إلى الفيلسوف اليوناني أفلاطون حيث أقام مذهبه في المعرفة والوجود والأخلاق على أساسها، وتتلخص هذه النظرية عند أفلاطون فيما يلي:

أن هناك عالما تقوم فيه حقائق ثابتة أزلية كاملة وهي صور مجردة أو مثل عليا لا تقسد ولا تغير السلوك الإنساني، وهو بذلك يضع القواعد التي تحدد استقامة الأفعال الإنسانية وصوابها، كما يدرس الخير باعتباره غاية الإنسان القصوى التي لا تكون وسيلة لغاية أبعد منها. وهذه الغاية القصوى تتميز بأنها غاية إنسانية خالصة تكمل صاحبها وتزيد من إنسانيته.

¹ انظر: محمد البهي، الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي: ص 392-394-407-411 بتصرف.

² ليكي، نسيج السلوك الأخلاقية الأوربية، العدد الثاني، كليب، ص: 2 08، نقلا عن توفيق الطويل، أسس الفلسفة ص 247-426 بتصرف.

³ النظرية المثالية تسمى أيضا بـ "الطوباوية" (Utopianism)، وهي مقاربة للعلاقات تشدد على أهمية القيم الأخلاقية والمعايير وانسجام المصالح لتكون الموجهة للسلوك بدلا من المصلحة والقوة. وهي تبحث فيما يجب أن تكون عليه الحياة، وليس فيما هو كائن فهي تقوم على أساس معرفة "كيف يجب" أن يتصرف الإنسان، لا على أساس "كيف يتصرف هؤلاء فعلا".

فعلم الأخلاق على سبيل المثال يعتبر علما معياريا وليس وضعيا، أي بحث فيما ينبغي أن يكون وليس فيما هو كائن.¹

ومن المؤكد أن في الحياة الإنسانية؛ مثلا أعلى ينبغي أن يسير السلوك بمقتضاه، ومستوى أو معيارا أو مقياسا للحكم يمكن الإنسان؛ من التمييز بين الخير والشر، فالإنسان بما أنه ينزع إلى الكمال إذا استقام فكره، فإنه يحاول أن يتحقق بالصورة العليا من تلك المثل في شخصيته، كما أنه لا يقف في معرفته وتأمله عند الصور المادية القريبة، وإنما يصعد إلى تأمل المثل في ذاتها.² بل وإلى تعجل مفارقة الحياة للتخلص من أسر المادية، لتعود روحه إلى عالم المثل الأزلية الكاملة؛ لأن الفيلسوف يحس بالشوق إلى علم الإلهيات، كما يحس بثقل الجسم الذي يعوقه عن اللحاق به، فالموت في زعمهم خلاص للنفس وبداية حياة جديدة. كما وصف أفلاطون حياة سقراط بأنه عاش حياته؛ معرضا عن متاع الدنيا، هائما بالجمال الأسمى داعيا إليه، وكان يشدد به الهيام فيغيب عن العالم المحسوس ويستغرق في التأمل حتى يمكث واقفا بلا حراك ساعات طويلة، كما وصف حاله وهو في سجنه وقد دنا أجله بأنه لا يخشى الموت فأقدم على احتساء السم راضيا باحثا من وراء ذلك عن سعادته المزعومة.³

وعلى الرغم من تقادم العهد وبعد الزمن فإن هذه النظرية ما تزال حية؛ بل إنها تلقى رواجاً في عصرنا الحاضر لدى الفلاسفة الذين رفضوا القبول بمصدر ديني للقيم أو للعقل البشري وتجاربه.

ويعد الفيلسوف كانط (1724 - 1809م) من أبرز المنسوبين للنظرية المثالية، وقد أقام كانط القيم على مفهوم جديد وهو مفهوم الواجب غير المشروط، وأنكر ربط الفكر الأخلاقي بنتائج الأفعال من لذات والآم أو منافع ومضار، وجعل قيمة الأفعال قائمة في باطنها وليست

¹ د: جميل صليبا، المعجم الفلسفي 335/2. بتصرف.

² انظر: توفيق الطويل، أسس الفلسفة، دار الثقافة موسكو، ص:436. وانظر: عبد الرحمن الزبيدي، السلفية، ص360. بتصرف.

³ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص99، دار القلم، بيروت. بتصرف.

في الغايات التي تقوم خارجها، وأنه يجب على الإنسان أن يرتفع بحياته إلى المستوى الأخلاقي الذي يدفعه إلى وضع الواجب في قلبه؛ لهذا فالأخلاق عنده مطلقة وواجباتها مسلمة، فالإنسان عنده كائن قيمي يستطيع أن يكتشف القانون الأخلاقي الذي يصلح لكل فرد ولكل زمان¹.

ويتلخص رأي كانط فيما يلي:

"إن العلوم الواقعية؛ إنما استحقت وصف العلمية لأنها طابقت الشروط العقلية للمعرفة، فالعقل هو المشرع للأشياء فلا ينبغي أن نلتمس في الأشياء تفسير القوانين العقل، بل ينبغي أن نلتمس في العقل نفسه تفسيراً لقوانين الأشياء"².

إن التصرفات البشرية إنما تكتسب قيمتها الخلقية من المبادئ والقواعد الخلقية التي نشعر بها في أعماق نفوسنا وهو ما يسميه كانط قانون الواجب والذي يقوم عنده على ما يلي:

1- اعمل دائماً بحيث يكون في استطاعتك أن تجعل من قاعدة فعلك قانوناً.

2 - اعمل دائماً بحيث تعامل الإنسانية في شخصك وفي الأشخاص الآخرين في كل حالة، كغاية لا كوسيلة فقط.

وقد استخلص كانط من القاعدتين السابقتين قاعدة ثالثة، وهي: قاعدة الحرية؛ لأنها تنص على ضرورة خضوع الإنسان للقانون باعتباره هو مشرعه³.

¹ صلاح قنصوة، نظرية القيم في الفكر المعاصر، دار الثقافة القاهرة، ص 119. بتصرف.

² سامية عبد الرحمن عبد السلام، القيمة الأخلاقية دراسة نقدية في الفكر الإسلامي والفكر المعاصر، المكتبة النهضة المصرية 1992م، ص 92.

³ سامية عبد الرحمن عبد السلام، القيم الأخلاقية، ص 94-95. بتصرف.

"إن الجمال لا يقوم في الأشياء والموضوعات وإنما يقوم في النفس أو الذات، ولذلك فإن الأشياء الجميلة إنما اكتسبت هذه الصفة لكونها اتسقت مع قيمة الجمال الموجودة داخل أنفسنا¹."

وهكذا فإن أصحاب النظرية المثالية يتفقون على أن القيم تتمثل في كليات أو قوانين عامة مجردة غير مرتبطة بالزمان والمكان، وذات مستوى ثابت مطلق. ومفردات المعرفة أو الأخلاق أو الجمال القائمة في حياتنا تستمد وصفها القيمي من تبعيتها لتلك القيم، إلا أنهم يختلفون في مرجعية هذه الكليات أو القوانين فهي ترجع إلى عالم روحي فوق عالمنا المادي أو إلى العقل البشري؟²

النظرية الوضعية³:

يجمع أصحاب النظريات الوضعية على استبعاد وجود حقائق أو قيم أخلاقية لم تستمد من التجربة العملية، فكل قضية تحمل معنى، تعبر لا محالة عن صورة مطابقة للواقع، والقيم والمثل العليا مالم تكن وصفا لحالة موجودة في الفعل لا تكون ذات معنى وقيمة يمكن التثبت منها بالخبرة الحسية، أي أنهم ينكرون وجود حقائق وقيم مطلقة تستمد من العقل أو من أي مصدر آخر سوى التجربة، فهي بذلك سلوكيات واقعية محكومة بالأعراف الاجتماعية والمادية وأن هذه السلوكيات أو القيم صادقة بمقدار ما تنتج من ثمار وما تؤدي من نفع.

أما القيم في نظرهم فهي تعبر عن انفعالات تصيب صاحبها، بمشاعر ذاتية، لا تخضع لأحكام موضوعية، فإذا قلت: رد الأمانة إلى أهلها واجب أخلاقي، قصدت بذلك أن تُصور

¹ صلاح قنصوة، نظرية القيم في الفكر المعاصر، ص107.

² عبد الرحمن الزيندي، السلفية، دار إشبيليا 1998م، ص467. بتصرف.

³ النظرية الوضعية (بالإنكليزية Positivism) هي توجّه فلسفيّ معاصر يدرس العلوم الاجتماعية ومعالَم المجتمع ضمن أطر الأدلة والبراهين العلمية المنطقية، والتي تتضمن نتائج التجارب والاحصائيات والتوصيفات، بهدف توضيح جوانب قضايا المجتمعات المختلفة.

قيمة عليا لا أن تصف حالة موجودة في الواقع، فأنت بذلك تعبر عن شعورك وميلك وموافقتك نحو رد الأمانة، ونفورك من عدم ردها إلى أصحابها.

فالوضعيون يرون أن القيم الأخلاقية مجرد أوامر في صيغة مضللة، كما يقول "كارناب"، أو هي محاولة يقوم بها فرد يجعل من رغباته الشخصية أمانى أو رغبات يدين بها غيره من أفراد المجتمع، كما يقول: برترندرسلا. تعبيرا عن اتجاهه الأخير في رفض موضوعية القيم الأخلاقية¹.

"ويرى جون ديوي فيرى: أن المعيار الصحيح لاختيار أي فلسفة إنما هو معرفة النتائج التي توصلنا إليها هذه الفلسفة. وأن سلوكنا تجاه الأشياء هو الذي يحدد قيمتها"². وأما بيرس فيقول: "إنه لكي تتضح دلالة الفكر فإننا لا نحتاج إلا إلى تحديد السلوك الملائم للواقع، وللحصول على الوضوح التام في أفكارنا عن موضوع فإننا لا نحتاج إلى الاهتمام بالآثار العملية التي يتضمنها أي موضوع نتصوره"³.

وعلى هذا فإن محك الصواب والخطأ لكون الأشياء حقا أو خيرا هي القيمة المنصرفة الفورية في تجارب الحياة ومن ثم أصبحت المنفعة مقياس الحق كما عبر عن ذلك وليم جيمس 1910م مؤسس المذهب النفعي⁴.

والحق أن القيم تفقد قيمتها الحقيقية لدى أي فكر أو فلسفة لا تقيم لوجود الله اعتبارا في حياتها، ولهذا كان موقف الوجودية الهدام للأخلاق موقفا صريحا في هذا المجال؛ حيث

¹ توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص 45-446. بتصرف.

² سامية عبد الرحمن عبد السلام، القيمة الأخلاقية، ص 111-112.

³ بيرس تشارلز ساندرس، بحوث مجمعة، العدد الخامس ص: 420، نقلا عن سامية عبد الرحيم القيم الأخلاقية، ص 640.

⁴ توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص399. وانظر: عادل العوا، العمدة في فلسفة القيم، ص 640. بتصرف.

إنه كما أورد سارتر على لسان أحد أبطال إحدى رواياته عبارة تقول بأن: "الله إذا لم يكن موجوداً، فكل شيء مباح"¹.

أنواع القيم في مرجعية الفكر الغربي المعاصر:

تفاوت الباحثون في نظرتهم للقيم من حيث عددها وتنوعها وصنوفها، وقد ساد في الفكر الفلسفي أنها ثلاث قيم مطلقة، وهي الحق والخير والجمال، وهناك من زاد عليها القيمة الإسلامية فجعلها أربعة، وهناك من وسعها إلى عدد أكبر من ذلك، وهناك من سعى جاهداً للتوحيد بينهما؛ بين الحق والخير أو الخير والجمال... إلخ، ويتفق الدكتور عبد الرحمن بدوي مع من قال: إنها ثلاث قيم² ؛ وهي:

القيم العقلية أو المتعلقة بالحق. القيم الجمالية أو المتعلقة بالجمال. القيم الأخلاقية أو المتعلقة بالخير.

قيمة الحق:

الحق: يطلق الحق في الفكر الحديث على المطابقة عموماً، وهي التي تعني:

- مطابقة القول للواقع.

- الموجود حقيقة لا الموجود توهم؛ فالحق بهذا المعنى هو الموجود الثابت.

- التصور السالم من التناقض أي الممكن في العقل. والحق واحد الحقوق، وله

معنيان:

الأول: ما كان فعله مطابقاً لقاعدة محكمة.

¹ سارتر، الوجودية والإنسانية، رجم إلى الإنجليزية بواسطة: فيليب ميريت، لندن، ميتهيون، ص 4-33. بتصرف.

² عبد الرحمن بدوي، الأخلاق النظرية، ص 89-90. بتصرف.

الثاني: هو ما تسمح القوانين الوضعية بفعله، سواء أكان ذلك السماح صريحا أم كان نتيجة مبدأ عام يسوغ كل فعل غير محظور، أو ما تسمح العادات والأخلاق بفعله، سواء كان ذلك الفعل عملا صالحا أم عملا لا علاقة له بالأخلاق الفاضلة.

والحق قسمان: الحق الطبيعي، والحق الوضعي.

الحق الطبيعي: هو مجموع الحقوق الناجمة عن طبيعة الإنسان من حيث هو إنسان. أما الحق الوضعي: فهو مجموع الحقوق المنصوصة في القوانين المكتوبة والعادات الثابتة.

وعلم الحقوق: هو علم القانون، وحقوق الناس أو حقوق الأمم، وتسمى هذه الحقوق في عصرنا الحاضر بالحقوق الدولية وتقسم إلى قسمين:

الحقوق الدولية العامة: وهي التي تنظم علاقات الدول بعضها ببعض.

الحقوق الدولية الخاصة: وهي التي تنظم علاقات الأفراد ذوي الجنسيات المختلفة¹.

ويحتل الحق مكان الصدارة في تاريخ الفلسفة قديما وحديثا، فالحق هو الغاية التي تسعى الفلسفة لمعرفة كنهها، والفيلسوف يبدأ تفكيره الفلسفي بالاستفسار عن طبيعة الحق وصورته ومقاسه والمعايير التي يطمئن إليها؛ ويمكن استخدامها في التمييز بين الحق والباطل. وكان من نتائج اضطراب الفلسفة في فهم طبيعة الحق أن انتهى الأمر²، ببعضهم إلى الشك في الحق ذاته، أو في المعايير الموصلة إليه، وقد اشتد الخلاف بين من يمكن تسميتهم بالعقليين من جهة، وبين الوضعيين بمن فيهم النفعيون من جهة أخرى حول تصور الحق وفهم طبيعته، فاعتقد الفريق الأول [العقليون] أن هناك مطلقا يقوم مستقلا عن تجارب الإنسان،

¹ د: جميل صليبا، المعجم الفلسفي 1/481-484 بتصرف.

² كالفسطائية واللا أدرية.

ويكون حقا موضوعيا لا يحده زمان ولا مكان، فهو صفة من الصفات العينية التي تقوم في الموجودات مستقلة عن وجود عقل يدركها أو عدم وجود¹.

ولكن الطبيعيين على اختلاف مذاهبهم يرفضون هذا الرأي في فهم الحق وينكرون وجود حق يمكن أن يكون مطلقا لا يتقيد بزمان ولا مكان، فالحق مربوط بحياة الإنسان وخبراته التجريبية وهي جزئية نسبية وليست مطلقة، متغيرة وليست ثابتة، مرتبطة بالزمان والمكان، بحيث تتغير في الأمة الواحدة بتغير الزمان، وتختلف في العصر الواحد باختلاف الشعوب والجماعات، فيمكن لحق أن ينقلب باطلا والباطل حقا باختلاف الأحوال الشخصية والظروف المكانية.

ومن الفلاسفة من توسط الاتجاهين السالفين في فهم طبيعة الحق وغيره من القيم، فاعتبروا القيم جوهر الأشياء ووجدوا بين الحقيقة والقيم، وإلى هذا ذهب الفيلسوف هنريخ ريكرت (1939م) الذي رأى أن فكرة الحقيقة تتحل في الفلسفة إلى فكرة قيمة، وأن لفظ حقيقي يطلق على ما كان حقا أو صوابا كمعيار لكل تفكير².

ولا يعتبر الاتجاه الطبيعي في فهم القيم جديدة، فقد كان بعض السفسطائية القدماء يجعل الفرد معيار الحقيقة، فما رأيت أنه حق، فهو الحق من وجهة نظرك. وإن كان عند الآخر باطلا؛ لأنه يراه باطلا، ولهذا يسمون بالعنادية، هذا بالنسبة للحق في ذاته³.

مقياس التمييز بين الحق والباطل:

"اختلف الباحثون في تصورهم للمعيار الذي يمكن استخدامه للتمييز بين الحق والباطل، فبعضهم يأخذ بمقاس التطابق، ويراد به مطابقة الحكم أو الفكر للموضوع الخارجي، وقد قال

¹ توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص391 بتصرف.

² فلسفة الحاكم المطلق فلسفة الدكتاتور بواسطة ريونز، 1954م ضد الحق نقلا عن: توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص 392 بتصرف.

³ ينظر: عبد الرحمن الزنيدى، السلفية، ص971، عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية بتصرف.

بهذا أرسطو ومن تابعه من الفلاسفة. وهناك من يجعل المقياس هو الاتساق والتناسق، أو عدم التناقض، ويستخدم في الاستدلال على صحة قضيته بالاستنباط العقلي بغض النظر عن الحقيقة الواقعية¹.

وفي هذا الإطار وضع أرسطو منطقة المشهور الذي يعصم - كما يقول الأرسطيون - الذهن عن الوقوع في الخطأ في معالجته لقضايا الفكر الصورية العامة.

وفي أوروبا أخذ مفكرو النصرانية بهذا المنطق لأوغسطين الاسكندري في مجادلاتهم اللاهوتية وأصبح له سلطان مهيم، حتى تمرد عليه، نقدا له، واستحدثا لطرائق منهجية جديدة، قادت الفكر الحديث في أوروبا ابتداء من القرن السادس عشر الميلادي وما بعده، ومن أبرزهم فرنسيس بيكون، وديكارت 1950م²، ثم مقياس الترابط الذي يقول به أصحاب الاتجاه المثالي ويراد به أن يكون الحكم مرتبطا مع مجموع الأحكام المعروفة، ثم مقياس الوضوح عند أصحاب نظرية الواضح بذاته بحيث يستبين الإنسان حق الاستبانة أن هذه القضية ينتفي معها الشك مطلقا، فهل تحمل في ذاتها الشاهد على صدقها، ويبدو هذا في الأوليات الرياضية التي تبدو ضرورية واضحة بذاتها، كقولك إن الخط المستقيم هو أقصر مسافة بين نقطتين، وقد يكون الوضوح ناتجا لا عن وضوح كامل لنتيجة ما، وإنما عن وضوح مقدماتها التي نتجت عنها. وقد أيد هذه النظرية ديكارت وجون لوك، فكانت أول قاعدة في المنهج الذي جعل ديكارت لا يقبل شيئا على أنه حق ما لم يتبين في وضوح أنه كذلك، وأن يتجنب التسرع والسبق إلى الحكم قبل النظر. فالوضوح هنا هو المقياس الأقصى للحق. ثم مقياس النفع في الحياة العملية المنفعية، فالحكم يكون صادقا متى دلت التجربة على أنه مفيد عقليا وعلميا، فمقياس الحق هو المنفعة أو العمل المنتج وليس حكم العقل المجرد. أما الطبيعيون فإن معيار الحق لديهم،

¹ توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص 393، و: الزيندي، السلفية: ص 472.

² الزيندي، السلفية، ص 471-472 بتصرف.

هو خبرة الإنسان المادية وتجاربه وخبراته الحسية، فهم بذلك يحصرون الحقائق في عالم المادة وحده¹.

قيمة الخير:

الخير في اللغة: "الخاء والياء والراء أصله العطف والميل، ثم يحمل عليه. فالخير: خلاف الشر؛ لأن كل أحد يميل ويعطف على صاحبه. ورجل خير وامرأة خيرة: فاضلة"².

والخير: "ما يرغب فيه الكل، كالعقل مثلاً، والعدل، والفضل، والشيء النافع. قيل: الخير ضربان: خير مطلق، وهو أن يكون مرغوباً فيه بكل حال، وعند كل أحد، وخير وشر مقيدان، وهو أن يكون الشيء الواحد خيراً لشخص وشرّاً لآخر، كالمال الذي ربما يكون خيراً لزيد وشرّاً لعمره"³.

الخير اصطلاحاً: تعددت توجهات الفلاسفة الغربيين نحو طبيعة الخير وذلك بحسب تعدد مذاهبهم ومدارسهم التي ينتمون إليها:

فالفلاسفة العقليون يجعلون الوجود مبدأ الخير، أما فلاسفة القيم فيجعلون الخير مبدأ الوجود.

وقد عرفه بعضهم بأنه: "الذي تتوجه إليه كل الأفعال والذي له قيمة بذاته. وقيل هو: ما يكون به كمال الإنسان ورفعته"⁴.

¹ الزيندي، السلفية، ص 472-473 بتصرف.

² ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: 2/232.

³ الراغب الأصفهاني، المفردات: ص 300.

⁴ عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ص 176.

ومنهم من قال إنه: كل ما أفضى إلى نيل مأرب أو تحصيل رغبة؛ فهو الخير. بيد أن الناس بما فطروا عليه من الاختلاف في طبائعهم... اختلفت مآربهم، وتباينت رغباتهم ومشاربهم.¹

ومنهم من جعل للخير مفهوما عاما وآخر خاصا:

المفهوم العام للخير فالمقصود به الطابع الذي يستمد أي شيء من كونه موضوعا من مصلحة إيجابية، فكل ما يرغب فيه الإنسان أو يحبه أو يستمتع به أو يتمناه فهو خير إذن.

أما في مفهومه الخاص فإن صفة خير أخلاقيا؛ توهب إلى الموضوعات بواسطة الاهتمامات أو المصالح المنظمة تنظيما متناسقا².

وفي الدراسات الاجتماعية والفلسفية الخير هو: القيمة الكبرى التي تدرج تحتها القيم الخلقية الأخرى، لهذا فهم يرون أن الخير هو الأساس الذي تتبني عليه مفاهيم الأخلاق كلها؛ لأنه المقياس الذي نحكم به على قيمة أفعالنا في الماضي والحاضر والمستقبل³.

أما الخير المطلق فيرى معظم الفلاسفة أنه هو الوجود الذي ليس لذاته حد، ولا لكماله نهاية؛ لأنه خير لذاته وبذاته. وهو عند أفلاطون أعلى المثل، ويسمى بالخير الأعلى، وقد أطلق أرسطو هذا المعنى على غاية كل فعل، وأطلقه على الفعل الذي يلائم الإنسان بكليته، لا من جهة ما هو عاقل فحسب، بل هو من جهة ما هو عاقل وحساس وفعال⁴.

¹ محمد أمد جاد المولى الخلق الكامل 114/2 مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة بتصرف.

² رالف بارتنبيرج، آفاق القيمة، ص 132 بتصرف.

³ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص 143 بتصرف.

⁴ الزنبيدي، السلفية، ص 373-474 بتصرف.

الحق والخير:

اختلف الباحثون في نظرتهم للحق والخير هل هما قيمة واحدة؟ أو أنهما قيمتان متميزتان تختلف كل قيمة منهما عن الأخرى إلى فريقين:

الفريق الأول: وحدوا بين الحق والخير ونظروا إليهما على أنهما قيمة واحدة؛ لأن كليهما متعلق بالإنسان في كماله الإنساني، فسعي الإنسان في طلب الحق والأخذ به، إنما يدل على خيريته، كما أن التزامه بقيم الخير في سلوكه دليل طلبه الحق وتبنيه¹.

أما الفريق الثاني: فلم ترق له فكرة التوحيد بين الحق والخير، حيث نظروا إلى قيمة الحق من جانبها الفكري المنفصل عن الإنسان، وقالوا إن التسليم به يفضي إلى الاستغناء بأحد اللفظين عن الآخر، وعندئذ يجوز لنا أن نقول إن من الخير أن يقال إن الكل أكبر من جزئه، أو أن $2+2=4$ أو غير ذلك من الحقائق، وعلى هذا فلا بد من التمييز بين الخير والحق بوصفهما قيمتين منفصلتين².

قيمة الجمال:

الجمال من القيم المطلقة ومفهوم طبيعته مثار اختلاف بين الباحثين الغربيين المعاصرين وغيرهم وقد نتج عن هذا الاختلاف ظهور أربع نظريات، وهي:

النظرية الأولى: يرى أصحابها أن "حقيقة الجمال قائمة في ذات الشيء الجميل، فهي صفة من صفاته؛ فلجمال وجود موضوعي، ولهذا اتفق في تذوقه والاستمتاع به جميع الناس في كل زمان ومكان، فالشيء الجميل يقوم بالقياس إلى ما فيه من خصائص ومميزات تثير الإعجاب بجماله، فهي صفة موضوعية ملازمة للشيء الجميل وتقوم فيه، ولو لم يوجد عقل

¹ توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص 381-374 بتصرف.

² من أمثال الفيلسوف الحدسي ب رايس 1791م، والفيلسوف الألماني شوبنهاور 1890 م، والفيلسوف هيدجر بتصرف.

يقوم بإدراكها، ولا ذات تتذوقها. ويرجع القول بأن الأحكام الجمالية موضوعية وليست ذاتية إلى أفلاطون¹.

النظرية الثانية: يرى أصحابها² "أن حقيقة الجمال مستقرة في شعور الإنسان نحو ذلك الشيء"³، أي في القوة المدركة والمتذوقة للجمال، فالجمال هنا ليس صفة عينية تقوم في الشيء الجميل مستقلة عن كل إدراك، وإنما هو مرهون بالتأثير الذي يتذوق الجمال ومن ثم يكون الجمال عند أصحاب هذه النظرية نسبيا يتوقف على شخصية الفرد ومستوى حضارته ومبلغ حظه من الثقافة الفنية بوجه خاص، وليس عاما مطلقا لا يتقيد بزمان ولا مكان⁴.

النظرية الثالثة: حاول أصحابها أن يقيموا توازنا بين الذات المدركة والجانب الموضوعي للجمال، ولذا فقد اعتبروا الجمال الذي يشعر به الإنسان هو نتاج علاقة الشيء الجميل والعقل الذي يدركه، ولكل منهما دور في حصول هذا الشعور، فإضافة الجمال إلى شيء معناه وجود دوافع في نفوسنا قد أصبحت بالتأمل فيه في حالة توازن وانسجام عاطفي.

النظرية الرابعة: ينتمي أصحاب هذه النظرية إلى المدرسة الاجتماعية التي عمدت إلى إلغاء الفروق الفردية، وتجسيم الذوق الاجتماعي؛ فهي بذلك لا تعترف بفردية الفنان ولا تتردد في رد الشعور بالجمال إلى ذوق المجتمع. إلا أن إسقاط عامل الفرد في الجمال كفيل بإتلاف أثر الفن المتبادل، وإفساد الشعور بروعة الجمال.

¹ توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص 456-457.

² من أنصار هذه النظرية الفيلسوف الألماني مانويل كانت 1804 م، وكذلك الفيلسوف كاسيرر.

³ صالح أحمد الشامي، الظاهرة الجمالية في الإسلام، ص26.

⁴ جواد، العودة إلى الفلسفة، ص330، نقلا عن: توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص458 بتصرف.

المعيار الجمالي: اختلف الباحثون في تحديد معيار موضوعي مقنع نستطيع به تحديد الجميل والقبيح من الأشياء والأفعال؛ بل على الإنتاج الإنساني عامة بأنه عمل فني مبدع حقق قدرة عالية من الجمال¹.

فذهب بعض الفلاسفة إلى أنه يستحيل صوغ معيار للجمال؛ "ذلك أن الأذواق تختلف إلى ما لا نهاية وعللوا ذلك بأن الجمال أمر عرضي، والعلم هو علم للضروري لا للعرضي، فمن غير الممكن بناء على ذلك أن نطبق عليه معايير العلم وأن نقر مقاييس أو معايير يمكن اعتمادها في تقدير مستوى الجمال للأشياء والأفعال وتحديدها، ومن أبرز القائلين بهذا الفيلسوف هيغل² .

وذهب آخرون إلى إمكانية قياس الجمال بالرجوع إلى واحد من ثلاثة أمور:

أ. إما الاستناد إلى آراء علماء الجمال والفلاسفة.

ب. وإما بمقارنة الأعمال الفنية بعضها ببعض.

ج. وإما بالاعتماد على الطبيعة؛ لأنها تبدو في بعض الأحيان المعيار الأقرب للصواب الذي نقيس به الأعمال الفنية الجميلة. إلا أن هذه المعايير الثلاثة ليس لديها القدرة على إعطائنا الحكم الصحيح على الأشياء الجميلة، كما لا يمكن الاعتماد عليها: فأراء العلماء غالبا ما تنطلق من فلسفات ووجهات نظر مختلفة كل تبع مذهبه الذي ينتمي إليه؛ مما يجعل تلك الأحكام متباينة.

أما مقارنة الأعمال الفنية بعضها ببعض فإنه يدخل في الحكم عليها عوامل أخرى تؤثر في حكمنا عليها، كالأسبوعية الزمنية للأعمال، وهل صانعو تلك الأعمال من الرواد المشهورين أو من المغمورين؟ فيكون الحكم هنا لا على العمل الفني لذاته وإنما من خلال صانعه.

¹ توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص 459-460 بتصرف.

² هيغل، المدخل إلى علم الجمال، ص 17، ترجمة جورج طرابيشي، الطبعة الأولى، 1978م، دار الطليعة بيروت.

أما الاعتماد على الطبيعة كمعيار للجمال فقد أنكر كثير من الفلاسفة المعبرين - في هذا المجال - ذلك، فهم ينكرون محاكاتها ويردونها بالكامل، وبالتالي فلا يمكن اعتمادها¹.

وذهب آخرون إلى أن معيار الجمال وتذوقه إنما يرد إلى حكم عقلي يصدر عن شيء يصف الجمال، وأنه من الواجب إخضاع روائع الفن إلى قواعد وقوانين معينة. فالحكم الجمالي هنا عقلي محض لا يختلف عن سائر الأحكام الواقعية التي تصف الظواهر ولا تتجاوز الوصف إلى التقويم. وينسب هذا القول إلى مدرسة العقلين.

وفي المقابل تؤكد مدرسة أخرى - وهي المدرسة الرومانسية أو العاطفية - على العنصر العاطفي أو الوجداني في تذوق الجمال وتكرر إمكان وضع قواعد للجمال الفني. فهذه المدرسة بذلك تهبط بقيمة العنصر العقلي في الحكم الجمالي، هذا إذا اعترفت بوجوده أصلاً؛ لأنه في نظرها مجرد وجدان بالجمال أو حدس مباشر يصل إلى قلب الأشياء الجميلة فيتذوقها ويصدر حكمه عليها بالجمال أو القبح.

وحاول آخرون الجمع بين المدرستين السابقتين والمزج بين رأييهما فقالوا: إن الحكم الجمالي أو التمييز بين الجميل والقبيح ليس عقلياً خالصاً ولا وجدانياً محضاً، وإنما هو مزاج من عقل ووجدان. ويستدلون على ذلك بأنه عند استعراضنا لتاريخ الفن نلاحظ أن الذين أبدعوا روائع التاريخ كانوا يمتازون بالعقول الخصبة المدركة والمشاعر العميقة الحساسة المرفهة؟².

¹ عبد الرؤوف برجوي، فصول في علم الجمال، ص 31-32: صالح الشامي، الظاهرة الجمالية في الإسلام، ص 38 بتصرف.

² كنتجهام، ص 6-374. نقلاً عن توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص 463-464 بتصرف.

وذهب غيرهم إلى أن الحكم الجمالي وإن كان مزاجا بين العقل والوجدان معا فإنه بحاجة إلى عنصر آخر ليصبح المعيار أكثر دقة وقربا إلى الصواب في الحكم على الجمال، فأضافوا عنصر عبقرية¹ الفن².

وذهب آخرون إلى أن معيارية الجمال تتحقق بالتناسب والانسجام بين جزئيات الأثر الفني أو الشيء الواقعي.

وقال غيرهم: "إن المجانية هي السبيل إلى تحقيق الفن الجميل، فإذا أقبل الفنان

على فنه بتلقائية وحرية، أنتج فنا جميلا مليئا بمعاني الإحساس باللذة. أما إذا ابتغى من ذلك منفعة، أو سخر فنه لهدف معين؛ فإنه يصبح بذلك صناعة مأجورة لا يكون له قيمة إلا من حيث تحقيقه لهذه المنفعة، ومن أبرز القائلين بهذه النظرية: كانت، وسدني، وكلفن، وغيرهم"³.

ويرى آخرون أن المعيار في الحكم على الجمال سيظل معيارا فرديا، وذلك أن هناك عوامل كثيرة تدخل في عملية الحكم، ترجع إلى شخصية المتأمل، سواء أكان هذا المتأمل فنانا أم عالما أم ناقدًا أم مشاهدا عاديا. فالذوق، والثقافة الفنية، والقيم التي يهتم بها، وأهمية الموضوع بالنسبة إليه، وحالته النفسية في تلك المرحلة. "إنها عوامل كثيرة، ومن غير المعقول أن يحصل اتفاق عليها بين اثنين، إذا الاختلاف في واحد منها، يعني تغير نتيجة المعادلة"⁴، ولذا فإنه ينبغي النظر في المستحسنين والمستقبحين من حيث الكثرة من جهة، ومن حيث

¹ "العبقرية" هي أعلى المستويات من القدرات العقلية المعرفية، أو بتعبير آخر هي أعلى درجات الذكاء بالإضافة لمكوناتها». مقدار يالجن، الطريق إلى العبقرية، ص 17.

² توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص 463-465 بتصرف.

³ محمد زكي عشاوي، فلسفة الجمال في الفكر المعاصر، ص 12، 1980م، دار النهضة العربية، بيروت. كذلك الزيندي، السلفية، ص 477-488.

⁴ صالح الشامي، الظاهرة الجمالية في الإسلام، المكتب الإسلامي، 1986م، ص 39.

المستوى الثقافي وطبيعة الظروف البيئية من جهة أخرى، فإذا زكت الأكثرية من الفئات المؤهلة فكرة وذوقا عاما اعتد برأيهم ولا عبرة بالشذوذ المخالف¹.

التوحيد بين الجمال والخير: لقد كان التساؤل حول صلة الجمال بالخير مدار بحث ونقاش منذ القدم؛ فقد وجد اليونانيون بين الجمال والخير إلى حد أنهم استخدموا لفظا واحدا للتعبير عن الجمال والنبيل الخلقي، كما اعتبر الرواقية² الجميل هو وحده الكامل في عرف الأخلاق، وتردد صدق هذا الرأي عند بعض المحدثين من أمثال الفيلسوف هربارت 1844م - مؤسس علم الجمال - حيث عالج علم الأخلاق باعتباره فرعاً من فروع علم الجمال، ومثل: فلاسفة مدرسة أفلاطوني كمبردج، كهنري جور، وشافيتسبري، الذين نادوا بمذهب الحاسة الخلقية، وذلك أن جوهر الأخلاق قائم في جمال التناسب والتناسق بين وجدانات الفرد ومطالب المجتمع، والخلو من الميول غير الطبيعية، أو الميول التي لا تهدف إلى غرض معين. فالفضيلة جمال، والنفس بطبيعتها تهفو إلى الجمال وتتفر من القبح، فيدفعه هذا الإحساس لاتباع السلوك الخير، حتى غلا هؤلاء الفلاسفة حين أنكروا على الدين «النصراني» دعوته إلى التزام الفضيلة أملاً في نعيم الجنة القيم أو خوفاً من النار وعذابها، واعتبروا ذلك مفسدة للأخلاق وأنه حسب الإنسان باعثاً على فعل الخير جمال الفضيلة في ذاته، بل رأوا الاستغناء عن افتراض وجود إله عند وضع القانون الخلقي³.

وفي مقابل هذا وجد في العصر الحديث من الفلاسفة والأدباء من رفض التوحيد بين الجمال والخير، فثارت خصومات بين وجهتي النظر السابقتين، فمن الباحثين من جعل الفن أداة لخدمة الأخلاق، ومنهم من اعتبر الفن للفن وفقاً على الجمال، ومن ثم أباح لأهله أن

¹ محمد زكي عشاوي، فلسفة الجمال في الفكر المعاصر، دار النهضة العربية 1986م، ص 10 بتصرف.

² الرواقية هي مذهب فلسفي هينستي أنشأه الفيلسوف اليوناني زينون السيشومي في أثينا بدايات القرن الثالث قبل الميلاد. تندرج الرواقية تحت فلسفة الأخلاقيات الشخصية التي تستمد من نظامها المنطقي وتأملاتها على الطبيعة.

³ توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص 383-384 بتصرف.

يتمردوا على المؤلف من نظم الأخلاق وأوضاع العرف ومقتضيات التقاليد، وأن لا يحفلوا بغير الجمال غاية قصوى لروائع فنههم من أمثال بودلير 1867م و فكتور هوجو 1880م.¹

وبين هاتين الوجهتين حاول بعض الباحثين التوسط بينهما²، على أنه ليس من الحكمة أن يخضع الفن لقيود العرف ومقتضيات التقاليد. كما أنه من العبث أن نطالب بتحرر الفن من مبادئ الأخلاق العليا، إن الخلق الفني والاستمتاع الجمالي يسير في ركب المبادئ الخلقية التي تهيمن على النظام الاجتماعي العام، إن الفن لا يزدهر إلا في مجتمع معافى سليم، والقانون الذي ينظم سلامة المجتمع ويكفل صحته هو قانون الأخلاق. لأن تنمية الإحساس بالجمال تعين على ترفع الإنسان عن اللفظ النابي والمسلك الجارح، وتبرئ صاحبها من دواعي الحقد وتجنبه مواطن الزلل المعيب³.

مقارنة بين النظرية الإسلامية والغربية للقيم:

1 - النظرة الإسلامية للقيم تنطلق من منطلق الشرع المطهر الذي يربط المسلم بخالقه تعالى، ويجعله خليفة في الأرض، ويسعى لعمارتها معنويا - بعبادة الله تعالى - وماديا حسب منهج الله في ذلك. بخلاف النظرة الغربية للقيم والتي تنظر إليها نظرة مادية بحتة.

2 - جرت عادة الباحثين المسلمين المهتمين بدراسة القيم رد القيم عموما إلى ثلاثة أنواع كلية، وهي القيم العليا، والقيم الحضارية، والقيم الخلقية، ويدل هذا على وضوح النظرة الإسلامية للقيم وشموليتها وتكاملها من حيث طبيعتها ومعيارها ومصدريتها، بخلاف النظرة الغربية التي حصرت القيم في ثلاث وهي الحق والخير والجمال.

¹ المرجع السابق، ص 385-386 بتصرف.

² الزيندي، السلفية، ص 490 بتصرف.

³ توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص 388-389 بتصرف.

3 - غموض كثير من المذاهب الغربية التي تناولت القيم بالدراسة والتحليل وبعدها عن تجارب الحياة، كالقائلين بأن الخيرية تقوم في طبيعة الأفعال، بحيث تترك فكرة الخيرية بعيدة عن الأذهان جافة مجردة في التصور.

4 - الاضطراب والتخبط في فهم طبيعة القيم في مرجعية الفكر الغربي المعاصر وصلتها بالإنسان وتعامله معها، وتحديد مصدريتها والمعيار الذي تقاس به من خلالها: فعند الحديث عن مصدرية القيم على سبيل المثال: نرى أن بعضهم ردها إلى العقل البشري، وبعضهم إلى التجربة، وغيرهم إلى الله؛ وإن كان هذا الرأي قد انحسر كثيرا لدى الغربيين؛ فهم لا يستقيمون على تصور سليم وواضح لهذه المصدرية. وكذلك عند حديثهم عن الحق على سبيل المثال: اختلفوا هل هو نسبي أو مطلق، إنساني أو علوي يتجاوز الإنسان؟ إلى غير ذلك من الآراء التي يجمعها عدم التيقن والحيرة الشديدة في فهم هذه القيمة التي يعدونها قيمة كبرى، وحتى عند حديثهم عن معيار الحق والخير والجمال نرى اضطرابا شديدا في نظرتهم إلى ذلك المعيار.

5 - تصور إمكانية التناقض بين الحق والخير بوصفهما قيمة كبرى، وذلك نتيجة الانقسام الذي حدث بين الفكر التتويري في عصر النهضة والدين النصراني الكنسي. كما نتج عنه كذلك الفصل بين القيم والدين لتكون قيمة إنسانية يتم بعد ذلك تحطيمها على يد بعض الفلسفات كالوجودية والوضعية.

6 - غاية السلوك الخلقي القيمي في الفكر الإسلامي هو سعادة الإنسان في الدنيا والفوز والنجاة في الآخرة، فهما مرتبطان ارتباطا وثيقا بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر. أما مرجعية الفكر الغربي فنظرته مادية أرضية بحتة، تهدف إلى تحقيق الرغبات ونيل الملذات، بمعنى أن غاية السلوك الخلقي في هذا الفكر هو تحقيق أهداف قريبة، غالبا ما تكون موهومة كالمعرفة والسعادة المادية والمنفعة.

7 - النظرة الجزئية لمصدر الالتزام الخلقي عند الغربيين، مع اختلافهم الشديد في ذلك تقتصر على معيار أنه مصدر إلزام خلقي، منكر لما سواها من المعايير أو مصادر الإلزام الأخرى؛

فضلا عن استبعاد الوحي الإلهي معيارا للقيم وإنكار أن يكون الإيمان بالله واليوم الآخر مصدر إلزام.

8 - إنكار بعض النظريات الغربية: أن يكون ثمة جمال يستحق تجاوب النفس البشرية معه وتأكيد أن الجمال الحقيقي يكمن فيما يبدعه الإنسان من فنون وآداب، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على نظرة جزئية قاصرة للوجود.

ولا ريب أن هناك رؤى وسطية أعمق من النظرات الجزئية المتطرفة، ولكنها تقتصر إلى الرسوخ والعمق وتستوي في اهتزازها العلمي مع تلك النظرات، خاصة وأن تلك القيم لا تتمثل في حدوس مادية كالطبيعيات، فضلا عن أن السيادة غالبا ما تكون للرؤى المتطرفة في مثل هذه الميادين¹.

¹ توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص 490-492 بتصرف.

الفصل الثاني: أسس القيم وخصائصها.

المبحث الأول: أسس القيم في المرجعية الإسلامية وفي مرجعية الفكر الغربي:

المطلب الأول: أسس القيم في المرجعية الإسلامية:

اختلفت آراء الباحثين فيما هو أساس القيم: اختلف الباحثون وتعددت وجهات نظرهم حول ماهي أسس القيم في الإسلام:

ذهب د. مقداد يالجن¹ في كتابه " الاتجاه الأخلاقي في الإسلام"²

إلى أن الأسس هي:

- الأساس الاعتقادي.
- الأساس الواقعي والعلمي.
- مراعاة الطبيعة البشرية.
- الاعتداد بالحرية.
- تقدير مبدأ الإلزام والالتزام.
- تأكيد المسؤولية الأخلاقية.
- إثبات الجزاء.

¹ البروفيسور مقداد يالجن (بالتركية: Mikdad Yalçin) . (ولد سنة 1937) هو مفكر تربوي إسلامي وأستاذ جامعي تركي. تقاسم جائزة الملك فيصل العالمية في الدراسات الإسلامية سنة 1988 مع المصري محمد قطب. توفي يوم 15 نوفمبر 2020.

² توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص 117 / 269 بتصرف.^{'''}

أما في كتابه: "التربية الأخلاقية الإسلامية"¹ فقد دمج أساس الطبيعة الإنسانية والحرية والشعور تحت أساس واحد، وهو الأساس الإنساني مع عدم ذكره مبدأ "الإلزام والالتزام"، وبهذا أصبحت الأسس عنده ما يلي:

- الأساس الاعتقادي.
- الأساس العلمي.
- الأساس الإنساني.
- أساس الطبيعة الإنسانية.
- أساس حرية الإرادة في الإنسان.
- أساس الشعور بالمسؤولية.
- الأساس الجزائي.

أما د. محمد عقله² في كتابه "النظام الأخلاقي في الإسلام"، فقد سار على التقسيم نفسه الذي انتهجه د. مقدار يالجن في كتابه "الاتجاه الأخلاقي في الإسلام"، عدا أنه لم يذكر أساس مراعاة الطبيعة البشرية.

أما الدكتور أحمد عليان في كتابه "الأخلاق في الشريعة الإسلامية" فقد قصر الأسس على:

- أ-الالتزام. ب-المسؤولية. ج-الجزاء.

¹ توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص 189 / 378 بتصرف.

² الدكتور محمد عقله الإبراهيم، ولد في ١٩٤٦م، من بلدة كتم في محافظة أربد، درس الثانوية في إربد، والجامعة في كلية الشريعة في الأردن ١٩٦٩م، أما درجتي الماجستير ١٩٧٤م والدكتوراه ١٩٧٨م في "الفقه المقارن" ففي جامعة الأزهر في القاهرة.

وسأعتمد - في بحثي - تقسيم د. مقداد يالجن في كتابه "التربية الأخلاقية في الإسلام".

أ - الأساس الاعتقادي:

يعتبر هذا الأساس هو الأصل الذي تبنى عليه القيم في الإسلام؛ لأن العقيدة الصحيحة هي أهم ما يطلب من الإنسان؛ لأن العمل إنما يتبع الاعتقاد، وعلى قدر ما تصح عقيدة المسلم وتقوم؛ تستقيم أعماله وتزكو أخلاقه وتسمو همته¹، ورأس الأمر في ذلك كله هو توحيد الله عز وجل، فلا ينفع الإنسان أعماله الظاهرة، ومراقبته لأعماله الباطنة من خوف ورجاء وتوكل ونحوها إذا فسد معتقده وتلبس بآفة من آفات البدع، يقول العلامة ابن خلدون - رحمه الله - في ذلك: "إن الإنسان لا ينفعه إصلاح أعماله الظاهرة ولا الباطنة مع فساد المعتقد الذي هو رأس الأمر"². ولذا فإن هذا الأساس في غاية الأهمية في الاتجاه القيمي في الإسلام؛ لأنه يعتبر الدعامة الأساس التي يعتمد عليها في إقامة النظام الأخلاقي، وفي الالتزام به. وبدون هذا الأساس تفقد الأخلاق مكانتها وعظم تأثيرها في الإنسان، ولا يمكن تطبيقها تطبيقاً علمياً دقيقاً في السر والعلن إلا إذا اتخذ هذا الأساس في قلوب البشر مكاناً وآمنوا به إيماناً صادقاً، فهو يلعب أكبر دور في الحياة الإنسانية من حيث إنه أكبر دافع يدفع الإنسان إلى الأعمال الخيرية الإيجابية، ويردع عن اتباع الهوى والشهوات، ويقوم هذا الأساس على ثلاثة أركان:

الركن الأول: الإيمان بوجود الله الذي خلق كل ما في الكون، وهو بكل شيء عليم، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾³، وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ

¹ محمد رشاد سالم، المدخل إلى الثقافة الإسلامية، ص 184، الطبعة السادسة، 1402 هـ / 1982م، دار القلم، الكويت بتصرف.

² شفاء السائل لتهذيب المسائل، ص 10 تحقيق: محمد تاوين الطنجي، ط، مطبعة عثمان بالجن، 1957م استنبول، تركيا، نشر كلية الإلهيات، جامعة أنقرة، تركيا.

³ الزمر: آية 59.

مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
﴿١﴾.

وقال تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ
إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^٢.

الركن الثاني: أنه منذ خلق الله الإنسان عرفه نفسه، وعرفه طريق الخير والشر، والحق
والباطل برسالات أوحى الله بها إلى من اختاره من الناس بما شاء سبحانه وتعالى؛ قال
تعالى ﴿سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ بَسْمَوِيَّ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾

فمن أصلح نفسه واتبع الهدى فقد فاز ونجا، وإلا خاب وخسر وندم، قال تعالى: ﴿قَدْ
أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^٤ ثم إن الله تعالى خلق للإنسان قدرة لإدراك
تلك الحقائق، ونصب دلائل واضحة بينة في الطبيعة حتى يدركها من يتأمل فيها فيبحث عنها،
قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَقْبَابِ ﴿١﴾ وَأَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ
﴿٢﴾ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٣﴾

وبناء على ذلك فقد كلف الله تعالى الإنسان باتباع الحق والخير واجتناب الباطل والشر،
كما بين ما يجب على الإنسان نحو خالقه ونحو المخلوقات الأخرى.

١ التغابن: آية ٤.

٢ ق، آية ١٦.

٣ الأعلى: الآيات ١ - ٣.

٤ الشمس: الآيات ٧ / ١٠.

٥ فصلت: آية ٥٢.

الركن الثالث: وجود حياة أخرى بعد الموت، وهذه الحياة إما نعيم لمن صلح واتبع هدى الله وإما جحيم يجازى بها من اتبع الباطل وفعل الشر، وهذه وتلك تكون بعد حساب دقيق يحاسب فيه كل إنسان بما عمل، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾¹. إذن فهذه الحياة الدنيا ميدان عمل واختبار، وتلك الحياة مكافأة وجزاء لعمل الإنسان في هذه الحياة الدنيا من خير وشر، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾².

مميزات هذا الأساس:

أبرز ما يميز هذا الأساس أمور، هي:

1 - إن القيم المبنية على المعتقد الصحيح ذات قدسية، وهذا يؤدي إلى أمرين:

أ- تعظيم هذه القيم وإجلالها، ومن ثم تكون لها سلطة تتحكم في حياة الإنسان وتصرفاته في السر والعلن.

ب - تأثير هذه القيم في الإنسان عملياً من الناحية الإيجابية أو السلبية نتيجة تطبيقها أو عدم تطبيقها؛ لأن الإحساس بقدسية تلك القيم يجعل الإنسان من نفسه رقيباً على تصرفاته، فيشعر على إثر ذلك بالسرور وانسراح الصدر ويكون أثر عدم تطبيقها الإحساس بالوخز والضيق والكآبة.

2 - إن القيم في الإسلام من حيث الأصول عامة وثابتة؛ وهي تتجاوز القوانين الوضعية من ناحية التأثير والتطبيق.

¹ يس: آية 11.

² الملك: آية 2.

3 - إن امتثال هذه القيم يحقق للإنسان السعادة في حياته، لأنها تجمع بين المنافع المادية والمعنوية.

4 - أنها تضع حياة الإنسان بصبغتها وتكيفها بروحها وغايتها¹. فعقيدة التوحيد هي وحدها القادرة على حسم الأدواء وحل المشكلات، والقضاء على الأزمات، فهي تشيع روح الخير والطمأنينة والسلام بين أفراد المجتمع.

وما لم تبين هذه الحياة على هذا الأساس الذي يوازن بين الحق والباطل والفضائل والردائل؛ فلن ينحسم الصراع بين قوى الخير والشر، ولن تجد سفينة الحياة سبيلها إلى شاطئ السلام، وبر الطمأنينة، وأفق الرحمة والعدل، والتسامح والمساواة².

ب - الأساس الواقعي والعلمي:

ترتبط القيم الإسلامية ارتباطاً وثيقاً بالقوانين الطبيعية الواقعية؛ لأنها هي التي تحدد علاقة الإنسان بالحياة الواقعية وتنظمها؛ بحيث لا تتعارض مع السنن الكونية الطبيعية، فالإسلام قد حدد للإنسان الأطر القيمية المبنية على تصوره للكون والحقائق الموجودة فيه، وكذلك على أساس حقيقة تكوين وصلة الحقائق الداخلة في طبيعة الإنسان بالحقائق الكونية، فالإسلام يتجه نحو الطبيعة في إقامة نظامه القيمي اتجاهاً معتدلاً، ويتجلى هذا الاعتدال في موقفين اثنين، هما:

الأول: أنه دعي إلى الاستعلاء على الطبيعة وعدم الاستسلام لها، فالإنسان سيد على نفسه وعلى الكون في آن واحد، ولن يتمكن من تحقيق هذه السيادة إلا باستغلال ما سخر الله له في هذا الكون بصورة تؤدي إلى عمران الأرض والسمو بالحياة التي أراد الله من الإنسان

¹ انظر: مقدار بالجن، الاتجاه الأخلاقي في الإسلامي، ص 119 / 123 بتصرف.

² الأستاذ/ عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة 1979م، ص 311 بتصرف.

أن يرقى إليها، يقول ابن خلدون -رحمه الله -: "إن الإنسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذي خلق له"¹.

ويقول في موضع آخر: "ويد الإنسان مبسوط على العالم وما فيه بما جعل الله له من الاستخلاف"²، فمن نعم الله على الإنسان وزيادة في تكريمه، سخر له ما في الكون، وجعله تحت تصرفه، وملكه أمره، ومكنه من استعماله واستغلاله والإفادة منه، ووهبه الملكات والقدرات على إخضاعه؛ ليستطيع تحقيق مطامحه والوصول إلى آماله وأهدافه³، ولا يستطيع الإنسان أن يكون سيذا على نفسه إلا بضبط ميوله ورغباته وحاجاته الأولوية وتوجيهها وفقا للمثل والقيم الإسلامية العليا، التي تدعو إلى عدم اتباع الهوى والشهوات، كما تدعو إلى التقرب إلى الله تعالى بالقول والعمل.

الثاني: أن الإسلام دعا إلى مراعاة قوانين الطبيعة والواقع والتكيف معها وعدم الاصطدام بها؛ لأن الحياة مع مخالفة الطبيعة بهذه الصورة لا يمكن أن تستمر، وتتم هذه المراعاة عن طريق اتخاذ قواعد مبادئ السلوك وفقا للقوانين الأساسية للحياة البشرية⁴.

"قاله تعالى خلق هذا العالم على نظام وتقدير وترتيب، وهو يحتاج إلى أن يعمل الإنسان عقله في الوقوف على نواميس هذا الكون وقواعده؛ وذلك لأنها مفاتيح مغاليقه ووسائل الاستفادة منه"⁵.

فالعقل هو أداة المعرفة العلمية التي ينبغي أن تؤدي إلى الاختيار السليم، وتعطي الإنسان القدرة على معرفة الخير من الشر، وفي ظل هذه المعرفة يبرز الارتباط الوثيق بين القيم والعلوم المختلفة؛ مما يجعلها أساسا صالحا للبناء الإنساني، ومن ذلك:

¹ المقدمة 512/2.

² المرجع السابق 906/2.

³ محمد الزحيلي، التكريم الإلهي للإنسان، ص 45 بتصرف.

⁴ مقدار بالجن، الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، ص 124 - 125 بتصرف.

⁵ عبد الكريم عثمان، معالم الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، ص 155.

أولاً: ارتباط القيم بالحياة الكريمة؛ ويتجلى ذلك في قانون المحافظة على الحياة، حيث يعد الإسلام كل سلوك من شأنه أن يحافظ على الحياة وينميها، -حياة المرء لنفسه أو لغيره - سلوكاً أخلاقياً، وما عداه لا يعده سلوكاً أخلاقياً.

ومن هنا حرم الإسلام القتل والانتحار والتهديد وإخافة الناس واستغلالهم للمصالح الشخصية، وحرم التحاسد والتباغض والتدابير؛ لأنها أمور لا أخلاقية تعوق الحياة وتهدمها؛ ومن ثم أوجب الإسلام احترام حقوق الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم. كما حث على الأعمال الخيرة التي تنشط الحياة وتنميها، مثل السعي لخير الناس وبث المحبة والمودة والسرور في نفوسهم. كما يتجلى هذا الارتباط في قانون استمرار النوع الإنساني وتكاثره؛ فكل سلوك يصدر عن الإنسان ومن شأنه الإبقاء على النوع الإنساني وتحسينه يعتبر سلوكاً أخلاقياً واقياً، ومن هنا شرع الإسلام الزواج وكره الرهبة، قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانٍ لِلَّهِ﴾¹، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التبتل²، كما استحسّن اختيار الزوجة من السلالة الطيبة عقلاً وجسماً وسلوكاً؛ وذلك لتحسين النسل، ودعا الآباء إلى اختيار الأزواج الصالحين لبناتهم، وحرم الإجهاض وتحديد النسل بغير مسوغ شرعي. كما يظهر هذا الارتباط من خلال قانون الارتقاء العقلي الروحي، ويعد هذا القانون من القوانين المهمة في حياة الإنسان الواقعية، وبه تتميز حياته عن حياة الحيوان، ويدخل في هذا القانون جميع الحواس المعنوية في الإنسان، مثل: الحاسة العقلية والأدبية والجمالية؛ ويمكن تقسيم هذه الحواس بحسب النوع الإدراكي إلى قسمين:

الأول: يعتمد على الذكاء، **والثاني:** يعتمد على الشعور والإحساس العاطفي والتي تدفع الإنسان إلى السلوك وفقاً لإدراكاتها، كما تضيف على حياة الإنسان معنى جميلاً وسعيداً؛ لأن

¹ الحديد: آية 26.

² أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل، والخصاء، انظر: فتح الباري 145/9، ح: 5073، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز.

حاجة الروح مستمدة وليست محدودة، فهي تجعل الإنسان يعيش في عالم أوسع من عالم المحسوس.

ولذا فقد حرم الإسلام تعاطي الخمر وغيره من المسكرات حفاظاً على الطاقة العقلية في الإنسان من أن تبدد وتضيع هدرًا.

وبناء على ما سبق، فإن حياة الإنسان لا تكون واقعية. إلا إذا كانت منظمة على أساس تلك القوانين السابقة جميعًا.

ولذا فإن الإسلام لا يكلف الإنسان فوق ما تطيقه طبيعته، ولم يدفعه إلى التصادم مع قوانين الحياة حتى لا يهلك نفسه، كما راعى واقع الإنسان في تنظيمه لحياته بين مختلف القوانين التي تقوم عليها حياته والمتصلة بها¹.

ثانياً: ارتباط القيم بطبيعة النفس الإنسانية: ومعنى ذلك دعوة الإسلام إلى مراعاة الفروق الفردية بين أفراد المجتمع من الناحية النفسية والعقلية، كما دعا إلى مخاطبة الناس على قدر عقولهم، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "وما أنت بمحدث قوما حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة"². كما دعا إلى الرحمة وعدم استخدام القسوة والشدّة المفرطة، ودعوته كذلك إلى الرحمة بالحالات التي تستدعيها من طفولة وشيخوخة ويّتم ومرض، يقول صلى الله عليه وسلم: "من لا يرحم لا يرحم"³، كما دعا عليه الصلاة والسلام إلى الرفق في الأمور كلها؛ ولذا كان مربياً رفيقاً، رحيماً بأمتة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ

¹ مقدار يالجن، الاتجاه الأخلاقي، دار عالم الكتب الرياض، الطبعة الأولى 1992م، ص124، 127، 140، وينظر: محمد عقله، النظام الأخلاقي في الإسلام، ص104. 105، الطبعة الأولى، 1497هـ/1986م، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان الأردن.

² مسلم؛ صحيح مسلم شرح النووي، مقدمة الشارح، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع 97/1.

³ رواه البخاري فتح الباري 10/ 573 ح: 6013.

أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ¹، ويقول عليه الصلاة والسلام: "إن الله يحب الرفق في الأمر كله"²⁻³

ثالثا: ارتباط القيم بالطب: ومن ذلك دعوة الإسلام إلى الوقاية على أنها خير من علاج الأمراض، فركز على الوقاية من الأمراض النفسية والروحية أكثر من الأمراض الجسمية؛ لأن ضرر هذه الأمراض أشد من الأمراض الجسمية؛ فهي قد تكون وسيلة قتل سريعة مثل الانتحار والذبحة الصدرية؛ كما أن المريض النفسي قد يعيش حياة مظلمة قاتمة لا يشعر فيها بشيء من البهجة والسرور، بل ولا يشعر حتى بشيء من لذة الطعام، ومن ثم يترجح الموت في هذه الحالة على الحياة؛ لأنها غدت حملا ثقيلا لا يطاق، ولهذا نجد الإسلام قد وضع أسبابا كفيلة بوقاية الإنسان من جميع الأوبئة والأمراض وهي تتلخص فيما يلي:

أولا: الأسباب النفسية: جاء الإسلام بقيم روحية أخلاقية كفيلة بحماية الإنسان من أن يصاب بها؛ وذلك إذا عمل بها المرء عن إيمان كامل، كالصلاة والصيام مثلا.

ثانيا: الأسباب الخاصة بالنظافة: فقد دعا الإسلام إلى النظافة كأسلوب وقائي ضد المرض، حتى جعلها شطر الإيمان، يقول صلى الله عليه وسلم: "الطهور شطر الإيمان"⁴.

ثالثا: الأسباب الوقائية من العدوى: فيما يتعلق بالعدوى؛ نهى الإسلام عن اتصال المرضى المصابين بالأمراض المعدية بغيرهم من الأصحاء، ونصح الأصحاء بالابتعاد عن ابتلاه الله بشيء من تلك الأمراض⁵، كما نصح بالابتعاد عن الأماكن الموبوءة.

¹ التوبة، آية: 128.

² رواه البخاري فتح الباري 551/1، ح: 6024.

³ مقدار يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، ص 241 242، وانظر: محمد عقله، النظام الأخلاقي في الإسلام، ص 105.

⁴ رواه مسلم في صحيحه، انظر: صحيح مسلم شرح النووي 2/ 3/ 19/ 100.

⁵ كما أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: وفر من المجذوم كما تفر من الأسد ينظر: فتح الباري، كتاب الطب، باب الجذام 190/ 10، ح: 5707.

رابعاً: الأمر بالاعتدال في الأمور كلها: حيث أمر بالتوسط ونهى عن الإسراف في الطعام والشراب قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾¹، كما نهى الإسلام عن الإفراط في العمل بصورة تفضي بصاحبها إلى الإرهاق والإجهاد مما قد ينتج عنه بعض الأمراض الجسمية والعقلية والعصبية، وكذلك فإن قلة العمل مضرة بالجسم؛ لأن الجسم بحاجة إلى العمل وبذل الجهد، فلا إفراط ولا تفريط²، قال: صلى الله عليه وسلم: "ولنفسك عليك حقاً"³.

ج - الأساس الإنساني:

يمكن تقسيم هذا الأساس إلى ثلاثة فروع أساسية، وهي كما يلي:

الطبيعة الإنسانية: إن دراسة الطبيعة الإنسانية تمكنا من تكوين صورة واضحة لحقائق هذه الطبيعة، ومن الأهمية بمكان معرفة ما في داخل الإنسان من ميول ورغبات وغرائز مختلفة؛ وذلك لأنه لا يمكن التحكم في الشيء وتسخيره إلا بعد العلم بما فيه من الحقائق والقوانين التي تخضع لها، ومدى تأثير القيم فيها، والقدرة على توجيهها، فعندما يكون التوجيه من داخل الإنسان يكون أكثر تأثيراً وأجدي نفعاً؛ ولهذا نجد الإسلام يعطي تصوراً واضحاً لحقيقة طبيعة تكوين الإنسان، كما يلقي الضوء على أغوار هذه الطبيعة و أسرارها، ثم كان توجيهه وفقاً لذلك التصور الكامل ولتلك المعرفة الكاملة في الجوانب الداخلية لهذه الطبيعة.

فالإنسان مخلوق متميز على سائر الكائنات الحية، مكون من طبيعة مزدوجة؛ مكونة من حقيقتين إحداهما: روحية سماوية، والأخرى: مادية أرضية. قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾⁴، وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ

¹ الأعراف، آية: 31.

² ينظر: مقدار يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، ص 244 / 245.

³ رواه البخاري فتح الباري 10 / 64، ح: 6139.

⁴ السجدة: آية 6.

مِّن مَّاءٍ مَّهِيسٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ سَوَّيْنَاهُ وَنَبَخَّ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَنَّا لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ فَلْيَلَّاحَ مَا تَشْكُرُونَ ﴿٨﴾¹، وقال مخاطبا الملائكة عند خلق آدم: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ
وَنَبَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾². يبين ابن خلدون - رحمه الله - أن
العلاقة بين الروح والجسد علاقة ترابطية تكاملية لا يستغني أحدهما عن الآخر؛ فالنفس تكسب
البدن الحس والحركة ولولاها لكان كالجما، وكذلك فإن البدن ضروري للنفس، فبدون البدن لا
تستكمل النفس ذاتها ولا يتحقق وجودها فعليا، يقول: "أعلم أن الله سبحانه خلق هذا الإنسان
مركبا من جثمان ظاهر، وهيكل محسوس وهو الجسد، ومن لطيفة ربانية أودعها إياه وأركبها
مطية بدنه، وهذه اللطيفة مع البدن بمنزلة الفارس والسلطان مع الرعية، تصرف البدن في
طوعها وتحركه في إرادتها لا يملك عليها شيئا ولا يقدر على معاصاتها طرفة عين، لما ملكها
الله من أمره وبث من قواها فيه، وهي يعبر عنها الشرع تارة بالروح، وتارة بالقلب، وتارة بالعقل،
وتارة بالنفس، وإذا كانت هذه الألفاظ مشتركة بينها وبين مدلولات أخرى"³.

ويقول ابن خلدون - رحمه الله - كذلك مبينا أن المدرك هو الجزء الروحاني من الإنسان:
"ولكل واحد من الجزأين مدارك مختصة به، والمدرك فيهما واحد، وهو الجزء الروحاني يدرك
تارة مدارك روحانية، وتارة مدارك جسمانية، إلا أن المدارك الروحانية يدركها بذاته بغير واسطة،
والمدارك الجسمانية بواسطة الآلات الجسم من الدماغ والحواس"⁴، وقد نتج عن طبيعة هذا
التركيب غرائز وصفات يرجع بعضها إلى الطبيعة الروحية ويرجع بعضها الآخر إلى الطبيعة
المادية، ويرجع بعضها الثالث إلى خاصية هذا التركيب.

وبهذا التركيب العجيب في الطبيعة الإنسانية يتحقق التنسيق بين القوى المادية والروحية
في طبيعة الإنسان، وبين النظام الروحي والمادي في حياته الأخلاقية. ومما يمتاز به المنهج

¹ السجدة: آية 7-8.

² الحجر: آية 29.

³ شفاء السائل لتهديب المسائل، ص 18 - 19.

⁴ ابن خلدون، المقدمة 1214/3.

الإسلامي في تحليل الطبيعة الإنسانية؛ أنه ينظر إليها نظرة شاملة وكلية، بحيث لا يقتصر في نظريته وتحليله ودراسته على جانب واحد دون الآخر.

أما الصفات التي ترجع إلى الطبيعة المادية فمنها على سبيل المثال الإخلاق إلى الأرض والالتصاق بالأمور المادية الحسية، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثَ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَافْضَحْ لَهُمْ فَافْضَحْ لَهُمْ يَتَبَكَّرُونَ﴾¹، وقال تعالى: ﴿وَلَيْكَ كَالِإِنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۖ وَلَيْكَ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾²؛ وذلك لأنهم هائمون على متاع الأرض ولذاتها، فنسوا بذلك الحياة الآخرة، ولا يعرفون ولا يتأملون ولا ينظرون إلى غير الأرض، ومنها الشره والتعجل لإشباع الدوافع الغريزية قال تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَاءَ مَا يُرِيكُمْ ۚ ءَايَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾³. ويدخل في هذا القسم كل الصفات الحيوانية والدوافع المادية الأولية مثل: التناكح، التناسل، والغذاء، وحماية النفس، وما إلى ذلك من الصفات.

أما الصفات الناتجة عن التكوين الروحي، فمنها على سبيل المثال: النظر والتأمل والبحث عن المعرفة والاستعلاء على الطبيعة الحيوانية، والعبودية لله وحده، والحكمة والتعامل بالإحسان وغير ذلك، يقول تعالى واصفا الذين يتحلون بهذه الصفات بأنهم العقلاء: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ءَايَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾⁴.

¹ الأعراف: آية 176.

² الأعراف: آية 179.

³ الأنبياء: آية 37.

⁴ آل عمران: الآيتان: 190 – 191.

أما الصفات الناتجة عن امتزاج العنصرين المادي والروحي معا، فيمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

أ - **صفات شيطانية:** وتنشأ هذه الصفات عن إحياءات شيطانية إلى الإنسان، وتسلب الدوافع الغريزية البهيمية على قواه، مثل القوى العقلية واتخاذها وسيلة لتحقيق أغراضها الذاتية الخاصة؛ وذلك بأساليب خبيثة مأكرة ومخادعة وبأنواع الحيل الشيطانية المختلفة. فإذا أراد مثلا أن يوقع بأحد خصومه، فإنه لا يتورع عن استخدام أخبث الطرق والحيل الشيطانية في سبيل تحقيق هدفه المنشود دون خوف من الله، ولهذا سمى الله تعالى أمثال هؤلاء الناس بشياطين الإنس، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَجِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِي يُوْحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْفَوَلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾¹، وذلك لأنهم يقومون بما يقوم به الشيطان من الإفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾².

ولهذا نهى الله تعالى عن اتباع خطوات الشيطان، وأمر بالبعد عن كل ما يثير الدوافع الشهوانية الشيطانية ويقويها، فتملك على الإنسان عقله وإرادته، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾³ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْبَحْثَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

¹ الأنعام: آية 113.

² البقرة: الآية 205.

³ البقرة: الآيتان، 168 169.

ب - صفات ملائكية: تنشأ عن غلبة الدوافع الروحية السامية وذلك في سبيل تحقيق مطالب النفس العليا السامية من الاستعلاء على ماديّات الحياة ووقائعها الحسية، مثل: الحكمة ومعرفة الله تعالى والخضوع له، وحب الخير، والاستعداد للآخرة؛ ففي هذه الحالة لا يهتم الإنسان المال ولا الجاه ولا الراحة، وإنما يهتمه التقرب إلى الله بفعل الخيرات، وهو ممن عناهم الله في كتابه الكريم بقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾¹.

فهؤلاء العباد نبذوا الأخلاق الشيطانية وعاشوا حياة روحية سامية في هذه الأرض، كما أنهم سخروا كل إمكانياتهم في سبيل جلب الخيرات للناس ودفع المضار عنهم، ولا يبالون في سبيل تحقيق أهدافهم السامية ما يعانونه من النصب والتعب، ومن هنا تنشأ جميع فضائل الأخلاق والأفعال الإنسانية.

ج - الصفات الإنسانية التي تميز الإنسان عن غيره: تعتبر من خصائص الطبيعة الإنسانية، ومنها التضرع إلى الله عند الملمات والبطر والطغيان عند الرخاء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِيًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ، كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾²، ومنها الطمع المستمر في الحصول على المزيد من الخيرات، قال تعالى: ﴿لَّا يَسْئَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾³، ومنها كثرة الجدل والخصومة، قال

¹ الفرقان: الآية 63.

² يونس: آية 12.

³ فصلت: آية 48.

تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾¹، ومنها أنه يريد أن يخضع سلوكه لإرادته².

ومنها الفكر، والعلوم، والصنائع، والحاجة إلى الوازع، والسعي في المعاش والاعتماد في تحصيله من وجوهه، والعمران الذي هو "التساكن والتنازل في مصر أو محلة للأنس بالعشير واقتضاء الحاجات، لما في طباعهم (أي البشر) من التعاون على المعاش".³

يقول ابن خلدون - رحمه الله - في هذه الصفات: "لما كان الإنسان متميزا عن سائر الحيوانات بخواص اختص بها، فمنها العلوم والصنائع التي هي نتيجة الفكر الذي تميز به عن الحيوانات، وشرف بوصفه على المخلوقات. ومنها الحاجة إلى الحكم الوازع والسلطان القاهر؛ إذ لا يمكن وجوده دون ذلك؛ ولا يشبهه من بين الحيوانات كلها إلا ما يقال عن النحل والجراد، وهذه وإن كان لها مثل ذلك فبطريق إلهامي لا بفكر وروية، ومنها السعي في المعاش والاعتماد في تحصيله من وجوهه واكتساب أسبابه، لما جعل الله فيه من الافتقار إلى الغذاء في حياته وبقائه، وهده إلى التماسه، وطلبه قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْفَهُ ثُمَّ هَدَى﴾"⁴، ومنه العمران"⁵.

من خلال ما سبق تبين أن الطبيعة الإنسانية طبيعة متعددة الدوافع والميول والغرائز، ويرجع ذلك إلى المزيج الرائع الإتيان بين الطبيعة المادية والروحية للإنسان، وما نتج عن ذلك المزيج من طبيعة متفردة خاصة تميز بها الإنسان عن سائر المخلوقات، ويرجع - والله أعلم

1 الكهف: آية. 54.

2 مقدار يالجن، الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، ص 172 - 181، وانظر: مقدار يالجن التربية الأخلاقية الإسلامية، ص 264 / 287 بتصرف.

3 ابن خلدون، المقدمة 335/1.

4 طه: آية: 50.

5 ابن خلدون، المقدمة 335/1.

- الهدف من خلق الإنسان بهذه الصورة إلى حكمة عظيمة بليغة الا وهي: الابتلاء، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾¹، فقد خير الله تعالى الإنسان بين طريقين ووضع أمامه سبيلين: طريق الخير و طريق الشر، مع أمره له باتباع طريق الخير والبعد عن طريق الشر والغواية. قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾²، وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾³، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في ذلك: "إن الله أمر بطاعته وطاعة رسوله، ونهى عن معصيته ومعصية رسوله، وأنه لا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر، وأن على الخلق أن يعبدوه فيطيعوا أمره ويستعينوا به على ذلك"⁴

ولقد بين الله تعالى أن الإسلام هو دين الفطرة، قال تعالى: ﴿بِأَفْئِمَّةٍ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيبًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

فكل إنسان يولد على فطرة صافية نقية، فتكون نفسه "متهيئة لقبول ما يرد عليها، وما ينطبع فيها من خير أو شر، قال صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)⁵، وبقدر ما سبق إليها من أحد الخلقين تبتعد عن الآخر، ويصعب عليها اكتسابه"⁶. فالإنسان أقرب إلى خلال الخير بأصل فطرته وقوته النافذة العاقلة، وخلق الشر طارئ عليه وإنما جاءه من قبل القوى الحيوانية التي فيه، ولذا فالإنسان يعيش

1 الإنسان: الآية 2.

2 البلد: آية 10.

3 الشمس: الآيتان، 7 / 8.

4 ابن تيمية، العبودية، ص: 27.

5 رواه البخاري فتح الباري 3 / 290، ح: 1385.

6 ابن خلدون، المقدمة: 284/2

صراعا دائما بين الخير والشر اللذين هما طبيعتان في النفس البشرية، وإنما يتعلق التكليف بأسباب حصولهما، فيتعين السعي في اكتساب الخير بأسبابه ودفع أسباب الشر والمضار¹.

أما طريق النجاح والفلاح فهو الاقتداء بالدين والسير على هديه، وما يتطلبه ذلك من مراقبة النفس وكبح جماح هواها، سعيًا وابتغاء لمرضاة الله تعالى وتحقيقا للهدف الذي خلق الإنسان لأجله؛ فمن وفقه الله لذلك فقد أفلح ونجا².

ولكن لا يعني هذا أنه يمكن الاكتفاء بالفطرة الإنسانية وحدها، ولذلك فقد من الله تعالى على البشر بأن أرسل لهم رسلا مبشرين ومنذرين؛ لهدايتهم ودلائلهم على طريق الخير وتعريفهم بالله تعالى وبصفاته الكاملة، وتحديد صورة العبادة وطرق أدائها بجميع هيئاتها حتى يعبد الله تعالى كما أمر. كما وهب الله تعالى الإنسان قدرة عقلية فكرية تمكنه من التمييز بين الحق والباطل والخير والشر، وبذلك تقوم عليه الحجة.

وبناء على ما سبق لا يصح أن نقول بأن الطبيعة الإنسانية خيرة أو شريرة على الإطلاق، مادام يمكن استخدامها في الخير أو الشر. فإذا استعملتها في الخير تكون خيرة، وإذا استعملتها في الشر تكون شريرة، وليس أي دافع من الدوافع التي ذكرناها يعتبر شرا حتى دافع التملك والتقاتل والجنس؛ ذلك أن الأول: دافع العمل للكسب والثاني: وسيلة للدفاع، والثالث: وسيلة لاستمرار النوع. أما الشر فيأتي نتيجة استخدامها في غير مواضعها من غير قيد أو شرط، والخير هو استعمالها في وجوهها التي خلقت من أجلها... فالإسلام إذا يحدد هذه الوجوه الخيرة لاستخدام هذه الدوافع الفطرية بقيود وشروط معينة يدعو إلى تطبيق الفطرة وهو لذلك دين الفطرة³.

¹ انظر: المرجع السابق 504/2، 1221/3 بتصرف.

² المرجع السابق، 482/2، وينظر: ابن خلدون، شفاء السائل لتهذيب المسائل، ص 20-21 بتصرف.

³ مقداد يالجن، الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، ص 183-184 بتصرف.

يتبن من خلال ما سبق أنه يمكن إبراز علاقة القيم بالطبيعة الإنسانية كأساس لها فيما يلي:

1 - أن الطبيعة الإنسانية "من حيث الأساس كقوى واستعدادات مختلفة، ومتغيرة ومتطورة من حيث تقبل التوجيه والتنمية والتطوير نحو الخير والشر، وعلى هذا فإن الخير والشر من حيث المفهوم العملي ليسا متأصلين في هذه الطبيعة"¹ وإن كان الإنسان أقرب - بأصل فطرته - إلى الخير بل إنها قابلة لهذا أو ذاك بفعل المؤثرات الخارجية التي تؤثر في توجه الإنسان الخلقى، ومن هنا يأتي دور القيم في تهذيب الطبيعة الإنسانية وتربيتها وتوجيهها إلى السلوك اللائق بها. فالقيم في الإسلام تنظم دوافع الإنسان وميوله وغرائزه المختلفة بحيث تتجه كلها "لتكوين شخصية إنسانية متكاملة متناسقة متماسكة، تتجه إلى غاية واحدة وتسير في طريق واحد مستقيم دون التردد للتشتت و التصارع بين تلك الميول والرغبات، قال تعالى: ﴿بَاسْتَفِيمُ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾²، وقال سبحانه: ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا فَاذْكُرُوا الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^{3/4}.

2 - إن القيم الإسلامية لا تدعو إلى بتر الغرائز ومحاربتها والوقوف في وجهها؛ بل تدعو إلى المحافظة على تلك الغرائز وتنميتها وتوجيهها بحيث تتلاءم وتتوافق مع مقتضيات الدين، وتسلك بها الطريق الخير، بحيث تأخذ حقها بطريق مشروع ولا تطغى على حقوق غيرها.

3- إن القيم الإسلامية أقيمت على أساس إمكانات الإنسان الطبيعية، فلم يكلف الإنسان بما لا يطيق، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾⁵، كما لم يحرم عليه

¹ مقدار يالجن، الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، ص 19.

² هود: آية 112.

³ الأنعام، آية 126.

⁴ مقدار يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، ص 289.

⁵ البقرة، آية: 286.

أي غريزة من الغرائز الإنسانية الفطرية الأساسية لتحقيق مطالبه وإشباع حاجاته ورغباته المشروعة، يقول الإمام الشاطبي - رحمه الله -: "فالأوصاف التي طبع عليها الإنسان كالشهوة إلى الطعام والشراب لا يطالب برفعها، ولا بإزالة ما غرز في الجبلية منها، فإنه من تكليف ما لا يطاق.. فإن ذلك غير مقدور للإنسان، ومثل هذا لا يقصد الشارع طلباً له ولا نهياً عنه، ولكن يطلب قهر النفس عن الجنوح إلى ما لا يحل، وإرسالها بمقدار الاعتدال فيما يحل"¹، "إذا ظهر من الشارع في بادئ الرأي القصد إلى التكليف بما لا يدخل تحت قدرة العبد فذلك راجع في التحقيق إلى سوابقه أو لواحقه أو قرائنه"².

وبناء على هذا فإن الإسلام يقدم للإنسانية أسمى القيم وأكثرها رقياً وتحقيقاً لمعنى الإنسانية، فالقيم الإسلامية تحقق وظائف عدة، ففيما يتعلق بالفرد تحاول أن ترفعه من المستوى الحيواني الذي يقتصر على الماديات من طعام وشراب وجنس وغيرها إلى المستوى اللائق بكرامة الإنسان وتقدمه ورقية³.

د - أساس الحرية:

الحرية في اللغة: الحر، بالضم: نقيض العبد، والجمع أحرار، وحرار. والحرية: نقيضة الأمة، والجمع حرائر.

والمحرر: الذي جعل من العبيد حراً فأعتق. يقال: حر العبد، أي صار حراً. والاسم: الحرية. وتحرير الود: أي يفرد له طاعة الله عز وجل وعبادته وخدمة المسجد ومنها قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ

¹ الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة 76/2، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.

² الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة 76/2، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. 76/2.

³ عبد الكريم عثمان، معالم الثقافة الإسلامية، ص 34. بتصرف.

أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ¹، ومعناه: جعلته خادما يخدم في متعبداتك، وكان ذلك جائزا لهم. والحر من الناس: أخيارهم وأفاضلهم. وحرية العرب: أشرافهم، والحر: كل شيء فاخر من شعر أو غيره، وحر كل أرض: وسطها وأطبيها، والحر: الفعل الحسن. يقال: ما هذا منك بحر أي بحسن ولا جميل. والحر: الكريمة من النساء، وسحابة حرة: أي كثيرة المطر، وتحرير الكتاب وغيره، تقويمه².

مما سبق يتضح أن كلمة الحرية استعملت في اللغة العربية في عدة معان، منها: العتق من ربة الرق، والشرف، والكرم، واستقلال الإرادة، والتقويم، والطاعة والعبودية الخالصة لله، والوسطية، والفعل الحسن الجميل، والجودة، والأفضلية، والخيرية، والغزارة والكثرة.

الحرية في الاصطلاح: تعددت تعريفات الحرية بشكل كبير وواسع؛ بل إن مفهوم الحرية يعد من أكثر المفاهيم والمصطلحات غموضا ووضوحا في آن واحد؛ ولذا فإنها من أصعب الألفاظ التي تستعصي على التعريف التام المنضبط³. بينما يرى آخرون أن "مصطلح الحرية يُعد من أغنى المصطلحات الفكرية عن التعريف، فهو يجمع بين القديم والجديد والأصالة والمعاصرة"⁴، ويرجع هذا الاختلاف إلى الاختلاف في وجهات النظر بين المفكرين كل حسب مذهبه أو مدرسته التي ينتمي إليها، وذلك أمر طبيعي نتيجة اختلاف المنطلق والأساس الذي اعتمد عليه المعرف للحرية، وسأكتفي هنا بذكر بعض تعريفات المفكرين والباحثين المسلمين، وهي كما يلي:

¹ آل عمران: آية 35.

² أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح المسمى تاج اللغة وصحاح العربية، 1/ بتصرف 518، مادة حرر، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو.

³ إسماعيل البدوي، دعائم الحكم في الشريعة الإسلامية والنظم الدستورية المعاصرة، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع،

⁴ عبد الوهاب الشيشاني، حقوق الإنسان وحياته الأساسية دراسة مقارنة ص: «ه» من المقدمة، دار الفكر الجامعي

الحرية: "إشعاع داخلي يملأ جنبات النفس الإنسانية بارتباطها بالله، فيرفعها هذا الارتباط إلى درجة من سمو، تكون بها أقدر على فعل الخير، وتقيم العدل وتحقق الحق"¹. وعرفها آخر بقوله: "هي إرادة الإنسان، وقدرته على ألا يكون عبداً لغير الله"².

وعرفها غيره، بأنها: "قيام الفرد بنشاطه الطبيعي المتكامل المنبثق عن إدراك حقيقي ناضج لطبيعة العلاقات التي يجب أن تسود بين الفرد والمجتمع"³.

وعرفها آخر بقوله، هي: فعل الإنسان ما يريد فعله دون مدافع بمقدار إمكانه، والحرية بهذا المعنى حق للبشر على الجملة؛ لأن الله لما خلق للإنسان العقل والإرادة، وأودع فيه القدرة على العمل فقد أكن فيه حقيقة الحرية وخوله استخدامها بالإذن التكويني المستقر في الخلقة... على أن قصور التفكير والغرور وجهالة المفكر بعواقب عمله تقتضي أن للحرية حدودا... فقيض الله للناس مرشدين من رسل بشرائع، وأنبياء بمواعظ، وحكماء بنصائح، ليكتبوا من غلواء الناس في تهافتهم على ابتغاء ما يصبون إليه تجنباً لما ينطوي عليه من الأضرار فسنوا لهم الشرائع والقوانين والنظم، وحملوهم على اتباعها ليهناً عيشهم... وصارت الحريات محدودة بحسب الجمع بين مصالح الجماعات بأن لا يلحق المتصرف بتصرفه ضراً بغيره، وأن لا يعود تصرفه عليه بوخامة العقبي⁴.

¹ الدكتور/ عبد الغني عبود قضية الحرية وقضايا أخرى، ص 63.

² القطب محمد القطب طبلية، الإسلام وحقوق الإنسان، دراسة مقارنة ص 332. وانظر: عبد الله إبراهيم الطريقي، الحكومة الإسلامية، ص 224، رسالة ماجستير، المعهد العالي للقضاء، 1397 هـ.

³ محمد فاروق النبهان، نظام الحكم في الإسلام، كلية الشريعة والحقوق، جامعة الكويت 1974م، ص 224-225.

⁴ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الثانية، ص 169 بتصرف.

وعرفها آخر بأنها هي: "قدرة الإنسان على الاختيار بإخلاص بحيث «لا ضرر ولا ضرا»¹ تحقيقاً لمقاصد الشارع"².

ولعل التعريف الأخير هو أفضل ما عرفت به الحرية من تعريفات الباحثين والمفكرين المسلمين.

يعد الإنسان في نظر الإسلام حراً مختاراً مريداً في دائرة تصرفاته كلها؛ فهو مخلوق محرر. والحرية حق طبيعي له؛ بل ضرورة من ضرورات حياته، وبها تميز عن سائر المخلوقات المحكومة بغرائزها، وهذه الحرية هي حجر الأساس في تقييم أعمال الفرد، سواء كان ذلك التقييم من الناحية العقدية أو العملية، فالإنسان حر في اعتناق دينه، حر في إبداء رأيه، وحر في تصرفاته الاجتماعية حسب ضوابط الشرع؛ وعلى هذا فقد كفل الإسلام لكل فرد هذه الحريات وغيرها وفي أوسع دائرة يطمع فيها أي إنسان³. فهو يفعل الخير مختاراً فيثاب، ويفعل الشر مختاراً فيعاقب، وبذلك الحرية، وهذا الاختيار كلفه الله وأرسل إليه الرسل تهديبه وترشده، ثم تركه وما يختار لنفسه من مسلك الخير أو الشر، لا يدفعه بقوة خارجة عن نفسه إلى خير أو شر⁴. قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْهَا ۖ فَإِنَّهُمَا بِجُورٍهَا وَتَفْوَیْهَا﴾⁵، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِفَاءٍ إِلَّا خِرَةً حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ

¹ رواه الإمام مالك في الموطأ مرسلًا، كتاب الأقضية، باب القضاء في المرفق 2/ 36 ح: 31، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ورواه ابن ماجه 2/ 39، ح: 2340، خدمة: مجدي بن منصور بن سيد الشورى، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة 1/ 498 - 503، ح: 25.

² عبد الخالق بن شرف قاسم القدسي، مفهوم الحرية في الفكر الإسلامي، دراسة وتقييم، ص 10، رسالة دكتوراه من كلية الشريعة قسم الثقافة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1409 هـ / 1988م، غير منشورة.

³ أحمد إبراهيم مهنا، الحرية الفردية في الإسلام، ص 37، مجلة الأزهر، الجزء الأول، السنة الثالثة والثلاثون، المحرم 1386 هـ / 1966م، القاهرة، وانظر: الأستاذ/ عمر عودة الخطيب، نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري، ص 137 بتصرف.

⁴ محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، ص 49 بتصرف.

⁵ الشمس: الآيات 7 - 10.

إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ¹. وغيرها من الآيات الدالة على أن الإنسان ذو حرية واختيار في حياته، فليس مجبرا على فعل شيء أو تركه. يقول ابن خلدون - رحمه الله:

"والجبر في هذا العالم باطل قطعاً؛ لأن لسان الشرع أثبت الاختيار والكسب للعبد، وعليه يقع الثواب والعقاب"².

وقد عدد كثير من العلماء دلائل على حرية الإنسان، منها على سبيل المثال:

1- استخلاف الله تعالى الإنسان وتسخير العالم المشاهد كله لخدمته: لقد منح الله تعالى الإنسان كامل السيادة على الكون المشاهد، وهذه لا تكون إلا لمن هو كامل الحرية، القادر على إعمار الأرض وإقامة شرع الله فيها، ولا يمكن أن يستخلف الله تعالى من هو مجبور على فعله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ أَلْفُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ³. فالله سبحانه وتعالى خلق جميع ما في الكون لخدمة الإنسان ولإعانتته على القيام بواجب الاستخلاف المنوط به، حتى الحيوانات سخرها الله للإنسان، فاندرجت حينئذ أفعال الحيوانات فيه فكانت مسخرة للبشر، واستولت أفعال البشر على عالم الحوادث بما فيه، فكان كله في طاعته وتسخيره، وهذا هو معنى الاستخلاف المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾^{4/5}.

1 الأعراف: آية 147.

2 ابن خلدون، شفاء السائل في تهذيب المسائل، ص 119.

3 الجاثية: آية 11 - 12.

4 البقرة: آية 30.

5 ابن خلدون، المقدمة 1011/3 بتصرف.

من خلال ما سبق يتضح مدى أصالة النظرة الإسلامية لحرية الإنسان وعمقها، التي تؤكد على المكانة التي تبوؤها الإنسان في الوجود، وأنه أهل للمسؤولية التي حمله الله إياها؛ شريطة تطبيق أحكام الله، والتمسك بدينه، والتوجه إليه وحده لا شريك له.

2- القدرة على التمييز بين الخير والشر: الإنسان العاقل قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر، كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر على حد سواء، فهو لم يجبر على اتباع خيار معين بل ترك له حرية الاختيار ليحاسب على عمله ويتحمل المسؤولية الكاملة المترتبة عليه، وهذه الإرادة هبة ربانية، وهي مناط تميز الإنسان على غيره من المخلوقات، قال تعالى: ﴿مَنْ إِهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾¹. وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾². وقال تعالى ﴿بَالْهَمَّهَا بُجُورَهَا وَتَفْوِيْهَا﴾³. ولن يستقيم لهذه الآيات معنى إلا إذا كان الإنسان حرا مختارا؛ إذا المسؤولية فرع الإرادة الحرة المنبعثة عن التفكير السليم والنظر الصائب، ولذلك أسقط الإسلام التكليف عن ليسوا أهلا كالصغير والمجنون والنائم، وتمشيا مع هذا المنطلق لم يكلف الله عباده إلا ما يكون في استطاعتهم أن يفعلوه⁴.

وهذا التكليف "على سبيل الاختبار والابتلاء والامتحان؛ إذ جعل إرادة حرة مختارة لا على سبيل الإكراه والإجبار"⁵، فكيف يمكن أن نصف فعلا يجبر عليه الإنسان أنه خير أو شر؟ وعلى ماذا يحاسب الإنسان وهو مجبر لا خيار له، كما أنه يوم القيامة يفقد مغزاه

1 الإسراء: آية 15.

2 فصلت: آية: 46.

3 الشمس: آية 8.

4 أحمد إبراهيم مهنا، الحرية الفردية في الإسلام 2 ص: 177، مجلة الأزهر، القاهرة. بتصرف.

5 محمد المبارك، نظام الإسلام "العقيدة والعبادة"، ص 79، الطبعة الثانية، 1405هـ / 1984م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

ومعقوليته مع فقد الحرية، ويصبح الإنسان والجماد والحيوان سواء، فالمسؤولية وليدة الحرية، فإذا فقد الحرية فلا مبرر للمسؤولية¹.

3 - إرسال الله الرسل دليل على حرية الإنسان: "إذ لو كان الإنسان مجبوراً على أعماله لا خيار له فيها، فما الفائدة من إرسال الرسل إليه إذا؟ ولماذا وجه الرسل دعوتهم إلى أقوامهم إذا كانوا بلا حرية؟ ثم إن هلاك الأمم وسقوط الحضارات لم يحدث عبثاً؛ بل بسبب الكفر والظلم والانحراف؛ وعدم إجابتهم الرسل الذين أرسلهم الله إليهم مبشرين ومنذرين، وبعد ما أعطوا الفرصة الكافية للرجوع عن غيهم وضلالهم، حقت عليهم كلمة الله؟ فدفعوا ثمن انحرافهم وإجرامهم وطغيانهم وفسقهم"²، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا فَرِيَّةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنعَمَ اللَّهُ بِهَا فَأَذَاهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾³.

4 - اعتبار الرق نقصاً في إنسانية الإنسان: الإنسان في الأصل حر مريد قادر على تحديد اتجاهه، إما إلى الخير أو إلى الشر، والعبودية طارئة عليه، وهي صفة نقص لحقت به.

ضوابط الحرية: لا بد للحرية من قيود وضوابط، فلا يصح أن تفهم على أنها تحلل من كل قيد أو شرط بحيث تتحول حياة الإنسان إلى بهيمية لا تنظيم فيها ولا إدراك؛ بل هي كلمة تقيد الانطلاق بحرية ضمن حدود ومفاهيم معينة أقرها الإسلام ودعا إلى رعايتها وعدم تجاوزها. وقد حدد الرسول مفهوم الحرية في قوله: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا

¹ نعمان السامرائي، في التفسير الإسلامي للتاريخ، الزرقاء (الأردن): مكتبة المنار للنشر والتوزيع 1985م، ص 88 بتصرف.

² المرجع السابق، ص 88.

³ النحل، آية: 112.

من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجو ونجوا جميعا"¹،

وهذه الضوابط هي:

1- الاستقامة على شرع الله عز وجل: ويكون ذلك بتصريف غرائز الإنسان وشهواته وتكييفها وفق شرع الله المطهر، والتمسك بآدابه وشرائعه، وليس معنى الحرية إطلاق العنان للشهوات والغرائز؛ بل المراد تمكن الاستقامة في النفس حتى تصرف هذه الغرائز بمقتضى آداب الله تصريفا جليلا².

2- عدم إيقاع الضرر بالنفس وبالأخرين: إن تصرفات الإنسان المباحة في الأصل يمكن أن تحد أو تمنع إذا استوجبت ذلك المصلحة العامة المحققة، "فالحرية هي ألا تتجاوز حدود الآخرين فتضر بهم"³، وحتى الإضرار بالنفس لا يجوز كذلك، فالإنسان يسعى في أرض الله ويبتغي الربح، ولكن بالوسائل المشروعة التي لا تؤذي المجتمع، ومن هنا حرم الإسلام الربا والقمار واحتكار أقوات الناس، كما أعطى الإسلام الفرد حرية التصرف فيما رزقه الله من مال وثروة ولكن بشرط ألا يتعدى الحدود الفاصلة بين الإنسان العاقل والسفيه، فإن فعل وجب تعطيل نعمة الله عليه وسحب الحرية التي تمنحها فلم يحسن استخدامها⁴، قال تعالى: ﴿وَلَا تُوتُوا السَّبَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فِيهَا﴾⁵.

فالإنسان إذن هو الذي يضيف على القيم معنى معتبرا من خلال أفعاله وأعماله وسلوكه، ويرجع ذلك إلى اتصال القيم بالحرية المبينة على الاختيار والتفضيل والإرادة، وعلى هذا فإن

¹ أخرجه البخاري، فتح الباري 5/166، ح: 2493.

² ابن خلدون، شفاء السائل، ص 36 بتصريف.

³ محمد محمود بابلي، الإنسان وحرية في الإسلام، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر 1990م، ص 53..

⁴ أحمد إبراهيم مهنا، الحرية في الإسلام 3 ص: 351، مجلة الأزهر، القاهرة بتصريف.

⁵ النساء، آية: 5.

القيم الأخلاقية أساسها القصد والإرادة التي هي الحرية، فإذا نفينا القصد والاختيار فقد أنكرنا القيمة الأخلاقية نفسها.

لقد خلق الله تعالى السماء وخلق الأرض وخلق الإنسان، كما جعل سننا للسماء وسننا للأرض وسننا للطبيعة الإنسانية، "وضع قيمة أخلاقية وفقا لهذه السنن بوجه خاص، ولكي تتحقق هذه الغاية لا بد أن يسير النظام الموضوع لها بدقة"¹، قال تعالى: ﴿أَبَحْسِبْتُمْ أَنَّ مَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ لَا إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ﴾² وقال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ فَدَرَأَ مَفْدُورًا﴾³.

فحرية الإنسان تحدد موقفه من سنن الطبيعة وقوانينها ونظمها، وكذلك موقفه من القيم، فهو مأمور بتطبيق القيم والتزامها في واقع حياته، كما أنه خاضع في الوقت ذاته للسنن الطبيعية واقعيًا، ولكنه يملك القدرة والاستعداد للخروج عن تلك القوانين وتكييفها بحيث تعود عليه بالمنفعة والفائدة، وذلك بناء على إحساسه بحرية الاختيار في داخل نفسه وشعوره بالقدرة على تنفيذ ما اختاره.

وبناء على هذه الحرية أصبح الإنسان مسؤولاً أمام الله، ومطالباً بالسير على منهاجه وطريقه الذي رسمه له، فلو كان مجبوراً على السير في طريق معين ولم تكن له القدرة العقلية والمادية للخروج عليه لكان عبثاً من الله تعالى أن ينزل الوحي ويطلبه بالسير على هداية، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً⁴. فالقيم تقوم على أساس فكرة حرية الإرادة والقدرة على تنفيذها؛ وتمشياً مع ذلك أرسل الله تعالى الرسل ليعلم البشرية ويرشدها، قال تعالى: ﴿كَمَّا أَرْسَلْنَا

¹ مقدار يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، ص 315.

² المؤمنون، آية: 115.

³ الأحزاب، آية: 38.

⁴ مقدار يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، ص 318 / 319 بتصرف.

فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾، وبذلك يكون قد أعطاه الله تعالى
العزة والكرامة؛ لأن الحرية هي غاية التكريم الإنساني، وبها فضل على الحيوان؛ لأن الإنسان
إذا ملك القدرة وملك الحرية في أن يتبع الخير أو الشر، فقد ملك زمام المبادرة والقدرة على
الاختيار؛ فإذا اتبع الخير فإنه بذلك قد حافظ على تكريم الله له، وأنقذ نفسه من الخسران المبين
في الدنيا والآخرة، أما إذا اتبع الشر فهو في هذه الدنيا كالحيوان بل هو أفضل منه، وكان في
آخرته أعمى وأضل سبيلاً، قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾²، وهذه الحرية
شاملة لجميع شؤون الحياة وميادينها الأخلاقية منها والتشريعية، وتبدأ من إيمان الفرد بإمكان
اختيار السلوك الأحسن وترك الأسوأ، ثم الإيمان بقدرته بعد عون الله تعالى له على تنفيذ هذا
السلوك وتمثيله به³.

هـ - أساس المسؤولية:

المسؤولية في اللغة: "ترجع مادة المسؤولية إلى ثلاثة حروف، هي: السين والهمزة
واللام، وهي كلمة واحدة. يقال سأل يسأل سؤالاً ومسألة، ورجل سؤلة: كثير السؤال"⁴، و"اسم
الفاعل من: السائل، واسم المفعول: المسؤول والمصدر: المسؤولية"⁵.

ويمكن إرجاع المسؤولية إلى معنيين اثنين:

¹ البقرة، آية: 150.

² غافر، آية 57.

³ مقداد يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، ص 324 / 328 بتصرف.

⁴ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة 3 / 124.

⁵ أبو البقاء الكفوي، الكليات، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ص 501 - 502.

1- الطلب، ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾¹، يعني: تطلبون حقوقكم به، قال الزجاج: "إنما قال سواء للسائلين بأن كلا يطلب القوت ويسأله"².

2 - الحساب، ومنه قوله تعالى: ﴿قَوْرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾³، أي: "لنحاسبهم على ما كان منهم"⁴، وبهذا يتبين أن المسؤولية في اللغة تعني المطالبة والمحاسبة. **المسؤولية في الاصطلاح:** عرفت المسؤولية بعدة تعريفات أذكر منها:

1- أنها: "المقدرة على أن يلزم المرء نفسه أولاً، والقدرة على أن يفي بعد ذلك بالتزامه بواسطة جهوده الخاصة"⁵.

2- وقيل هي: "تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العملية من الناحية الإيجابية والسلبية أمام الله في الدرجة الأولى وأمام ضميره في الدرجة الثانية وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة"⁶.

3 - وعرفها مجمع اللغة العربية في القاهرة، بأنها: "شعور الإنسان بالتزامه أخلاقياً بنتائج أعماله الإرادية فيحاسب عليها إن خيراً أو شراً"⁷.

1 النساء، آية: 1.

2 ابن منظور، لسان العرب 11/318.

3 الحجر، آية: 92.

4 الحسين بن محمد الدمغاني، قاموس القرآن الكريم، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الرابعة 1983م، ص 224.

5 محمد بن عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن الكريم، ص 137، تحقيق. عبد الصبور شاهين، مراجعة: السيد محمد بدوي.

6 مقداد يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، ص 334، ومقداد يالجن، الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، ص 237.

7 مجمع اللغة العربية في القاهرة، المعجم الفلسفي، ص 181.

4 - كما عرفت بأنها: "الشعور بتبعية الاقتضاء الخلقي المترتب على فعله ثواب، وعلى تركه عقاب"¹.

ولعل أقرب هذه التعريفات إلى موضوع البحث هو التعريف الثاني لشموليته ودقته مع تضمنه مصدر الإلزام لدى الإنسان.

أساس المسؤولية: أساس المسؤولية هو الإرادة السليمة الحرة، والقدرة على تنفيذ الاختيار، فالعدالة تقتضي وجود المسؤولية المترتبة على وجود الحرية، فالإنسان مسؤول عن كل عمل يقوم به وحده أو يشترك مع غيره. أو يكون سببا في وقوعه بالحض عليه أو الرضى به، مادام عمله بإرادته واختياره. ويتبين من هذا أن الإرادة هي أساس المسؤولية... ويخرج من هذا جميع الأفعال التي تفقد عنصر الاختيار والإرادة².

أو أن أساس المسؤولية هو: شعور الشخص المسؤول بأهليته لتحمل أعباء المسؤولية، وقدرته على الالتزام بواجباته الأخلاقية وتحمل نتائجها. فلا يمكن للمرء أن يكون ملتزما بالقيم متمثلا بها في واقع حياته ما لم يكن عنده شعور عام بالمسؤولية، ولهذا كان هذا الموضوع جدير بجعله أساسا من أسس القيم³.

و "فن الشعور بالمسؤولية أمر على أكبر جانب من الأهمية في بناء الأفراد والمجتمعات والشعور بالمسؤولية لفظا مجردا، فله ما يدينه فهناك شعور الفرد بمسؤولية نحو المجتمع ونحو أسرته ونحو نفسه، وهنالك الشعور بالمسؤولية نحو مهنته ونحو فكره"⁴. فالشخص الذي يشعر بالمسؤولية ويحس بها إحساسا متزنا هو شخص سعيد في حياته، لأنه "يهتم بنفسه ويحترمها

¹ أحمد بن عبد العزيز الحليبي، المسؤولية الخلقية والجزاء عليها دراسة مقارنة ص: 89.

² حمدي عبدالعال، الأخلاق ومعاييرها بين الوضعية والدين، ص 29 / 30 بتصرف.

³ ينظر: أحمد عليان، الأخلاق في الشريعة الإسلامية، ص 75. وينظر: مقدار يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، ص 330-333.

⁴ عبد العزيز القوسي نقلا عن: كوستانيس فوستر، تربية الشعور بالمسؤولية عند الأطفال، ص 8 9. ترجمة، خليل كامل إبراهيم.

كما يهتم بغيره من الناس ويحترمهم، ويرغب في تحمل نصيبه من العمل وينجز التزاماته، ويعتمد على نفسه دون أن يسبب لغيره متاعب لا لزوم لها، يعرف قدر نفسه ويتحمل مسؤولية آرائه وشعوره وتصرفاته، لا ينتظر أن يصيب شيئاً دون مقابل، مجد في عمله، ويكون والداً فاضلاً وزميلاً صادقاً وجاراً طيباً¹.

مجال المسؤولية وأقسامها: تعتبر الحياة كلها مجالاً للمسؤولية، وكل مكان يمكن أن يكون ظرفاً لأداء المسؤوليات، فالإسلام قد حدد أوقاتاً لأداء كل واجب وكل مسؤولية، كما أنه لم يحدد مكانة معينة لأداء الواجبات والالتزامات إلا نادراً؛ لا يخرج عن قدرة الناس، كما قرر للحالات الضرورية طرقاً استثنائية لأدائها؛ وذلك بإعفاء المضطر من المسؤولية أو تحملها عنه أو تأجيل وقت أدائها²، فنرى مثلاً أنه "خفف على المسافر في الصلاة بقصر الرباعية، وبالجمع بين بعض الفروض، وسمح له بتأخير الصيام في شهر الصوم، وبأداء صلاة النافلة في السفر على الراحلة، كما أبقى العجزة والضعفة وذوي الحاجات من الجهاد. وأباح أحياناً استبدال الالتزام بالتزام آخر عند الضرورة، فإذا لم يجد الماء مثلاً يتيمم، بل أباح المحرم عند الضرورة، وقد سمح للمسلم أن يقول كلمة الكفر بلسانه إذا أكره عليه ولا يضره ذلك إذا كان قلبه مطمئناً بالإيمان"³، قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَئِنْ مَسَّ شَرْحَ الْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁴.

والمسؤولية عموماً تنقسم إلى قسمين:

أ. المسؤولية الفردية، ولها مجالان:

¹ المرجع السابق، ص: 13.

² مقدار يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، ص 341 بتصرف.

³ مقدار يالجن، الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، ص 228.

⁴ النحل، آية: 106.

1. **المجال الداخلي**، وهو مسؤولية الإرادة والقصد والتصميم، فمن انعقد عزمه على فعل شيء ثم لم يستطع تنفيذه لمانع خارجي عنه، أو لجهله بطريقة التنفيذ الصحيح، فكأنه قد نفذه بالفعل، وهذا كاف لتحمل مسؤوليته إن خيرا فخير وإن شرا فشر، قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْمِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَدِيرٌ﴾¹، وكذلك إذا ترك فعلا محرما بإرادته خوفا من الله وطاعة لأمره فإنه مأجور على ذلك ومثاب عليه؛ لأن الترك فعل أيضا، "فالفعل إما أن يكون إيجابا أو سلبا"²، قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة"³.

كما تشمل "مسؤولية الإنسان عن أعماله القلبية مثل الظلم والحسد والبغض وغيرها"⁴، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾⁵، وقال صلى الله عليه وسلم: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث"⁶، ولا يدخل في نطاق المسؤولية ما يدخل في قلب الإنسان

¹ البقرة، آية: 283.

² : مقدار يالجن، الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، ص 241.

³ رواه البخاري، كتاب الرقاق باب من هم بحسنة أو سيئة 7 / 187، ورواه مسلم 110/1 ح: 131 مع زيادة ونقص في بعض الألفاظ.

⁴ محمد عقله، النظام الأخلاقي في الإسلام، ص 112.

⁵ الحجرات، آية: 12.

⁶ رواه مسلم 1576/4 ح: 2563، بزيادة ولا تجسسوا ولا تتاجشوا، لا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا.

من خطرات الخير ووساوس الشر؛ وهو ما يعرف بحديث النفس، ولهذا عندما نزل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوْا مَآ وَجِ أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ﴾¹. قال الصحابة للرسول صلى الله عليه وسلم: أنكون مسؤولين عما توسوس به نفوسنا، قال: "إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به"²، ونزل قوله تعالى: ﴿يُكَفِّ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾³، والسبب - والله أعلم - في ذلك "أن المرء لا يقوى على رد كل ما تحدثه به نفسه، فهو خارج عن إرادته"⁴.

2. **المجال الخارجي (الظاهري)؛** فهو مسؤولية الإنسان عن السلوك المادي المحسوس في الظاهر، سواء أكان كلاماً أم فعلاً. ويشترط لها أن تكون عن قصد واختيار، قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ وَجِ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ فُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾⁵، ويخرج عن هذه المسؤولية الإكراه على الفعل أو الاضطرار، فلا يكون الإنسان مسؤولاً عن سلوكه الناتج عن ذلك، قال تعالى: ﴿بِمَنْ أَوْضَطَّرَ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾⁶، وكذلك سلوك النائم والمجنون والصبي، قال عليه الصلاة والسلام: "رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ،

¹ البقرة، آية: 284.

² رواه مسلم 108/1 ج: 127.

³ البقرة، آية: 286.

⁴ مقداد يجلس، التربية الإسلامية في الإسلام، ص 242، وأحمد عليان، الأخلاق في الشريعة الإسلامية، ص 79.

⁵ البقرة، آية: 225.

⁶ البقرة، آية: 172.

وعن المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يبلغ"¹، و"يدخل في ذلك أيضا السلوك الناتج عن الخطأ والنسيان"²، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾³.

ب. المسؤولية الاجتماعية: وهي "مسؤولية الإنسان المسلم عما يحدث في مجتمعه"⁴، أو هي "المسؤولية عن سلوك الغير؛ مسؤولية الجماعة عن سلوك الأفراد"⁵، وذلك أن الإنسان مدني بطبعه لا يقوى على العيش منعزلا عن بني جنسه من البشر، لذلك جاء التكليف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهناك آيات تشير إلى مسؤولية الفرد عن سلوك الغير، منها قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾⁶، وهناك أحاديث نبوية منها قوله عليه الصلاة والسلام: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"⁷.

وأساس هذه المسؤولية راجع إلى أن الإنسان ليس مسؤولا عن فعل الشر، بل مسؤول عن دفعه؛ فلا يمكن "تحقيق سعادة الإنسان إلا بإنقاذه من الشر ثم تحقيق الخير له"⁸، وجدير بالملاحظة أن المسؤولية الفردية لا تلغي المسؤولية الجماعية، بل تكاد تتدرج فيها؛ لأن الجماعة

¹ رواه أبو داود 4/ 560، ح: 4403، وانظر: تعليق عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد 4/ 24، ح: 1423. تحقيق: كمال يوسف الحوت. ورواه الإمام أحمد 398 / 9، ح: 24748، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، ورواه بن ماجه في سننه، 1/ 347 ح: 1660 تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، إشراف وتعليق: زهير الشاويش. وصححه الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، 1/ 659، ح: 3512.

² مقدار بالجن، الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، ص 243، وانظر: أحمد عليان، الأخلاق في الشريعة الإسلامية، ص 79، محمد عقله، النظام الأخلاقي في الإسلام، ص 112.

³ البقرة، آية: 286.

⁴ أحمد عليان، الأخلاق في الشريعة الإسلامية، ص 80.

⁵ مقدار بالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، ص 346 / 347 بتصرف.

⁶ الأنفال، آية: 25.

⁷ رواه مسلم 71/1، ح: 49.

⁸ أحمد عليان، الأخلاق في الشريعة الإسلامية، ص: 80 بتصرف.

ليست سوى مجموعة ضمائر فردية معينة، وهي لا تعني عدم المسؤولية عن انحرافات مسلك الغير حين تدعهم يسيئون دون تدخل بجميع الوسائل المشروعة لمنع الإساءة.¹

شروط المسؤولية:

أولاً: أهلية التصرف: يجب أن يكون الشخص المسؤول أهلاً للمسؤولية؛ بأن "يكون إنساناً عاقلاً قد بلغ سناً معينة"²، بحيث يكون واعياً لطبيعة ذاته ولسلوكه وأهدافه ونتائج تصرفاته، مما يعود على نفسه أو على غيره من نفع أو ضرر إن عاجلاً أو آجلاً³، ولهذا جعل الشرع العقل والبلوغ أساساً للتكليف؛ لأن العقل معيار التمييز بين الخير والشر والشعور بالواجب، ومناطق التكليف والمساءلة وتحمل النتائج والجزاء، فالطفل والمجنون والنائم والمغمى عليه ومن في حكمهم ليسوا أهلاً لتحمل المسؤولية؛ لسقوط التكليف عنهم لفقدانهم العقل أو قوة التمييز بين الخير والشر، ومن ثم الشعور بالواجب⁴ والمسؤولية.

فالمسؤولية ترتبط ارتباطاً وظيفياً بالشخصية، ولذلك لا يطبقها غير الإنسان البالغ العاقل الواعي بتكاليفها بحيث يتمثلها أمام ناظره في لحظة العمل. فإذا "ما تحددت صفات الشخص تعين بعد ذلك أن يكون مسؤولاً عن الأفعال التي يأتيها بإرادته الحرة"⁵.

ثانياً: العلم: العلم هو ثمرة العقل الذي يميز به بين الحق والباطل، والصواب والخطأ، والحسن والقبيح، وهو المحرك للإرادة بين الأخذ والترك؛ لأن الإنسان لا يرد؛ ما لم يعلم، فالجندي مثلاً لا يلام على الهزيمة بسبب سوء تخطيط قائده، مادام قد أحسن تنفيذ الأوامر

¹ محمد عقله، النظام الأخلاقي في الإسلام، ص: 112 بتصرف.

² ذكر الفقهاء أنه لا بد أن يستكمل خمس عشرة سنة، وقيل أربع عشرة سنة. ينظر: الطوفي، شرح مختصر الروضة 1/ 187.

³ مقداد يالجن، التربية الأخلاقية في الإسلام، ص 334 بتصرف.

⁴ حمدي عبدالعال، الأخلاق ومعاييرها بين الوضعية والدين، ص 31 / 32 بتصرف.

⁵ محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق، مؤسسة الرسالة 2005م، ص 241.

الصادرة إليه على أفضل وجه ممكن¹ ويأتي هذا العلم عن طريق داخلي من خلال الملكات الفطرية لدى الإنسان، فقد أودع الخالق سبحانه في فطر العقول "موازن ذاتية تدرك بها جملة من الفضائل والردائل"²، أو عن طريق خارجي ممثلاً في الوحي، فقد أنزل الله تعالى الكتب، وأرسل الرسل؛ ليُعرفوا الناس أمور دينهم، ويلفتوا أنظارهم إلى ما يجب عليهم أن يعرفوه ويعلموا به. فهو سبحانه لم يتركهم لما أودع في فطرهم، لأن الاستطاعة الفطرية بحاجة إلى من يحركها ويوقظها ويبصرها ويأخذ بيدها إلى شرع الله القويم.³

ثالثاً: الإرادة: وهي القصد والنية دون إكراه أو اضطرار، فلا ترتب المسؤولية على العمل إلا إذا توافر فيه النية والقصد، وهي محور المسؤولية ومناطقها، فمتى وجدت الإرادة الحرة وجدت المسؤولية⁴، إن المسؤولية الحقيقية عند الله تكون وفق نية الإنسان وغايته، دون ظاهر السلوك وما نجم عنه، وأما السلوك الظاهري فيكون من قبيل العمل الملغي، وتكون نتائجه من قبيل القضاء والقدر المحض، ولذلك "تلغي عند الله أعمال المرائين والمنافقين، مهما كان مظهرها مظهر صلاح وخير"⁵.

ومن ثم فإن الشروط الضرورية الكافية لمسؤوليتنا أمام الله وأمام أنفسنا هي: أن يكون العمل شخصياً إرادياً، تم أدائه بحرية (بمعنى دون إكراه)، وأن "تكون على وعي كامل، وعلى معرفة بالشرع أو القانون"⁶.

¹ - حمدي عبد العالي، الأخلاق ومعياريها بين الوضعية والدين، ص 32 بتصرف.

² - عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها 1/ 130.

³ - محمد عقلة، النظام الأخلاقي في الإسلام، ص 113، وانظر: عبد الرحمن حنبكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها 1/ 133/131 بتصرف.

⁴ - أحمد عليان، الأخلاق في الشريعة الإسلامية، ص 76، وينظر: محمد عقلة، النظام الأخلاقي في الإسلام، ص 113، وحمدي عبدالعال، الأخلاق ومعياريها بين الوضعية والدين، ص 32.

⁵ - عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها 1/ 120.

⁶ - الدكتور / محمد عبد الله دراز دستور الأخلاق في القرآن، ص 222.

رابعاً: استطاعة الإنسان القيام بمسؤولياته، بحيث يكون العمل مستطاع الفعل أو الترك، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾¹، فإذا توافرت أصبح بذلك مسؤولاً عن عمله؛ "لأن الاستطاعة شرط لترتب المسؤولية"².

و. الأساس الجزائي:

الجزء في اللغة: الجزء مصدر جزأ، فالجيم والزاي والهمزة أصل واحد³، ويدور استعماله على معان عدة؛ هي:

1 - الكفاية: يقال: "اجتزأت بالشيء اجتزاءً، إذا اكتفيت به، وأجزأ الشيء أجزاء إذا كفاني، ويقال: ما لفلان جزء له إجزاء: أي ماله كفاية، واجتزأت بكذا وكذا، وتجزأت به: بمعنى اكتفيت"⁴.

2 - المكافأة على الشيء، يقال: "جزاه به، وعليه جزاء، وجازاه مجازاة وجزاء"⁵. ويستعمل هذا المعنى في الثواب والعقاب.

3 - القضاء، يقال: "أجزت عنك شاة أي قضت"⁶.

4 - الغناء، يقال: "أجزى عن فلان جزئ ومجزأته أي: أغنى عنه مغناه"⁷.

مما سبق يتضح أن استعمالات مادة "جزأ" في اللغة العربية تدور حول معان

¹ - البقرة، آية: 285.

² - محمد عقله، النظام الأخلاقي في الإسلام، ص 113، مقدار يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، ص 334.

³ - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة 1/ 455، مادة جزأ.

⁴ - ابن منظور، لسان العرب 1/ 47، 46، مادة جزأ وانظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط 4/ 314، مادة جزأ ر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة 1/ 455، مادة جزأ.

⁵ - الفيروز أبادي، القاموس المحيط 4/ 314، مادة جزأ.

⁶ - ابن منظور، لسان العرب، 1/ 47، مادة جزأ.

⁷ - الفيروز أبادي، القاموس المحيط 4/ 314، مادة جزأ وانظر: إبراهيم مصطفى وآخرون المعجم الوسيط 1/ 119، مادة جزأ.

مقاربة في المدلول؛ وهي تدور حول مقابلة العمل بالثواب أو العقاب.

الجزء في الاصطلاح: تعددت تعريفات الجزء وذلك حسب ميول واتجاه كل مدرسة من المدارس التي اهتمت بدراسة مصطلح الجزء، ومنها ما يلي:

أ. عرف الفقهاء مفهوم الجزء بأنه "ما حدده الشارع من ثواب وعقاب، أو أناط تحديده إلى إمام مجتهد في مقابل عمل كلف المسلم بفعله أو تركه"¹.

ب. وعرفه علماء الأخلاق بأنه: "ما يترتب على عمل الإنسان المسؤول من مثوبة في الخير وعقوبة في الشر"².

ج. وعرف كذلك بأنه: "النتيجة المترتبة على المسؤولية، وينبغي أن يكون خيرا لمن أحسن، وشرًا لمن أساء"³.

د. كما عرف بأنه: ما يجب أن يناله الإنسان بحكم عمله الحر الناتج عن إرادة واختيار، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، فقد يكون الجزء ماديا أو معنوي مباشرا أو غير مباشر، عاجلا أم آجلا^{4/5}.

يتضح من التعريفات السابقة أن الجزء نتيجة طبيعية لتحمل الإنسان المسؤولية الملقاة على عاتقه؛ ولو لم يوجد جزء لتجرد فعل الإنسان وعمله من الثواب والعقاب، مما سيؤثر ولا شك سلبا على القيم، وعلى هذا فالجزء أساس للقيم لما له من أهمية بالغة في دفع الإنسان للتمسك بها وزجره عن فعل الرذائل والمنكرات، لما ينطوي عليه الجزء من عقوبات رادعة وممانعة، وذلك لأن العدالة تقتضيه وتجعل للقيام بذلك معنى وقيمة.

¹ أحمد الحليبي، المسؤولية والجزاء عليها، ص 365.

² سمير الجنزوري، الأسس العامة لقانون العقوبات مقارنة بأحكام الشريعة الإسلامية، ص 103.

³ على معبد فرغلي، وعبد العزيز عبد الله عبيد، محاضرات في الأخلاق السنة الرابعة في جامعة الأزهر، ص 100.

⁴ حمدي عبدالعال، الأخلاق ومعياريها بين الوضعية والدين، ص 37 بتصرف.

⁵ محمد عقله، النظام الأخلاقي في الإسلام، ص 117 بتصرف.

ولعل أفضل ما عرف به الجزاء هو تعريف علماء الأخلاق، وهو:

"ما يترتب على عمل الإنسان من مثوبة في الخير أو عقوبة في الشر"؛ فهو تعريف عام وشامل للثواب والعقاب في الحياة الدنيا والآخرة.

أنواع الجزاء: للجزاء أنواع كثيرة، أهمها:

1 - الجزاء الإلهي "الديني": ويقصد به "ثواب الله وعقابه لعبده في الدنيا والآخرة على عمله الذي طلبه منه سبحانه على سبيل الوجوب أو الندب أو الكراهية أو التحريم"¹، ويتمثل هذا فيما أعده الله تعالى للطائعين من عبادته في جنات النعيم، والنار والعذاب المقيم للعاصين والمذنبين، فهو سبحانه وتعالى المجازي على الأعمال بالحسنات والسيئات وبالحدود والعقوبات.

وينقسم هذا النوع إلى عدة أقسام:

أ - جزاء إلهي دنيوي: ويتمثل هذا في معاقبة المنحرفين والخارجين على حدود الله في الحياة الدنيا، عقوبة معجلة لهم تتمثل في الحدود التي جاء بها الشرع القويم بهدف حماية المجتمع الإسلامي من أمثال هؤلاء²، وهذا بالنسبة للفرد، أما بالنسبة للجماعة فيقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْفُرْيِءِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَئِ كِ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾³، وقال تعالى مبينا العقاب الدنيوي لمن أعرض عنه وكفر بنعمه: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا فَرِيَةً كَانَتْ إِمْنَةً مَّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَافَهَا اللَّهُ لِبَاسٍ أَلْجُوعٍ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾⁴، وقال تعالى: ﴿لَفَدَّ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ

¹ أحمد الحليبي، المسؤولية الخلقية والجزاء عليها، مكتبة الرشد، الرياض 1996م، ص 382.

² محمد ممدوح العربي، الأخلاق والسياسة في الفكر الإسلامي، والليبرالي والماركسية، ص 228 بتصرف.

³ الأعراف، آية: 95.

⁴ - النحل، آية: 112.

ءَايَةً جَنَّتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ
وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١﴾ وبهذا كانت سنة الله في الذين خلوا من قبل أنهم إذا أفسدوا أهلكتهم الله تعالى
عقاباً لهم على ما اقترفوا من الذنوب والمعاصي، قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَّمْ يَنْتَهِ إِلْمَنَيفُورَ
وَالذِينَ فِي فَلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ
فِيهَا إِلَّا فَلَيلًا﴾².

ب- الجزء الإلهي الأخروي: لقد أعد الله لعباده في الآخرة دارين، هما: الجنة والنار،
فيثيب بالجنة وهي دار نعيم، هيأها الله لعباده المتقين الصالحين الأبرار، ويعاقب بالنار، وهي
دار عذاب أليم هيأها الله سبحانه لجزاء من عصاه من عباده، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَهِمْ
نَعِيمٌ ﴿٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَهِمْ جَحِيمٌ﴾³. وهو ركن من أركان الإيمان الستة التي يجب الإيمان
بها، إذ الإيمان بها يستلزم الإيمان بما فيه من نعيم وعذاب⁴. فالله سبحانه يجزي العبد على
ما عمل من خير في الدنيا ولابد من ثم في الآخرة يوفيه أجره كما قال تعالى: ﴿وإِنَّمَا تُوقَّوْنَ
أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾؛ فعرف عباده أن لهم عنده في الآخرة من النعم أضعاف هذه بما لا يدرك
تفاوته، وأن هذه من بعض نعمه العاجلة عليهم، وأنهم إن أطاعوه زادهم إلى هذه النعم نعمة
أخرى، ثم في الآخرة يوفيهم أجور أعمالهم تمام التوفية⁵، فتواب الله في الآخرة خير ثواب،
كما أن عقابه أشد عذاب، قال تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْغَى﴾⁶، كما قال تعالى في بيان

¹ - سبأ، الآيات: 15.

² - الأحزاب، الآيات: 60.

³ - الانفطار، الآيتان: 13 - 14.

⁴ - أحمد الحليبي، المسؤولية الخلقية والجزاء عليها ص، 410 / 418 بتصرف.

⁵ - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين 2 / 183 بتصرف، مراجعة

وتعليق: طه عبد الرؤوف سبع

⁶ - الأعلى، آية: 17.

شديد عقابه وأليم عذابه: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِرْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْغَىٰ﴾¹، فالمذنبون الذين يشعرون بأنهم سعداء في حياتهم لن يظلوا دون عقوبة أبداً، وإلا كانت الحياة عبثاً، فلا بد أن تكون "هناك بكل تأكيد عودة للعدالة الإلهية التي تفرق بين المؤمنين والطالحين، ولكل منهم جزاء في الآخرة، مما يجعل العمل الديني مرتبطاً بالجزاء الأخروي ارتباطاً وثيقاً"²، قال تعالى: ﴿أَبَحْسَبْتُمْ أَنَّمَا خَلَفْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾³ وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾⁴، ومن هنا يتبين لنا أن الدار الآخرة دار جزاء، يجازى فيها كل واحد ما عمل من خير أو شر في الحياة الدنيا، وأن الكافر يجازى أسوأ الجزاء مدة دوام دار الجزاء تلك، وكذلك المؤمن الصالح يجازى أحسن الجزاء مدة دوام دار النعيم التي هي الجنة، فكل واحد منهما خالد في داره أو جزائه مادامت الجنة والنار.⁵

ويعتبر الجزاء من أكبر العوامل التي تسهم إسهاماً فاعلاً وعميقاً في تحقيق الالتزام بمبدأ المسؤولية، وذلك لما يتأمله المرء من حصوله على النعيم المقيم الذي يحمل النفس على العمل الصالح، والعذاب الأليم الذي ينفر النفس من عمل السيئات، فالجزاء من العوامل التي ترغم النفس على الإقبال على الفضيلة وترهبها في الوقت ذاته من فعل الرذيلة، ذلك أن الرغبة في الثواب والرغبة من العقاب اللذين هما الوعد والوعيد يولدان في النفس الإنسانية استعدادين متقابلين يوجهان في الواقع اتجاه الحياة، ويحددان للإنسان أهدافه وسلوكه ومشاعره وأفكاره

¹ طه، آية: 127.

² محمد ممدوح العربي، الأخلاق والسياسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م، ص 229.

³ المؤمنون، آية: 115.

⁴ ص، آية: 28.

⁵ مقدار يالحن، الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، ص 260 بتصرف.

على قدر ما يرجو، ونوع ما يرجو؛ ليتخذ لنفسه منهج حياة ويوفق بين سلوكه وبين ما يرجو ويهاب.

2 - الجزء الوجداني أو القلبي: يقصد به: ذلك الشعور المتأصل في النفس والذي نحس به إثر إقدامنا على عمل خير بالسعادة والفرح، أو بالتأنيب والألم والتعاسة إثر فعل شيء قبيح. وهذا الجزء يعتمد على الوجدان الفطري، وهو يتعلق بالضمير الشخصي لذات الإنسان، وغالبا ما يختص هذا الشعور بالذين يتميزون بالنبيل والإنسانية ورقة القلب وغلبة شعورهم بالمسؤولية، أما الذين لا يفرقون بين حلال وحرام، أو اعتادوا على فعل المنكرات وقبائح الأعمال غالبا ما يموت لديهم هذا الشعور الجزائي، أو على أقل تقدير يموت إحساسهم به، بل إن بعضهم يرى أن الحديث عنه من قبيل الخرافة¹؛ فهو بذلك يختلف من شخص لآخر بحسب "الاستعداد الفطري أو الوراثي، ومدى تأصل القيم في واقع المجتمع مما ينعكس إيجابا أو سلبا على صفاء الضمير ونقاؤه"².

ومما لا شك فيه أن هذا الجزء يعد أكثر تأثيرا من قيمة الجزء المادي؛ ذلك أن هذا الأخير وقتي وقد يصيب ويخطئ، وقد يكون مكافئا للعمل أو لا يكون، أما الجزء الوجداني فهو مصيب مستمر مؤثر في سمات شخصية الإنسان الظاهرية بما ينعكس من شعور بالطمأنينة وبالخيرية الذاتية إن كان محسنا، والعكس صحيح³.

ويدل على شعور المرء بطمأنينة قلبه وانشرح صدره وغيرها من مشاعر الخير عقب فعله البر، قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا

¹ محمد عقله، النظام الأخلاقي في الإسلام، ص 119، وانظر: أحمد عليان، الأخلاق في الشريعة الإسلامية، ص 88 بتصرف.

² مقدار يالجن، الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، ص 262.

³ مقدار يالجن، ص 264 / 293 بتصرف.

بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ¹، وقول صلى الله عليه وسلم: " البر ما اطمأنت إليه القلوب، واطمأنت إليه النفوس"²، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾³، "أي أظهر لقلوبهم وأنقى لدينهم"⁴، أما في حالة العقاب فإن شعور الإنسان بالندم والحسرة والقلق وضيق الصدر وقساوة القلب وفقدانه الأمن والطمأنينة الروحية وفقدان احترام الإنسان ذاته هي نتيجة طبيعية لإقدامه على فعل الإثم ومقارفة الذنب، وهذا الشعور يزيد وينقص على قدر انغماسه في تلك المنكرات، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَبُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَافَتْ عَلَيْهِمُ الْآرَضُ بِمَا رَحَبَتْ وَضَافَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾⁵، يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - في تفسيره لقوله تعالى: " وضافت عليهم أنفسهم" أي: ضاقت صدورهم بالهم والوحشة"⁶، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَيَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمُ مِنَ اللَّهِ مِنَّ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁷

خَالِدُونَ⁷

¹ الرعد، آية: 28.

² رواه الإمام أحمد 228/4، قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم، ص 246: إسناده صحيح.

³ النور، آية: 30.

⁴ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1420 هـ - 1999 م، 43/6.

⁵ التوبة، آية: 118.

⁶ أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن 4/ 287، تصحيح أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، مؤسسة الرسالة 2006م.

⁷ يونس، آية: 27.

4 - الجزء الاجتماعي: ويقصد به "ما يناله الإنسان على التزامه الفضيلة من تقدير المجتمع وتكريمه، وعلى ارتكابه الرذيلة من إهانة واحتقار. ذلك أنه تكاد تتفق المجتمعات على جملة من الأخلاق، كالصدق والوفاء والأمانة والإحسان إلى المحتاج، وعلى استهجان جملة أخرى كالكذب والغدر والخيانة"¹. ولذا فإن أي فرد من المجتمع يحرص على أن يظهر بمظهر من يراعي الفضيلة ويعمل بها؛ ليوافق استحسان المجتمع، كما يتطلع إلى تقدير المجتمع وتكريمه في التزامه الفضيلة ومجانبته الرذيلة، وذلك حذرا من استهجان المجتمع لعمله وازدراءه له².

وهذا الجزء ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

1- الجزء غير المباشر: وهو ما يجده كل فرد في المجتمع من جراء انتشار الانحلال الأخلاقي، مثل الكذب والنفاق والبغض والمحاباة والخيانة والمحسوبية والرشوة والحسد وعدم الإخلاص والأنانية وما إلى ذلك.

فالحياة الاجتماعية تصبح عندئذ جحيما لا يطاق، أو تزول عندئذ من هذه الحياة كل بهجة ومودة ومحبة وأمن وطمأنينة، ويسود لديها البغض والكراهية والعداوة، فكل فرد يصبح عدوا للآخر وعندئذ يكره الفرد الناس والمجتمع ولا يجد لذة ولا طعما في الحياة.³ ولهذا يجب على الفرد بذل النصيح والتعاون على البر والتقوى حتى تسير سفينة الحياة كما أراد الله لها أن تسير، وذلك بالأخذ على يد المفسدين من أعضاء المجتمع وأطهرهم على الحق أطرا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾⁴.

1 أحمد الحليبي، المسؤولية الخلقية والجزاء عليها، مكتبة الرشد، 1996م، ص 439/ 440 بتصرف.

2 المرجع السابق، ص 440.

3 مقداد يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، ص 373 بتصرف.

4 المائدة، آية: 2.

وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا﴾¹.

2 - الجزء المادي: ويتمثل فيما يقرره المجتمع أو الشارع؛ من عقاب للمنحرف ومكافأة للمستقيم الصالح، وقد قرر الإسلام عقوبات مختلفة بحسب الجرائم المرتكبة، وأعطى حق تنفيذ العقوبة للمجتمع ممثلاً في ولي الأمر، ومن بينها قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدُ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾². وقد "طلب شهود جماعة هذا العقاب ليكون أوقع في نفس المجرم"³ وذلك لأن الجزء إذا كان مشهوداً من قبل المجتمع كان أشد وقعاً وتأثيراً على نفس المجرم والشهود في آن واحد. كما قرر الإسلام إلى جانب ذلك مكافأة المحسنين، وذلك لأنه من خلال هذه المكافأة "تتقارب المشاعر النفسية بين أفراد المجتمع، إذا النفوس مطبوعة على حب الخير والرغبة في الثواب، ويحصل به تبادل التقدير بينهم وحفظ الفضل لأهله، ورد الجميل على باذله، قال صلى الله عليه وسلم: "من صنع إليكم معروفة فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه"⁴، مع ما في هذه المكافأة من شكر للمحسن على إحسانه، واعتراف له بفضله عليه، وذلك سمة من سمات الأوفياء الشاكرين⁵، كما أن في ذلك تشجيعاً للناس على الفضائل والإقبال عليها.

1 المائدة، الآيتان: 78 79.

2 النور، آية: 3.

3 مقدار بالجَن، الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، ص 266 276.

4 رواه أبو داود 310 / 2 ح: 1672. ورواه النسائي 82/5 ح: 2567 مع اختلاف يسير في ألفاظ الحديث.

5 أحمد الحليبي، المسؤولية الخلقية والجزاء عليها، ص 446 / 447 بتصرف.

3- الجزاء الأدبي وهو: عدم الاعتداد بشخصية الفاسق وعدم الثقة به، ولهذا لا تقبل شهادته، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ فَاَجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْقَبِيسُفُونَ﴾¹، وهذا الجزاء ليس أمرا سهلا، ذلك أن الفاسق يفقد بذلك شخصيته الأدبية في المجتمع كإنسان يعتمد عليه ويوثق به، زد على ذلك أنه لا يجد الاحترام والقبول من الناس، وهذا أمر صعب على النفس الإنسانية وخاصة على الذين يتمتعون بالإحساس الأدبي الرفيع، و"ليس هذا قاصرا على الشهادة بل يشمل تولي الوظائف وإسناد المهام إليه أيضا"².

الأخلاق السيئة"¹، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾².

وقال صلى الله عليه وسلم: (إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة)³.

من خلال ما سبق يتبين مدى حرص الإسلام على أن تكون الفضيلة هي السمة الظاهرة للمجتمع، ومحاولة جعل السيادة للمعروف على كل شيء ومنازمة المنكر فيه، ويتمثل ذلك في واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك أنه يعمل على فشو الخير وانحسار الشر في المجتمع ومحاربة المنكر والتكاثر على نبذه، كما يؤدي إلى بناء العلاقات الاجتماعية على نصرته المعروف والتعاون عليه، ناهيك عما يحدثه هذا الغرض العظيم من محبة للخير والفضيلة والنفور والابتعاد عن الرذيلة.

¹ أحمد الحليبي، المسؤولية الخلقية والجزاء عليها، ص 499.

² الكهف، آية: 28.

³ رواه مسلم 1608/4 ح: 2628.

المطلب الثاني: أسس القيم في مرجعية الفكر الغربي.

تقوم القيم في مرجعية الفكر الغربي المعاصر على أسس اتخذها الغربيون وهي العقل، المنفعة، اللذة، المادة، وفي هذا المطلب سأذكر كل أساس من هذه الأسس بالتفصيل مع ذكر ما اتسمت به من تذبذب وتناقض وتغير.

وهذا التذبذب والتناقض والتغير حصل لابتعاد مرجعية الفكر الغربي عن نور الوحي المنزل من الخالق سبحانه، الذي يعلم حقيقة النفس البشرية وما تحتاج إليه وما يصلح شأنها، فقد أرسل الله سبحانه وتعالى رسالات وبعث الرسل لهداية الإنسانية إلى طريق الحق والصواب، والتي كان آخرها رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للعالم أجمع، إلا أن مرجعية الفكر الغربي نأى عنها ولم يرضها ديناً وتفرق، فمنهم من بقي على النصرانية ومنهم من بقي على اليهودية المحرفتين، ومنهم من اتخذ الإلحاد واللائين له طريقاً، وهذا هو الغالب، وهذا ما جعل الناس في الغرب - وعلى وجه الخصوص المفكرين والعلماء منهم - يبحثون عما قد يجدون فيه حلاً لمشاكلهم، وأساساً يمكن أن يعتمدوا عليه ويبنوا على أساسه قيمهم؛ وذلك أن الكتاب المقدس عند النصارى ومصادر الفكر اليهودي نالها من التحريف ما نالها، وعبثت بها أيدي البشر على مر التاريخ، مما جعلهم يتخبطون حسب أهواء رجال الدين ومصالحهم ومطامعهم، وجعل بعضهم يلجأ إلى الإلحاد واللائين.

ولم تجد القيم في المجتمع الغربي المعاصر أساساً رباتياً تقوم عليه إلا اجتهادات بشرية قاصرة، كما لم تجد مصدراً قوياً محفوظاً بحفظ الله عز وجل كما هو في الإسلام، مما جعلهم تقوم على أسس بعيدة عن حاجات البشر وما تتطلبه من قيم تنظم علاقات أفراد المجتمع وتأخذ بيدهم لتكوين مجتمع إنساني متحضر.

الأساس الأول من أسس القيم عند الغرب: العقل.

العقل في اللغة: تدل مادة (عقل) في اللغة العربية على عدة معان:

1- الحجر والنهي: "وهو ضد الحق، والجمع: عقول، و ل يعقل عقلا ومعقولا، وهو المصدر"¹.

2- الحبس والمنع: "فالعين والقاف واللام أصل وا منقاس مطرد يدل على حبسة في الشيء أو ا يقارب الحبسة، ومن ذلك العقل: وهو الحابس عن ذميم القول والفعل"²، و لها يقال: رجل عاقل، وهو الجامع لأمره ورأيه، مأخوذ من عقلت البعير، أي: جمعت قوائمه، والعاقل: ا ي يحبس نفسه ويردها عن هواها، أ ذ من قولهم: قد ا تقل لسانه إذا حبس ومنع الكلام"³.

3 - التدبر: يقال: "عقلت الشيء عقلا، باب ضرب أي تدبرته، ولذلك

قيل: العقل هو غريزة يتهيأ به الإنسان إلى تدبر وفهم الخطاب"⁴.

4 - الملجأ: يقال: "عقل إيه يعقل عقلا وعقولا: لجأ، وفلان معقل لقومه أي ملجأ، ومنه المعقل وهو الملجأ، والعاقل: الحصون، والعقل: الحصن والملجأ"⁵، لهذا سمي العرب ما في الإنسان عقلا؛ لأنه يمنعه من أشياء قد تعود عليه بالهلكة، وسمي "عقل الإنسان الذي فارق به الحيوان عقلا لأنه يعقل، أ يمنعه من التورط في الهلكة، كما يعقل العقال البعير عن ركوب رأسه"⁶.

¹ : ابن منظور، لسان العرب 458/11، مادة عقل.

² : ا فارس، معجم مقاييس اللغة 4 / 69، مادة عقل.

³ : ابن منظور، لسان العرب، 458/11، مادة عقل.

⁴ : أحمد الفيومي، المصباح المنير، ص 219، مادة عقل.

⁵ الفيروز آبادي، القاموس المحيط 4/19، مادة عقل، وا منظور، لسان العرب 11 / 465، مادة عقل.

⁶ محمد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة 1/240، تقديم: عبد السلام هارون، سنة 1384 هـ 1964م، ط، دار القومية العربية، مصر.

العقل في الاصطلاح عند المفكرين الغربيين: تعددت تعريفات العقل في مرجعية الفكر الغربي المعاصر حسب انتمائها العلمي إلا أنها في مجملها تتناول ظاهرة واحدة من عدة زوايا مختلفة وهي ظاهرة الوعي الإنساني ومن هذه التعريفات:

- 1 - تعريفه في علم النفس فهو يبحث في "نشاط المخ وعلاقاته بالجسم"¹.
- 2 - تعريفه في علم الاجتماع فهو يفسر العقل بالوعي الاجتماعي، و عبارة عن: "مجموعة التصورات التي بناها مجموعة اجتماعية معينة"².
- 3 - تعريفه عند أصحاب المذهب الحدسي التجريبي، ومنهم جون لوك هو: "عنصر أولي بسيط التكوين، يتجزأ ولا يتحلل، كما هو الشأن في الشيء المادي"³. فالعقل عند هؤلاء يضاء مهياة لتقبل ما تخطه عليه التجربة من معان ومبادئ، ويحصل بنقل الإحساس إلى الذهن صور المحسوسات من ألوان وأبعاد ونحوها، والتفكير تنشأ الصور ا نية من تخيل وتذكر ونحوها"⁴.
- 4 - تعريفه عند أصحاب المذهب العقلي، هو: عبارة عن مجموعة المبادئ البديهية القبلية ا منظمة للمعرفة، المتميزة بضرورتها "صدقها" وكليتها وعموميتها، واستقلالها ن كل تجربة.⁵ وبإدراك الإنسان للحقائق الضرورية والأبدية يتميز بها عن الحيوان، وهي التي تسمو به إلى معرفة ذاته"⁶.

¹ عاطف أحمد، نقد العقل الوضعي، ص 133، دراسة في الأزمة ا منهجية لفكر زكي محفوظ، تقديم: إبراهيم فتحي، الطبعة الأولى، 1980، دار الطليعة، بيروت.

² المرجع السابق، ص 133.

³ عزمي إسلام، جون لوك، ص 320.

⁴ توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص 350 - 351.

⁵ المرجع السابق، ص 342 / 344 بتصرف.

⁶ ميل صليبا، المعجم الفلسفي، 2 / 87.

سيادة العقل أو عصر التنوير: كان ظهور هذا الاتجاه ردًا مباشرًا لفقدان الثقة في
النياسة باعتبارها مصدرًا وحيدًا للمعرفة، وقد سميت هذه المرحلة بعصر التنوير، وكان ظهورها
في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي، ويغلب على الفكر العقلي في تلك الفترة
مضادة الدين ومناوئته له، ويرجع ذلك إلى معاداة الكنيسة للعلم واضطهادها للعلماء واعتبار
كل كشف علمي وإن كان صحيحًا كفرًا وزندقة، وأن مسائل الإيمان ^د الله لا يجوز
أن يكون لعقل حكم فيها. أضف إلى ذلك ظهور فكر الكنيسة ومعتقداتها هزيلة ومشوهة¹؛
ويرجع ذلك إلى تسرب الخرافات الوثنية والمعلومات البشرية إلى ^{ير} من تعاليم الديانة
النصرانية، إذ جعلتها الكنيسة عقائد إلهية تدخل في صلب الدين وصميمه، و"عدت الكفر بها
كفرًا بالوحي والدين، هذا بالإضافة إلى ضيق صدر ^ا سة بكل من يخالف تعاليمها الممزوجة
وإصرارها الأعمى على التشبث بها"².

والمحور الذي تقوم عليه الفلسفة العقلية هو: أن العقل وحده هو مصدر المعرفة اليقينية،
وأن له الحق في الإشراف الكامل على كل اتجاهات الحياة، سياسية كانت أم قانونية أم أخلاقية
أم دينية، وأن ^ا نسانية هدف الحياة للجميع، وليس الله أو المجتمع أو الدولة أو غيرها، ويطلق
على هذا العصر: عصر الإيمان الفلسفي بإله ليس له وحي وليس بخالق للعالم، وهو العقل.
العقل عند أنصار هذا المذهب إله بدون وحي³، يقول جون لوك طالبًا بإخضاع
الوحي للعقل عند تعارضهما: "من استبعد ^ا قل ليفسح للوحي مجالًا فقد أخفى نور كليهما،
وكان ^{مثل} من يقنع إنسانًا بأن يفقع عينيه و ^{عيض} عنهما بنور خافت بواسطة ^ا رقب
من نجم سحيق"⁴.

¹ عبد العظيم المطعني، الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى 1987م، ص 70 / 74 بتصرف.

² سفر عبد الرحمن الحوالي، العلمانية، ص 147.

³ محمد البهي، الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبة 1964م، ص 252 / 253 بتصرف.

⁴ توفيق الطويل، قصة النزاع بين الدين والفلسفة، ص 14، الطبعة الثانية، مصر.

ومن الطبيعي أن تصطدم بتعاليم الديانة النصرانية المحرفة، لأنه لو كان هذا الدين
أخالصا سليما من التحريف والتبديل، وكان العقل يقينيا مجردا فا سليما من الشبهات
والشهوات، لما وقع الصدام والصراع بينهما؛ إذ لا تعارض بين الوحي الصحيح والعقل الصريح
كما هو الحال في الإسلام.

وكان لهذا الاتجاه رواد وأنصار من أبرزهم الفيلسوف الفرنسي فولتير، وبيتر بيلي، ولا
متري، والفيلسوف الألماني سيدستون وولف، ولسنج، والفيلسوف الإنجليزي جون لوك و يرههم
كثيرون.

الطابع الفكري الذي تميز به عصر التنوير: لعصر التنوير طابع خاص تميز به عن
العصر السابق عليه، وهو العصر الذي كان يعتبر الوحي فيه المصدر الرئيس للمعرفة، سواء
في عصر سلطة الكنيسة الكاثوليكية أو في عهد الإصلاح الديني، حيث ينظر فيه إلى الكتاب
المقدس على أنه فوق العقل؛ بمعنى أن للعقل أن يبحث ويرى - إن جاز له ذلك - ولكن
للكتاب المقدس الكلمة الأخيرة فيما يرى ويحكم. كما تميز هذا العصر عن العصر اللاحق
بعدة مميزات من أبرزها:

1- شعور العقل وحساسه بنفسه، وبقدر على أن يأخذ مصير مستقبل الإنسانية
في يده، بعد أن يحرر نفسه من كل عبودية في الكنيسة وعالمها حتى لا يحجب عن التخطيط
الوا لهذا المصير.

2 - الشجاعة والجرأة التي تتأرجح في إخضاع حدث تاريخي لامتحان العقل مما
في ذلك تكوين الدولة، والجماعة، والاقتصاد، والتربية، وحتى ادين نفسه تكويننا جديدا على
أسس عقلية.

3 - محاولة إبعاد ادين عن مجال التوجيه وإحلال العقل محله، فالعقل في

ظهرهم يحق له الإشراف والتوجيه على مناحي الحياة بلا استثناء.

4- الإيمان بتعاون جميع المصالح والمنافع، وبالأخوة الإنسانية . التي ليست إلا عوضا عن القرب من الله كهدف للإنسان في سلوكه في الحياة -على أساس من هذه العقلية وحدها والتي ميز بالاستمرارية والنمو المتزايد¹.

5- تمجيد العلم التجريبي، لأنه النتاج العظيم للإله الجديد "العقل البشري"، وبناء على ذلك فإن "المقياس الحقيقي الذي تقاس به الحضارة و دى تقدمها هو العلم التجريبي"².

النظريات التي أسهمت في تشويه صورة الدين في مرجعية الفكر الغربي:

لقد ظهرت ثلاث نظريات في القرن التاسع عشر الميلادي الموافق للقرن الثالث عشر الهجري، اتخذها الملحدون وسيلة لهدم الدين والتدين في نفوس الناس، وهي:

أولا: نظرية التطور لدارون³:

تقوم نظرية دارون على افتراض تطور الحياة في الكائنات اعضوية من السهولة وعدم التعقيد إلى الدقة والتعقيد وتدرجها من الأخط إلى الأرقى، وأن أصل الحياة خلية كانت في مستنقع آ ن قبل ملايين السنين، وقد تطورت هذه الخلية ومرت في مراحل عدة، كما أن الفروق الخلوية داخل النوع الواحد تنتج أنواع عديدة مع مرور الأحقاب الطويلة، وأن الطبيعة وهبت بعض الكائنات عوامل البقاء ومؤهلات حفظ النوع بإضافة أعضاء أو صفات جديدة تستطيع بواسطتها أن تتكيف مع الظروف البيئية الطارئة، مما أدى إلى تحسن نوعي مستمر نتج عنه أنواع جديدة راقية، كالقرد ونوع أرقى منه وهو الإنسان. بينما نجد أن الطبيعة قد

¹ - محمد البهي، الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار، ص 251 / 253 بتصرف.

² - عباس حسني، اتجاهات النهضة والتغيير في العالم الإسلامي، ص 72.

³ هو: تشارلز روبرت داروين 1809 - 1882م ، باحث وعالم بريطاني من أ يهودي، ود في شروزبري بإنجلترا، عكف على دراسة علوم الطبيعة واقتن اسمه بنظرية النشوء والارتقاء وبها اشتهر وذلك في كتابه "أصل الأنواع" ، من كتبه «أصل الإنسان، والانتخاب النسبة للجنس، تنوع النباتات والحيوانات تحت الاستئناس» . ينظر: الموسوعة العربية العالمية: 226/10: محمد شقيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة 1/774.

حرمت البعض الآخر من ذلك فتعثر وسقط وزال، والطبيعة في ذ تنتهج منها وخطة موسومة، تخطب خطب عشواء - عند حد قول دارون¹ - وهو بذلك ينسف الفكرة القائلة بأن أصل الإنسان يعود إلى آدم وحواء ابتداء؛ وذلك لأنه لم يتعرض لنشأة الخلية الأولى، ولذا فقد استغل الملحدون هذه النظرية وسيلة لنشر إلحادهم، زاعمين أن هذا التدرج في الخلق قد نفى عنه الإعجاز؛ لأن الزمن اسحق هو وحده الكفيل بعملية الخلق دون حاجة إلى خالق مدبر حكيم، كما استغلت هذه النظرية لنشر الإلحاد بين الناس².

وكان ظهور هذه النظرية نتيجة طبيعية للصراع المرير بين الدين النصراني المتمثل في الكنيسة والعقل والمتمثل في النظريات العلمية الحديثة.

ولقد أصيب العالم بنقص حقيقي في الإيمان؛ وذلك بسبب ما أشاعه الملحدون من تفسيرات باطلة لنظرية التطور واستغلالها استغلالاً بشعاً، وما زاد من انتشار هذه النظرية ورواجها المنقطع النظير موقف الكنيسة المهزوز منذ البداية، لا سيما وأن الزمن أثبت خطأ المواقف التي اتخذتها من النظريات السابقة، ولذلك خشي كثير من المتعاطفين معها أن يقعوا في الخطأ نفسه، هذا بالإضافة إلى تعرض رجال الدين النصارى للتشهير والتشنيع من قبل أنصار هذه النظرية، "مما أدى إلى زلزلة العقائد الإسلامية وانتشار الإلحاد و يوعه بطريقة غريبة وشاذة"³، وهذا لا يرجع إلى قوة نظرية التطور وإنما يرجع إلى ضعف الكنيسة وما تمثله نُد منحرفة وباطلة بعيدة كل البعد عن الديانة النصرانية الحقّة التي جاء بها المسيح عليه السلام، ومع ذلك فلم يكن حتماً أن تتجه هذا الاتجاه في التأثير، و تلقفتها يد أخرى، مخلصه للحقيقة، مؤمنة بالله، أو في القليل مقدرة للإنسان والخير الإنساني. أما الفكر الغربي. قد فوجئ مفاجأة عنيفة بفكرة التطور، فأفقدته الهزة صوابه، وصار عرضة للانحراف، و ن لم

¹ الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة، ص 212- 214 بتصرف.

² سفر الحوالي، العلمانية، ص 186/ 187 بتصرف.

³ المرجع السابق، ص 187.

يكن حتماً أن ينحرف، كما يمكن أن يترد إلى الصواب حين يجد الهداة أن يردونه إلى الصواب.

قد تعرضت هذه النظرية لانتقادات حادة يمكن تلخيص بعضها فيما يلي:

1- إن هذه النظرية هي فرض محض، بمعنى أنها لا تقوم على مستند علمي صحيح، يقول: "لويس ماسينون": "إن هب دارون فرض محض وو تمسك به -بعض العلماء"¹.

ويقول: "جون كميني" واصفاً هذه النظرية بأنها ليست نظرية دقيقة: "إن الصعوبة الكبيرة في تقييم هذه النظرية تكمن في أنها ليست تامة، فهي وصف كيفي أكثر منها نظرية علمية دقيقة"².

2 - إن كل ما اعتمده "دارون" لا يعدو أن يكون نوعاً من المشاهدات الوضعية الثابتة، لأنه لا حظ ظاهرة التشابه التصاعدي في الكائنات الحية بدءاً من الخلية الأولى إلى أرقى أنواعها وهو الإنسان، وقال إنها جميعاً منحدرت من أصل واحد. و ن ما المانع من أن يكون الاختلاف بين الإنسان وغيره اختلاف في الماهية وإن تراءى بينهما بعض الشبه؛ أي أ لماذا لا تكون هذه السلسلة المنحدرة من التشابه بين الكائنات الحية قائمة على هذا التدرج والتشابه نفسه منذ أن خلقها الله تعالى؟ ثم إنه لو كان هناك ثمة ميزان من دليل التجربة والملاحظة لكان في ميسوره أن يقضي على هذا التساؤل من أساسه، وأن يحمل إلينا القول الفصل في هذه المسألة³.

¹ تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية. المحاضرة 1 - عشر كتاب مخطوط في المعهد الفرنسي بالقاهرة تحت رقم 2296، نقلاً عن: محفوظ عزام، نظرية التطور عند مفكري الإسلام "دراسة مقارنة" ص 237.

² الفيلسوف والعلم: ص 287، ترجمة: أمين الشريف، بيروت، 1995م.

³ : أبو الأعلى المودودي، الإسلام ومواجهة التحديات المعاصرة، ص: 25، تعريب: خليل الحامدي، وانظر: الشيخ نديم الجسر، قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ص 187، طرابلس، لبنان، وينظر: محمد رمضان البوطي، كبر اليقينيات الكونية، ص، 212 - 215.

3 - إن الواقع ا مشاهد يتنافى مع نظرية الانتخاب الطبيعي وبقاء ا صلح عند دارون، فإن الكون ما يزال يعج بالأصلح والصالح وغير الصالح من شتى أصناف الحيوانات بلا استثناء، بدءا من الهلاميات بعد الخلية الواحدة إلى القردة فالإنسان، فالضعيف مازال يعيش بجانب القوي، كما أن الموت ض كذلك نظرية دارون؛ فأى بقاء يتم للأصلح إذا كان الموت يتربص به¹.

ثانيا: نظرية فرويد²:

تعد نظرية فرويد امتدادا بيعيا لنظرية دارون، فقد بدأ من حيث انتهى الأول، فهو لم منه جانب التطور، وإنما أخذ عنه حيوانية الإنسان، حيث أ يقن سلوكيات الإنسان، و لسف تصرفاته على مادي صرف، حا من منهجه كل المؤثرات إلا المؤثرات المادية التي تدفع بالإنسان فعل منعكس لمؤثر آخر خارجي. أي أن الإنسان "حيوان" تتحكم فيه العوامل المادية الصرفة، كما أنه يقطع الصلة بين الإنسان وخالقه ومولاه.

ميدان بحثه: تعد النفس الإنسانية والمشاعر والانفعالات هي ميدان نفس في نظره هي الميدان الأصل للحياة، وعلى تركيبها الذاتي تنبثق الأفعال والأفكار والمشاعر، وتتحول إلى وقائع عملية في واقع الحياة³.

1 - محفوظ علي عزام، نظرية التطور عند مفكري الإسلام، ص 238 بتصرف، وينظر: موريس بوكاي، أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، ص 41 46، ترجمة: فوزي عبان، المكتبة العلمية، 1410 هـ / 1990م.

2 - سيجموند فرويد 1856 - 1919 م: يهود مساوي، ولد في فريندرج بتشيكوسلوفاكيا، تعلم في فيينا متخصصا في طب الأعصاب، ثم تحول إلى دراسة الجوانب النفسية، يعد مؤسسة المدرسة التحليل النفسي، حيث توصل إلى نتيجة مفادها أن الطاقة المسببة للأمراض الهستيريا، وكثيرا من الطفولة لها علاقة بالطاقة الجنسية، أشهر مؤلفاته «التحليل النفسي»، و«تفسير الأحلام»، و«رسائل في نظريات الجنس»، «أ فوق مبدأ اللذة»، «الذات». حاول فرويد تطبيق نظريته في تفسير نشأة المجتمع والدين والحضارة والتطور. وكان لنظريته أعمق الأثر في الدراسات النفسية والاجتماعية والفنية والأدبية. ينظر:

3 مد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة 2/ 1297، وينظر: عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ص 307 309، الموسوعة العربية العالمية 17/ 355 / 357.

أصل نظريته: لا حظ فرويد أن عددا كبيرا من المرضى كانوا يتصرفون وقا لدواع وتجارب لم يكونوا في حالة وعي بها، ومن ثم فقد ا نع بأن اللاوعي يؤدي دورا ر سيا في تشكيل السلوك، كما توصل إلى أن الفعل اللاوعي مليء بذكريات الأحداث حدثت منذ الطفولة، و تعود إلى أول عهد ا طفل بالحياة، وأن الذكريات الأليمة غالبا ما يحتفظ بها الناس خارج نطاق الوعي. وكان ستعمل مصطلح آليات الدفاع أو الحيل ا فاعية للطرق التي كان يستخدمها الناس في ذلك الوقت؛ وهذه الذكريات د تكون سببا فيما بعد في بعض الأمراض النفسية كمرض الاضطراب العصبي الوظيفي الذي يسميه فرويد "العصاب"، كما توصل إلى أن كثيرا من ذكريات الطفولة لها علاقة بالجنس، وأنها تبدأ منذ الولادة، وأن الإنسان يمر بمراحل نفسية عدة من النمو الجنسي، وأن أعمال ا تعد تعبيراً عن طاقته الجنسية، فالرضاعة عنده جنس، ومص الإبهام جنس، وضم أمه إليه وا تضانها جنس؛ بل إن إخراج الفضلات من الطعام والشراب عنده تعبيراً عن الإحساس الجنسي وإشباعاً له. وخلال فترة الطفولة الجنسية إلى بلوغ الرشد الجنسي فإن المرء يكتشف عدة اكتشافات جنسية في نفسه، ويتعلم التحكم في غرائزه الجنسية¹.

ما يركز فرويد على الجانب اللاشعوري من النفس الإنسانية، "وهو مستودع الدوافع البدائية الجنسية، وهو مقر الرغبات والحاجات الانفعالية المكبوتة التي ظهر في عثرات اللسان والأخطاء الصغيرة والهفوات، وأثناء بعض المظاهر ا غامضة لسلوك الإنسان، إنه مستودع ذو قوة ميكانيكية دافعة وليس مجرد مكان تلقى إليه الأفكار والذكريات غير الهامة"²، وبواسطة هذا الجانب اللاشعوري من النفس الإنسانية تصدر كثير من التصرفات والانفعالات التي لم تجد ا فرصة من قبل لإشباعها، والتي كانت مكبوتة داخل أعماق نفسه.

نظرته إلى الدين والقيم: يعد فرويد ا ين بأنه حالة أو ظاهرة مرضية عند الإنسان شبيهة بالمرض النفسي، وأن ا دين في نفسه ليس كسبا خالداً، وأن على الإنسان المتحضر أن

¹ الموسوعة العربية العالمية 355/17. عبد العظيم المطعني، الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة، ص 146.

² الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة، ص 38.

يجتازه ويبدأ منه عند الاكتمال والنضج، كما يبدأ الطفل حين يكبر من أشياء كان يحترمها ثم يظهر له بطلانها في سن الرشد وكمال الوعي، يقول فرويد: "إننا إذا حاولنا أن نحدد للدين انه في تاريخ تطور الإنسانية لم يبدأه كسب خالد بقدر ما يبدو أنه تطور للمرض النفسي الذي لا بد أن يجتازه الإنسان المتحضر وهو يتطور من سن الطفولة إلى سن النضج¹.

كما يزعم فرويد أن التحليل والحريم من صنع البشر؛ وأنهم لجأوا إليه لتفادي نزاعات وصراعات كانت تحدث بينهم، وأن أول المحرمات كان زواج الأم ثم عم جميع المحرمات.

كما يفسر الدين والعبادة تفسيراً خرافياً ليس له أصل في الشرائع السماوية؛ فأصل العبادة والدين هو تقديس الأب المقتول في ذكره²، فالطفل يعشق أمه بدافع الجنس، ثم يجد أباه حائلاً بينهما فيكبت هذا العشق؛ فتتسأ في نفس ذلك الطفل عقدة أوديب. وكذلك الطفلة تعشق أباهما بدافع الجنس، ولكنها تضطر إلى قهرها خوفاً من الأم، فتتسأ في نفسها عقد إيكتر، ومن هذه العقد العينة ينشأ - حسب فرويد - الضمير والدين والأخلاق والتقاليد وكل ما في حياة البشرية؛ بل هي منشأ التاريخ البشري طبة، كما يعد فرويد أن الأبناء في مطلع البشرية عندما وجدوا أن الأب يقف عائقاً أمام قهرهم قتلوه ثم أحسوا بالندم فعبدهوا وقدموا ذكراه. وفي الوقت ذاته وجد الأبناء أنهم سيتقاتلون بينهم للحصول على الأم فقرروا تحريمها على أنفسهم؛ فنشأ بذلك أول تحريم جنسي وإن على الأم، كما قرروا التعاون فيما بينهم بدل الخصام والعراك فنشأت القيم.

ثم إن الكبت الذي يشعر به الطفل يتحول فيما بعد إلى قلق نفسي دائم لا يترك الناس في راحة أبداً.

يقول فرويد كذلك: "فكل الديانات التي جاءت بعد ذاهي إلا محاولات لحل المشكلات ذاتها (إحساس الأبناء بالجريمة)، وهي تختلف بحسب مستوى الحضارة التي ظهرت

¹ عبد العظيم المطعني، الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة، ص 147 بتصرف.

² - عبد العظيم المطعني، الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة، ص 147 / 148 بتصرف.

فيها، والوسائل التي تطبقها، و نها جميعا تهدف إلى شيء واحد، وهو رد فعل لنفس الحدث العظيم قتل الأب ا ي نشأت عنه الحضارة، والذي لم يدع للإنسانية منذ حدوثه لحظة واحدة للراحة¹.

ويقول في موضع آخر: "إن الدين والأخلاق والحضارة تنشأ من الكبت الجنسي، وا كبت الجنسي خطر على الكيان النفسي والعصبي؛ لأنه يصيب النفس بالعقد والاضطرابات"².

وبذلك يكون فرويد قد سعى إلى تلويث القيم وتشويه صورة ا ن بطريقة منفرة ومقرزة يسبق لها مثيل في التاريخ كله. و د أراد بذلك أن تشيع ا فاحشة بين الناس؛ فرد كل شيء إلى الجنس، حيث دعا الناس إلى إطلاق العنان لغرائزهم دون قيد، فأحدثت نظريته هذه ا لآبا خطيرا في المجتمع؛ بل وفي الحياة وعلى جميع المستويات، وذلك على ارغم من ظهور نظريات أخرى جديدة في علم النفس، وخاصة في أمريكا، إلا أن مفعول نظريته ما يزال يسري في الأفراد وفي المجتمعات، وما يزال هو الدافع لكثير من الحركات الفكرية المنحرفة هنا وهناك³. ما يرى فرويد أن "خطورة ا تكمن كذلك في أنه يصرف الإنسان عن التعامل مع الواقع إلى أوهام تفسد عليه حياته"⁴.

هذا وقد اختلف بعض علماء النفس والأطباء ا فسانيين مع فرويد فيما أورده من أفكار وآراء، من ذلك:

1 - أن آراء فرويد ونظرياته ماهي إلا افتراضات وليست من الحقائق النفسية أو المبادئ العلمية التي أثبتتها التجارب.

¹ سيمو نجد فرويد، التوتم تيبور، ص 145، نقلا عن محمد قطب، التطور والثبات في حياة البشرية، ص 49 بتصرف.

² - المرجع السابق، ص 51.

³ - وعباس حسني، اتجاهات النهضة والتغيير في العالم الإسلامي، ص 71 بتصرف.

⁴ - عبد المنعم المطعني، الموسوعة الفلسفية، ص:309.

2- ا مد فرويد في آرا على بعض الحالات المرضية الشاذة التي كان يعالجها، ويكم خطؤه العلمي في التعميم الذي أطلقه على جميع مرضاه، من السلوك الشاذ عند المصابين. وقد أخذ زملاؤه وتلامذته عليه هذا الخطأ افاحش - وهو من أخطاء وأوهام ا نس - في التعميم، وانفصلوا عنه، وعارضوا أفكاره¹.

وبذلك يكون فرويد قد أسهم إسهاما كبيرا في تحطيم مكانة الدين النصراني في نفوس معتقيه، كما استغلت نظرياته هذه في تحطيم صورة القيم وا ثل في النفوس.

ثالثا: النظرية الماركسية:

تعد المار سية مذهباً اقتصادياً بالدرجة الأولى؛ إلا أ ا في واقع الأمر مذهب سياسي واجتماعي وفكري، يتناول تطور الحياة من زاوية اقتصادية بحتة، حيث يذهب الماركسيون إلى أن الاقتصاد هو السبب الرئيس اذي يكمن خلف كل التغيرات في المجتمع، سواء أكانت تلك التغيرات سياسية أم اجتماعية أم نفسية أم غيرها، واعتبار وسائل الإنتاج بمثابة المحور الذي تدور من حوله الظروف والبيئات والأحوال²، مع نفي كامل أن يكون لعوامل الفكر أو الوعي أو الروح أي تأثير ذي شأن على مجرى الأمور والأحداث في واقع البشر.

"الحياة المادية في نظرهم و عنيه من علاقات اقتصادية ونشاط مادي هي التي تنشئ الوعي الاجتماعي، وما يتضمنه ذلك من أفكار ونظريات وآراء، ذلك يعني أن الأفكار ليست هي التي تحرك العالم وتسيره"³. كما أن "العامل الأساس اذي يتحكم في تاريخ المجتمعات وتطورها، ويحدد العلاقات الاجتماعية والسياسية وفكرية هو عملية الإنتاج"⁴.

1 - الموسوعة العربية العالمية، 17/ 355 بتصرف.

2 أمير عبد العزيز، النظريات الماركسية في ميزان الإسلام، ص 68 بتصرف، الطبعة الأولى، 1401 هـ/ 1981م.

3 أسس الماركسية، ص 152 153، نقلا عن: أمير عبد العزيز، النظرية الماركسية في ميزان الإسلام، ص 68.

4 أصول الفلسفة الماركسية 402/2، نقلا عن المرجع السابق، ص 68.

وبناء على ذلك فهم يفسرون التاريخ البشري تفسيراً مادياً بحتاً، يجعل للقوى المادية السلطان الأكبر على نشاط الإنسان كله ويراها العنصر والمحور الفعال في تاريخ البشرية.

يقول كارل ماركس¹ في ذلك: في الإنتاج الاجتماعي الذي يزاوله الناس تراهم يقيمون علاقات محدودة لا غنى لهم عنها، وهي مستقلة عن إرادتهم، فأسلوب الإنتاج في الحياة المادية هو الذي يحدد صورة العمليات الاجتماعية والسياسية والمعنوية للحياة، ليس شعور الناس هو الذي يعين وجودهم، بل إن وجود هو الذي يعين مشاعرهم. ويقول فريدريك إنجلز: "إن الأسباب النهائية لكافة التغيرات أو التحولات الأساسية لا يجوز البحث عنها في عقول الناس أو في سعيهم وراء الحق والعدل الأزليين، وإنما في التغيرات التي تطرأ على أسلوب الإنتاج والتبادل"². كما تعد الماركسية السبيل الوحيد فيما زعموا لضمان السعادة، وقيام مجتمع متآلف يضع العمال في مركز السيطرة؛ ولا يكون ذلك إلا عن طريق توجيه كل عمل اجتماعي إلى تشكيل التاريخ والمجتمع في اتجاه الصراع الطبقي لطبقة العمال، تمهيداً لتحويل المجتمع إلى مجتمع شيوعي، وهو أمر حتمي لا محالة، فالتاريخ يسير وفق قوانين ثابتة من مرحلة إلى أخرى، حيث تتميز كل مرحلة بنضالات تعود إلى مرحلة أكثر تطوراً، والشيوعية هي مرحلة التطور العليا³.

¹ هوكارل ماركس 1818 - 1883، من أصل يهودي ألماني، درس القانون بألمانيا، ثم انصرف إلى دراسة الاقتصاد والفلسفة الاجتماعية، اضطره في 1848م، لأسس المؤتمر الاشتراكي العالمي، له العديد من المشاركات الصحفية ويعد كتابه «رأس المال من أهر مؤلفاته. والموسوعة الميسرة 2 / 1615 / 1616. وينظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة، ص 309.

² المرجع السابق، ص 41.

³ الموسوعة العربية العالمية، 14/320، 22/47 / 48 بتصرف. وينظر: وحيد الدين خان، سقوط الماركسية، ص 49
51، ترجمة: ظفر الإسلام خان.

موقف الماركسية من الدين:

تعدّ الماركسية إلى بن خدعة مصطنعة ولدتها الظروف الاقتصادية والتاريخية التي جمّت عن الصراعات المادية، وتحالف طبقة الإقطاع ضد طبقة العمال والفقراء؛ لينشغل هؤلاء بالأمور الإسلامية والشعائر العبادية وينصرفوا تحت وقع التخدير الديني لبة بحقوقهم في الحياة، انتظارا للفردوس الآخروي ويصبروا على ظلم الأغنياء وجشعهم، ويتفرغ الآخرون لإحراز الثروات وامتصاص دماء الفقراء، فالدين في نظر الماركسية هو من اختراع العقل وصنعه، وبقاؤه وانتشاره رهون بجهل الطبقات الفقيرة وعدم و يها لأبعاد المؤامرة التي حيكت ضدها، ولا سبيل إلى توعية تلك الطبقات بحقوقها إلا بإزالة الدين ومحوه من الوجود، كما أن الدين عندهم لا يقوم على أساس عقلي واضح؛ الدين يعتمد في أساسه على الإيمان بالغيبيات غير الموجودة - في زعمهم - وجودا حقيقيا، كالإيمان بالله وملائكته واليوم الآخر، وذلك أن الوجود الحقيقي في نظر الماركسية هو الوجود المادي المحسوس، وما لا تتركه الحواس فوجوده محال¹.

يقول ماركس: "إن الدستور والأخلاق والها خدعة برجوازية²، وهي تتستر وراءها من أ مطامعها"³، ويقول لينين في خطابه الذي ألقاه في المؤتمر الثالث لمنظمة الشباب الشيوعي في سنة 1920 م: إنا لا نؤمن بالإله، ونحن نعرف كل المعرفة أن أرباب الكنيسة والاقطاعيين والبرجوازيين لا يخاطبوننا باسم الإله إلا استغلالا، ومحافظة على مصالحهم، إننا ننكر بشدة جميع هذه الأسس الأخلاقية التي صدرت عن طاقات وراء الطبيعة غير الإنسان،

1 - عبد المعطي محمد بيومي، الماركسية في مواجهة الدين حقائق ووثائق، ص 19 / 20 بتصرف، اط، دار الطباعة المحمدية: نشر: دار الأنصار، القاهرة.

2 - طبقة البرجوازية: هم أصحاب رؤوس الأموال من رجال الصناعة والتجارة، هم مالكو وسائل الإنتاج في المجتمعات الغربية في العصور الوسطى، انظر: الموسوعة العربية العالمية 14 / 320 وانظر: مد شفيق غريال، الموسوعة العربية الميسرة 2/1616.

3 - البيان الشيوعي، نقلا عن: وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى مدخل علمي للإيمان، ص 3، تعريب: ظفر الإسلام خان، مراجعة وتحقيق: عبد الصبور شاهين، الطبعة الرابعة 1403هـ / 1983م، دار البحوث العلمية.

والتي لا تتفق مع أفكارنا الطبقية، ونؤكد أن كل هذا مكر وخداع، و و ستار على عقول الفلاحين والعمال، لصالح الاستعمار والإقطاع¹.

"إن المتأمل لموقف الماركسية من الدين يدرك تمام الإدراك أن هذا الموقف ليس أصيلاً أو جديداً كل الجدة، بل هو ترديد يوشك أن يكون رفياً لمقولات سابقة، فالتيارات الإلحادية التي ظهرت في أوروبا خاصة في الصراع بين الكنيسة والعقل، كما يدل هذا الموقف على الضغط أو الإرهاب الذي كانت تمارسه الكنيسة حين ذاك"²، وهذا ما يوضحه: "البارون دولباخ" في كتابه "المسيحية من غير ستار" في مطلع القرن الثامن عشر الميلادي العداء الشديد الذي تمارسه الكنيسة ضد كل ما فيه سعادة للبشرية، و صد بها هنا النظريات المادية حديثة الظهور في أوروبا في مطلع القرن التاسع عشر يقول: "كل ما ذكرناه حتى الآن يثبت بأجلى صورة أن الدين المسيحي معاد للسياسة السلمية، ولسعادة الأمم.

مما سبق يتضح أن هذه النظريات أثبتت قد تعاونت على نشر الإلحاد، وعلى تأكيد دعوة المفكرين والفلاسفة إلى فصل الدين عن الدنيا، وهكذا انتهى الصراع بين الفلاسفة والعلماء من جهة وبين رجال الدين النصراني من جهة أخرى، والتي انتصر فيها الفلاسفة حيث تمكنوا حبس الدين النصراني داخل البيت لا يخرج منها أبداً³.

وعدوا العقل البشري: القدرة الخلاقة الوحيدة المبدعة في هذا الكون، وجعلوا العلم التجريبي مقياساً لتقدم الحضارة من تأخرها، وبناء على هذا فإن أبرز تميز به عصر التنوير والإسراف في سلطان العقل وجعله المصدر الدال على كل ألغاز الحياة وأسرار الكون، فقد صَبَّ أغلب الفلاسفة جام عدائهم وبركان نقدهم على واقع النصرانية التقليدية، بل إنهم تناولوا على الذات العلية "الله"، فقد دعا الفيلسوف فولتير - على سبيل المثال - "إلى إله جديد ودين جديد غير الدين النصراني وغير الإله الذي تصوره الكنيسة. والدين الذي يدعو إليه هو الدين

¹ - لينين Selected Works, s 1947م، ص 667، نقلاً عن المرجع السابق، ص 30 بتصرف.

² عبد المعطي بيومي، الماركسية في مواجهة الدين، ص 22.

³ عباس حسني، اتجاهات النهضة والتغيير في العالم الإسلامي، ص 72 بتصرف.

الطبيعي، أما الإله فهو الطبيعة نفسها، كما وجه نقدا لاذعا للكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد؛ نقدا مدعما بأوضح الأدلة وأقواها¹.

لقد قاد مسلك الأفراد في سلطة العقل بعض العقليين إلى ما يقرب من الكفر والإلحاد، فقد ذهب بعضهم² إلى إخراج قضايا الإيمان وفي مقدمتها "الإيمان بالله" من سلطان العقل، كما أخرج كل العقائد الكنسية والنصوص المقدسة، وأنه لا مضابطة بين العلم والدين، و سلطان لأحدهما على الآخر³.

الأساس الثاني: المنفعة (اللذة أو السعادة):

قبل الحديث عن الأساس الثاني من أسس القيم في مرجعية الفكر الغربي المعاصر، فإنه من المناسب بيان مفردات هذا الأساس، وهي كما يلي:

أولاً: المنفعة في اللغة: المنفعة اسم من النفس، وهو الخير، و ما يتوصل به الإنسان إلى مطلوبه.

يقال: "نفعتني كذا يبتغي عا فهو نافع، وبه سمي، واتفعت بالشيء ونفعتني الله به"⁴. وهي كلمة تدل على خلاف الضر وضده، ومنه النافع وهو من أسماء تعالى: وهو الذي يوصل النفع إلى من يشاء من خلقه، حيث هو خالق النفع والضر، والخير والشر. يقال: "نفعت فلانا فانتفع به، و ر ل نفوع: وقيل: ينفع الناس ولا يضر. والنفعية والنفاعة والمنفعة اسم ما اتفع به"⁵.

¹ عبد العظيم المطعني، الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة، ص 78.

² من أشهر من قال بهذا الفيلسوف العلماني ديكارت.

³ عبد العظيم المطعني، الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة، ص 78 / 79 بتصرف.

⁴ أ مد بن محمد الفيومي، المصباح المنير، ص 318، مادة النفع.

⁵ ان فارس، عجم مقاييس اللغة 5/ 463، وانظر: ابن منظور، لسان العرب 8/ 359 358، مادة نفع.

ثانيا: الاتجاه النفعي عند القائلين به: هو "مذهب يقوم على أساس أن اللذة هي الغرض الوحيد الذي تهدف إليه رغبات الإنسان، وأنها مستوى الأفعال الإنسانية ومعيار الأحكام الخلقية"¹، ويعتبر "بنتهام"² المؤسس للمذهب النفعي الذي يرى أن السعادة لأكبر عدد من الناس تتحقق بإرضاء اهتماماتهم الفردية، وهو القائل "بحساب اللذات حسابا رياضيا"³، والاتجاه النفعي عند القائلين به المبني على اللذة يعتبر مذهباً فلسفياً غير أخلاقي، فهو يرى أن اللذة هي الشيء الخير الوحيد في الوجود، وهو مذهب قديم جديد، إذ قد تأسس في العهد اليوناني القديم، وظهر بثوبه الجديد في مذهب المنفعة الذي نادى به فلاسفة أوروبا في الوقت الحاضر⁴.

ظهر الاتجاه النفعي في الفلسفة الغربية المعاصرة في القرن الثامن عشر الميلادي، ولكنه بلغ أوجه و ل في شتى مجالات المعرفة البشرية و من على التفكير العلمي في القرن

¹ توفيق الطويل، مذهب المنفعة العامة ص، 295.

² هو الفيلسوف الإنجليزي مؤسس مذهب المنفعة، و سنة 1748م وتوفي سنة 1832م ن كتبه "علم الواجب أو علم الأخلاق"، و"أصول الشرائع"، شفيق غريال، الموسوعة العربية الميسرة 407/1. وينظر: رونالدسترومبيرج ص: 695، ترجمة: أحمد الشيباني، الطبعة الثالثة، 1415هـ/ 1994م، دار القارئ العربي للنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة.

³ رونالد سترومبيرج، تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، ترجمة: أحمد الشيباني، ص 695.

⁴ الندوة العلمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، 700/2 بتصرف.

العشرين¹ على يد وليم جيمس²، وجون ديوي³، وإن كان منشؤه معزورا إلى جيرمي بنتهام، ثم تشارلز ساندروز وبيرس⁴، ثم خلفه فرويناند شلير⁵، وهو: مذهب فلسفي يقرر أن الفعل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح، فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة، أي: الفكرة

1- حيث يتجلى المذهب النفعي في صور شتى، أظهرها: مذهب المنفعة اللاهوتي، على يد يدجاي 1740، و ليه 1805م. ومذهب المنفعة الاقتصادي على يد سميث 1790، وريكاد 1823م ومالتوس 1834م. ومذهب المنفعة السياسي على يد بنتلي الذي جعل أعظم مقدار من السعادة مقياسا للتمييز بين القوانين الطبية والقوانين السيئة. ومذهب المنفعة التجريبي عند بنيتهام. ومذهب المنفعة التطوري على د هربت سبنسر 1903م ولسلي ستيفن 1904م. ومذهب المنفعة الحسني أو العقلي الذي ظهر على يد سدجويك. 1900م. ومذهب المنفعة المثالي الذي أبرز د اته راشدال 1924م، ومور المود سنة 1837م. ومذهب المنفعة العملي «البرجماتزم» الذي يمثلته وليم جيمس 1910م، وجون ديوي 1952م، وبيري المولود عام 1876م وقد اهتم دعاة هذا المذهب بفلسفة القيم وعلى وجه الخصوص في أمريكا. ينظر: توفيق الطويل، مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، ص 20 / 27، 81.

2- هو فيلسوف براجماتي و الم تربية أمريكي، ولد سنة 1859م، درس في العديد من الجامعات الأمريكية، ألف كتباً عديدة منها "المنطق ونظرية البحث"، "المدرسة والمجتمع"، وغيرها من الكتب توفي سنة 1952م، ينظر: عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ص: 199 / 201، وينظر: الموسوعة العربية العالمية 10 / 614، وينظر: شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة 1 / 841 / 842.

3- جون ديوي 1859 - 1952 فيلسوف ومربي أمريكي حاصر بعدة جامعات في أمريكا وخارجها، تأثر بآراء وليم جيمس ومذهب دارون الطبيعي، ته منبثقة عن الاتجاه التجريبي البرجماتي الذي يفضل تسميته بمذهب الذرائع أو الوسائل، ومعيار الحقيقة نجاح الأفكار، وهو فيلسوف مثالي تأثير كبير على الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم الجمال وعلوم التربية في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد ا د بأننا نستخدم الذكاء لتغلب على صراع أو تحد، وإن التجربة أمر حيوي من أجل الحياة. ينظر شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة 1 / 843 / 482. وانظر: م. روزنتال، ب. يودين، الموسوعة الفلسفية، ص 215، وينظر: الموسوعة العربية العالمية 10 / 614.

4- هو فيلسوف أمريكي كان له دور في نشر الفلسفة الذرائعية، و سنة 1839م، كان والده من أشهر علماء أمريكا في الرياضيات، توفي سنة 1914م، من أشهر كتبه «كيف نجعل أفكارنا واضحة».

ينظر: الموسوعة العربية العالمية 5 / 400 وانظر: شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة 1 / 460.

5- هو فيلسوف براجماتي إنجليزي، ولد سنة 1864م كان مقرباً من وليم جيمس، من كتبه «المذهب الإنساني»، «مشكلات الاعتقاد»، «المنطق الصوري»، وغيرها.

التي تحققها التجربة، فكل ما يتحقق بالفعل فهو حق، ولا يقاس صدق القضية إ بنتائجها العملية"¹.

ويعد هذا المذهب مرحلة من الاتجاه التجريبي الحسي، فهو يعتمد على الواقع المادي ويركن إلى التجربة في تفسير الحقائق، فهو لا يؤمن بشيء إلا إذا تج عن فعله منفعة وفائدة، يقول وليم جيمس: "يجب علينا أن نسير في تجاربنا ونمضي في تفكيرنا حول التجارب؛ لأن أفكارنا وآراءنا، لا تتطور وتندرج نحو الكمال إلا بهذا السبيل"²، يقول بيرس: "إنه لكي تتضح دلالة الفكر؛ فإننا لا نحتاج إلى تحديد السلوك الملائم للواقع، وللحصول على الوضوح التام في أفكارنا عن موضوع إننا لا نحتاج إلا إلى الاهتمام بالآثار العملية التي يتضمنها أي موضوع نتصوره"³.

وبناء على هذا، فإن كل فكرة لا تنتهي إلى يجة عملية ملموسة من خلال التجربة على أرض الواقع تكون باطلة، فالنجاح العملي هو معيار أو صدق الأفكار؛ ولذا فإن نظريات العلم في نظر النفعيين مجرد فروض واحتمالات، ومعيار الصدق هو مدى ما يحققه الفرد من وجود النفع العملي المثمر، ون هنا جاز في منطق هذه النفعية أن يوضع لحل المشكلة الواحدة مجموعة من الفروض قد تصدق كلها أو يصدق كثير منها في وقت واحد، متى أفضت هذه الفروض إلى تحقيق منفعة.

"أما ا ق لذاته والباطل لذاته؛ بصرف النظر عما يترتب عليهما من وجوه النفع والضرر فحديث خرافة، ولذا فقد وجهوا كل جهودهم إلى نتائج الأفكار وآثار المعتقدات بغض النظر عن المبادئ الأولى والغايات القصوى والمثل العليا"⁴.

¹ ميل صليبا، المعجم الفلسفي 20/1.

² وليم جيمس، إرادة الاعتقاد، السفر الثاني، النقل والدين ص: 16 ترجمة: محمد حب الله.

³ تشارلز بيرس، أبحاث مجمعة، العدد الخامس، ص 420، وأيضا المرجع السابق، ص: 35. نقلا عن: سامية عبد الرحمن، القيم الأخلاقية، ص 112.

⁴ توفيق الطويل، فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها، ص 294.

وبناء على هذه النظرة عَرَّف ويم جيمس الحقيقة بأنها: "القيمة الفورية للفكر، فبدلاً من أن نتساءل عن مصدر الفكرة وأصلها وحقيقتها وكنهها، ومن أين جاءت أو استُمدت أو ماهي مقدماتها، فإن الأولى من ذلك و تفحص نتائجها، وهي تبتعد بذلك عن كنه الشيء ومصدره وتتجه إلى الشيء وثمرته وعقباه، وبذلك تحول وجه الفكر إلى العمل والمستقبل"¹.

فالعَمَل عند و جيمس هو مقياس الحقيقة، "الفكرة صادقة عندما تكون فيدة، ومعنى ذلك أن النفع والضرر هما اللذان يحددان الأخذ بفكرة أو رفضها"²، وهذا يعني أن علامة الحقيقة ومعيار هو "العَمَل المنتج لا الحكم العقلي المجرد"³. وبذلك يكون المذهب النفعي قد تبرر نتيجة الأفعال هي محور الأشياء، وأنه لا يعد ثمة شيئاً صحيحاً مقبولاً ما لم تكن له نتائج إيجابية مثمرة كن تجربتها وملاحظتها، بمعنى أن الملاحظة والتجربة هي ويلة معرفة الأشياء، ومن هذا ا طلق كانت نظرة المذهب النفعي إلى القيم والدين؛ حيث جعلوا ا نفعة المترتبة على الأعمال هي أساس القيم والدين، وبيان ذلك فيما يلي:

أولاً: القيم: يرى النفعيون وغيرهم من المفكرين الغربيين أن القيم إنما تقوم على مبدأ المنفعة، سواء أ ت فردية أم عامة، وأن جوهر كل ا ل ينبع من هذا المبدأ ويقوم على أساسه، يقول الفيلسوف بنتام: إن ما يسعى الناس لبلوغه هو تحصيل أكبر قدر من السعادة لأنفسهم، ومهمة القانون هو التأكد من أن ا شخص في سعيه إلى سعادته القصوى لن يمس حق الآخرين في السعي لنفس الهدف، وبهذا يتحقق أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس. فاللذة أو السعادة أو المنفعة هي الغاية القصوى المرغوب ف عامة للفعل الإنساني والتي تسعى إليها القيم النفعية في المجتمع الغربي المعاصر⁴. فكما أن قيمة العمل تقاس عد ظهور نتيجته، فكذلك ا قيم تنشأ تجريبية، وتتطور بواسطة الإنسان، فمقياس قيمة الخير على

¹ ول ديواننت، قصة الفلسفة ص 118، ترجمة: فتح الله محمد المششع.

² مراد وهبة، قصة الفلسفة، ص 105

³ مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ص 144.

⁴ - سامية عبد الرحمن عبد السلام، القيم الأخلاقية، ص 97 بتصرف.

سبيل المثال هو الثمرة أو النتيجة احاصلة عن العمل، وليس مقياسها العقل أو الدين أو الوحي. لذلك فإن القوة والطش - عند انفعيين - هما دعامة الإيمان الصحيح الذي يواهبه النفس والحياة. ويستدلون على ذلك بالعبارة المأثورة من فرنيس ببيكون: "إن المعرفة هي القوة"¹.

وبناء على ذلك فإن الطريقة المثلى لمعرفة القيمة النظرية والحكم على حقيقة هو البرهان عن طريق العمل؛ فإن ثبت نجاح النظرية وصدقها، فإن القيمة تعطى على هذا الأساس، فتكون النظرية بذلك نظرية ذات قيمة، وعلى هذا فإن المعيار الوحيد لقياس القيمة هو النجاح والنجاح فقط².

ولذا فإن جون ديوي "يعد المعيار الصحيح لاختيار قيمة أي فلسفة إنما هو النتائج التي توصلت إليها هذه الفلسفة في مجال الخبرة العملية وإلى الحد تؤدي إلى إلقاء الأضواء على مصاعب وجودنا العملي، جعل من تلك المشكلات والمصاعب عناصر مترابطة تقبل الحل"³. وبذلك تكون النفعية في جوهرها هي "نظرية في القيمة - سب جون ديوي- وإن سلوكنا تجاه الأشياء هو الذي يحدد قيمتها"⁴.

ثانياً: الدين: تنظر المدرسة النفعية - والتي اتت تسيطر على الواقع بفكرها العملي على الحياة الغربية - للدين على أنه تجريبي كسائر القيم، وأن قيمته فيما ينتجه من فوائد ومنافع للناس؛ ولذا فإن اعتبار شروط وجود الدين وأصوله ونشأته لا أهمية لها عند من يسأل عن قيمة الدين؛ لأن قيمته فيما ينتجه"⁵.

¹ عبد العظيم المطعني، الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة، ص 157.

² وليم هـ. فيري مان، التعليم الطبيعي في مجتمع الولايات المتحدة المتغير ص 129 سنة 1977م نقلا عن: حسن الخياري، التصور الإسلامي للوجود، ص 30 بتصريف، طبع سنة 1409هـ / 1989م الناشر: دار البشير للنشر والتوزيع، عمان. وينظر: مصطفى حلمي، الإسلام والمذاهب الفلسفية المعاصرة، ص 175.

³ سامية عبد الرحمن، القيم الأخلاقية ص 112.

⁴ المرجع السابق، ص 112.

⁵ أميل بوترو، العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ص 447 بتصريف، ترجمة: أ د فؤاد الأهواني.

يقول الفيلسوف لورا: "تقاس قيمة اديانة بما تتضمنه من قواعد سلوكية، لا ما تتضمنه ن حقائق"¹، ولذا لم يكن موضوع الدين - عند وليم جيمس - موضوع بحث في ذاته، ولكنه ركز دراساته على آثار الانفعال الديني، وهل هذه الآثار حسنة تحقق الأمل؟ وهل يمكن الحصول عليها بطريق آخر خلاف الدين؟ وقد خلص من خلال دراسته تلك الآثار وتفسيرها تفسيراً نفعياً، بأن للدين أثراً فاعلاً في بناء القيم وتوجيهها في المجتمع، كما أنه يتفوق على أي مصدر آخر للحث على النشاط والمثابرة، وفاعليته تظهر بإيحائه أثر في الغالب أكثر من الأسباب المادية. إذن فالدين نافع في بعض الأحوال، وذلك حينما لا يمكن استبداله بغيره من الوسائل المادية المجربة كما زعم وليم جيمس، فالدين بذلك لم يسلم من التفسير النفعي في ضوء هذه الفلسفة، بل حتى صفات الله عز وجل لم تسلم من هذا التفسير كذلك، ومنها على سبيل المثال الوجدانية، حيث يقول وليم جيمس: إ من العبث أن نقول هذه الفوضى التي عيش فيها ونتحرك هي من صنع إرادة واحدة متماسكة، والكون يقدم لنا كل دليل وعلامة على التناقض في نفسه. يكون الأقدمون أعقل منا وأحكم، ود يكون تعدد الآلهة أصدق وأحق من وجود إله واحد بالنسبة إلى هذا الخلاف والتعارض في الكون... إن الاعتقاد بوجدانية الكون هو المرض الذي يصاب به الفلاسفة الذين يستبد بهم الجوع والعطش للوصول إلى الحقيقة بل إلى الوحدة²، أ صفة الكمال والقدرة والأبدية وغيرها من الصفات، فيقول عنها: إنها صفات عظيمة جليلة ولكن ما معنى هذا؟ وماهي النتائج بالنسبة إلى الناس؟ فإذا كان الله محيطاً بكل شيء وقادراً على كل شيء، فإن ذلك يعني أننا لا نملك من أمرنا شيئاً ولا نستطيع أن نغير من مجرى القضاء والمصير الذي فرضته إرادة الله ووحدته وخطته منذ البداية... وكنتنا طبعاً لا نقبل مثل هذه الفلسفات الكئيبة القائمة، لقد ارتأى العقل الإنساني هذه الفلسفات لبساطتها المنطقية وتناسقها، ولكن الحياة تتجاهلها وتغمرها وتتجاوزها³.

¹ جميل صليبا، المعجم الفلسفي 1/ 204.

² ول ديوانت، قصة الفلسفة، مكتبة المعارف، الطبعة السادسة 1988م، ص 620 بتصرف.

³ ول ديوانت، قصة الفلسفة، ص 618 - 619 بتصرف.

فهذه الصفات الإلهية هي صفات ميتة في نظرهم؛ لأنها لا تحقق نفعا للناس ولا تجلب مصلحة. وقد طبق النفعيون مذهبهم هذا على مجمل ا قائد بوجه عام، فضابط العقيدة عندهم، هي أن كل عقيدة جلبت لصاحبها نفعا فهي مقبولة وخير وحق و و كانت تخالف ذلك. وكل عقيدة جرت على صاحبها ضررا فهي مرفوضة وباطلة ولو كانت على خلاف ذلك¹.

الأساس الثالث من أسس القيم عند الغرب: المادة:

المادة في اللغة: هي "كل شيء يكون مددا لغيره، ومادة الشيء: أصله وعناصره التي يتركب منها، حسية كانت أم معنوية، كمادة البناء، ومادة البحث"². وقيل: المادة "ا ناصر التي يتركب منها الشيء"³.

المادة في الاصطلاح: ا تعمل لفظ "المادية" في عدة استعمالات مختلفة ومتباينة، فمثلا:

1- تطلق المادية ويراد بها مذهب "أصالة المادة"، بمعنى: اعتقاد للواقع المادي الموضوعي الخارجي المحسوس، في مقابل النظر إ لها كأمر فرضي ذهني من قبل "المثالية" وهي: "مذهب فلسفي يعتبر العقل أو الفكر سابقا على المادة سواء في الوجود أو المعرفة أو القيم، وأن وجود الأشياء مرهون بإدراكها، فما يدرك بالعقل فهو موجود، و لا يدرك به فمعدوم، وقد افترق مذهب المثالية إلى مذاهب كثيرة من خلال الاختلاف في تحديد طبيعة العقل⁴. يعد الإلهيون من هذا المنطلق - مسلمين كانوا أو غير مسلمين - ماديين، إذ كلهم يؤمنون أن للمادة وا موضوعيا محددًا بزمان أو مكان، وأ لها حقيقة متطورة كاملة محسوسة عينية ذهنية وذات آثار معينة، وكون النظرة ماد بهذا المعنى لا يتنافى مع الاعتقاد الله

¹ عبد العظيم المطعني، الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة، ص 155 / 157 بتصرف.

² جميل صليبا، المعجم الفلسفي، 306/2.

³ الكفوي، الكليات، تحقيق محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون تاريخ، ص 865.

⁴ مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص 196، طبع سنة 1979م الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، مصر، ويراجع عبد الحميد الكردي، نظرية ا معرفة بين القرآن والفلسفة، ص 243 / 244 بتصرف، الطبعة الأولى.

والتوحيد؛ ل يكون على الطبيعة - بما أنه وحدة عمل ووحدة منسقة مصنوعة - أفضل سبيل معرفته تعالى، إذ تتكشف إرادته الحكيمة من خلال ملاحظة التطورات المادية الدقيقة لهذا العالم فالقرآن ا ريم في آيات كثيرة يعد هذه الحوادث المادية آيات باهرة تقود إلى معرفة الله تعالى¹.

2 - تستعمل هذه الكلمة «المادية» ويراد بها: إنكار الوجود غير المادي أوعلى أقل تقدير تهميشه أو إهماله، وأنها أولية والعقل أو الوعي ثانوي، ويتضمن هذا أن العالم أبدي، وأنه غير محدود في الزمان والمكان وأن الوعي البشري نتاج المادة، بمعنى أن الوجود ومظاهره و ملياته يجب أن تفسر على أها مظاهر أو نتائج للمادة التي هي في نظرهم الحقيقة الكبرى والوحيدة، وأن هذه الحقيقة الموضوعية ذات وجود مستقل عن الوعي، يقول الفيلسوف ترين إن الفكرة الأساسية للمادية ا طبيعية تكمن في أن المادة مطلق موجود منذ الأزل و ل ما هو روحي نفسي: عواطف، أحاسيس، إرادة، فكر ينبع من المادة، والمادة مصدر لامتناه القوى، قوي مكن إرجاعها إلى الحركة الأزلية هي الأخرى... وجميع العمليات، بما فيها الأعمال والרגائب الإنسانية، تبقى خاضعة لقانون السببية وتتبع العلل مادية.

ويقول جون سومر قيل في تعريفه للمادية: إن المادة والطبيعة والعالم المحسوس كلها يجب أن تؤخذ بغير تحفظات على أنها حقائق دون أن تستمد و اعيتها من أي مصدر فوق الطبيعة أو فوق المحسوس، كما أها لا تعتمد في وجود ا على عقل الإنسان، وعلى أساس هذه الفكرة لا يكون العالم المحسوس بحاجة إلى عالم متعال يمنحه التأييد المنطقي أو الاعتبار الخلقي²، واذي يهمننا في موضوع البحث هو الاستعمال الثاني من مصطلح "المادية".

¹ مرتضى المطهري، الدوا نحو المادية، ص 15، ترجمة: محمد علي التسخيري. الموسوعة الفلسفية، ص 429 - 434 بتصرف.

² راجو برت رونز، فلسفة القرن العشرين، ص 290 بتصرف، تعريب: عثمان نويه وزكي نجيب محفوظ، دار التنوير للنشر و ا باعة 2009م،

منهج التفكير المادي: بناء على نظرة المادية للعالم الخارجي المادي، واعتباره يمثل الحقيقة الكبرى الكاملة، فإن هذه الحقيقة الموضوعية ذات وجود مستقل عن وعي الإنسان، وغير خاضعة لمصدر آخر خارجي عنه، وأن العلم والمعرفة الصادرة عن المادة تقدم على لم ومعرفة أخرى عند اختلاف المصادر وتنوعها؛ سواء كان مصدر هذه المعرفة الوحي، أم كان كما عقليا خالصا. وبهذا يكون منهج التفكير المادي قد استبدل التفكير العقلي بفكر حسي يعتمد على الملاحظة والتجربة، ويهدف إلى بناء نظريات علمية، تركز على أ قائع التي يمكن تجربتها، فالمعرفة في المذهب المادي مؤسسة على الحس والتجربة العملية، وما سوى ذلك يجب أن يتخلى عنه؛ حتى لا تذهب جهود العقل سدى.

ففي المنهج العقلي تتجه المعرفة من العقل إلى العالم الخارجي، أ من الذات إلى الموضوع، بينما في المنهج التجريبي، فإن الاتجاه التكفيري عكسي، أي أنه يتجه من العالم الخارجي إلى الذات، فالفكر الموضوعي عند الفلسفة العقلية؛ هو إلا نتيجة إبداع العقل الذاتي، بينما تعتقد الفلسفة الواقعية أن العقل الذاتي ما هو إلا نتاج الحقيقة الخارجية. فالمادة في اعتقاد م سابقة في الوجود، وأن الفكر انعكاس لها¹.

الدواعي التي دفعت المفكرين الغربيين إلى اتخاذ المذهب المادي بصفته مصدرا وحيدا للعلم والمعرفة:

أ - فشل الكنيسة وخفاقها في تقديم تفسير صحيح للعلم والمعرفة، وانحطاط المعرفة التي كانت تتبناها طوال فترة سيادتها مما دع بال كثير من العلماء والطبيعيين إلى مهاجمة الكنيسة ورفض تلك المعرفة المحصورة فيها، مما أود بحياة كثير منهم، لكن الموجة العلمية سيطرت في النهاية على الموقف فهوجمت الكنيسة مهاجمة عنيفة من قبل كل من أنصار المذهب العقلي الحسي على حد سواء².

¹ ادل التل، النزعة المادية في العالم الإسلامي، دار البينة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1995م، ص 52 - 54 بتصرف.

² عبد العظيم المطعني، الإسلام في مواجهة الأيدولوجيات المعاصرة، ص81 بتصرف.

ب - فشل الفلسفة العقلية المثالية وإفلاسها في إبعاد التوجيه الكنسي كلية عن الإنسان، وتنظيم الجماعة الإنسانية على هذا الأساس. "إذ مالت هذه الفلسفة على عهد هيجل إلى تأييد الدين والوحي من جديد، فأنكرت الفلسفة المادية الوضعية على الفلسفة المثالية موافقتها للكنيسة وتأييدها لدينها المحرف".¹

نشأة المادية: يعتبر الفكر الماد من الأفكار القديمة جدا، فهي ليست فكرة جديدة ولا إحدى نتائج التطور العلمي الحديث، بل وجد في القرنين الأخيرين كباقي النظريات العلمية التي لم تكن معروفة من قبل ثم توصلت البشرية إلى مضمونها أخيرا. إذ نلاحظ أن كثيرا من فلاسفة اليونان القدماء - قبل وبعد عصر سقراط ونهضته الفلسفية - كانوا ماديين منكرين لما وراء المادة من أمثال د. ويطس 370 ق. م، وأرسطو 322 ق. م وغيرهم، كما أننا نجد أن البعض من أفراد العصر الجاهلي المقارب لعصر البعثة المحمدية كانوا يعتقدون بذلك، ولذا فقد نقض القرآن الكريم ما ذهبوا إليه ودخل معهم في صراع عنيف، ونقل كلامهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾². ولكن الملاحظ أن الفكر المادي في العصور القديمة لم يكن يشكل مدرسة مستقلة ومذهبا له توجهاته المعروفة والواضحة، وإنما هو مجرد تمايلات نحو المادية.³

أما في العصر الحديث، وعلى وجه الخصوص في القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، فقد ظهرت - أو استفاقت إن صح التعبير - النظرية المادية مرة أخرى ولكنها كانت هذه المرة أشد بأسا وأبعد أثرا في الفكر الغربي المعاصر، حيث تحولت إلى مدرسة فكرية لها وجودها القوي في الساحة الغربية بعد أن لم تكن ذلك، وقد نشأت الماد لظروف احتدم

¹ محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث، و ته بالاستعمار الغربي، ص 299.

² الجاثية، آية: 24.

³ سعد المرصفي، المادية والروحية في الميزان، مكتبة المعلا، الطبعة الأولى 1406هـ، ص 68 - 69 بتصرف، ينظر: عادل التل؛ النزعة المادية في العالم الإسلامي، ص 53 - 54. وينظر أيضا: مرتضى المطهري، الدوافع نحو المادية، ص 12.

فيها الصراع بين العلم الطبيعي والدين النصراني الممثل في الكنيسة، ذلك أن الدين النصراني المحرف اعتنق بعض الأفكار والآراء التي أصر على أن تبقى المعرفة بشكل عام محصورة ضمنها، ومنع أن تمس تلك الآراء والنظريات بالرأي والمناقشة، حتى وإن الفت - عارضت - واقع الناس المحسوس، وكان من نتيجة هذا الصراع أن تغلب أنصار المذهب العلمي الطبيعي، وتم الفصل بين المادة والروح في الإنسان والحياة؛ فكان هذا الفصل نقطة الضعف، ومنطلق الخطر، وقمة الأزمة الناتجة عن ذلك الصراع، حيث أصبح الدين وما وراء الطبيعة رفضاً عند أصحاب المذهب المادي؛ ويرجعون ذلك إلى استحالة دخول الدين وقضايا الغيبية في معمل التجربة، يقول الدكتور عبدالعظيم المطعني: "إنه منذ القرن التاسع عشر ظهر على الساحة منافس الدين والعقل معا. وهذا المنافس كان له وجود قبل القرن التاسع عشر ولكنه لم يظهر كمذهب له فلسفة خاصة بين المذاهب الفلسفية في أوروبا إلا في القرن التاسع عشر، ألا وهو: سيادة الحس أو "وضعية" كما أطلق عليه واشتهر به، وأصحاب هذا المذهب يقولون: لا الدين، ولا العقل يمكن عن طريق واحد منهما الوصول إلى المعرفة اليقينية، وإنما المصدر للمعرفة هو: الملاحظة والتجربة التي موضوعها المادة وخواصها المختلفة، وطريقها أو أدواتها الحواس الخمس، فما يدرك بالحواس فهو الموجود ولا يدرك فغير موجود، ونما هو خداع وو من الأوهام"¹.

وقد تمخض هذا الموقف الغربي المعاصر من الدين عن النظرية المادية الوضعية التي قال بها الفيلسوف أو جست كونت: وهو يزعم أن أسلوب التفكير البشري يرقى مع رقي الإنسان، وأنه مر بثلاث مراحل زمنية متتالية:

الأولى: مرحلة التفكير الأسطوري أو الديني - أو اللاهوتي كما يسميه أوجست كونت² - وهي تمثّل مرحلة طفولة البشرية.

¹ الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة، ص 80.

² فيلسوف فرنسي، مؤسس الفلسفة الوضعية التي ترفض الميتافيزيقيا وتعتمد على نتائج العلوم

الثانية: مرحلة التفكير الفلسفي الميتافيزيقي - أي التجريدي - وهي رحلة تمثل شباب البشرية أو المراهقة.

الثالثة: مرحلة التفكير الوصفي أو العلمي - الحسي - وهي لة تمثل نضج ا شرية ورجولتها ومرحلة الكمال.

إن هذا الكلام يحتوي على مغالطة هذه النظرية، إنها تجعل موضوع الدين وموضوع العلم التجريبي واحداً، وهذا خطأ؛ لأن لكل واحد منها موضوعه ومنهجه ومقياسه ونتائجه ومهمته الخاصة به؛ لأن التفكير البشري يستخدمهما و عليهما معا في كل زمان ومكان¹ وقد وضع أوجست كونت: هذه المداخل الثلاث لكي يؤيد مذهبه الوضعي، ا يقضي بأن مادة الطبيعة وأعمال الملاحظة والتجربة فيها هي الطريق الوحيد والسليم وا دقيق للوصول إلى المعرفة الصحيحة وليس الدين أو العقل² ومهما تضمن هذا المذهب من مآخذ وعيوب، فإن هذا يدل على مدى مغالاته في الواقع المادي، وا هانته بما سواه. يقول أحد المفكرين: لقد أوغل الغربيون في المادة إيغالا شنيعا، وتورطوا فيها تورطا فظيحا؛ بل قصروا كل جهودهم عليها، ووجهوا كل همهم إليها، جعلوها غاية، وبرروا في نيلها كل وسيلة، فاستباحوا كل محرم، وارتكبوا كل مغل بالمروءة، وانتهكوا كل كرامة وحرمة، ولم يراعوا في بيلها عهد ولا ذمة³ ويدل كذلك على مغالاة هذا المذهب في ماديته هو أنهم آمنوا بكل ما تصل إليه حواسهم، وأسقطوا من حسابهم كل مالا تستطيع أن تصل إليه، وأغلقوا منافذ المعرفة جميعا إلا هذا المنفذ الواحد دون سواه، ساعدهم على ذلك من غير شك طبيعتهم المادية الخالصة، التي

الطبيعية الحديثة، ولد سنة 1798م، وتوفي سنة 1857م، وذهب مبسوط في كتابه: محاضرات في الفلسفة الوضعية». مد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة 1017.

¹ فاروق احمد الدسوقي، الإسلام والعلم التجريبي، ص 98-99 بتصرف، وينظر: أندريه كرسون، تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطى حتى العصر الحديث، ص 319، ترجمة، نهاد رضا. وينظر: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة ص 317-319.

² عبد العظيم المطعني، الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة، ص 81.

³ محمد عبد الرؤوف بهنسي، الإسلام بين المادية والروحية، ص:158.

ورثوها من روما القديمة، وما تزال وجه حياتهم في كل اتجاه؛ لذلك يؤمن الغربيون بكل ما يحمل خاتم التجريب، ويأخذونه قضية مسلمة لا تحتل الشك أو التأويل؛ أ ما لا يخضع للمعمل فهو خرافة! أو هو على الأقل شيء ساقط من الحساب.

نتائج الفكر المادي: تمثل النظرية المادية طابع مرجعية الفكر الغربي المعاصر وأ ساء كل مفاهيم الفكر والحياة والقيم والثقافة في ذلك المجتمع. فهي تعتقد بوجود عنصر واحد و قوام هذا العالم، وهو المادة؛ و لك فقد غلب منهج المادية المعاصر كل أبحاث النفس والأخلاق والاجتماع.¹ إن الخطورة الكامنة في تبني المنهج المادي لا تنشأ من خلال الانتماء الاعتقادي لهذا المنهج كشعار فحسب، وإنما تكمن في الآثار والنتائج التي ترتبت على هذا الانتماء، يث تعتبر هذه الآثار من مستلزماته الأساسية، "ويتضح هذا الأمر من خلال التطبيق العملي لهذا المنهج، لأن الالتزام بالمنهج المادي، يفرض على معتنقيه التزامات أخرى تقوم عليه، ورتبط به ارتباطا كاملا لا تتفك عنه"²، ولذلك أصبحت المادية هي المعيار، الميزان، المقياس الوحيد؛ الذي يقيم كل شيء بما فيه الإنسان و يتعلق به من أمور، هذا ما جعل كثيرا من المفاهيم المعاصرة مختلفة ومتناقضة: الخبيث والطيب، الشر والخير، القبح والجمال، الكذب والصدق، الظلم والعدل، والوحشية والإنسانية.

وهذا ما أدى إلى انحلال القيم والمثل وانحطاط الأخلاق، وانتشار عبادة المادة والذات، مما كان له أكبر الأثر في انتشار ظاهرة الانتحار، والقتل والتعذيب، والسرقة، والاعتصاب والشذوذ الجنسي، وغيرها من الجرائم التي يندى لها الجبين، وهي نتيجة تغلغل الفكر المادي كقيمة عليا في المجتمع الغربي المعاصر، واعتبار المادة العنصر الفعال المحرك للإنسان، والقوة الفعالة التي حطمت وهدمت بدورها جميع القيم الأخلاقية والروحية والتشريعية، وقطعت أواصر الروابط بين الأفراد والأسر والجماعات والقبائل والشعوب والدول، وقتلت روح المحبة والأخوة والاحترام. وجعلت حب "الأنا" فوق كل اعتبار بصورة مطلقة؛ فانقبضت الأيدي

¹ سعد المرصفي، المادية والروية في الميزان، ص 73-79 بتصرف.

² مجلة البيان، ص 30، العدد 65، محرم، 1414هـ.

عن الإنفاق والعطاء، ذ ت من النفوس النخوة، والأثرة، وذهبت عن الإنسان إنسانيته، في سبيل المال، أو الشهوة، أو السلطة، تمسكا أو سعيا لأي منهما¹.

ويمكن ذكر بعض النتائج المترتبة على انتشار الفكر المادي والنظر إليه كأساس من أسس القيم فيها كما يلي:

1 - مادية الكون وأنه لا صانع له، وأنه وجد صدفة، وأنه قديم بدون بدء، ممتد بدون نهاية، وأن الموت هو نهاية كل حي، هذا هو النتاج الذي تمخض من هذه الفلسفة حيث رفضت حقائق الوحي، ون هنا جاءت النتائج عند هؤلاء معارضة تمام المعارضة للحقائق الكلية، وقاصرة عن فهم حقيقة الحياة وغاية الوجود ومهمة الإنسان في هذا الكون.

2 - إن القواعد والنظم التي أقيمت عليها الفلسفة المادية استهدفت معارضة القيم الأساسية للأمم والمجتمعات، لاسيما القيم النابعة من جوهر الدين وحقائق الوحي، والتي تتفق مع الفطرة والعقل.

3 - بناء نظام اجتماعي كامل على أساس المادة؛ يقوم على إلغاء القيم الروحية والنفسية والدينية، ومن ثم إعادة توجيهها وتشكيلها وفق النظرية المادية البحتة، ونقلها من مفهوم العلم إلى مفهوم الاجتماع.

4 - إنكار غائية الكون، أي أنه خلق لغاية مقصودة، مع إنكار بدايته ونهايته، والبعث والجزاء.

5 - النشاط الإنساني كله نابع من الجسد، وأنه لا مجال للجوانب الخلقية والروحية، ومن هذا المنطق تنتظر المادية إلى مقومات المجتمع والدين والقيم على أنها مسائل نسبية متغيرة.

¹ محمد نجاح شبيب، الشرائع والأخلاق بين الحضارة والانحطاط، ص 137-139 بتصرف، وعباس حسني، اتجاهات النهضة والتغيير في العالم الإسلامي، ص 73-95 بتصرف.

6 - معاملة الإنسان معاملة المادة الجامدة، وتطبيق نتائج الحيوان عليه، ومصدر هذه المعاملة هو افتراض أن الإنسان مادة، وأن النفس مادة، وفي هذا اتجاه تحاول الفلسفة المادية، أن سخر من كل القيم والمثل العليا، إذ الحقيقة الوحيدة والقيمة الحقيقية هي المادة، والنوازع الأساسية عندها نوازع الجسد ومتطلباته.

7 - تحطيم القيم التي تنظم حياة البشرية بشكل عام والتي مصدرها الدين، و اصة في مجال العقائد والأخلاق.

8 - التحرر من كل قيد، وإسقاط كل تكليف، وضرب الحدود التي أقامها الدين للبشرية؛ حتى تستطيع أن تؤمن مسيرتها وخاصة؛ احة في أمور الجنس والغرائز، والتحرر من المسؤولية الفردية والقيم الأخلاقية؛ كمنطلق إلى اللذات والشهوات العاجلة، بدعوى أن الموت هو نهاية الأحياء، وعلى أساس هذه النظرة نشأت ل مذاهب الإلحاد والإباحية¹.

9 - فصل الدين عن الدنيا، سواء أكان هذا الفصل يقوم على أساس إنكار الدين بالكلية، أم على أساس الشرك بالله تعالى، أم على أساس الرهبانية المخالفة للسنن الكونية، والتي تدفع الناس إلى ترك الدنيا فيمسكوا بزمامها شرار الخلق؛ بل وينقلب الصالحون الذين تركوها إلى الفسق والفجور. كما حدث عندما اكتشف الناس في أوروبا أن رجال الدين يرتكبون في الأديرة وكنائس كل الفواحش والموبقات.

10 - إنهاء الدين في المجتمع، أو بسفه في دور العبادة، وانطلاق أفراد المجتمع في شتاهم لا تحكمهم إلا المصلحة المادية البحتة.

11 - تشجيع المرأة على الاختلاط بالذيء بالرجل باسم المساواة والحرية؛ وهذا بدوره يؤدي إلى الإباحية وتفشي الفسق والفجور والزنا وغير ذلك.

¹ سعد المرصفي، المادية والروحانية في الميزان، ص 97-98 بتصرف. وينظر: سليمان دنيا، المذاهب المادية عاجزة عن تفسير نفسها، ص 980. مجلة الأزهر، وينظر: عادل التل، النزعة المادية في العالم الإسلامي، ص 52.

12 - استخدام العلم الحديث - بعيدا عن ضوابط الشريعة احة - في الوصول إلى أشد أنواع الأسلحة فتكا بالبشرية، وهذا بدوره يؤدي إلى قيام الحروب العالمية الواسعة، وانتشار المجاعات والأوبئة بسبب الإنفاق الهائل على ميزانيات الحروب الطاحنة¹.

مقارنة بين أسس القيم في المرجعية الإسلامية وفي مرجعية الفكر الغربي:

1- تستند أسس القيم في المرجعية الإسلامية إلى مصدريها متواترة السند وهما القرآن الكريم والسنة والنبوية الشريفة، مما أضفى عليها الأصالة والمصداقية. بخلاف الأسس التي تقوم عليها اقيم في مرجعية الفكر الغربي المعاصر والتي تتمثل في آراء وأفكار متعارضة تباينة تصدر إما عن العقل القاصر، وإما عن المنفعة الذاتية الزائلة، أو المادة أو غيرها، مع اختلاف في نظرتهم لتلك الأسس وعدم اجتماعهم على أسس موحدة تمنع مرجعية الفكر الغربي في بوتقة فكرية واحدة متناسقة قادرة على مواجهة متطلبات الحياة البشرية المختلفة.

2 - إن قيام المجتمعات والأمم على أسس قيمية مصدرها الدين الإسلامي الحنيف، لهو من أكبر العوامل التي تسهم في بناء مجتمع إسلامي متماسك ومترا تسوده المحبة والإخاء، وسيطر عليه المصلحة الجماعية؛ مع عدم إغفال المصلحة الفردية الخاصة لكل فرد من أفراد المجتمع، تنطلق منه ا يدي بالإنفاق والعطاء، وتفيض فيه النفوس بالأريحية والأثرة والنخوة، وتوصد فيه الأرحام وتقوى من خلاله الروابط الأسرية والاجتماعية، يُحترم به الإنسان لإنسانيته، بخلاف المجتمع الغربي الذي تسوده الفرقة والانشقاق، وما تولد عن ه ه الأسس من حضارة مبتورة و فة حملت للإنسان بذور الانحطاط منذ نشأتها.

3 - إن القيم الإسلامية تحافظ على الشخصية الإسلامية ومكانتها في هذا

العالم، ومعرفة رسالتها والإيمان بقيمتها، مركزة في كل ذلك على الجانب الروحي والخلقي من الحياة والضغط على قيمة الآخرة و بعدها من سعادة وشقاء، وجنة ونار.

¹ عباس حسني، اتجاهات النهضة والتغيير في العالم الإسلامي، مكتبة السلام العالمية، 1982م، ص 64 - 65 بتصرف.

وهذا هو الخط افاصل بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، والذي تتجلى فيه الأخيرة الشخصية والأصالة، والاتباع والانقياد، والوضوح والاستسلام والعبودية لله وحده لا شريك له، بخلاف الحضارة الغربية التي مسحت الإنسان وجعلت منه كائنًا يلهث وراء المادة أو المنفعة الشخصية القاصرة دون تقيد بدين أو شرع، بالإضافة إلى اتخاذهم القوة أو العنل أو المادة أو المنفعة واللذة آلهة تقدر وعبد من دون الله، ويضحي على أنصائها بكل القيم الروحية والخلقية و ليس له قيمة في نظرهم، كل ب إله الذي يعبد، بينما يقف الفكر الإسلامي موقف التكامل، ويقتررب من جوهر الحياة وحقيقة الإنسان، ث يجمع بين الروح والمادة، والعقل والفطرة، والدنيا والآخرة.

المبحث الثاني: خصائص القيم في المرجعية الإسلامية وفي مرجعية الفكر الغربي.

عُرِفَت القيم في المرجعية الإسلامية بخصائص عديدة، تميزها عن القيم في مرجعية الفكر الغربي، فالإسلام دين جُمعت فيه كل القيم التي تسعد الإنسان في الدنيا والآخرة، ومن هذه الخصائص: الربانية، والشمول، والعموم، والملاءمة للفطرة، والإيجابية، والجمع بين الثبات والمرونة، والتوازن، والواقعية¹.

أما خصائص الم في مرجعية الفكر الغربي فهي تقتصر على تحقيق رغبات الأفراد دون المجتمع، وتميز بتحقيق اللذة والمصلحة الفردية وتلبية الحاجات المادية، غير أن الفكر الغربي اتخذها سمة ومميزات، ما جعلها تفقد المقومات الأساسية للبقاء، وتفقد الإحساس والوازع الخلقي، وأصبحت اقيم متذبذبة و اقضة باستمرار.

¹ لتحديد خصائص القيم في الإسلام تم الاعتماد على مراجع كثيرة ومتنوعة ومنها: علي أبو العنين، القيم الإسلامية والتربية، محمود مهيدات وآخرون، دراسات في الفكر العربي الإسلامي، يوسف القرضاوي، مدخل لمعرفة الإسلام وخصائص الإسلام، عبدالرحمن الزبيدي، حقيقة الفكر الإسلامي، نادة شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، سامية عبدالسلام، القيم الأخلاقية، حسن الخياري التصور الإسلامي للوجود، عابد توفيق الهاشمي، المدخل إلى التصور الإسلامي في الإنسان والحياة، اشيخ عمر الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر محمد التومي الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، عبدالرحمن بن حسن الميداني، الأخلاق وأ سها محفوظ عزام، نظرات في الثقافة الإسلامية.

ومن هنا تبرز القيم الإسلامية المتميزة التي تحقق للفرد والمجتمع السعادة والاستقرار ومقومات المجتمع المثالي، عكس القيم في مرجعية الفكر الغربي التي تضحي بالمبادئ والمثل في سبيل تحقيق لذاته ورغباته¹

المطلب الأول: خصائص القيم في المرجعية الإسلامية:

القيم لها معان مجردة، ولكن يجب أن تتلبس بالواقع والسلوك، فالقيم يجب أن يؤمن بها الإنسان بحيث تصبح موجهة لسلوكه حتى يمكن اعتبارها قيماً، و لك جاء في القرآن الكريم كثيراً قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، وكما ورد في الأثر: "الدين للمعاملة" حيث تؤكد لها مواقف للنبي صلى الله عليه وسلم.

المعرفة بالقيم قبلية ولا تأتي فجأة فالإدراك العقلي لابد من توا ه مع القيم، ولا بد أن يكون مصحوباً بالانفعال الوجداني، والقيم تقتضي الاختيار والانتقاء، وهذا يقتضي أن تكون لنا حرية.

التدرج القيمي ليس جامداً، بل متحركا متفاعلا، والسلم القيمي قد يهتز سلباً أو إيجاباً، كما تقوم القيم بعملية توجيه للفرد و وكه في الحياة.

ولقيم علامات "مميزة" أي أنها لها مؤشرات من خلالها نفرق بينها وبين العادات، كما أن القيم متداخلة مترابطة ومتضمنة، حيث إنها تتضمن الجوانب المعرفية والوجدانية والسلوكية، كما أنها متضمنة من حيث التطبيق، فالعدل مثلا قيمة سياسية وقيمة أخلاقية أيضاً.

¹ من المراجع التي اعتمدت عليها في حديد خصائص القيم في الفكر الغربي المعاصر: عادل العوا، العمدة في فلسفة القيم، سامية عبد السلام، القيم الأخلاقية، توفيق الطويل، فلسفة الأخلاق ومذهب المنفعة في فلسفة الأخلاق، وليام ليلي، امدخل إلى علم الأخلاق، محمود حمدي زقزوق، مقدمة في علم الأخلاق، 5 وكريا إبراهيم، المشكلة الخلقية، ريمون رويه، فلسفة القيم.

وتتميز هذه القيم بخصائص تميزها عن القيم في المجتمعات غير الإسلامية، وهذه الخصائص مستمدة من خصائص هذا الدين العظيم، ومنها:

1. الربانية:

القيم في الإسلام ربانية المنشأ، أي أنها من عند الله سبحانه وتعالى، فمصدرها الأول القرآن الكريم الذي قال الله عنه: ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾¹ وهذه الخاصية من أعظم مزايا القيم الإسلامية وخصائصها على الإطلاق، بمعنى أن الوحي الإلهي هو الذي وضع أصولها، وحدد أساسياتها، التي لا بد منها لبيان معالم القيم في الإسلام، حتى تبدو متكاملة متماسكة متميزة عن غيرها في مظهرها ومظهرها²، فهي بكل خصائصها ومقوماتها مستمدة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فالواجب على الإنسان أن يتكيف معها ويطبقها في حياته؛ وذلك لأنها توجه حركة الإنسان إلى خالقه، وتحيل الأهداف الدنيا إلى وسائل لتحقيق هذه الغاية العظمى، أي أن يكون الإنسان عبدا خالصا لله تعالى، لا لأحد سواه. لهذا كانت العبودية من قيم الإسلام العليا، بل وروح الإسلام وجوهره وهو التوحيد. فالقيم الإسلامية عندما تكون ربانية المصدر؛ فإنها حينئذ تستقر في أعماق النفس فتحرر الإنسان من العبودية لأنانيته، وشهوات نفسه، ولذات حسه، ومن الخضوع والاستسلام لمطالبه المادية، ورغباته الشخصية.

فالقيم جديرة - بحول الله تعالى - أن تخلع عن الإنسان نير العبودية والهوى والشهوات، وترتفع وتسمو به إلى أفق أعلى، أفق الإنسانية المتحررة التي تتصرف بوعيا وإرادتها، لا بوحى شهواتها وغريزتها الحيوانية³.

¹ الواقعة، الآية: 83.

² علي أبو العينين، القيم الإسلامية والتربية، ص 98 بتصرف.

³ الزبيدي، حقيقة الفكر الإسلامي، ص 120 بتصرف، ويوسف القرضاوي، مدخل لمعرفة الإسلام، ص 137 - 139.

بتصرف

ثم إن الاضطراب في مصدرية القيم يؤدي إلى اضطراب في فكر الإنسان وفي تصوره للأشياء وفي نفسيته، وهذا ما يؤثر ا باضا نفسيا في إحساس الفرد، أو انطلاقا مندفعاً لا يحده ضابط ولا توقفه قيمة. مما يزيد المسلم شعوراً بنعمة الله تعالى التي وهبها إياه، والتي منها القيم التي هي مصدر كل خير، وهي جديرة بأن تبرز وتسود وذلك تلطفاً ور منه سبحانه بعباده، و"على أساس هذه الخاصية تقوم الخصائص الأخرى"¹ ويترتب على أن القيم من عند الله تعالى عدة اعتبارات، منها:

أن القيم تتسم بالعدل: وذلك أن أحكام الشريعة الإسلامية بكل ما تحويه من قيم ومعان ومبادئ تتسم بالعدل والقسطاس، وتخلوا من النقص والجور والهو. والعدل في الإسلام عدل مطلق في كل شيء في القول وفي العمل وفي النظر في الأشياء واحكم عليها وغير ذلك، والناس في الإسلام سواسية لا فرق بين عربي ولا أعجمي، ولا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى، فالقرآن والسنة انبوية حافلان بالآيات والأحاديث التي تحت على العدل والإنصاف والأمر به والإثابة عليه، وبآيات وأحاديث أخرى تحرم الظلم وتنفّر منه²، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾³، وقال تعالى: ﴿سَمْعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ

¹ نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، ص 21. وينظر حسن الخياري، التصور الإسلامي للوجود، ص 20.

² سامية عبد الرحمن عبد السلام، القيم الأخلاقية، ص 38 بتصرف، وحسن الخياري، التصور الإسلامي للوجود، ص 09 - 57.

³ النساء، الآية: 58.

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُفْسِطِينَ¹، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ
بِالْفِسطِ²﴾.

وقوله صلى الله عليه و لم حكاية عن ربه في الحديث القدسي: (يا عبادي إني حرمت
الظلم على نفسي و لته بينكم محرما فلا تظالموا).

أن ا تتصف بالقدسية: القيم الإسلامية تُحترم وتطاع طاعة اختيارية تنبع من ذات
الفرد؛ لأنها تقوم على الإيمان، فكلما ازداد إيمان الفرد عمقا ورسوخا؛ كملت أخلاقه وازداد
مسكا بقيمه، ولذا فإن تمسك المسلم بقيم دينه دليل على إيمانه، وهو مظهر تعبدي يرتضيه
الله سبحانه وتعالى من عباده، وما دام المؤمن في رتضيه الله فهو في عبادة، وبه نحكم
على السلوك الإنساني ونقيمه. أما القوانين الوضعية التي لا تنبع من ذات الفرد فليس لها مثل
هذا التقدير والاحترام والهيبة التي تتمتع بها القيم الإسلامية في نفوس المؤمنين³.

إن القيم تنال فقه المسلم: إذا علم الإنسان أن القيم الإسلامية مستمدة ن كتاب الله
تبارك وتعالى فإن ذلك يؤدي إلى شعور عميق بالثقة ا كاملة بتلك القيم؛ وذلك لأن "هذا الكتاب
محل ثقة الناس؛ لأنه مبرأ من كل نقص أو هوى قد يصاحب العمل الإنساني أو يؤثر في
الفكر البشري"⁴ وبناء على ذلك فإن القيم الإسلامية في منأى عن المصالح ا شخصية للإنسان،
كما أنها لا تخدم مصالح الأقوياء دون غيرهم كما هو الحال في القيم اليونانية القديمة، ثم إن
هذه النزعة الفطرية المتولدة عن الشعور بالثقة الكاملة بتلك القيم تدفع المرء إلى الاستقامة
وحسن الخلق، وهي نزعة لا تحتاج إلى محرك خارجي، ولا إلى رقابة خارجية، إذ السلطان

1 المائدة، الآية: 45.

2 النساء، الآية: 135.

3 المدخل إلى التصور الإسلامي في الإنسان والحياة، عمان (الاردن)، دار الفرقان للنشر والتوزيع 1982م، ص 192-
193 بتصرف.

4 نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، الطبعة ا اسعة 2001م، ص 20.

على الفرد عندئذ هو الاعتقاد ١ مله بين جنبيه، كما أن الثقة الكاملة بين الإنسان و ١ جب عليه فعله، وحب صادق له، ورغبة قوية فيه، وحرص تام عليه، وسعادة غامرة في أدائه، وهي الأساس في تمسك ١ جتمع بالقيم وتعاون أفراده على أساسها،¹ وعلى هذا فإن انبثاق القيم الإسلامية من المنهج الإسلامي الرباني يعطينا مطلق الثقة الكاملة بها، ويجعلها موضع الإيمان والتسليم.²

إن القيم تكتسب من الشريعة خاصية الخلود والحفظ والوضوح: تكتسب القيم الإسلامية خاصية الخلود والحفظ والوضوح من الشريعة الإسلامية؛ لأن الإسلام هو الدين الباقي وهو وحده الدين المحفوظ الأصل، فكل الكتب السماوية دخلها التحريف والتبديل، كل سير الأنبياء السابقين وأقوالهم غير محفوظة بالضبط. أما الإسلام كتابه من كل ذلك، فهو منذ نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يومنا هذا وإلى قيام الساعة محفوظ بحفظ الله له، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾³، وكتاب الله تعالى يدعو إلى التمسك بالقيم، في آيات كثيرة، وكذلك السنة فإن نصوصها واضحة جلية في الدعوة إلى القيم والتخلق بها، حتى يخیل إلى قارئها بأنه يرى الرسول صلى الله عليه وسلم ماثلا أمام عينيه يقول: (إِ بَعَثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ)⁴، وهذه الخاصية كان لها نتائج كبيرة في قوة هذه القيم ووضوحها وأثرها الفعال على المجتمعات الإسلامية.⁵

أ ن ا م ترتبط بالجزاء الدنيوي والأخروي: إن غاية القيم في الشريعة الإسلامية هي الحصول على مرضاة تعالى، وهو منتهى أمل كل إنسان، وهي ما يسعى إليه ويكدح من

¹ عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، مؤسسة ١ سالة 1979م، ص 66. 67.

² المرجع السابق، ص 63.

³ الحجر، الآية: 09.

⁴ رواه البخاري في الأدب المفرد 273، وصححه الألباني وقال عنه: صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره، سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، ص 45.

⁵ محمود مهيدات وآخرون، دراسات في الفكر العربي الإسلامي، دار ١ جيل للطبع والنشر والتوزيع، ص 27 - 28 بتصرف. وينظر نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، ص 19.

أجله في حياته، كما إن مقصود تلك القيم هو تنظيم حياة الناس واستقامتهم على شرع الله تعالى، ولذا كان الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب من الله سبحانه وتعالى إلى الالتزام بشرائع الإسلام وقيمه وما يرتب على ذلك من جزاء الدنيا والآخرة، وفي "هذا اختلاف عن الجزاء في القوانين الوضعية فهو دنيوي فقط، ويرجع ذلك إلى أن القيم الإسلامية شاملة لجميع شؤون الإنسان الخاصة والعامة".¹

2 - الشمول:

القيم في الإسلام لم تدع جانباً من جوانب الحياة الإنسانية بجميع مجالاتها روحية أو جسمية، دينية أو دنيوية، عقلية أو عاطفية، فردية أو اجتماعية، إلا رسمت له الطريق الأمثل للسلوك الرفيع، فمنها ما يتعلق بالفرد في كافة جوانبه جسماً له ضروراته وحاجاته، وعقلاً له مواهبه وآفاقه، و لها مشاعرها ودوافعها وأشواقها، و ما يتعلق بالأسرة كالعلاقة بين الزوجين، والعلاقة بين الأبوين والأولاد، والعلاقة بين الأقارب والأرحام، ومنها ما يتعلق بالمجتمع في آدابه ومجاملاته، وفي اقتصاده ومعاملاته، وفي سياسته وحكمه، و ما يتعلق بغير العقلاء من الحيوان والطيور، و ما يتعلق بالكون الكبير، وقبل ذلك كله وفوق ذلك كله ما يتعلق بحق الخالق العظيم الذي منه كلُّ النعم وله كل الحمد سبحانه وتعالى، وبهذا يتجلى شمول ما حيث موضوعها ومحتواها² ومن ذلك الشمول الذي يجعل للقيم منهاجاً كاملاً يشمل جميع مظاهر النشاط الحيوي للفرد والمجتمع، وجميع علاقات الإنسان وكافة جوانب حياته وجميع جوانب ارتباطه بالحياة والأحياء³، ومن شمول القيم دخولها في كل الجوانب الإنسانية، فكل جانب من الجوانب الإنسانية المختلفة الداخلية والخارجية قيم؛ للفكر قيم، وللاعتماد قيم، وللقلب قيم، وللنفس قيم، وللسلوك الظاهر قيم، فمن قيم الفكر تحرّي الحقيقة بإنصاف وتجرد وحياد، والصبر على التفكير والتدبر، والبحث عن كل نافع مفيد من الأفكار والمعارف والعلوم،

¹ علي أبو العينين، القيم الإسلامية والتربية، ص 71.

² يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص 117 - 120 بتصرف.

³ عمر محمد التومي الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، دار المنارة، جدة 2009م، ص 230 - 231 بتصرف.

والبعد عن سفاسف الأفكار وتوافهها، وترك النقائص والردائل التي جب على الإنسان أن جتنبها ليتميز بالارتقاء في سلم القيم الإسلامية الرفيعة.

ومن قيم الاعتقاد؛ أ يسمح الإنسان لنفسه بأن يتبع الأوهام والظنون الضعيفة لجعلها، في معتقداته الثابتة الراسخة، وألا يجعل معتقداته فريسة للتقليد الأعمى والضلالات الشائعة، أو ريسة لما تمليه الأهواء والشهوات من أفكار ومذاهب، وفريسة لما يمليه المضلون.

ومن قيم القلب؛ حب الحق، وحب الخير، وكراهية الباطل والشر، وعدم حمل الأحقاد والضغائن.

ومن قيم النفس؛ الصبر والعفة، ومجانبة الحسد، والترفع عن سفاسف الأمور، والنظر إلى معاليها، وعلو الهمة، وجُود النفس وتسامُحها و فوها عن إساءة المسيء إلى غير ذلك.

وقيم السلوك كثيرة وهي تعبير عما في داخل الإنسان من خيرية، وقابلها نقائص وردائل يُطالب الإنسان باجتنبها وابعدها عنها.

"وبهذا يتبين شمول اقيم لكل الجوانب الإنسانية المختلفة".¹ وصفة الشمول جعلت القيم ذات امتداد أفقي واسع، شَمَل التصور الاعتقادي والمنهج التشريعي، والسلوك الاجتماعي، بشكل متوازن يتناسب مع حاجة الإنسان وطبيعة الحياة، وهذا بدوره يحقق مجتمعا متسع الآفاق، طموح التطلع نحو المستقبل².

3 - العموم:

ليست القيم ا سلامية قاصرة على بعض الأفراد في المجتمع وفي زمن دون زمن، ولا هي رتبطة بأشخاص مثالين يرقى الوا منهم بنفسه ورو ليكون في عداد الأخبار الأطهار القلائل، و نها في حقيقتها مقدورة وميسورة يمارسها الإنسان في اقتدار ميسر وفي رغبة ذاتية

¹ عبد ا ن حسن حنبكة الميداني، الأخلاق وأسسها 1/ 55.

² محفوظ عزام، نظرات في الثقافة الإسلامية، دار الفرقان للنشر والتوزيع 1999م، ص 37

نشطة، وهي ذلك تتسم بالعموم الذي يتحقق في الأمة كلها أفراداً وجماعات في جميع الأوضاع والأحوال، وفي مختلف الأمكنة والأزمنة بغير تفريق أو تمييز¹، ومن عموم القيم أنها شملت العربي والأعجمي، والقواعد والتعاليم الخلقية شملت تعامل الإنسان مع الإنسان، وتعامل الإنسان مع الحيوان، مع التدرج في التربية من الحس إلى العقل في ضوء رحمته سبحانه ومغفرته وعفوه، ون ثم فالشرع الإسلامي عام في توجهاته للمخاطبين به متدرج في أحكامه، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِّلْمُسْلِمِينَ﴾² وخطابه سبحانه وتعالى عام؛ لأنه الخالق وال لم بجميع خلقه³. والقيم في الإسلام تنظر إلى العرب والعجم سواء، بل المسلمون وغيرهم أمام قيمها سواسية، أربا حرام بين المسلمين وبين المسلم وغير المسلم، والسرقه حرام لمال المسلم وغير المسلم، والزنا محرم بالمسلمة وغير المسلمة، والعدل واجب تجاه المسلم وغير المسلم، والعدوان حرام على المسلم وغير المسلم، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ فَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوٓاْ ۖ اِعْدِلُوٓاْ هُوَ اَقْرَبُ لِّلتَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ اِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُوْنَ﴾⁴.

وبهذا تميزت القيم الإسلامية عن النزعة العنصرية القومية التي اتسمت بها الأخلاق اليهودية والأخلاق القبلية والبدائية.⁵

4- الملاءمة للفطرة:

جاء الإسلام في مجال أيم بما يلائم الفطرة والطبيعة البشرية ويكملها، لا بما يضادها ويصادمها، ومن هنا اعترف الإسلام بالكائن الإنساني، كما خلقه الله؛ بدوافعه النفسية، وميوله

¹ أمير عبد العزيز، دراسات في الثقافة الإسلامية، دار الكتاب الجامعي، العين، الامارات العربية 2010م، ص 350.

² النحل، الآية: 86.

³ أحمد عليان، الأخلاق في الشريعة الإسلامية، ص 31-32.

⁴ المائدة، الآية: 8

⁵ يوسف القرضاوي، امدخل لمعرفة الإسلام، ص100

الفطرية¹، يقول الدكتور أمير عبدالعزيز: «الأخلاق؛ القيم التي حددها الإسلام جعلها الله في خط موافق للفطرة تماما ويستوي في ذلك كل جوانب القيم صغيرها وكبيرها، وهذه مزية رسة تحقق معانى طيمة من معاني صلوحه للحياة، قال سبحانه: ﴿بِأَفْئِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيمًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾²، ومن المعلوم أن القيم الإسلامية تراعي حال الإنسان وظروفه وترفع عنه الحرج وهذا أمر يعطي الدلالة القاطعة على التوافق مع الفطرة كيلا لا يكون شيء من تخالف أو تصادم»³.

ومما يؤكد ملائمة القيم للفطرة أن القيم تقوم على أساس هو الكتاب والسنة، وهذا الأساس ملائم للفطرة الإنسانية الأصلية، ون ثم ظلت هذه القيم في حركتها منسجمة مع فطرة الإنسان، خلافا لقيم ومبادئ أخرى تركز على أيديولوجيات أو فلسفات مخالفة للفطرة؛ فتكون قيمتها في حركتها وواقعها العملي بعيدة عن الفطرة⁴، ومما يؤكد مصداقية القيم الإسلامية هو قيامها على مبادئ الفطرة الإنسانية وحقائق الوحي في مجالات الحياة، ومبادئ الفطرة وحقائق الوحي أسس موضوعية، وصادقة، وفي ذلك حصانة لها من الجنوح نحو الأنانية الذاتية⁵، وهذه خاصية مهمة للقيم الإسلامية بخلاف القيم الأخرى حيث "تفتقد هذه المزية لبُعدها عن الوحي الإلهي أو إعرا عنه، لفساد الفطرة أو انحرا بسبب ما غشاها من ضلالات بعيدة عن الواقع»⁶.

¹ يوسف القرضاوي، امدخل لمعرفة الإسلام، ص 101.

² الروم، الآية: 30.

³ دراسات في الثقافة الإسلامية مدخل إلى الدين الإسلامي، ص 348.

⁴ عبد الرحمن الزبيدي، حقيقة الفكر الإسلامي، ص 129 - 130 بتصرف.

⁵ المرجع السابق، ص 134

⁶ عبد الرحمن الزبيدي، حقيقة الفكر الإسلامي، ص 129 - 130 بتصرف.

5 - الإيجابية:

ومن خصائص القيم في الإسلام؛ الإيجابية، والمقصود بها: أن يتعدى الخير للآخرين، والقيم منفتحة على أبواب الخير، وكون الحامل للقيم صالح في نفسه لا يكفي، بل يكون صالحاً ومصلحاً، ولا يكفي أن يكون خيراً في نفسه بل يوصل الخير للآخرين ومع ذلك يتفاعل مع مجتمعه، وينشر الخير، ويصلح بين الناس، ويعلم الجاهل، ويرشد الضال، ولا ينطوي على نفسه ويعتزل المجتمع، بل يتفاعل مع أفرادِهِ ويؤثر فيه ويصلح ودعو للخير. وتأتي هذه الإيجابية للقيم الإسلامية من إيجابية الإسلام نفسه، فهو دين إيجابي مؤثر ليس من طبيعته الانكماش والسلبية، وهو يكره العزلة وحجر النفس عن دنيا البشر وعن واقع الحياة في حركتها وفعاليتها ومشكلاتها؛ بل يدعو للتفاعل مع المجتمع والإصلاح فيه. فالقيم في الإسلام ترجي بالنشاطات والممارسات نحو الخير الشامل في حياته وبعد الممات، وتتبين هذه الحقيقة إذا نظرنا إلى القيم الإسلامية في أصولها وأجزائها للتحقق من أن ذلك كله طريق لدفع الشر والمفسدة بكل صورها وأشكالها، فليس من تكليف ونهي وترغيب أو ترهيب إلا وهو ينطوي على تحقيق مصلحة أو إبعاد مفسدة حقيق بالإنسان¹.

يقول الدكتور محفوظ عزام: "الإيجابية الفاعلة في علاقة الإنسان بالكون في حدود المجال الإنساني، وهذا ناتج عن مبادئ الإسلام والتي لا تتمثل في مجرد مجموعة من القيود والضوابط الرادعة وإنما هي - في صميمها - قوة بناءة وحركة دافعة إلى النمو المطرد، ولعل انطلاقاً إلى الحركة وتحقيق الذات في هذه الحركة، وكن بأسلوب نظيف، إن العمل والإيجابية صورة من صور القيم الإسلامية على عكس البنية فإنها صورة غير أخلاقية وهي تنافي الوجود الإنساني"².

ومن صور الإيجابية؛ أن القيم لا ترضى من المتحلي بها مسابقة الركب، أو المشي مع التيار أو العجز والاستسلام للأحداث، ونما تحت على القوة والكفاح وبذل الجهد ومواصلة

¹ أمير عبد العزيز، دراسات في الثقافة الإسلامية، ص 49.

² نظرات في الثقافة الإسلامية، ط5 عمان (الأردن): دار الفرقان للنشر والتوزيع 2001 ص 37.

السير في ثقة وأمل، وتقاوم الكسل والعجز واليأس وكل أسباب الضعف والخور"¹، وكذلك رايته للروح ايجابية في الإنسان، وهي نعمة الهداية والاستقامة، التي يشع نورها إلى يره من الباحثين عن الحقيقة، المتطلعين إلى الهداية، المتشوقين إلى الاستقامة. إن انطلاق المؤمن في دعوته إلى الهدى، ونصحه للناس، وبره بهم من الروح ايجابية في الإيمان، هذه الروح التي تأبى أن تكون الهداية مجرد يقظة في فكر الفرد، أو شعور في وجدانه لا يتجاوز بها صاحبها حدود ذاته ونطاق نفسه، دون أو يؤدي حق هذه النعمة بالدعوة والإرشاد والقيام بما فله الله به من التبليغ والشهادة، إله يأبى أن يحتجز الخير لنفسه أو لأسرته أو عشيرته أو بني جنسه، ويدرك أن عليه أن يؤدي واجب الشهادة التي قرر الله في إله حيث قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ﴾²، كما يشعر أنه يحمل على عاتقه تبعات انحراف الناس عن الحق وسلوكهم درب الشيطان، وانزلاقهم إلى هاوية الضلال، وشعوره بهذه المسؤولية يبعث في نفسه الرضا، وفي ضميره الطمأنينة؛ لأنه يسعد بتخفيف ما كلف به من النهوض بمسؤولية الاقة في الأرض، وهذه ايجابية في مداها الأرحب تطبع المؤمن في أسلوب دعوته بطابع الإحسان والإخلاص والثبات على المبدأ والصبر على الأذى؛ لأن الأساس الذي ترتكز عليه هذه الإيجابية، هو التحرر من المطامع وإغرائها، وتقبل المغارم مهما انت ثقيلة، وقهر آفتي الطمع والخوف صفة متلازمة مع منطق الدعوة في التجرد والثبات³.

¹ يوسف القرضاوي، مدخل لمعرفة الإسلام مقوماته، ص 104.

² البقرة، الآية: 139.

³ الشيخ عمر الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة 1979م، ص 83-89 بتصرف.

ومن الإيجابية أن يكون المسلم عضوا نافعا عاملا في المجتمع كما صور ذلك الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل سلامى من الناس عليه صدقة؛ كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل على دابته تحمله عليها أو ترفع عليها متاعه صدقة»¹.

ومن صور الإيجابية وصية الرسول صلى الله عليه و لم بالعمل لعمارة الحياة حتى آ ر لحظة في عمر الدنيا، ولو لم ينتفع بثمره العمل أحد، وفي ذلك احترام لقيمة العمل في ذاته، قال: «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة يريد أن يغرسها فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها»².

ويرفض الإسلام الاتكالية المنهزمة التي نراها في قول أصحاب موسى له: ﴿فَالَوْأَيْمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا فُومًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنذُرُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾³، ويريد الإيجابية الفاعلة التي تتمثل في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون﴾، و تلك الصور؛ أن الإسلام لم يكتف أن يكون المسلم مستقيما في نفسه حتى يعمل على استقامة غيره، ولم يقبل المرء في عداد الفضلاء الصالحين إذا صلح هو و يأبه بفساد المجتمع من حوله، ل فرض على كل مسلم بقدر كفايته واستطاعته الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر والرحمة، و نصيحة في الدين والاهتمام بأمر المسلمين⁴.

¹ 1025 رواه البخاري ومسلم وأحمد.

² سلسلة الأحاديث 1 حجة للألباني 1/38 ج:9.

³ المائدة، الآية: 24.

⁴ يوسف القرضاوي، مدخل لمعرفة الإسلام، ص 109 – 105 بتصرف.

6 - جامعة للثبات والمرونة:

«هناك قيم عليا ثابتة لا تقبل الاجتهاد أو التغير أو التبديل، كالقيم العقدية، وقيم العبادات، وقيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما القيم الأخرى ففيها مرونة بمعنى آخر: إن القيم التي تستند إلى نص قطعي لا يجوز فيها التغير أو التبديل، أما تلك التي تعلى نص ظني الدلالة، فإن مجال الاختيار فيها واسع، وهي مرنة مرونة كافية لمواءمة ما يتولد في حياة الإنسان من مواقف وحوادث..»¹ فالقيم والقواعد القطعية الواجبة لا يجوز فيها التبديل، أما ما يُستحدث من مواقف وما يجوز فيه الاجتهاد و من قيم بحسب اقتضاء المصلحة زمانا ومكانا ولا فتلقها الحركة والمرونة¹

إن القيم الإسلامية تسير وفق ضوابط حددها الشرع المطهر، وإن تعبد الإنسان بها تضمن له التجرد من الأهواء والشهوات، والبعد عن كل ما يهوي به إلى الدركات السفلى من الخطايا والمعاصي والمنكرات².

وقد تميزت القيم الإسلامية بالجمع بين الثبات والمرونة في تناسق مبدع، ويوضع كلهما في موضعه الصحيح. بت فيما يجب أن يخلد ويبقى، والمرونة فيما ينبغي أن يتغير ويتطور³. وبهذا يتبين ثبات القيم الإسلامية ومرونتها وصلاحياتها لكل زمان ومكان، واهتمامها بالإنسان ومراعاتها لظروفه.

7 - التوازن:

تميزت القيم في الإسلام، بالتوازن الذي يجمع بين الشيء ومقابله في اتساق وتناسق، بلا غلو وتفریط، من ذلك: التوازن بين حق الجسم وحق الروح، فلا حرمان للجسم يصل إلى حد العذيب كما في البرهمية الهندية، والمانوية الفارسية، والروائية اليونانية، والرهبانية المسيحية ونحوها، ولا إغفال لأمر الروح كما هو في اليهودية إلى حد كبير في المذاهب المادية التي لم

¹ علي أبو العينين، القيم الإسلامية والتربية، دار الفكر العربي، 1988م، ص 99.

² عبد الرحمن الزبيدي، حقيقة الفكر الإسلامي، دار المسلم للنشر والتوزيع 2001م، ص 139 - 137 بتصرف.

³ يوسف القرضاوي، دخل لمعرفة الإسلام، ص 179.

تعترف للروح بوجود، فضلا أن يكون لها حق. ومن ذلك التوازن بين الدنيا والآخرة، فإذا انت اليهودية تجعل أ ر همها هذا العالم الأرضي الحاضر، والنصرانية ت كل توجيهها إلى ملكوت السماء في العالم الآخر، فالإسلام يزوج بين النظرتين ويمزج بين حياتين، فهذه مزرعة لتلك. ومن ذلك: التوازن بين الحقوق والواجبات، فلا تدليل للفرد بكثرة الحقوق وإطلاق العنان باسم الحرية - كما هو الحال في مرجعية الفكر الغربي - فيسترخي ويطغى، وينحرف وفسد لإراقه بكثرة الواجبات والأعباء.

ومن ذلك: التوازن بين الواقعية والمثالية، فمع الاعتراف بالواقع الذي يعيشه أكثر الناس، يدع الإسلام المجال مفتوحا مع الترغيب والتشويق لأصحاب السبق والهمم؛ للسمو والارتفاع والمسارة في الخيرات، وهذا يجعل الناظر والمتأمل في توازن القيم الإسلامية؛ يسأل أهى قيم قوة أم محبة أم زهد أم حياة أم روحية أم ربانية أم إنسانية أم عقلية أم دينية أم مثالية أم واقعية أم فردية أم اجتماعية، والحق أنها ليست واحدة ن هؤلاء، ولكنها كل أولئك جميعا، الحق الذي لا ريب فيه أنها: قيم متكاملة متوازنة¹، بحيث تشمل كل نشاطات الإنسان جميعا في آن واحد، فهو "يقوم بأداء واجباته و يمه جميعا بغير تميز؛ لأنه مطالب بذلك كله بقدر المستطاع، وتكون القيم الإسلامية موزعة على جميع النشاطات في الإنسان وذلك في تناسب وثيق وتوافق شامل"².

والتوازن في القيم الإسلامية جعلها تجمع بين الدنيا والآخرة فلا إفراط و تفريط، فلا يطغى الإنسان بما أعطى ويترك الآخرة، ولا يعرض عن الدنيا ويحتقرها و يعيش عيشة الرهبان، بل إن فيه نزعة مادية وروحية، فهو عبارة عن جسم يطلب حقه مما خرج من الأرض؛ من متاع وزينة، وعنصر روعي يتمثل في الروح التي تتطلع إلى هداها مما نزل من السماء، وفي

¹ يوسف القرضاوي، خل لمعرفة الإسلام، ص 108 - 109 بتصرف.

² أمير عبد العزيز، دراسات في الثقافة الإسلامية، ص 397 - 348.

القيم الإسلامية تلتقي الفردية و جماعية في صورة متزنة رائعة، تتوازن فيها حرية الفرد ومصلحة الجماعة، و كافاً فيها الحقوق والواجبات وتتوزع بالعدل¹.

8 - الواقعية:

تتميز القيم الإسلامية بالواقعية، فهي ليست ضرباً من المثاليات ولا هي من قبيل الخيال الذي يعلو على الواقع و يمكن تحقيقه وتنفيذه في ميدان الحياة، وإنما القيم ممارسات راقية تتحقق في واقع البشر بالفعل؛ لأنه تتواءم تماماً مع هذا الواقع وتتناسب طبيعة الإنسان، فهو ل للقيم عن ر حقيقة لا عن تكلف مصطنع. فالقيم الإسلامية مرغوب فيها لدى الإنسان ذي الطبع السوي والفطرة السليمة، كـرغبته في المروءة والحياء والاحتشام والإيثار، كل تلك الصفات مرغوب فيها يميل إليها الإنسان بطبعه، مما يدل على أن القيم الإسلامية تتسم بالواقعية أو أ تراعي الواقع لكي تظل قابلة للاحتمال والتطبيق².

والقيم الإسلامية واية مثالية ممكنة التطبيق في الحياة؛ بالشكل الذي يتناسب مع عالم الواقع؛ ويستعبراً عن الواقع المنحرف، "وإنما تسمو بهذا الواقع إلى وضعه الصحيح الذي تستطيع البشرية بحكم طاقاتها أن تصعد إليه"³.

ولقد جاء الإسلام بالقيم المتميزة بالواقعية التي راعت الطاقة المتوسطة المقدورة لجماهير الناس، فاعترفت بالضعف البشري، وبالذوافع الإنسانية، وبالاحتاجات البشرية المادية. ومن ذلك أنها أقرت التفاوت الفطري والعملي بين الناس، ولم تفترض في أهل التقوى أن يكونوا براء من كل عيب معصومين من كل ذنب، كذلك راعت الظروف استثنائية كالحرب فأباححت ما لا

¹ يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص 140-197 بتصرف.

² أمير عبد العزيز، دراسات في الثقافة الإسلامية، ص 348-349 بتصرف.

³ محفوظ عزام، نظرات في الثقافة الإسلامية، ص 49

يباح في السلم¹، كل ذلك يؤكد واقعية القيم الإسلامية و كانية تطبيقها واستمرارها على مرور الزمن.

المطلب الثاني: خصائص القيم في مرجعية الفكر الغربي:

أ م في مرجعية الفكر الغربي لم تحصل على الخصائص اللازمة ولا المميزات التي تميزها أو المقومات التي تجعلها بارزة، وإنما يرى أصحابها أن حصول اللذة (أو المنفعة) هي مزية تميزت بها أو خصيصة اختصت بها؛ لأنهم يرون أن المجتمع هو الذي يصنع القيم وليس العكس؛ أي أن القيم هي التي تصنع المجتمع، وكذلك حصول الرغبات الشخصية وتلبية الحاجات المادية والسير وراء المصلحة الفرد كل ذلك قال عنه قادة مرجعية الفكر الغربي المعاصر إنه من قبيل الخصائص، وفي الحقيقة هي عيوب و لحقت بالقيم الغربية وسيأتي تفصيل ذلك.

1 - تحقيق لذة المنفعة: يرى الغربيون أن تحقيق اللذة خاصة تميزت بها القيم، فقد كانت اللذة فردية ثم تحولت بعد ذلك إلى تحقيق اللذة لأكثر عدد ممكن من الناس وهو ما يسمى بالمنفعة.

يقول مذهب اللذة² الذي تبناه الغرب بأن "المنفعة أفضل أطايب الحياة، ويعتقد القائلون بمذهب اللذة أنه يجب على الناس أ يبحثوا ن منفعتهم الفرد فقط، ولكن المنفعة لأكثر عدد من الناس"³.

والقول باللذة يجعل الحقيقة أ طلبة - في نظر الغرب - قائمة على أن الإنسان مقياس الأشياء كلها، مقياس وجود ما يوجد، ومقياس وجود ما لا يوجد، وما الحكمة إلا بلوغ السعادة، والحكيم أ به بطيب الروح أ لا يعجز عن أن يولد أفكارا أذ وأنفع. ولهذا يرى الغرب أن

¹ يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص 195 - 198 بتصرف.

² تم أ تعريف باللذة في الأساس الثاني من أسس القيم عند الغرب وهو أساس اللذة / المنفعة.

³ الموسوعة العربية العالمية م.س ص 108.

القيمة تختلط باللذة، واللذة حالة بسيطة رئيسة من أحوال الجسم، وأما سائر القيم المزعومة: الأخلاق، الشرف، الإنتاج إلخ هي آراء تَوَاضَع الناس عليها، وقيمة لها إبتاتصالها باللذة، ولذلك سعى بعض الغربيين إلى قياس اللذة قياس كمية دقيقة يعمل على توافر حدها الأقصى لدى أكبر عدد من الناس، فتتحقق بذلك سعادتهم الطبيعية وسَمَوهُ المذهب النفعي. بل جعلوا اللذة سبعة أبعاد هي: أبعاد الشدة، والمدة، واليقين، والقرب، والامتداد، والخصب، والصفاء، وثمة ميزان يزن اللذات والآلام المتجانسة، وعلى الرجل النفعي أن يقوم بحساب لذاته ويعرف مجموع قيمتها الموجبة والسالبة فيصبح فائض اللذة فضيلة بالبداهة، ويصبح فائض الألم رذيلة بالبداهة، وعلى هذا فإن نظرية اللذة - المنفعة الطبيعية - تتطلع إلى الحد الأقصى، وتهمل النظر إلى الحد الأفضل¹.

ويعتبر "بنتام" أول من وضع علم حساب اللذات، أكد بذلك قياس القيم، وورد بالقيم إلى عالم الواقع، وجعلها علما واقعيا وضعيا؛ لأن القيمة الأخلاقية تتركز في الفعل والعمل وليس في النوايا الطيبة أو الخبيثة، وعلم القيم لا يهدف إلى خلق أولياء وقديسين، ونما يرمي إلى توجيه النشاط الإنساني إلى إسعاد الفرد والمجتمع، وطبقا لهذا يؤكد "بنتام" أن "الإنسان الذي لا يحقق سعادته الخاصة يكون فاقدا للعقل، ويكون قد أخطأ في حساباته، ذلك فليس من الفضيلة أن يضحي الفرد بسعادته من أجل سعادة الآخرين"².

د حول "بنتام" النفعية إلى علم تجريبي بوضعه علم حساب اللذات، ووجد فيها الإنجليز تحقيقا لمصالحهم، وبهذا تسللت النفعية إلى البرلمان والدوائر الرسمية وانتشرت بعد ذلك في المجتمع الغربي، وقد أنكر "بنتام" المثالية والقول بالعدالة والشرف وحوها ورأى أنها مختلفة، واعتقد أن مرجع السلوك إلى وجدان اللذة والألم، وأراد أن يخضع اللذات والآلام إلى الحساب

¹ عادل العوا، العمدة في فلسفة القيم، دار طلاس للدراسة والنشر والترجمة، الطبعة الأولى 1986م، ص 118 - 921 بتصرف.

² سامية عبد الرحمن عبد الرحيم، القيم الأخلاقية، ص 99.

الدقيق؛ حتى تصبح القيم علما واقعيا اقتداء بعلماء الطبيعة وأهل التجريب¹. ويرى هب اللذة الأخلاقي أن اللذة هي الصفة الأخلاقية الوحيدة التي لها قيمة وتصف بالخير.

كما يرى أن الفعل الخير والفعل الصائب هما اللذان يؤديان إلى اللذة، وأن الفعل الذي نتج عنه لذات أكبر أفضل من ذلك الفعل الذي تنجم عنه لذات أقل. وهذا بدور يجعل مذهب اللذة نوعين:

أ - مذهب اللذة الأناني، يرى أن على الفرد أن يبحث عن أقصى قدر من اللذة لنفسه وأن يبتعد ما أمكنه عن الألم.

ب - مذهب اللذة العام، و ما يعرف بمذهب المنفعة الذي يستهدف تحقيق اللذة لا للفرد وإنما لأكبر عدد من الناس.

أما مذهب اللذة الأخلاقي الأناني، هو يرى أن الفعل يكون صائبا إذا ما حقق لفاعله أ بر قدر من اللذة، ولا يهم ما قد يحدثه من ألم للآخرين، ومن ثم "فالواجب على كل إنسان تحقيق أقصى قدر من اللذة لنفسه من هذه الحياة، وأن يكون هذا الواجب هو الواجب الوحيد"²، ويرى ز³ أن الإنسان ذئب بالنسبة لأخيه الإنسان وستبقى طبيعته ون يغيرها بسبب ما يتلقاه من تربية وتمدن، و يطلب إلا لذاته وو على حساب سعادة الآخرين؛ بل إنه ليجد لذة في أن يشقى غيره ويسعد هو حتى ليزعم أنه أشد قوة وأعرف بطريق الخير والنجاح.

¹ توفيق الطويل، فلسفة الأخلاق، ص 218 - 221 بتصرف.

² وليام ليلي، المدخل إلى علم الأخلاق، ص 298 - 270، ترجمة وتقديم وتعليق: علي عبد المعطي محمد، 1991م دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

³ هو توماس بز 1979-1988 م فيلسوف إنجليزي فلسفته تجريبية من مؤلفاته: التتين الجبار أو لويثان أو شكل المادة، انتهى فكره إلى أن الناس أنانيون وإن أ د ما يحركهم هو ا غبة في القوة والخوف من الآخرين، أثار قضايا ما زات تشغل أذهان الناس في ا حث عن حل لها. ينظر: شفيق غريال، الموسوعة العربية الميسرة 2/ 1917. والموسوعة العربية العالمية 29/ 233 - 234.

وأما مذهب المنفعة العامة فهو يقضي بتحقيق أكبر سعادة ممكنة. " فالخير في مذهبهم هو نافع لنا، وما هو نافع لنا هو ما يكون في الوقت نفسه نافعاً لغيرنا"¹.

فمذهب اللذة يطلق على مجموعة من النظريات تشترك في اعتبار اللذة أسمى

اية للحياة الإنسانية، ومن صورته:

مذهب اللذة السيكولوجي، ويرى أن الناس ينشدون بالفعل كل ما يحقق لذتهم، فاللذة هي الغرض الأقصى لرغبة الإنسان والدوافع السيكولوجية لكل تصرفاتنا لا يمكن تفسيرها إلا الرغبة في اللذة والنفور من الألم.

ومذهب اللذة الأخلاقي، يرى أن الناس ينبغي أن ينشدوا على الدوام لذتهم، فاللذة وحدها هي الخير في ذاته، ولا شيء سواها يحمل في ذاته قيمة، وعلى عكس يحمل الألم قيمة سلبية، فهو وحده الشر في ذاته وكبار الذين يرون أن القيم لا تختلف كيفاً و يؤثر الخلاف في القيم الذاتية ا اطنة لمختلف الحالات لأن ا م لا تختلف فيما بينها إلا قوة وديمومة والحقيقة²:

1 - أن مذهب اللذة «المنفعة» مبني على الأثرة وحب الذات، ه يجعل خيرية العمل في تحصيل أنفع الذات للشخص ا عامل مما يخدم عددا كبيرا من الناس ويجعلهم يظنون أن أسعد الناس هم أهل الرفاهية، وكأن السعادة مرتبطة بالوسائل والمواد، وأن الغني يتمتع بكل ما هو في حاجة إليه وينسى أو يتناسى أن هناك قيمة أخرى غير ا فاهية مثل المعرفة والتذوق والفن وغير ذلك، وبهذا تكون المنفعة قد حجبت عن أعين الناس كثيرا من القيم³.

2- أن البحث عن القيم هو قانون نفسي وليس قانونا أخلاقية، و يتفاوت من شخص لآخر و غير بتغير الأزمنة والأمكنة، وحينما كان ا تغير يصيب تلك ا قيم في ا نفعة

¹ محمود حمدي زقزوق، مقدمة في علم الأخلاق، ص 103 - 107 الطبعة الرابعة.

² توفيق الطويل، مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، مكتبة النهضة، الطبعة الأولى 1956م، ص 22 - 23 بتصرف.

³ محمود حمدي زقزوق، مقدمة في علم الأخلاق، دار القلم، الطبعة الثالثة، الكويت 1983م، ص 83 بتصرف.

وتلقي التعديل، فقد كانت دلالة المنفعة نفسها تتغير هي الأخرى، فإذا كان الغرض من ا نفعة هو كفالة القانون، أو النظام العام، أو الرفاهية الشخصية، أو التربية والإصلاح الاجتماعي، فإن هذا يعني أن المنفعة تمثل مقولات كلية من مقولات الحياة العملية. ومن النقد الموجه للذة.

3 - أها ليست خيرة دائما كما أن الألم ليس شرا دائما، فقد ينقلب الألم إلى لذة وبالعكس، وقد أخطأ النفعيون في تحليل صفة الخيرية وهي صفة بسيطة أولية لا تقبل ا تحليل ولا تتدرج تحت فئة الموضوعات أو الصفات التي تدخل ضمن دراسة العلوم الطبيعية. ومن يقول إن ا خير هو اللذة أو السرور ا يعرف ا رية بلغة الموضوع الطبيعي، ولو كان الخير مراد ا للذة أو كانت صفة ا خيرية مساوية تماما لصفة السار أو المرغوب فيه؛ لما كان نا معنى للسؤال هل اللذة خير؟ وهذا يجعل السؤال يرد هل اللذة لازمة؟ أو سارة؟ وهذا يجعل القيم تستند إلى إحساس الفرد الخاص، وصبح مجرد فرع ن فروع علم النفس، ويصبح الخير علم اصية طبيعية تتفاوت في مقياسها من فرد إلى آخر، وإذا كانت القيم تمجد اللذة وتوحد بين الخير واللذات الحسية؛ فسوف تقضي على كل إحساس بالقيم؛ لأن الإنسان سوف يضحي بالأعلى في سبيل الأدنى ليكون عبدا لمذاته ويصبح بعد ذ مجرد حيوان أناني.¹

4 - تبين مما سبق: أن اللذة (المنفعة) تتفاوت من شخص لآخر وأها نسبية ومتذبذبة ومتناقضة باستمرار، فما يصلح لفرد قد لا يصلح لآخر، وما يصلح لمجتمع قد يتعارض مع مجتمع آخر، فاتخاذ اللذة (المنفعة) خاصية للقيم الغربية؛ تميزت ليس مناسبا ولا مقد ا لتفاوتها واختلافها؛ مما يجعلها ضعيفة ولا تحقق إلا سعادة الفرد فقط، وهي سعادة وقتية تزول بزوال تلك اللذة، أما المجتمع فتجر عليه الويلات والأزمات والتنافر والتباغض لأن كل فرد يسعى لتحقيق لذاته ويصبح ا تمع مجتمعا حيوانيا، وهذا ما حصل في المجتمع الغربي ا عاصر حينما وصلت القيم إلى درجة الانحطاط.

¹ زكريا إبراهيم، المشكلة الخلقية، ص 191 - 192 بتصرف، وينظر محمود حمدي زقزوق، مقدمة في علم الأخلاق، ص

2 - إشباع الرغبة: اعتنى باحثون غربيون بخاصية الغبة في القيم، وأن القيم هي ما يرجع إلى إشباع ا رغبة لدى الإنسان، و هؤلاء سيبينوزا¹ ا ي قال إن الإنسان يتبع شهواته، وهذه الشهوة هي ما تنزع الكائن إلى البقاء في الوجود، ولهذا فإنه يعمل ويبحث عن ما يلائمه وابتغاء النافع، ويحسب أنه حر ويرى أن الخير هو كل ما يسهم في حفظ جسمه وأن ا هو كل ما يضاد ذلك. ولهذا فإن الإنسان يحكم بأن هذا الأمر خير لأنه يتطلع إليه ويريده ويشتهي ويرغب فيه،² وهذه هي شرعة إشباع الرغبة لدى الغربيين والتي سادت القيم الغربية، ويعتبرونها سمة أو خاصية للقيم عندهم، ومنهم من يرى أن ا ليست صفة خاصة بالأشياء ث في الفاعل اهتماما، أو ميلا أو رغبة أو استحسانا بل هي نزعة الشخص وهي ظاهرة أو تتيح لنا الكلام - سب نظرهم - على قيمة الشيء الذي تتطلع إليه هذه النزعة أو العاطفة³.

يقول فون ارنفس: "إننا لا نرغب في الأشياء، لأننا ندرك فيها ذا سحرية لا تتألفها الحواس، بل إننا على العكس نعزو القيمة إلى الأشياء ا نرغب بها، وإن شيئا من الأشياء يكون قيمة إلا إذا اشترط أن يشعر الشخص، ما دام الشيء حاضرا، بحال لذة أقوى من الحال التي يشترط لوجودها فكرة غيابه. فاللذة لا تتدخل هنا إلا كلذة أكبر، وكمبدأ تفضيل. وإن ا غبة ترتبط دائما بفارق إيجابي بين اللذات المرتقبة؛ ولذا فإن اللذة هي دائما لذة شعورية. وإن الرغبة اللاشعورية تناقض. إن ا خير هو مبدئياً ما يرغب فيه، ولكن الإنسان لا يرغب فيما

¹ هو ينيديكت أوبارخ سيبينوزا 1932 - 1977 فيلسوف مادي هولندي يهودي، يعتبر من دعاة التفكير الحر، وه تأثير قوي في مادية القرنين السابع عشر والثامن عشر الميتافيزيقية ونادي أن غرض الدين ليس فهم الأشياء بل مجرد المبادئ الأخلاقية السامية، وقد أثنى عليه المجلز ثناء كبيرا، ومن مؤلفاته: البحث اللاهوتي السياسي وعلم الأخلاق، وهو مؤسس المنهج الهندسي في الفلسفة: عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ص 237 - 241 بتصرف، و م. روزنتال ب: بودين، الموسوعة الفلسفية، ص 22 - 243.

² ريمون رويه، فلسفة القيم، ص 133، الترجمة العربية 1990، جامعة دمشق.

³ عادل العوا، العمدة في فلسفة القيم، ص 123.

ملك من قبل، أو فيما ملك في الماضي، وإن كان من المشروع أن نتكلم على قيمة خير نملكه فعلا، نملكه الآن أو في الماضي، أو نتكلم أيضا على قيمة خير نتمناه لو أننا عرفنا وجوده¹.

إن الخير إذن س ما يرغب به، بل هو ما يمكن أن يرغب به، وهناك من يرى على العكس أن اقيمة لا يمكن أن تؤسس على الرغبة، بل إن اغبة في الشيء هي التي تؤسس على عاطفة قيمته، فالقيمة ليست سوى صلة شيء بشخص، وهذا الشخص هو الذي يشعر فة قيمة نحو الشيء، إذن ايمة هي علاقة علاقتنا الشخصية بشيء، وهناك من يرى أن اقيمة لا تصدر عن الرغبة أو العاطفة أو المنفعة، إنما تصدر عن موقف تقويم هو بالنسبة للرغبة وضع ثان يأتي بعد شعور أول هو الشعور بالرغبة؛ وهذا الوضع الثاني قد يناقض الرغبة، أو الوضع النفسي الأول، وغاية ما في الأمر أن هذا الوضع الثاني و جهد يبذله المرء الراغب حتى توائم انطباعاته افسية معطيات القيم من الناحية الاجتماعية، فالانطباعات هي جذور القيم وإذا قطعت الجذور زالت القيم².

طبيعة الرغبة: يرى الغربيون أن الرغبات تعتمد على ميول في الطبيعة البشرية يمكن تصنيفها كالآتي: الحاجات العضوية، والغرائز، والميول الفطرية العامة.

فالحاجات العضوية ميول إسانية ضرورية لاستمرار الوجود والتطور الطبيعي للجسم، ويشترك فيها الإنسان مع غيره من الكائنات التي لا وعي لها؛ لأنه يمر في لحظات لا وعية تشتهي الكائنات الحاجات العضوية وتستهدف إشباعها ولاها لما بقي الكائن حيا³.

هكذا يرى الغربيون انطلاقا من مبدأ إشباع الرغبة في القيم الغربية، أما الغراز فيرون - ب تعريف ماكدوجال - أ ميل فيزيقي نفسي فطري؛ أو موروث يحدد لصاحبها الإدراك والالتفات إلى موضوعات من مرتبة معينة تثيره على نحو محدد، وجعل فعله بطريقة خاصة

¹ منظومة القيم م.س، ص 20.

² عادل العوا، العمدة في فلسفة القيم، ص 123 - 120 بتصرف.

³ وليام ليلي، المدخل إلى علم الأخلاق، ص 01 - 52 بتصرف.

أو على الأقل تجعله يشعر بالدافع تجاه الفعل. وقد رماكدوجال الغرائز الإنسانية الأساسية إلى عشرة، هي: غريزة الهروب، وغريزة النفور أو الاشمئزاز، وغريزة الفضول، وغريزة حب القتال، وغريزة تأكيد الذات أو تحقيرها، والغريزة الأبوية، والغريزة الجنسية، غريزة الاجتماع، غريزة التملك، غريزة البقاء، و"هذه الغرائز بلا ريب تؤدي إلى حفظ ووقاية الكائن البشري، وهي ليست عمليات عقلية أو جسمية؛ بل هي استعدادات وميول ولا يمكن أن تعرف إلا بتتبع الأفعال الصادرة عنها"¹.

أما الميول الفطرية العامة فهي "تتكون لدى الإنسان بكل درجاته، كما أنها شعور متفاوت بكل النشاطات" شعبة لتلك الميول على اختلافها؛ ويطلقون بها كلمة باعث أو كلمة رغبة، كما أن التأثير بالرغبات الأخرى في حين تظل منعزلة في الذهن"².

وبهذا يتبين أن الفكر الغربي المعاصر اتخذ مبدأ إشباع الرغبة معياراً للقيم، بل صار في نظرهم خاصية وبذلك ظهرت نظريات تهدف إلى إشباع الرغبات كنظرية فرويد الجنسية³، ونظرية جون بول سارتر الوجودية⁴.

3- تلبية الحاجات المادية: يقوم الفكر الغربي المعاصر على المادية، فهو يفسر النشاط الإنساني بأنه نابع من الجسد ولا مجال للجوانب الخلقية والروحية، وجعل التجريب هو القاعدة والأساس، وحيث أن المثل العليا التي لم يكتشفها المعمل فهي إذن لا وجود لها، وبهذا أبحث تلبية الحاجات المادية خصية للقيم الغربية، والمجتمع والدين والأخلاق كلها

¹ وليام ليلي، المدخل إلى علم الأخلاق، ص 02.

² المرجع السابق، ص 53.

³ سبق التعريف بها.

⁴ هي الفلسفة التي تقول بأسبقية الوجود على الماهية، وهي تختلف بشأنه حتى بين أتباعه، ويرى أصحابها أن وجود الإنسان ألق على كل المذاهب، ومعناه أن الناس حدهم طبيعتهم المسبقة عن ممارسة اختياراتهم، وأن اختياراتهم هي التي تحدد طبيعتهم وهي رد فعل لا عقلاي على عقلانية التنوير، وتعتبر الوجود كنيبة للغاية، وترى أن الوجود بأكمله عبث، وهي تتوارى اليوم بسرعة عن مسرح الفكر إذ إنها فقدت قدرتها على الاستهواء بسبب غرقها في السلب. عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ص 520 بتصريف، وينظر: روالد سنتروم برج، تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، ص 778.

سخافات لا موجب لها؛ لأنها لا وجود لها في الإنسان، لهذا يسعى الغربيون إلى متعة الجسد المادية، وانطلقوا من إichات دارون وفرويد والمادية المتغلغلة في النفوس، وفطرتهم الهابطة التي جعلتهم ينكرون الجوانب الروحية والخلقية، ويرون أن نظام الأسرة مفتعل؛ ليس في الإنسان إلا الطاقة الجنسية وأنه يستطيع تلبية تلك بأي شكل من الأشكال، وما المثل إلا خرافة يخدع الإنسان نفسه بها وإن الحقيقة الوحيدة هي الحقيقة المادية الواقعية¹.

لقد سيطرت المادية على مرجعية الفكر الغربي وصارت المحرك للإنسان في جميع تصرفاته، والقوة الفاعلة التي هدمت وحطمت جميع القيم، ورأت أن حب المال والشهوات والسلطة حب ذفين وعميق وشرس و مكن في النفوس؛ وأنه حب يجعل الإنسان فوق كل اعتبار بصورة مطلقة؛ يقطع الأواصر والروابط، ويذهب عن الإنسان كرامته في سبيل المال، أو الشهوة أو السلطة، وصولاً أو تمسكاً أو سعياً لأي منها.. وأصبحت المادية هي المعيار والميزان والمقياس الوحيد الذي يقيم بها كل شيء مما في ذلك الإنسان نفسه و يتعلق به من أمور، وبذلك انحلت القيم وانتشرت عبادة المادة والذات في الغرب، وتبع ذلك كثرة الانتحار والقتل والتعذيب والسرقة والزنا والاغتصاب والشذوذ الجنسي².

و سبق سيتضح أن المادية التي سلكها الغربيون وجعلوها سمة للقيم جرت على الإنسان الويلات والنكبات و لته في مجتمع موحش. لقد انهارت اقيم في المجتمع الغربي عندما انفصلت القيم عن الدين وأصبحت الخطورة تزداد يوماً بعد يوم، وهذا الانفصال شامل قد خرجت السياسة عن القيم، ثم خرج الاقتصاد عن القيم، ثم خرج الجنس عن القيم، ولم يبق رصيد من الفضائل، كل ذلك بسبب الانغماس في المادة والجري وراءها في الجاهلية الحديثة.

¹ محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، ص 53 - 54 بتصرف.

² محمد نجاح شبيب، الشرائع والأحكام بين الحضارة والانحطاط، ص 139 - 137 بتصرف.

"ابتعد (الغربيون) عن الدين النصراني وأنشأوا ديناً يقوم على احترام المادة، وتحلل من الدين، وأصبح الدين المهيم هو النفعية العنصرية، وسرت هذه النفعية في دم قادة تلك الأمم ومفكرها وشعوبها، وأصبح الإنسان مهما كان اتجاهه في عالم الغرب يعرف ديناً واحداً هو الرقي المادي. وأقاموا معابد لهذا الدين الجديد، وهي تتمثل في المصانع العملاقة الضخمة، ودور السينما، ومختبرات الكيمياء، ودور الرقص، وكهنة هذه المعابد هم رؤساء المصارف والمهندسون والممثلون، وكواكب السينما، وأقطاب التجارة، والصناعة. والملاحظ أن الثقافة الغربية أهملت الروح، وانعدم الاهتمام بها، ذلك أن مذهب النفعية المادية المرتبط بالحياة الدنيوية اضيق قتل أشواق الروح وتطلعاته"¹.

ونما ينكر الغرب كل القيم العليا، وؤمن بالمادية النفعية، بسبب التنافس المادي على أرض صغيرة مساحة قليلة الخيرات، فأصبح الصراع هو الغالب على الطبيعة البشرية الأوربية، وانقطع التعاون والحب، وصارت السيطرة على المشاعر هي المادية المرتبطة بالأرض وعالم المادة، فهو عيب جاءت به ظروف معينة. وصحيح أن الغرب امتلاك اليوم القوة والسيطرة في وقت كفّر بالقيم الإنسانية العليا، وآمن بواقع الأرض المحدود، وهذا لا يعني أن هذا هو المسلك الوحيد لامتلاك القوة فهناك طرق أخرى بيننا التاريخ؛ حصل فيها امتلاك القوة لا يستلزم الكفر بمقومات الإنسانية الحقة، وامتلاك القوة على الأسس المادية افعية لم يجلب للإنسانية غير الخراب والدمار².

وهذا ما حصل في أوروبا حينما اشتعلت الحرب العالمية الأولى والثانية ومات فيها ملايين البشر نتيجة لحب المادة والصراع من أجلها، هذا الوضع المادي الذي أدى إلى نتائج سيئة على المجتمع الغربي؛ وها على سبيل المثال لا الحصر:

¹ عمر سليمان الأشقر، نحو ثقافة إسلامية أصيلة، ص 57، الطبعة الرابعة، دار انفانس للنشر والتوزيع، 1414هـ/ 1994م عمان، الأردن.

² محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، دار الشروق، الطبعة التاسعة 1989م، ص 219- 220 بتصرف.

- ارتفاع نسبة الجريمة، والسطو، والسرقة، والقتل، وكثرة عصابات الإجرام.
- السعار الجنسي والوحشي بصورة سيئة وظهور ظاهرة الشذوذ الجنسي واغتصاب الأطفال.
- انقطاع الصلات الاجتماعية، والروابط الإنسانية، وحب الذات مما جعل المجتمع مجتمعاً موحشاً.
- الاستغلال البشع للمرأة، وإخراجها من وظيفتها الحقيقية وتمتع بها ثم رميها بعد ذلك.
- ظهور النظريات المادية الهدامة التي تسببت في الفقر والمجاعات والحروب.
- التحكم في مقدرات الأمور؛ بامتلاك الثروات ومصادرها، وتسابق على امتصاص خيرات الشعوب، والسيطرة على الأسواق، والتحكم فيها وفي أسعارها.
- استخدام النفوذ؛ لتوجيهها وترويج البضائع والصناعات المتقدمة؛ مما جعل بلاد المسلمين مستهلكة، وكذلك التحكم في الفضاء والملاحة الجوية، وصناعة الأسلحة الفتاكة، ويضعون من التشريعات ما يسد الباب في وجه الآخرين؛ وذلك للتحكم في مقدرات الأمور والسيطرة على العالم.

المطلب الثالث: مقارنة بين خصائص القيم في المرجعية الإسلامية ومرجعية الفكر الغربي.

- القيم الإسلامية؛ امتازت بأنها ربانية المنشأ لأنها من عند الله عز وجل، فمصدرها الوحي: القرآن الكريم، والسنة المطهرة وهي الوحي الثاني، وهذه أظم خاصية، بينما القيم الغربية؛ هي عبارة عن نظريات رين غربيين، اجتهد كل واحد منهم بحسب وجهة نظره، ومن ثم فقدت القيم الغربية المصدر الرباني وذلك بسبب ما لحق بالإنجيل من تحريف وتبديل، وأصبح العقل البشري القاصر هو المصدر الأول والأخير للفكر الغربي المعاصر.

- القيم الإسلامية؛ تميز بالوضوح والخلود والحفظ: وذ منها نابعة من ا ربيعة الإسلامية التي تكف الله بحفظها، فهي خالدة باقية إلى قيام الساعة، أما القيم في الفكر الغربي المعاصر؛ فقد فقدت تلك الصفة إذ ق بالإنجيل التحريف بالإضافة إلى عدم الوضوح، فهي فلسفات بشرية ونظريات غامضة؛ قد تنتهي بموت صاحبها، وقد تستمر زما بعده ثم تضمحل، أما القيم الإسلامية؛ فهي واضحة خالدة محفوظة إلى قيام الساعة، وكذلك ارتباط القيم ا سلامية بالجزاء؛ جعلها خالدة باقية يتوارثها الأجيال جيلا بعد جيل، يعمل المسلم ابتغاء رضاء الله والجنة، ويترك ما يتعارض مع القيم انقاء سخط الله عز وجل وعذابه، أما القيم الغربية؛ فتهدف إلى تحقيق اللذة وإشباع الرغبة وتلبية الحاجات المادية و تنظر إلى الجزاء الأخروي ولا تهتم به.

- القيم الإسلامية؛ شاملة وعامة لجميع جوانب الحياة الإنسانية؛ روحية وجسمية ودنية وعقلية وعاطفية، فردية واجتماعية، أما القيم الغربية؛ فإنها تركز على المتعة الجسدية واللذة الحسية وأهملت الجوانب الأخرى وتكررت لها.

- القيم الإسلامية؛ ملائمة للفطرة تماما، لأن تعالى خلق الإنسان بدوافعه النفسية وميوله الفطرية، وجعله صالحا للحياة ومواقفها وأحوالها؛ كما أن القيم تقوم على أساس الكتاب والسنة، وهذا الأساس ملائم للفطرة الإنسانية الأصلية، أما القيم الغربية؛ فهي تركز على أيديولوجيات أو فلسفات منحرفة مخالفة للفطرة، فتكون قيمتها في حركتها وواقعها العملي بعيدة عن الفطرة.

- تمتاز القيم ا لامية بالإيجابية؛ أي أن ا ير لا يقتصر على الشخص بل يتعدى إلى الآخرين، وكون الشخص صالحا في نفسه؛ لا يكفي بل يجب أن يكون صالحا و صالحا لغيره، ولا يكون خيرا في ه بل يوصل الخير للآخرين، أما القيم الغربية؛ فهي تركز على الفرد وتحقيق المنفعة الذاتية، وأصبحت الأنانية هي الصفة المسيطرة على المجتمع الغربي، وتحقيق اللذة (المنفعة) هي الخاصة - في نظر الغرب - ا تتميز بها القيم عندهم، ويأتي

بعدها إشباع الرغبة وتلبية الحاجات المادية مما جعل القيم سلبية وكئيبة، وبذلك انقطعت الأواصر والروابط الاجتماعية.

- القيم الإسلامية؛ متواز تجمع بين الشيء و لا يقابله في اتساق وتناسق بلا غلو، ولا تقريط، ومن ذلك: التوازن بين حق الجسم وحق الروح، فلا جسم حقه وللروح قها في ناسق عجيب، أما القيم الغربية؛ فأنكرت الروح وغلّت في الجسد غلوا شديدا؛ لتحقيق شهواته وملذاته ومتعه، ما جعلها تعاني معاناة شديدة من الفراغ الروحي حتى أصبحت ظاهرة الانتحار تزداد وما بعد يوم، كل ذلك لفقدان التوازن بين الروح والجسد.

- القيم الإسلامية؛ تمتاز بالواقعية، فهي ت ضربا من المثاليات ولا من قبيل الخيال، ونما هي ممارسات واعية ممكنة التطبيق، سهلة ميسرة لا حرج فيها ولا مشقة، أما القيم الغربية؛ فهي مثالية خيالية لا يمكن أن طبق في واقع الناس إلا من قبل فئة قليلة من الناس؛ كما فعل أفلاطون في المدينة الفاضلة التي رسمها ولم تطبق إنما هي خيال ومثاليات.

الباب الثاني: الثبات والتغير في القيم في المرجعية الإسلامية وفي مرجعية الفكر الغربي.

الفصل الأول: الثبات في القيم في المرجعية الإسلامية وفي مرجعية الفكر الغربي.

المبحث الأول: الثبات في القيم في المرجعية الإسلامية.

- المطلب الأول: الثبات في مصادر المرجعية الإسلامية.
- المطلب الثاني: الثبات في مصالح الشريعة ومقاصدها.
- المطلب الثالث: الثبات في الضوابط.

المبحث الثاني: الثبات في القيم في مرجعية الفكر الغربي.

- المطلب الأول: جذور الثبات في مرجعية الفكر الغربي.
- المطلب الثاني: التحول عن الثبات في مرجعية الفكر الغربي.

الفصل الثاني: التغير في القيم في المرجعية الإسلامية وفي مرجعية الفكر الغربي.

المبحث الأول: التغير في القيم في المرجعية الإسلامية.

- المطلب الأول: أسباب التغير.

- المطلب الثاني: مجالات التغير.

المبحث الثاني: التغير في قيم مرجعية الفكر الغربي.

- المطلب الأول: التغير في أصول القيم.
- المطلب الثاني: التغير في مجالات القيم.

الفصل الأول: الثبات في قيم المرجعية الإسلامية ومرجعية الفكر الغربي.

المبحث الأول: الثبات في قيم المرجعية الإسلامية:

الثبات سمة بارزة للمنهاج الإسلامي، لأنه وحي من الله عز وجل الذي أحاط بكل شيء علماً، والمنهجيات التي تصوغها عقول البشر في ظروف زمانية ومكانية متغيرة ومتقلبة، فإذا استجذبت حياة البشرية تجاوزت هذه المنهجيات ما يجعلها تتغير لتواكب هذه الحياة المستجدة، وثبات المنهاج الإسلامي شامل لمبادئه الاعتقادية والتشريعية في الكتاب والسنة، أما الفتاوى والأقضية الاجتهادية فإنها تطبيقات لتلك الأحكام على أوضاع ظرفية معينة؛ ومن ثم فإنها تتغير إذا تغيرت الأوضاع، ولكن ذلك لا يؤثر على ثبات المنهاج الإسلامي، وتبرز خاصية الثبات في الإسلام بالنظر فيما تعانيه البشرية اليوم حينما غيرت الثوابت، وأصبح التطور المستمر يشمل كل جوانب الحياة بما فيها الدين والقيم وجميع الجوانب، مما جعلها تعيش هائلة، لا تأوي إلى أصل ثابت.

وحينما يسيطر فكر التطور على الأذهان، فلا بد أن يصطدم تفكير أتباعها بالدين، فالدين هو أعظم الثوابت، وثبات الدين يعني: ثبات الإله وثبات العقيدة، ثبات العبادة، ثبات القيم، ثبات المفاهيم، ثبات الحياة، ومادام الدين كذلك فلا بد أن يصطدم بمفهوم التطور الشامل الذي لا يطبق تصور الثبات في أي شيء على الإطلاق حتى فكرة الخالق سبحانه وتعالى أو فكرة الدين¹.

والثبات في الإسلام قيمة من قيم القرآن الكريم، يدل على الاستقرار والقوة والرسوخ وعدم التزلزل والاضطراب، والمسلم بحاجة إليه؛ "لأن طريق العبادة والطاعة طويل، لا بد له من ثبات

¹ محمد قطب، التطور والثبات في حياة البشرية، ص 5 - 6 بتصرف.

واستقرار، والثبات صفة من صفات المؤمنين وهو منة من الله سبحانه وتعالى من بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم¹.

وفي هذا الباب أتناول الثبات في القيم في الإسلام وفي مرجعية الفكر الغربي المعاصر، مبتدئاً بتعريف الثبات في اللغة وفي الاصطلاح وفي الشرع، ثم أتناول الثبات في مصادر الإسلام وأهدافه وضوابطه، ثم الثبات في مرجعية الفكر الغربي المعاصر وجذوره وبداية التحول عنه، وأسباب هذا التحول العلمية والحضارية.

المطلب الأول: الثبات في مصادر المرجعية الإسلامية.

أولاً: مفهوم الثبات.

تعريف الثبات: في اللغة: "الثاء والباء والتاء كلمة واحدة، وهي دوام الشيء، يقال ثبت ثباتاً وثبوت. ورجل ثبت وثبت²".

والثبات ضد الزوال، يقال: "ثبت يثبت ثباتاً، قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا". ورجل ثبت وثبت في الحرب، وأثبتته السقم أي لم يكد يفارقه. وثبت الشيء يثبت ثباتاً فهو ثابت وثبت، وأثبتته هو، وثبته بمعنى شيء ثبت: ثابت³".

قال ابن القيم -رحمه الله-: "ومادة التثبيت مأخوذة من القول الثابت وفعل ما أمر به العبد، فبهما يثبت الله عبده، فكل من كان أثبت قولاً وأحسن فعلاً كان أعظم تثبيتاً. والقول الثابت هو القول الحق والصدق وهو ضد القول الباطل الكذب، فالقول نوعان: ثابت له حقيقة، وباطل لا حقيقة له، وأثبت القول كلمة التوحيد ولوازمها⁴".

¹ أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن الكريم، 1 / ص 97 - 99 بتصرف. الطبعة الثالثة 1407هـ / 1987م، ط، مطابع الرائد العربي، الناشر: دار الرائد العربي.

² ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ص399.

³ ابن منظور، لسان العرب 19.

⁴ إعلام الموقعين عن رب العالمين 1 / 177.

من خلال التعاريف اللغوية السابقة يتبين أن الثبات في اللغة يطلق على أمور عدة وهي:

- دوام الشيء واستقراره
- الثبات ضد الزوال والتغير.
- الثبات في الحرب.
- يطلق على القول الثابت.
- الثبات هو الحق والصدق.

الثبات في الاصطلاح: الثبات هو: "عدم احتمال الزوال بتشكيك المشكك، والثابت هو الموجود الذي لا يزول بتشكيك المشكك"¹.

وعرفه آخر بأنه: "الاستقرار النسبي لمدر ك حسي على مظهر أو شكل أو لون أو حجم أو وزن معين بالرغم من التغيرات التي قد تطرأ على ظروف الإدراك"².

الثبات في الشرع: يقول أبوبكر الجصاص - رحمه الله - عن الثبات: "فقول الله سبحانه ورسوله هما الحق الثابت الذي لا يتغير ويتبدل، وقد ختم الله سبحانه شرائعه بهذه الشريعة التي أرسل بها نبيه عليه الصلاة والسلام، فأحكمها سبحانه فهي موصوفة بصفة الثبات والبقاء"³.

وعرف الثبات في الشرع بأنه: "ما جاء به الوحي من عند الله عز وجل سواء باللفظ أو المعنى دون اللفظ وانقطع الوحي عن الرسول وهو لم ينسخ، فهو ثابت محكم له صفة البقاء

¹ التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم 1/ 539 حرف الثاء.

² أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، ص 82.

³ أحكام القرآن 2 / 3 / 4.

والدوام لا تغيير له ولا يتبدل، وهو كذلك أبداً إلى قيام الساعة¹. والتعريف المختار هو التعريف الأول للتهانوي لكونه جامعاً مانعاً.

ثانياً: الثبات في القرآن الكريم.

القرآن في اللغة: القرآن في الأصل مصدر، كغفران، ورجحان، قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ، وَفُرْءَانَهُ² قال ابن عباس: إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به وقد خص بالكتاب المنزل محمد صلى الله عليه وسلم. قال بعض العلماء: "تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله لكونه جامعاً لثمره كتبه بل لجمعه ثمرة جميع العلوم"³.

القرآن: "اسم مثل الشكران والكفران وإذا أطلق انصرف إلى المعنى القائم بالنفس ولغة إلى الحروف المقطعة لأنها التي نقرأ نحو: كتبت القرآن ومسته والفاعل قارئ وقراه وقراء وقارئون"⁴.

القرآن في الاصطلاح: هو "كلام الله المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شبهة، والقرآن عند أهل الحق، هو العلم اللدني الإجمالي الجامع للحقائق كلها"⁵.

¹ عابد محمد السفياني، الثبات والشمول، أصل الكتاب رسالة الدكتوراه، الطبعة الأولى 1988م، ص 110.

² القيامة، الأيتان: 17 / 18.

³ الراغب الأصفهاني، المفردات، ص 668 - 669

⁴ الفيومي، المصباح المنير، ص 259

⁵ الجرجاني، التعريفات، ص 223.

وفي تعريف آخر: «كلام الله المنزل على رسوله بلسان عربي مبين بواسطة جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر كتابة ومشاهدة المتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سورة منه، المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس»¹

سر اختصاص القرآن بالخلود وعدم التحريف دون الكتب السابقة:

تكفل الله بحفظ القرآن الكريم في الصدور والسطور فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب، المنقول لنا جيلا بعد جيل على الهيئة التي وضع عليها أول مرة، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر، وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس أمة محمد اقتداء بالرسول الكريم بقي هذا القرآن محفوظا في حرز حريز، إنجازا لو عد الله عز وجل الذي تكفل بحفظه فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾². ولم يصبه ما أصاب الكتب السابقة من التحريف والتبديل، وانقطاع السند، وسر هذه التفرقة إن الكتب السماوية مؤقتة بوقت معين، أما هذا القرآن فقد جاء مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيئنا عليها فكان جامعا لما فيها من الحقائق الثابتة زائدا عليها ما شاء الله زيادته، وكان سائرا مسيرها، ولم يكن شيئا ليسد مسده، فقضى الله أن يبقى حجة إلى قيام الساعة وإذا قضى الله أمرا يسر له أسبابه وهو الحكيم العليم³.

تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن الكريم، أما الكتب السابقة فقد وكل حفظها إلى الناس، قال تعالى: ﴿يَحْرِبُونَ أَكْثِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَفْؤُونَ

إِنْ أُوْتِيْتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَيْسَ

¹ الموسوعة العربية العالمية 120.

² الحجر، الآية: 09

³ فهد بن عبد الرحمن الرومي، خصائص القرآن الكريم، ص 157 بتصرف.

تَمْلِكَ لَهُ مِنْ أَلَلِهِ شَيْئاً¹، لقد مضى على القرآن الكريم قرونا عديدة ووصل إلينا كما أنزله الله تعالى وسيخترق بإذن الله أحوال المجتمع المعاصر وظروفه وتحدياته ليصل إلى من بعدنا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

لذا كان اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم أول الأمر جمع القرآن في القلوب بحفظه واستظهاره؛ لأن أدوات الكتابة لم تكن ميسورة في ذلك العهد، وكان التعويل على الحفظ في الصدور، يفوق التعويل على الحفظ في السطور على عادة العرب أيامئذ، ولكن القرآن حظي بأول نصيب من عناية النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فلم تصرفهم عنايتهم بحفظه واستظهاره عن عنايتهم بكتابته ونقشه، ولهذا اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم كُتَّاباً للوحي، كلما نزل شيء من القرآن أمرهم بكتابته، مبالغة في تسجيله وتقويده وزيادة في التوثيق والضبط والاحتياط في كتاب الله تعالى حتى تظاهر الكتابة الحفظ، ويعاضد الحفظ واللفظ، وكان هؤلاء الكُتَّاب من خيرة الصحابة، فيهم أبوبكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومعاوية، وأبان بن سعيد، وخالد بن الوليد، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وثابت بن قيس وغيرهم². تنزل الآية فيأمر الرسول بكتابتها ويرشد الكتاب إلى موضعها من سورتها كما إن ترتيب السورة توقفي على الراجح، وبهذا تظاهر الكتابة في السطور الجمع في الصدور، وقبض النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن محفوظ في الصدور، ومكتوب في الصحف والرقاع والعسب مفرق الآيات والسور أو مرتب الآيات فقط وكل سورة في صحيفة على حده، ولم يجمع في مصحف واحد وكان عليه الصلاة والسلام يرتب نزول الوحي من حين لآخر، وقد يكون منه الناسخ الشيء نزل من قبل.

كتابة القرآن لم يكن ترتيبها بترتيب النزول؛ بل تكتب الآية بعد نزولها حيث يشير صلى الله عليه وسلم إلى وضع كتابتها بين آية كذا وآية كذا في سورة كذا، ولو جمع القرآن كله بين

¹ المائدة، الآية: 44

² محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن ج 1 / 246 بتصرف.

دفتر مصحف واحد لأدى هذا إلى التغيير كلما نزل شيء من الوحي، قال الزركشي: "قُثبت أن القرآن كان على هذا التأليف والجمع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما ترك جمعه في مصحف واحد؛ لأن النسخ كان يرد على بعض؛ فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعضه لأدى إلى الاختلاف واختلاط الدين، فحفظه الله في القلوب إلى انقضاء زمان النسخ، ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدون"¹.

القرآن الكريم هو المصدر الأساسي للقيم الإسلامية والتي تنتظم فيما يلي:

- قيم اعتقادية تتعلق بالعقيدة وما يجب على المكلف اعتقاده في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

- قيم خلقية، تتعلق بما يجب على المكلف أن يتحلى به من الفضائل وما يتخلى عنه من الرذائل.

- قيم عملية، تتعلق بما يصدر عن المكلف من أقوال وأفعال وعقود وتصرفات وهي على نوعين:

العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج ونذر ونحوها، ويقصد بها تنظيم علاقة الإنسان بربه، والمعاملات من عقود وتصرفات وعقوبات وجنايات وغيرها ويقصد بها تنظيم علاقات المكلفين ببعض سواء كانوا أفراداً أم أمة أم جماعات، وهذه تضم فيما يتصل بالأسرة، والقضاء ونظم الحكم وأصوله ومعاملات الدولة الإسلامية، ومعاملات غير المسلمين، كما تضم القيم المادية والاقتصادية.

والقيم المتعلقة بالعبادات والأسرة، ملزمة ثابتة لأنها تتعلق بأمر تعبدي، لا مجال للعقل فيه ولا يتطور بتطور البيئات، أما فيما عدا العبادات والأحوال الشخصية من قيم المعاملات

¹ البرهان في علوم القرآن 1/ 230 تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم 1391هـ / 1972م.

فتأتي قيما عامة كقواعد ومبادئ أساسية لم يتعرض لتفصيله القرآن الكريم لأنها تتطور بتطور البيئات والمصالح¹.

الثبات والمرونة من هدي القرآن الكريم: والذي يتدبر القرآن الكريم يجد في نصوصه دلائل جمة تدل على جمعه بين الثبات والمرونة جمعا متوازنا عادة، والتي هي سمة من سمات القيم الإسلامية يتمثل ذلك فيما يلي:

يتمثل الثبات في مثل قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾² ، فلا يجوز لحاكم ولا لمجتمع أن يلغي الشورى من حياته السياسية والاجتماعية فيقود الناس رغم أنوفهم إلى ما يكرهون دون مشاورة، وتتمثل المرونة في عدم تحديد شكل معين للشورى، يلتزم بها الناس في كل زمان وفي كل مكان فيتضرر المجتمع بهذا التقييد الأبدي، فنزل الأمر للمسلمين أن يتقيدوا بما أمر الله به من الشورى بالصورة التي تناسب حالهم وأوضاعهم وتلائم موقفهم من التطور، دون قيد يلزمهم بشكل جامد.

كما يتمثل الثبات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾³، فأوجب التقيد بالعدل والالتزام بكل ما أنزل الله والحذر من اتباع الأهواء وهذا مما لامجال للتساهل فيه، فهو يمثل جانب الثبات قطعاً في مجال الحكم والقضاء، وتتمثل المرونة في عدم الالتزام بشكل معين للقضاء والتقاضي وهل يسير على أسلوب القاضي المفرد أم على أسلوب المحكمة الجماعية، فالأمر متروك لاجتهاد أولي الأمر

¹ عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، ص 32-34 بتصرف، وعلي خليل أبو العينين.

² آل عمران، الآية: 159

³ النساء، الآية: 58

وأهل الحل والعقد. ويتضح أن الشارع الحكيم اهتم بالنص على المبدأ والهدف، ولكنه لم يعتن بالنص على الوسيلة والأسلوب¹.

ثالثاً: الثبات في السنة المطهرة.

السنة في اللغة: "الطريقة والسيرة حميدة كانت أو ذميمة"². فالسنن "جمع سنة، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم: طريقته التي كان يتحراها"³.

وسن: السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة، وما اشتق من السنة؛ السيرة⁴.

وبهذا يتبين أن السنة في اللغة تطلق على معان عدة منها:

- الطريقة والسيرة.

- جريان الشيء واطراده في سهولة.

- العادة التي يتحراها ويسلكها.

السنة في اصطلاح المحدثين: "ما استنته النبي صلى الله عليه وسلم طريقة مشروعة لأمره بقوله أو فعله، أو تقريره، فهي على هذا تقابل القرآن الكريم"⁵.

وفي اصطلاح الأصوليين: "ما نقل عن النبي من قول أو فعل أو تقرير"⁶.

¹ يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص 222 - 223، بتصرف ويوسف القرضاوي، مدخل لمعرفة الإسلام، ص 179 - 181 بتصرف.

² الفيومي، المصباح المنير، ص 102

³ الراغب الأصفهاني، المفردات، ص 29.

⁴ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة 60 - 61 بتصرف.

⁵ محمد أديب الصالح، لمحات في أصول الحديث، ص 31.

⁶ مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص 47.

وعند الفقهاء: فإنهم يطلقونها على "ما ليس بواجب، وتطلق على ما يقابل البدعة؛ كقولهم: طلاق السنة، وطلاق البدعة، وفلان من أهل السنة"¹.

وكل طائفة من أهل العلم يعني بالسنة الفرض أو التوجه الذي يتوجه إليه، فأهل الحديث اعتنوا بأقوال الرسول الكريم وأفعاله لكونه الأسوة القدوة، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخلق وشمائل وأخبار وأقوال أو أفعال، سواء أثبت ذلك حكماً شرعياً أم لا.

وعلماء الأصول اعتنوا بأقوال رسول الله عليه الصلاة والسلام وأفعاله وتقريراته باعتباره المشرع الذي يضع القواعد للمجتهدين من بعده ويبين للناس منهاج الحياة، فعنوا بأقواله وأفعاله وتقريراته التي تثبت الأحكام وتقررهما.

وعلماء الفقه اعتنوا بأقوال الرسول الله التي تدل على حكم شرعي ومن ثم بحثوا عن حكم الشرع على أفعال العباد وجوباً أو حرمة أو إباحة.

وأريد بالسنة هنا ما عناه الأصوليون من إثبات حجيتها ومكانتها في التشريع²، وحفظها وأنها مصدر من مصادر القيم التي هي جزء لا يتجزأ من الشرع المطهر.

ثبوت حجية السنة: اتفق أهل العلم على أن السنة النبوية قد تستقل بتشريع الأحكام، وأنها المصدر الثاني بعد القرآن الكريم في تحليل الحلال وتحريم الحرام، وقد جاء في الحديث الصحيح أنه قال: **(ألا وإنني أوتيت القرآن ومثله معه)**³، أي: "أوتيت القرآن وأتيت مثله السنة التي لم ينطق بها القرآن، مثل تحريم لحوم الحمر الأهلية، وتحريم كل ذي ناب من السباع، وذي مخلب من الطير"⁴. وتحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها وغير ذلك مما لم يرد في

¹ محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول 119 الطبعة الأولى، 1417هـ / 1997م

² مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص 48 - 49 بتصرف.

³ رواه أبو داود 910 / 2 كتاب السنة، باب لزوم السنة ح: 4604، والإمام أحمد 4 / 131 وابن عبد البر في التمهيد 1 / 150.

⁴ الشوكاني، إرشاد الفحول 1 / 120.

القرآن الكريم واستقلت به السنة، ومما يدل على حجية السنة واستقلالها بتشريع الأحكام البراهين التالية:

أولها: نصوص القرآن الكريم بشكل قاطع، فإن الله سبحانه وتعالى في كثير من آي الكتاب الكريم أمر بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، واعتبار طاعة الرسول من طاعة الله.

ثانيها: إجماع الصحابة رضي الله عنهم في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته على وجوب اتباع سنته، فكانوا يمشون أحكامه ويمتثلون لأوامره ونواهيه وتحليله، وقد انطبعت حياة الصحابة وتصرفاتهم بالسنة مما يدل على حجيتها، ومن الأمثلة حينما حرم الخمر امتثل الصحابة رضوان الله عليهم وأراقوا الخمر في الشوارع، وكذلك حينما حولت القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام امتثلوا الأمر واستجابوا له رضي الله عنهم.

ثالثها: أن القرآن فرض الله فيه أحكاما عديدة كالصلاة والزكاة والصيام والحج، ولم يبين كيف تقام الصلاة وتؤتي الزكاة ويؤدي الصوم والحج، وبين ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بسنته القولية والعملية، فلو لم تكن السنة حجة ما أمكن تنفيذ فرائض القرآن ولا اتباع أحكامه¹.

وهذه ضرورة دينية ولا يخالف في ذلك إلا من لاحظ له في دين الإسلام.

فمعنى كون السنة حجة: أنها دليل على حكم الله: يفيدنا العلم أو الظن به، ويظهره ويكشفه لنا. فإذا علمنا أو ظننا الحكم بواسطته: وجب علينا امتثاله والعمل به، فلذلك قالوا: معنى حجية السنة: وجوب العمل بمقتضاها، فالمعنى الحقيقي للحجة، هو: الإظهار والكشف والدلالة؛ ويلزم هذا وجوب العمل بالمدلول حيث إنه حكم الله².

¹ عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، ص 37 - 38 بتصرف، وينظر محمد أديب الصالح، لمحات في أصول الحديث، ص 34 - 38.

² عبد الغني عبد الخالق، حجية السنة، ص 1392 بتصرف.

وهذا الأمر من الأمور المتفق عليها بين العلماء قديما وحديثا ولا ينكر ذلك إلا من خالف منهج أهل السنة والجماعة، فالقرآن هو مصدر التشريع الأول وهو حجة، ثم تأتي بعده السنة المطهرة حجة أيضا وهي مكملة وشارحة وموضحة للقرآن ولا تناقض بينهما؛ بل هما متوافقان متطابقان، ولذلك تكفل الله بحفظ القرآن، وحفظ الله السنة كما حفظ القرآن فلم يذهب منها والله الحمد شيء على الأمة.

حفظ السنة: كما أن الله سبحانه وتعالى حفظ القرآن، وهياً الأسباب لحفظه، ويسره للذكر فيحفظه الصغار والكبار من الثقات الحفاظ، يسر الله كذلك حفظ السنة المطهرة وقام عدد كبير من ثقات الحفاظ سخرُوا أعمارهم في البحث والتصحيح والتدقيق عن الصحيح من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ينقلونه عن مثلهم من الثقات الحفاظ ممن عرفوا بالعدالة؛ إلى أن يصلوا إلى رسول الله وحتى ميزوا الحديث الصحيح من السقيم، ونقلوه إلينا سليما من كل شائبة عاريا من أي شك وشبهة¹، ووضعوا القواعد والضوابط لمصطلح الحديث والجرح والتعديل كل ذلك حفظا للسنة ودفاعا عنها وحرصا عليها، وحفظ السنة، بل واللغة العربية من مقتضيات حفظ القرآن الكريم فكانا داخلين في الحفظ الرباني له، ولذلك قيض الله سبحانه علماء جهابذة أكفاء لحفظ السنة من الدس والتحريف، وتميز الخبيث من الطيب، والصحيح من السقيم، والمحافظة على السنة وذلك بكل دقة وأمانة ووعي وإخلاص².

ومن هذه الجهود والعوامل المساعدة لحفظ السنة المطهرة ما يلي:

1 - تدوين السنة المطهرة وكتابتها.

2 - علم مصطلح الحديث.

3 - علوم الجرح والتعديل.

¹ عبد الغني عبد الخالق، حجية السنة، ص 292 بتصرف.

² صلاح مقبول احمد، زوبع في وجه السنة قديما وحديثا، ص 39 بتصرف.

وقد أوصلها بعض العلماء إلى اثني وخمسين علما، وأوصلها بعضهم إلى خمس وستين علما، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: علم مختلف الحديث، وعلم علل الحديث، وعلم ناسخ الحديث ومنسوخه، وفقه الحديث، وعلم الموضوعات والوضايع، وقد ألقت كتب كثيرة في علوم الحديث، كل هذه الجهود العظيمة خدمة للسنة النبوية ومحافظة عليها حتى وصلت إلينا صافية نقية سليمة واضحة ثابتة¹.

السنة مصدر ثابت للقيم الإسلامية: إذا كانت السنة المطهرة بهذه المكانة العظيمة بعد كتاب الله عز وجل فإنها مصدر عظيم من مصادر القيم الإسلامية، فكل ما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أقوال وأفعال وتقريرات يعتبر من القيم؛ لأن السنة حجة، وواجب على المسلمين الاتباع لكل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم بصفته رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مقصودا به التشريع والاقتداء وما صدر عن طبيعته البشرية فهو قيمة ملزمة إذا قام دليل يدل على أن المقصود من فعله الاقتداء، وقيمة غير ملزمة إذا كان غير ذلك، فهي قيم تخضع للاختيار، أما ما ثبت بدليل يقصد به التشريع واقتداء المسلمين به فهو قيمة ملزمة وسنة واجب اتباعها². أما كيفية استنباط القيم من نصوص الكتاب والسنة فلا بد لمن يريد القيام بها أن يعرف طرق الفقهاء في الاستنباط، وأن يتعرف على المدلولات اللغوية، والفهم العربي لهذه النصوص، والطريقة التي اتبعها الرسول صلى الله عليه وسلم في بيان أحكام القرآن، ثم لابد من التعرف على الطرق المعنوية للاستنباط من غير النصوص أيضا كالقياس والاستحسان والمصالح والذرائع، وما إلى ذلك³.

¹ مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص 112 - 113 بتصرف، وينظر محمد أديب الصالح، لمحات في أصول الحديث، ص 80-89.

² عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، ص 43 - 44 بتصرف، وينظر علي أبو العينين، القيم الإسلامية والتربية، ص 64 - 65.

³ محمد أبو زهرة، علم أصول الفقه، ص 84 بتصرف.

وأما السنة النبوية فهي مصدر يزخر بالقيم الإسلامية الكثيرة، وحياة النبي صلى الله عليه وسلم كلها مواقف نبيلة، والمجتمع الإسلامي الذي عاصر النبي صلى الله عليه وسلم لا مثيل له في التاريخ، ولأن "السنة النبوية مصدر تشريعي لهذه الحياة قامت بالتوجيه ملازمة للقرآن الكريم واعتبارها مصدرا رئيسا للقيم بعد القرآن أمر لازم وضروري ومهم وواجب اشتقاق القيم منها ومن القرآن الكريم" ¹.

الفرق بين ثبات القرآن وثبات السنة: "فكما حفظ القرآن في ألفاظه وكلماته منقولاً بالتواتر مدونة على أسلم ما يكون النقل والتدوين، فكذلك حفظ الله بيانه بحفظ السنة الشارحة له المبينة لأحكامه، بما كان من عمل جهابذة العلماء فيما مهدوا من سبل، وفيما وضعوا من مناهج تقوم على التحري والدقة العلمية والضبط" ².

فإذا كان القرآن محفوظاً غاية الحفظ فإن السنة المطهرة قد جاءت في المرتبة الثانية، فلا ترتيب بين الأحاديث بعضها مع بعض، وليست بمعجزة ولم يتعبدنا الله سبحانه بتلاوة لفظها. وأجاز لنا أن نغيره ما دامت المحافظة على المعنى متحققة، كذلك الفرق الشاسع أن يكون أكبر حجماً من المشروح، وما كان صغير الحجم أمكن نقله بجميع الطرق بخلاف الكبير، والملاحظ أن السنة قول أو فعل أو تقرير منه صلى الله عليه وسلم وليس من الممكن أن يكون الصحابة معه في كل المواقف، بل قد يصور قوله أمام صحابي واحد أمي لا يكتب ولا يتكرر الموقف بخلاف القرآن، فإن الآية منه أو السورة كان يقرأها أمام اقوام مختلفة فمنهم الكاتبون ومنهم الأميون ويتكرر في أزمنة مختلفة بعبارة واحدة لا تتغير ولا تتبدل وبذلك يتضح الفرق بين ثبات القرآن وثبات السنة ³.

¹ علي أبو العينين، القيم الإسلامية والتربية، ص 65.

² محمد أديب الصالح، لمحات في أصول الحديث، ص 41.

³ عبد الغني عبد الخالق، حجية السنة، ص 22 - 23 بتصرف

المطلب الثاني: الثبات في مصالح الشريعة ومقاصدها:

أولا الثبات في المقاصد الشرعية.

المقاصد لغة: "جمع مقصد، والمقصد مأخوذ من الفعل قصد، يقال قصد يقصد قصدا ومقصدا"¹، فالقصد والمقصد بمعنى واحد وقد ذكر علماء اللغة أن القصد يأتي في اللغة لمعان:

1 - الاعتماد والألم، وإتيان الشيء والتوجه، تقول قصده، وقصد إليه إذا أمه، ومنه قصد السهم إذا أصابه فقتل مكانه، قال ابن فارس: وكأنه قيل ذلك لأنه لم يحد عنه

2 - استقامة الطريق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾².

قال ابن جرير: و"القصد من الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه"³.

ويقال طريق قاصد: "سهل مستقيم، وسفر قاصد: سهل قريب، ومنه قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا فَاصِدًا لَا تَبْغُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ السُّفَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾⁴؛ أي "موضعا قريبا وسهلا"⁵.

3 - العدل والتوسط وعدم الإفراط. فمن مجيئه بمعنى العدل قول الشاعر⁶:

¹ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة 5/ 95 وإبراهيم مصطفى وآخرون.

² لنحل، الآية: 9

³ جامع البيان في تأويل آي القرآن، 38/ 8، طبعة دار الفكر 1405هـ / 1980م، بيروت، لبنان

⁴ التوبة، الآية: 42.

⁵ ابن جرير الطبري، جامع البيان 6 / 191.

⁶ قيل أبو اللحم التغلبي، ويروى لعبد الرحمن بن الحكم، والأول الصحيح، ابن منظور، معجم لسان العرب.

على الحَكَم المَأْتِي، يوما إذا قَضَى * * * قَضَيْتَهُ، أن لا يَجُورَ وَيَقْصِدُ

وقوله صلى الله عليه وسلم: «القصد القصد تبلغوا»¹.

4 - الكسر في أي وجه كان.

"تقول قصدت العود كسرتة، وقيل هو الكسر بالنصف قصدته أقصده، وقصدته فانقصد وتقصد. والقصيدة: القطعة من الشيء إذا تكسر والجمع قصد"².

وبعد عرض المعاني يظهر أن الأول هو المعنى الذي يتناسب مع المعنى الاصطلاحي إذ فيه الأم، والاعتماد وإتيان الشيء، والتوجه؛ وكلها تدور حول إرادة الشيء والعزم عليه مع أن المعنيين الثاني والثالث غير خارجين عن هذا المعنى.

وتعريف المقاصد اصطلاحاً: هي "الأعمال والتصرفات المقصودة لذاتها، والتي تسعى النفوس إلى تحصيلها بمساع شتى أو تحمل على السعي إليها امتثالاً"³.

الشرعية في اللغة: "الدين، والملة، والمنهاج، والطريقة، والسنة"⁴.

والشرعية: "ما شرع الله لعباده من الدين، وقد شرع لهم يشرع شرعاً أي: سن، والشرعة: الشرعة"⁵، ومنها قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾⁶.

¹ رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل 1 / 297 ح 6463.

² ابن فارس، معجم مقاييس اللغة 5 / 95.

³ مقاصد الشريعة، نشر: الشركة التونسية للتوزيع، 1987، ص 146.

⁴ أبو الحسن أحمد بن فارس، مجمل اللغة ص 529، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ص 412.

⁵ الجوهرى، الصحاح 2 / 957.

⁶ المائدة، الآية: 50.

وفي الاصطلاح: فقد عرفها ابن تيمية بقوله: "اسم الشريعة والشرع والشرعة فإنه ينتظم كل ما شرعه الله من العقائد والأعمال"¹.

وقال: الشريعة هي "طاعة الله ورسوله وأولي الأمر منا"². وقال في موضع آخر: "حقيقة الشريعة: اتباع الرسل والدخول تحت طاعتهم"³.

وعرفها الجرجاني بأنها: "الالتزام بالتزام العبودية، وقيل: الشريعة، هي الطريقة في الدين"⁴.

وقال صاحب كشاف الاصطلاحات هي: "ما شرع الله لعباده من الأحكام التي جاء بها نبي من الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام؛ سواء كانت متعلقة بكيفية عمل وتسمى فرعية وعملية... أو بكيفية الاعتقاد وتسمى أصيلة"⁵.

وهذه التعاريف السابقة تعرف الشريعة بمعناها الشامل لجميع الشرائع، ما عدا تعريف شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فإنه يختص بشريعتنا، والأولى أن يقال في تعريف الشريعة: إنها ما سنه الله لعباده من الأحكام عن طريق نبي من أنبيائه عليهم الصلاة والسلام⁶.

تعريف مقاصد الشريعة: قال الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة العامة هي: المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة⁷.

¹ مجموع الفتاوى، 19/ 309.

² المرجع السابق 19/ 309.

³ نفس المرجع 19/ 309.

⁴ التعريفات، ص 167.

⁵ التهانوي 1018.

⁶ محمد سعد اليوبي، مقاصد الشريعة وعلاقتها بالأدلة الشرعية، ص 31 بتصرف.

⁷ مقاصد الشريعة الإسلامية، ص 51 بتصرف.

ثم قال: فيدخل في هذا: "أوصاف الشريعة وغايتها، العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع من ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضا معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة"¹.

وهذا التعريف "يقصد به رحمه الله المقاصد العامة للشريعة، فيكون غير صالح لتعريف المقاصد بالمعنى الشامل للمقاصد الخاصة والعامة"².

وفي موضع آخر عرف المقاصد الخاصة بقوله: "هي الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة، أو لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة كي لا يعود سعيهم في مصالحهم الخاصة بإبطال ما أسس لهم من تحصيل مصالحهم العامة إبطالا عن غفلة أو استئلال هول وباطل شهوة ثم قال: ويدخل في ذلك كل حكمة روعيت في تشريع أحكام تصرفات الناس"³.

فهذا التعريف يصدق على تعريف المقاصد العامة ويلاحظ عليه أيضا التعبير بالكيفيات؛ إذ إنه لا يعطي المعنى الدقيق للمقاصد، ولو عبر بالحكم، أو الهدف أو نحوها من الألفاظ التي بينها وبين المقاصد مناسبة لغوية لكان أولى⁴.

وعرفها علال الفاسي بقوله: "المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"⁵.

¹ نفس المرجع والصفحة.

² المرجع السابق، ص 35.

³ المرجع السابق، ص 146.

⁴ محمد البيوي، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص 30 بتصرف.

⁵ مقاصد الشريعة ومكارمها، ص 7، الطبعة الخامسة، 1993م دار الغرب الإسلامي، طبعت بالاتفاق مع مؤسسة علال الفاسي.

وهذا التعريف جامع للمقاصد بنوعيتها: العامة والخاصة. فأشار إلى العامة بقوله: "الغاية منها أي من الشريعة، وإلى الخاصة بقوله: والأسرار التي وضعها..."¹.

وعرفها بعض الباحثين بقوله: "المقاصد هي المعاني والحكم ونحوها التي راعاها الشارع في التشريع عموماً وخصوصاً من أجل تحقيق مصالح العباد"²؛ وهذا هو التعريف المختار لكونه جامعاً مانعاً.

أقسام المقاصد الشرعية: يقول الشاطبي - رحمه الله -: " تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام:

الأول: أن تكون ضرورية.

والثاني: أن تكون حاجية.

والثالث: أن تكون تحسينية"³.

هذه القواعد التشريعية استمدتها علماء أصول الفقه الإسلامي من استقراء الأحكام الشرعية، ومن استقراء عللها وحكمها التشريعية، ومن النصوص التي قررت مبادئ تشريعية عامة وأصولاً تشريعية كلية، و"كما تجب مراعاتها في استنباط الأحكام من النصوص تجب مراعاتها في استنباط الأحكام فيما لا نص فيه، ليكون التشريع محققاً ما قصد به موصلاً إلى تحقيق مصالح الناس والعدل بينهم"⁴.

- **الضروريات:** ومجموعها خمسة وهي: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل. وقد حافظ عليها الإسلام من جانب الوجود بأن شرع ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها. ومن

¹ المرجع السابق، ص 7.

² محمد سعيد اليوبي في كتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، ص 37.

³ مقاصد الشريعة ومكارمها، ص 7، الطبعة الخامسة، 1993م دار الغرب الإسلامي، طبعت بالاتفاق مع مؤسسة علال الفاسي.

⁴ عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، ص 197.

جانب عدم بإبعاد ما يجلب عليها الاختلال الواقع أو المتوقع منها. فالعبادات بأصولها راجعة إلى حفظ الدين من جانب الوجود؛ كالإيمان وتشريع الجهاد وعقوبة الداعي إلى البدع وعقوبة المرتد.

وحفظ الدين بالنطق بالشهادتين والعمل بمقتضاها، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة والقيام بالصيام وأداء الحج وما أشبه ذلك.

والعبادات راجعة إلى حفظ النسل والمال من جانب الوجود، وإلى حفظ النفس والعقل أيضاً لكن بواسطة العادات والجنابات ويجمعها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكلها ترجع إلى حفظ الجميع من جانب عدم.

والمعاملات ما كان راجعاً إلى مصلحة الإنسان مع غيره؛ كانتقال الأملاك بعوض أو بغير عوض، بالعقد على الرقاب أو المنافع أو الأبضاع.

والجنابات ما كان عائداً على ما تقدم بالإبطال فشرع منها ما يدرأ ذلك بالإبطال ويتلافى تلك المصالح؛ كالقصاص والديات للنفس والحد لشارب الخمر لحفظ العقل، وتضمن قيم الأموال، والقطع لحفظ المال، الجلد والرجم لحفظ النسل¹.

فالأمر الضروري هو ما تقام به حياة الناس ولا بد منه لاستمرار واستقامة مصالحهم ولو فقد اختل نظام حياتهم، ولم تستقم مصالحهم وعمت فيهم الفوضى والمفاسد. ومما شرعه الإسلام للمحافظة على الأمور الضرورية للناس من حفظ للدين والنفس والعقل، والعرض، والمال شرع لكل واحد أحكامه تكفل لإيجاده وتكوينه، وأحكامه تكفل لحفظه وصيانته، وبذلك تحقق للناس ضرورياتهم.

فالدين مجموعة العقائد والعبادات والأحكام والشرائع التي شرعها الله لعباده لتنظيم علاقة الإنسان بربه، وعلاقتهم ببعض، فشرع لإيجاده إيجاب الإيمان والأركان الخمسة، وسائر العقائد،

¹ الشاطبي، الموافقات 2 / 10 بتصرف.

وأصول العبادات التي يقصد بها إقامة الدين وتثبيت القلوب باتباع الأحكام التي لا يصلح الناس إلا بها، وأوجب الدعوة إليه وتأمينها من الاعتداء عليها وعلى القائمين بها، لهذا شرع لحفظ الدين وبقائه أحكام الجهاد لمحاربة من يقف عقبة في سبيل الدعوة إلي.

أما النفس فشرع لإيجادها التوالد والتناسل، وبقاء النوع، وشرع لحفظها إيجاب ما يقيمها من ضروري الطعام والشراب واللباس والسكن، وإيجاب القصاص والدية والكفارة وتحريم الإلقاء بها للتهلكة ودفع الضرر عنها وشرع لحفظ العقل تحريم الخمر وكل مسكر، وعقوبة من يشربها أو يتناول أي مخدر، وشرع لحفظ العرض حد الزاني والزانية وحد القذف¹.

و"المال شرع لتحصيله وكسبه السعي للرزق وإباحة المعاملات والمبادلات والتجارة والمضاربة، وشرع لحفظه وحمايته تحريم السرقة والربا والغش والخيانة وأكل أموال الناس بالباطل وإتلاف مال الغير، وشرع الحجر على السفية ودفع الضرر"².

ولا يمكن "أن توجد حياة إنسانية كريمة إلا بالمحافظة على بقاء الضرورات الخمس التي هي حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، ولهذا فالمقصد الأول للشريعة إقامتها ودوامها وكان القرآن أصلها، والشاهد لها"³.

وهي ليست على مرتبة واحدة من حيث ضرورتها، فبعضها أؤكد من بعض، من ذلك أن حفظ الدين يقدم على حفظ النفس، وأن حفظ النفس يقدم على حفظ المال، وهكذا... فإنها وإن كانت مقدمة على ما عداها من أنواع المقاصد الأخرى كالحاجيات، والتحسينات إلا أنها فيما بينها متفاضلة⁴.

¹ عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، ص 200-201 بتصرف.

² المرجع السابق، ص 200.

³ حمادي العبيدي، الشاطبي ومقاصد الشريعة، ص 120.

⁴ أبو إسحاق إبراهيم بن موسى محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي، الاعتصام 2/ 38 بتصرف.

وتعد هذه المقاصد الضرورية الخمسة من أصول الدين، وتأتي مرتبتها بعد أصول العقيدة، ولذلك جاء بها الرسل جميعا ولم يختلفوا في شيء منها، ويحدد الشاطبي - رحمه الله - منزلتها فيذكر أنها: أصول الدين، وقواعد الشريعة وكليات الملة¹. بحيث إن تطرق الفساد إلى بعضها يؤدي إلى هدم الدين كله، "إن صلاح الدنيا قائم عليها، كما إن النجاة في الآخرة لا تكون إلا بالمحافظة عليها"². و"التأمل لأحكام الشريعة كلها من عقيدة، وعبادة، ومعاملة، وأخلاق، يجدها محققة لهذه الأصول"³.

وأما الحاجيات: فالإنسان محتاج إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق الذي يؤدي إلى الحرج والمشقة، والذي لا يؤدي إلى الفساد المتوقع في المصالح العامة، وهي جارية في العبادات والعادات، والمعاملات، والجنايات..

ففي العبادات كالرخص المخففة بالنسبة إلى لحوق المشقة بالمرض والسفر، وفي العادات كإباحة الصيد والتمتع بالطيبات من الحلال أكلًا وشربًا وملبسًا ومسكنًا، وفي المعاملات كالقراض والمساواة والسلم وغيرها.

وفي الجنايات كالحكم باللوث، والتدمية، القسامة، وضرب الدية على العاقلة وتضمين الصانع⁴.

والأمور الحاجية هي ما يرفع عن المكلفين الحرج، ويخفف عنهم أعباء التكليف، وييسر لهم طرق المعاملات والمبادلات، وقد شرع الإسلام جملة أحكام وتشريعات يقصد رفع الحرج واليسر بالناس.

¹ الموافقات 2 / 25 بتصرف.

² المرجع السابق ق 3 / 8.

³ محمد سعيد رمضان البوطي، ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، ص 119.

⁴ الموافقات 2 / 11 . 12 بتصرف.

ففي العبادات شرع الرخص ترفيها وتخفيفا على المكلفين إذ كان في العزيمة مشقة عليهم، فأباح الفطر في رمضان للمريض والمسافر، وقصر الصلاة الرباعية للمسافر، والصلاة قاعدة لمن عجز عن القيام، وأباح التيمم إن لم يجد الماء والصلاة على السفينة ولو كان الاتجاه لغير القبلة.

وفي المعاملات شرع كثيرة من أنواع العقود والتصرفات التي تقتضيها حاجة الناس كالبيع والشركات والمضاربات، من جانب آخر شرع الطلاق إذا تعذر استمرار الحياة الزوجية. وفي العقوبات جعل الدية على العاقلة تخفيفا على القاتل خطأ، ودرأ الحدود بالشبهات، وجعل لولي المقتول حق العفو عن القصاص من القاتل¹، وهذه المصالح "لا بد منها لقضاء الحاجات، كتشريع أحكام البيع، والإجارة والنكاح، وسائر ضروب المعاملات"².

و"تأتي المصالح الحاجية في المرتبة الثانية بعد المصالح الضرورية؛ لأنها تابعة لها ومحقة لأغراضها"³؛ من ذلك أحكام النكاح هادفة إلى المحافظة على النسل، و"أما أحكام التجارة والإجارة وما إليها فهي هادفة إلى الحصول على المال أو تنميته"⁴.... وتشمل الحاجيات كل ما فيه تيسير وسعة على المسلمين، وذلك لتمكين المسلم من القيام بما كلف به دون أن تحول المشقة بينه ذلك، و"لهذا الغرض أبيح أكل الميتة عند الضرورة، وأبيح له التيمم عند تعذر الطهارة بالماء، وأبيح له قصر الصلاة وفطر رمضان في السفر ليحافظ على أركان الدين في حدود استطاعته"⁵..

¹ عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، ص 202 - 203 بتصرف.

² الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص 82.

³ الشاطبي، الموافقات 4 / 28.

⁴ نفس المرجع: 4 / 29.

⁵ نفس المرجع ص: 29.

وأما التحسينات: ومعناها الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات. ويجمع ذلك القيم الإسلامية التي جاء بها الشرع المطهر.

ففي العبادات: كإزالة النجاسات والطهارة وستر العورة وأخذ الزينة والتقرب بنوافل الخيرات من الصدقات والقربات.

وفي المعاملات: كالمنع من بيع النجاسات، وفضل الماء والكأ.

والجنايات كمنع قتل النساء والصبيان والرهبان في الجهاد.

فهذه الأمور راجعة إلى محاسن زائدة على أصل المصالح الضرورية والحاجية، إذ ليس فقدانها بمخل بأمر ضروري ولا حاجي، وإنما جاءت مجرى التحسين والتزيين¹.

والأمور التحسينية ترجع إلى كل ما يحمل حال الناس ويجعلها على وفق ما تقتضيه المروءة والقيم الإسلامية التي هي موضوع البحث.

وكل شرائع الإسلام من عبادات ومعاملات وعقوبات تسعى إلى هذا التحسين والتجميل، وتربي الناس على أحسن العادات وترشدهم إلى المنهج القويم.

من جانب آخر نرى الإسلام جعل الطهارة للبدن، والثوب، والمكان شرطاً للصلاة، وأمر بالتنزه من البول والتطوع بجميع أحواله تقرباً إلى الله عز وجل؛ بل شرع لكل عبادة آداباً كل ذلك تحسيناً وتجيلاً لحال الإنسان المسلم².

وفي المعاملات أيضاً حرم الغش والتدليس والضرر، ونهى عن بيع الإنسان على بيع أخيه، وعن تلقي الركبان، وعن التسعير، كل ذلك لتجميل معاملات الناس على أحسن طريق.

¹ نفس المرجع 2 ص: 11 . 12 بتصرف.

² عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، ص 203 - 204.. بتصرف

وفي العقوبات أيضا حرم في الجهاد قتل الشيوخ وقطع الأشجار وهدم الصوامع ونهي عن المثلة، وقتل الأعزل، وإحراق ميت أو حي¹.

والمصالح التحسينية هي "كل ما يعود إلى العادات الحسنة، والأخلاق الفاضلة، والمظهر الكريم والذوق السليم، مما يجعل الأمة مرغوبة في الانتماء إليها والعيش في أحضانها"².

ويندرج في هذا النوع من المصالح "اجتناب الإسراف والبخل، ومراعاة الكفاءة في اختيار الزوج، وآداب الطعام، وحسن المعاشرة، وستر العورة والطهر من النجاسة، والابتعاد عن ما خبث من الطعام، وغير ذلك من مكارم الأخلاق والعادات الحسنة"³.

ثبات المقاصد الشرعية: الشريعة المحمدية المباركة تقوم على أصل قطعي، وهي محفوظة في أصولها وفروعها قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾⁴ لأنها ترجع إلى حفظ المقاصد الشرعية التي بها يكون صلاح الدنيا والآخرة، وهي: الضروريات والحاجيات، والتحسينات، وما هو مكمل لها متم أطرافها وهي أصول الشريعة، وقد قام البرهان القطعي على اعتبارها، وسائر الفروع مستندة إليها، فلا شك أنها علم راسخ الأساس، ثابت الأركان.

ومما تميزت به الشريعة الإسلامية [الثبات] من غير زوال؛ لا تجد فيها بعد كمالها نسخا، ولا تخصيصا لعمومها، ولا تقييدا لإطلاقها، ولا رفعا لحكم من أحكامها؛ لا بحسب عموم المكلفين، ولا بخصوص بعضهم، ولا بحسب زمان دون زمان، ولا حال دون حال، بل ما أثبت سببا فهو سبب أبدا لا يرتفع؛ وما كان شرطا فهو أبدا شرط؛ وما كان واجبا فهو واجب، ومندوبا فمندوب؛ وهكذا جميع الأحكام، فلا زوال لها ولا تبدل، ولو فرض بقاء

¹ المرجع السابق، ص 203 - 204

² الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص 82

³ البوطي، ضوابط المصلحة في الشريعة، ص 120

⁴ الحجر، الآية: 9

التكليف إلى غير نهاية لكانت أحكامها كذلك. وحيث إن المقاصد الشرعية الثلاثة الضرورية والحاجية والتحسينية أصول وأهداف للشرعية فهي إذن ثابتة لا تتغير غير زائلة ولا متبدلة¹.

ومما يدل على ثبات الشريعة ومقاصدها أن النسخ فيها قليل وخاصة في العهد المكي؛ لأن النسخ لا يكون في الكليات، وإن أمكن عقلا، ويدل على أن النسخ لا يكون في الكليات الاستقرار التام، وأن الشريعة مبنية على حفظ الضروريات والحاجيات والتحسينات، وجميع ذلك لم ينسخ منه شيء، بل إن ما جاء من تشريع في المدينة يقويها ويحكمها ويحصنها؛ وإذا كان كذلك لم يثبت نسخ لكلي البتة، ومن استقرى كتب الناسخ والمنسوخ تحقق هذا المعنى؛ فإنما يكون النسخ في الجزئيات منها، والجزئيات المكية²، وكون المقاصد الشرعية ثابتة؛ لأنها منبثقة من كونها ربانية، فهي لا تصطدم بواقع زمان أو مكان حتى يحتاج إلى تغييرها وتبديلها، بل تعنى بمتطلبات كل زمان ومكان على أحسن الوجوه وأكملها. والثبات للمقاصد الشرعية أمر مهم، وبيان ذلك أنه لا بد أن تكون الكليات والأصول العامة ثابتة حتى يتمكن من إرجاع الجزئيات والفروع إليها عند الاشتباه والاختلاف فيخضع المتغير للثابت، ويحكم عليه بحكمه، لا أن يخضع الثابت للمتغير؛ لأنه إذا خضع الثابت للمتغير صار متغيرا مثله، فيحصل التبدل والتغير وتفقّد الضوابط والقيود، ولم يبق حينئذ قيم ولا أخلاق، ولا أصول يرجع إليها ولا ثوابت ينطلق منها، ولا أسس يبني عليها. فالشرعية بثبات مقاصدها واتساعها غنية عن كل زيادة، إذ من أظهر مقاصدها جلب المصالح ودرء المفاسد³.

والعصمة ثابتة لهذه الشريعة ولرسولها صلى الله عليه وسلم ولهذه الأمة فيما اجتمعت عليه، وهذا يؤكد معنى ثبات الشريعة، فهي معصومة أبداً من الخل والزلل والعبث، ومنزهة من كل عيب، فكما أن الله سبحانه منزه عن كل نقص موصوف بكل كمال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ

¹ الشاطبي، الموافقات 1/7779 بتصرف.

² لمرجع السابق 3 / 104 . 10

³ محمد سعد اليوبي، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص 430 - 439 بتصرف.

شَعْنٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ¹، فكذاك "الشريعة منزّهة عن الخلل والاختلاف ومبرأة من كل نقص وموصوفة بكل كمال"². وقد ذكر الشاطبي أن "الحفظ للشريعة دائم إلى أن تقوم الساعة، وهذا يدل على حفظ الشريعة ومقاصدها وعصمتها من التغيير والتبديل"³.

قال الغزالي في المستصفى: السلف من الأئمة مجمعون على دوام التكليف إلى يوم القيامة ولا يتحقق ذلك إلا بثبات الشريعة وسلامتها من التغيير والتبديل، وإلا فإنها لو تغيرت وتبدلت لانقطع التكليف بها.

ولقد تحقق حفظ الشريعة من التغيير والتبديل وذلك بما يسره الله سبحانه وتعالى حيث قيض الله لها من يحفظها؛ فجعل الأمة بمجموعها حافظة للشرع، فالعصمة في الحفظ ثابتة لكل طائفة بحسب ما حملته من الشرع، وهذا واقع مشهود تحقق به وعد الله سبحانه الذي تكفل بحفظ هذه الشريعة، فالقراء "مجتهدون" في حفظ القرآن وتبليغه.

والمحدثون "مجتهدون" في حفظ الحديث وتبليغه.

والفقهاء "مجتهدون" في فهم الكلام والاستدلال في الأحكام وهذا هو الواقع المعلوم⁴.

يقول الشاطبي - رحمه الله - وهو يبين ذلك في عبارة رصينة مستدلًا به على عصمة الشريعة وحفظها من التبديل والتغيير، فيقول: «الاعتبار الوجودي من زمن الرسول إلى الآن. وذلك أن الله عز وجل وفر دواعي الأمة للذب عن الشريعة والمناضلة عنها بحسب الجملة والتفصيل، أما القرآن فقد قيض له حفظه بحيث لو زيد فيه حرف واحد لأخرجه الآلاف من

¹ الشورى، الآية: 11.

² عابد السفيناني، الثبات والشمول، ص 119.

³ الموافقات 2/ 59.

⁴ شيخ الإسلام ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية 3/ 271 بتصرف.

الأطفال الأصاغر فضلا عن القراء الأكابر وهكذا جرى الأمر في جملة الشريعة، فقيض الله لكل علم رجالا حفظه على أيديهم»¹.

وما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وفصله الشاطبي أصله في الرسالة للإمام الشافعي عند كلامه على أن القرآن إنما نزل بلسان العرب، فمن علم لسان العرب أمكنه أن يعلم كتاب الله... فقال: «ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا وأكثر ألفاظا، ولا نعلمه يحيط بعلمه إنسان غير نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها حتى لا يكون موجودا فيها من يعرفه. والعلم به عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه: لا نعلم رجالا جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيء، فإذا جمع علم عامة أهل العلم بها أتى على السنن وإذا فرق علم كل واحد منهم ذهب عليه الشيء منها، ثم كان ما ذهب عليه موجودة عند غيره»².

ثانيا: الثبات في المصالح الشرعية.

تعريف المصلحة:

المصلحة في اللغة: "كالمنفعة وزنا ومعنى، فهي مصدر بمعنى الصلاح كالمنفعة بمعنى النفع، أو هي اسم للواحد من المصالح"³.

والصلاح هو: "الخير والصواب في الأمر"⁴.

والمفسدة ضد المصلحة.

المصلحة في الاصطلاح: عرفها الغزالي بقوله: "أما المصلحة فهي عبارة في الأصل عن جلب منفعة أو دفع مفسدة، ولسنا نعني بها ذلك، فإن جلب المنفعة، ودفع المضرة مقاصد الخلق، وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم، لكننا نعني بالمصلحة المحافظة على مقصود

¹ الموافقات 09/2.

² تخريج وشرح: أحمد محمد شاكر ص: 92 - 43 بتصرف المسألة رقم 138 - 139 - 190.

³ ابن منظور، لسان العرب 2 / 017.

⁴ الفيومي، المصباح المنير، ص: 180.

الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعه مصلحة، وإذا أطلقنا المعنى المخيل والمناسب في كتب القياس أردنا به هذا الجنس"¹.

من خلال ما ذكره الغزالي للمصلحة يبدو أن بين المصلحة ومقاصد الشريعة رابطة قوية، فالمصلحة لا تعتبر شرعا حتى تكون محققة لمقصد شرعي ومقاصد الشريعة كلها مصالح للعباد في العاجل والآجل.

قال العز بن عبد السلام: والشريعة كلها مصالح: إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح"²

والملاحظ في كلام الغزالي - رحمه الله - أنه يعبر بالمصلحة "عن جلب المصلحة وعن" درء المفسدة "؛ لأن درء المفسدة مصلحة، وأهم ما في الأمر هو قوله إن جلب المصالح ودرء المفاسد أعظم مقصد من مقاصد الخلق، فكل ما عداه فهو داخل فيه غير خارج عنه.

ضوابط المصلحة العامة:

1 - النظر إلى المصلحة أو المفسدة بميزان الشرع، لا بأهواء النفوس، لأن الناس لو تركوا وأهواءهم لما استطاعوا الوصول إلى المصالح، ولو استطاعوا لما تحققت لهم مصالحهم على الوجه الأكمل، قال الشاطبي - رحمه الله - : إن المصالح التي تقوم بها أحوال العبد لا يعرفها حق معرفتها إلا خالقها وواضعها، وليس للعبد بها علم إلا من بعض الوجوه والذي يخفى عليه أكثر من الذي يبدو له؛ فقد يكون ساعيا في مصلحة نفسه من وجه لا يوصله إليها، أو يوصله إليها عاجلا لا آجلا، أو يوصله إليها ناقصة لا كاملة، أو يكون فيها مفسدة تربى في الموازنة على المصلحة، فلا يقوم خيرها بشرها، وكم من مدبر أمرا لا يتم له كماله أصلا، ولا يجن منه ثمرة أصلا، وهو معلوم مشاهد بين العقلاء؛ فلهذا بعث النبيين مبشرين

¹ المستصفى: ص251.

² قواعد الأحكام في مصالح الأنام 1/ 11، ط مؤسسة الريان، 1410هـ / 1990م.

ومنذرين، فإذا كان كذلك، فالرجوع إلى الوجه الذي وصفه الشارع رجوع إلى وجه حصول المصلحة والتخفيف على الكمال.¹

وقال رحمه الله: "المصالح المجتلبة شرعا والمفاسد المستدفة إنما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا للآخرة لا من حيث أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية".²

ثم ذكر الأدلة على ذلك وملخصها فيما يلي³:

أ - إن الشريعة إنما جاءت لتخرج المكلفين من دواعي أهوائهم حتى يكونوا عبادا لله، وهذا المعنى إذا ثبت لا يجتمع مع فرض أن يكون وضع الشريعة على وفق أهواء النفوس وطلب منافعها العاجلة إن كانت.

ب - إن المنافع والمضار عامتها أن تكون إضافية لا حقيقية، ومعنى كونها إضافية: إنها منافع أو مضار في حال دون حال، وبالنسبة إلى شخص دون شخص، أو وقت دون وقت، فقد يكون الشيء منفعة في زمان مضرة في آخر، أو منفعة لشخص مضرة لشخص آخر... فلو كانت المصالح تتبع أهواء النفوس لكانت مطلوبة في كل حال في حق كل شخص بإطلاق ما يريد وبما تشتهي نفسه سواء أضر بغيره أم لا، وسواء لحقه بعد ذلك ضرر أم لا، وهذا يدل على أن أمر المصالح إلى الشرع.

ج - إن الأغراض في الأمر الواحد تختلف، بحيث إذا نفذ غرض بعض وهو منتفع به تضرر آخر لمخالفة غرضه، فحصول الاختلاف في الأكثر يمنع أن يكون وضع الشريعة على وفق الأغراض، وإنما يستتب أمرها بوضعها على وفق المصالح مطلقا وافقت الأغراض أو خالفتها.

¹ الموافقات: 349/1 بتصرف.

² المرجع السابق: 37/2.

³ المرجع السابق: 38/2 بتصرف.

2 - إن مصلحة الدين أساس المصالح الأخرى ومقدمة عليها؛ فيجب التضحية بما سواها مما قد يعارضها من المصالح الأخرى إبقاء لها وحفاظا عليها.

وبناء على هذا الضابط يجب إلغاء كل ما يعارض مصلحة الدين؛ "لأن المصالح الدنيوية التي جاءت بها الشريعة، إنما جاءت ضمن خط معين، وطبق حدود مرسومة، رسمتها الشريعة ودل عليها نص الكتاب والسنة والقياس الصحيح، وإذا كان الدين أساس المصلحة المؤسس لها إذ به صح شرعها وبواسطته تم ضبطها، فهو القاضي بشرعة أصلها، وضبط حدودها وقيودها؛ فليس معنى ذلك إلا أنها متفرعة عنه آتية من ورائه لاحقه بآثاره"¹.

فالدين أصل، والمصلحة فرع عنه، فلا يصح أن يكون الدين تابعا لمصالح الناس وأهوائهم، بل تسيير المصالح في ظله وتحت سلطانه ومقاصده، ولا يضيع مصلحة معقولة أبدا إلا إذا كان معارضها من المفسدات أعظم.

3 - المصالح المعتبرة شرعا هي المصالح الغالبة في حكم الاعتقاد وكذلك المفسدات: قال الشاطبي - رحمه الله - : "فالمصلحة إذا كانت هي الغالبة عند مناظرتها مع المفسدة في حكم الاعتقاد، فهي المقصود شرعا ولتحصيلها دفع الطلب على العباد، ليجري قانونها على أقوم طريق، وليكون حصولها أتم وأقرب وأولى بنيل المقصود على مقتضى العادات الجارية في الدنيا، فإن تبعها مفسدة أو مشقة فليست مقصودة من شرعية ذلك الفعل وطلبه، وكذلك المفسدة إذا كانت الغالبة بالنظر إلى المصلحة في حكم الاعتقاد، فرفعها هو المقصود شرعا ولأجله وقع النهي ليكون رفعها على أتم وجوه الإمكان العادي في مثلها حسبما يشهد له كل عقل سليم، فإن تبعها مصلحة أو لذة فليست هي المقصودة بالنهي عن ذلك الفعل، بل المقصود ما غلب في المحل وما سوى ذلك ملغي في مقتضى النهي، كما كانت جهة المفسدة ملغاة في جهة الأمر"².

¹ محمد سعيد البوطي، ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة 1973م، ص 58.

² الموافقات: ج2، ص26 . 27.

ضوابط المصلحة الخاصة:

قبل أن أذكر ضوابط المصلحة الخاصة أشير إلى أن المصلحة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ - مصلحة ورد النص من الشارع على اعتبارها، فهذه لا خلاف في اعتبارها.

ب - مصلحة ورد النص من الشارع على إلغائها، فلا خلاف في إلغائها.

ج - مصلحة لم يرد نص خاص من الشارع باعتبارها ولا بإلغائها، وهذه هي المصلحة المرسل¹.

ومما يجب التأكيد عليه أن المصلحة التي ورد النص بخصوصها يكون العمل بها عملاً بنص من الشارع، فلا يشترط فيها ما يشترط في العمل بالنص من عدم النسخ والتخصيص ونحوه.

وأما المصلحة الملغاة بالنص فلا مجال لاعتبارها، فيبقى ما يذكره العلماء من

ضوابط وقيود خاصة بالمصلحة المرسل²:

1 - ملاءمتها لمقاصد الشريعة.

2 - عدم معارضة النصوص من الكتاب والسنة.

3 - عدم معارضة الإجماع.

4 - عدم تقويتها مصلحة أهم منها

¹ محمد البوي، مقاصد الشريعة، ص 1/ 25 المصالح المرسل: وهي المصالح التي لم يقر دليل خاص من الشارع على اعتبارها ولا على إلغائها، ولكن دلت الأدلة العامة على اعتبارها. وسميت مطلقة لأنها تقيد بدليل اعتبار أو دليل إلغاء، ومثالها المصلحة التي شرع لأجلها الصحابة اتخاذ السجون، أو ضرب النقود، أو إبقاء الأراضي الزراعية التي فتحوها في أيدي أهلها، ووضع الخراج عليها. محمد البوي، مقاصد الشريعة، ص 28 بتصرف.

² محمد البوي، ضوابط المصلحة، ص 119.

5 - أن تكون في المعاملات.

6 - أن تكون عامة.

التعارض بين المصالح والمفاسد، أو بين المصالح أنفسها أو بين المفاسد أنفسها:

من الأهمية معرفة التعامل مع المصالح المتعارضة، وهو جد خطير؛ لأن الإنسان قد يدرك كون الأمر مصلحة أو مفسدة، ثم يواجه مصلحة أخرى، أو مفسدة ربما كانت أكبر خطراً، وأعظم أثراً، هذا بالإضافة إلى تفاوت المصالح وضوحاً وخفاءً، وكذلك المفاسد، وكل ذلك يحتاج إلى تأمل دقيق في تقدير المصلحة أو المفسدة والنظر في الآثار المترتبة على كل منهما، والممارس لنصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة يدرك ما يقصد من المصالح وما يدرأ من المفاسد¹، وهناك ثلاث حالات:

الحالة الأولى: تعارض المصالح: إذا اجتمعت المصالح فإذا أمكن تحصيلها جميعاً حصلناها، قال ابن القيم - رحمه الله -: "إن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح بحسب الإمكان، وأن لا يفوت منها شيء، فإن أمكن تحصيلها كلها حصلت وإن لم يكن تحصيل بعضها إلا بتقويت البعض قدم أكملها وأهمها وأشدّها طلباً للشارع"².

وإذا لم يكن تحصيلها جميعاً ولا الجمع بينها فهناك طرق لمعرفة الراجح منها، وهي³:

1 - النظر إلى ذات المصلحة وقيمتها، فالمصلحة الضرورية مقدمة على الحاجة، والحاجة مقدمة على التحسينية، ومن الضروريات المصلحة الإسلامية مقدمة على غيرها، مقدمة على النفس والعقل وغيرها، والمصلحة الأقوى، والأكثر أهمية مقدمة على غيرها.

¹ البيهقي، مقاصد الشريعة، ص 297 بتصرف.

² مفتاح دار السعادة: مجمع الفقه الإسلامي، جدة 1997م، 2/359.

³ محمد البوطي، ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، ص 249.

2 - النظر إلى شمول المصلحة لما تقرر من أن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة¹.

إذ لا يعقل إهدار مصلحة تحصل لجمهرة من الناس من أجل حفظ ما تحقق به فائدة شخص واحد أو فئة قليلة من الناس، على أن الفرد لا يتضرر بترجيح مصلحة الجماعة عليه لدخوله غالباً فيهم².

قال العز بن عبد السلام رحمه الله: "لأن اعتناء الشرع بالمصالح العامة أوفر وأكثر من اعتناؤه بالمصالح الخاصة"³.

3 - النظر إلى مدى توقع حصولها، إذ المصالح متفاوتة في احتمال الوقوع فمنها القطعية، ومنها الظنية الراجحة الوقوع ومنها الموهومة.

فالمصلحة القطعية، مقدمة على غيرها، والظنية ظن غالباً مقدمة على الموهومة أو المشكوك فيها، فإذا نظر الباحث إلى المصالح المتعارضة من هذه الوجوه ببصيرة نافذة ونظر في الآثار المترتبة على كل واحدة من المصالح اتضح له وجه الحق، فإذا عدم المرجح الذي يرجح به بعد استقراغ الوسع في البحث عن مرجح فهنا يتخير في التقويم والتأخير.

قال العز بن عبد السلام: "إذا تساوت المصالح مع تعذر الجمع تخبرنا في التقويم والتأخير للتنازع بين المتساويين ولذلك أمثلة:

أحدها: إذا رأينا صائلاً يصول على نفسين من المسلمين متساويين وعجزنا عن دفعه عنهما نتخير، المثال الثاني: لو رأينا من يصول على مائتين متساويين لمسلمين معصومين متساويين تخبرنا"⁴.

¹ العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام: 70/2. والشاطبي، الموافقات 300/2.

² محمد البوطي، ضوابط المصلحة: ص 202.

³ قواعد الأحكام: 70/2.

⁴ قواعد الأحكام: 98/1.

الحالة الثانية: "إذا اجتمعت المفسد المحضة فإن أمكن درؤها جميعا درأها جميعا، وإن لم يكن درؤها جميعا درأنا الأفسد فالأفسد، والأرذل فالأذل"¹، وذلك بناء على قواعد مقررة عند العلماء هي:

- "تقديم المفسدة المجمع عليها على المفسدة المختلف فيها"².

- "إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضررا بارتكاب أخفهما"³.

- "يتحمل الضرر الخاص بدفع الضرر العام"⁴.

كل ذلك في إطار النظر إلى آثار المفسد والتحرز من الوقوع فيها بناء على قوله تعالى: **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**⁵، فإذا عدم المرجح، بعد است فراغ الوسع، فقد قال العز بن عبد السلام: "فإن تساوت فقد يتوقف وقد يتخير"⁶.

الحالة الثالثة: التعارض بين المصالح والمفاسد:

إذا اجتمعت المصالح والمفاسد فإن أمكن تحصيل المصالح ودرء المفاسد فعلنا⁷.

وإذا لم يمكن تحصيل المصالح إلا بارتكاب بعض المفسد فينظر في هذه الحالة إلى الغالب منهما، فإن كان الغالب المصلحة لم ينظر إلى المفسدة اللاحقة بها، وإن كان الغالب المفسدة لم ينظر إلى المصلحة.

¹ المرجع السابق: 71/1.

² المرجع السابق: 71/1.

³ جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية: ص 87.

⁴ علي أحمد الندوي، القواعد الفقهية، ص 422.

⁵ التغابن، الآية: 16.

⁶ قواعد الأحكام: 71/1.

⁷ المرجع السابق: ص 841.

قال العز بن عبد السلام: "وإن تعذر الدرع والتحصيل فإن كانت المفسدة أعظم من المصلحة درأنا المفسدة ولا نبالي بفوات المصلحة، قال تعالى: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْلَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا"¹، حرهما لأن مفسدتهما أكبر من منفعتهما².

وإذا تساوت المصلحة والمفسدة فتقدم المفسدة؛ لأن "درء المفاصد أولى من جلب المصالح"³.

وقد "أنكر ابن القيم وجود مثل هذا في الشريعة"⁴، وقال الشاطبي: "فإن تساوتا - أي المصلحة والمفسدة - فلا حكم من جهة المكلف بأحد الطرفين دون الآخر إذا ظهر التساوي بمقتضى الأدلة، ولعل هذا غير واقع في الشريعة"⁵.

تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة: يرى الشاطبي - رحمه الله - أن من ضوابط المصلحة الشرعية "أن المصالح العامة تقدم على المصالح الخاصة، كلما كان هناك بينهما تعارض"⁶.

ويدرج الشاطبي هذا الأصل في قانون شامل فيقول: "والقاعدة المقررة في موضعها أنه إذا تعارض أمر كلي وأمر جزئي فالكل مقدم؛ لأن الجزئي يقتضي مصلحة جزئية، والكل

¹ البقرة: الآية 219.

² قواعد الأحكام: ص 741.

³ على الندوي، القواعد الفقهية: ص 207.

⁴ مفتاح دار السعادة: 349/2.

⁵ الموافقات: 30/2.

⁶ الموافقات: 350/2.

يقتضي مصلحة كلية. ولا ينخرم نظام العالم بانخرام المصلحة الجزئية، بخلاف ما إذا قدم اعتبار المصلحة الجزئية، فإن المصلحة الكلية ينخرم نظام كليتها"¹.

وتقديم المصلحة العامة على الخاصة أصل شرعي مأخوذ بطريق الاستقراء من نصوص الشريعة بطريق يفيد القطع، ومن ذلك أن النبي نهى عن بيع الحاضر للبادي، وقال (دع الناس يرزق الله بعضهم من بعض)²، فإن فيه تقديمًا لمصلحة عامة، هي مصلحة أهل الحضر، وإن كان فيه تفويت مصلحة البادي بتقديم النصح له، وتفويت مصلحة الحاضر إذا كان البيع بطريق الوكالة بالأجر.

ومنها النهي عن الاحتكار، فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من احتكر حكرًا يريد أن يغلي بها على المسلمين فهو خاطئ)³، فقد استنبط الفقهاء من هذا النهي جواز إخراج الطعام من يد محتكره قهراً، فإن فيه تقديمًا لمصلحة عامة هي مصلحة الجماعة في توفير الأقوات اللازمة لمعاشهم على مصلحة خاصة، هي مصلحة المحتكر في الحصول على الربح. ومن ذلك منع الصحابة أبابكر حينما ولي الخلافة من التجارة والتحرف، وجعل نفقته من بيت المال، تقديمًا لمصلحة عامة، هي النظر في مصالح المسلمين، على مصلحة خاصة، هي قيامه بالتجارة التي يريدّها أو بالحرفة التي يختارها. ومن ذلك قصة أبي طلحة في تنترسه على الرسول يوم أحد، وقوله له: نحري دون نحرك حتي شلت يده، ولم ينكر عليه الرسول ولا أحد من الصحابة ذلك، وذلك لتقديم مصلحة عامة، هي حفظ حياة الرسول الكريم بحفظ الدين؛ إذ فقدّه فيه فوات مصالح الإسلام والمسلمين، على مصلحة خاصة هي سلامة أبي طلحة رضي الله عنه وأرضاه⁴.

¹ الموافقات: 324/1.

² الشيخ الألباني: صحيح لغيره، سلسلة الأحاديث الصحيحة 4/470، رقم الحديث 1800.

³ رواه الإمام أحمد، وقد ذكره الشوكاني في نيل الأوطار 5/220 باب ما جاء في الاحتكار.

⁴ الطيب خضري السيد، بحوث في الاجتهاد فيما لا نص فيه، 2/72-73 بتصرف.

ومراعاة المصالح مقصد عظيم للشريعة الإسلامية، وهذا يقتضي تحمل الضرر الخاص في سبيل دفعه الضرر العام. ومعنى هذا أن المصلحة العامة تقدم على المصلحة الخاصة، وأن على الفرد أن يضحي بمصلحته الفردية في سبيل المصلحة العامة العائدة على الجميع بالنفع، وهذه قاعدة عظيمة تبين أن الشريعة الإسلامية اجتماعية وتقاوم الفردية المتطرفة التي تبيح للفرد أن يحقق حريته وأحلامه ولو على حساب الجماعة، وهذه القاعدة تسمح للدولة أن تسعى إلى توجيه الاقتصاد إذا دعت المصلحة العامة لذلك، فيمكنها أن تسعر أثمان البضائع إذا ترتب على تركه الإضرار بالناس، كما يمكنها بيع طعام المحتكرين عند الحاجة إليه جبرا، وهكذا كل ذلك مراعاة للمصلحة العامة وتقديمها لها على المصلحة الخاصة¹.

والشريعة الإسلامية مبنية كذلك على مراعاة قواعد المصلحة العامة من جميع المعاملات الإنسانية؛ لأنها تسعى لتحقيق السعادة الدنيوية والأخروية لسكان الأرض، وذلك لهدايتهم لوسائل المعيشة الطيبة، ومفهوم المصلحة في الإسلام لا يعني مجرد النفع العام الذي يناله الفرد أو الجماعة من عمل ما، ولو ناقض أسس الدين وقواعد القيم، فهناك مصالح لاشك فيها يتركها النظر الإسلامي ويضحي بها في سبيل مصلحة أسمى وأهم لا بد منها كقيام المجتمع على النظام الذي يقره الدين، فالشريعة تعمل على تحقيق المصلحة ولكن لا تخرج عن المقاييس التي وضعها الإسلام لمعرفة المصلحة الحقيقية من المصلحة المتوهمة أو المرجوحة... وقد راعا الإسلام هذه الحقيقة فوضع للناس أن مقياس كل مصلحة هو القيم الإسلامية المستمدة من الفطرة والقائمة على أساس العمل لمرضاة الله عز وجل والذي هو غاية الإنسان من الحياة ومن العمل².

ثبات المصلحة: "لقد جمعت الشريعة الإسلامية المطهرة بين الثبات والمرونة، فمنها نوع ثابت لا يتغير ولا يتبدل باعتبار الأزمنة أو الأمكنة، ونوع يخضع لظروف الزمان والمكان

¹ علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، دار السلام، مصر 2013م، ص 81.

² علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، ص 193-194 بتصرف.

والأحوال وتغير الأعراف والعادات التي تعتبر المصلحة تباعة لها مع المحافظة على مبادئ الشرع وقواعده¹.

يقول ابن القيم - رحمه الله - : "الأحكام نوعان: نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها لا بحسب الأزمنة ولا اجتهد الأئمة، كوجوب الواجبات، وتحريم المحرمات والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم ونحو ذلك، فهذا لا يتطرق إليه تغيير ولا اجتهد مخالف لما وضع عليه. والنوع الثاني: ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانا ومكانا وحالا، كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها، فإن الشرع يتنوع فيها بحسب المصلحة، فشرع التعزير بالقتل لمدمن الخمر في المرة الرابعة، وعزم على التعزير بحرق البيوت على المتخلفين عن حضور الجماعة، لولا ما منعه من تعدي العقوبة إلى غير من يستحقها من النساء والذرية، وعزر بحرمان النصيب المستحق من السلب وأخبر عن تعزير مانع الزكاة بأخذ شطر ماله²."

فاختلاف الأعراف والعادات يتبعه اختلاف الحاجات والأغراض والمصالح، فتختلف مناطات الأحكام، واختلاف الأحكام عند اختلاف العادات ليس في الحقيقة باختلاف في أصل الخطاب؛ لأن الشرع موضوع على أن دائم أبدي لو فرض بقاء من غير نهاية، والتكليف كذلك لم يحتج في الشرع إلى مزيد وإنما معنى الاختلاف أن العادات إذا اختلفت رجعت كل عادة إلى أصل شرعي يحكم به عليها بدليل أن العادة إذا خرجت عن مبادئ الشرع وقواعده لا تعتبر في نظر الشرع، وذلك كما في البلوغ مثلا فإن خطاب التكليف مرتفع عن الصبي قبل البلوغ، فإذا بلغ وقع عليه التكليف، فسقوط التكليف قبل البلوغ، ثم ثبوته بعده ليس باختلاف في الخطاب، وإنما وقع الاختلاف في العوائد أو في الشواهد، وكذلك الحكم بعد الدخول بأن القول قول الزوج في دفع الصداق بناء على العادة، وقد تتغير العادة، فيكون القول قول الزوجة³. والشاطبي - رحمه الله - يؤكد ثبوت المصلحة في الشريعة الإسلامية وذلك بالاستقراء دون

¹ يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، دار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية 1994م، ص44.

² إغاثة اللفهان من مصادد الشيطان: دار المعرفة بيروت لبنان، الطبعة الثانية 1975م، 330/2-331.

³ الموافقات 280/2-286 بتصرف.

غيره، ويحدد هذا الاستقراء بتتبع النصوص التي تضمنت الأحكام الشرعية، وتتبعها ينتهي الباحث إلى أن الشريعة هادفة إلى مصالح العباد في الدارين¹.

إن هذا التحديد للمصلحة عند الشاطبي - رحمه الله - أفضى به إلى اعتبارها "قاعدة مطردة لا تتبدل بتبدل الأحوال وتغير المعايير"². وهذا في الواقع ما ميز المصلحة في الشريعة الإسلامية من المصلحة في غيرها من الشرائع الوضعية، "فالغالب على هذا النوع من المصالح أنها متغيرة بتغير الأهواء، وأنها من باب التحسين والتقبيح بالعقل دون الشرع"³.

فهذا النوع الذي يبدو متغيراً في الظاهر فهو من الأحكام وجزء لا يتجزأ من الشريعة المطهرة، وركن من أركانها، وكون هذه الأحكام أخذ بعضها بالاجتهاد المتغير، لا يخرجها عن الشرع المطهر، بل يصدق عليها أنها شريعة استناداً إلى أدلة جواز الاجتهاد والاستنباط، وبهذه الخاصية الثبات والمرونة - تستوعب الشريعة كل ما يجد من وقائع وأحداث وما يتبدل من أعراف وعادات صالحة، فلا يستطيع أحد أن يتهمها بالجمود والقصور إلا من أعمى الله بصيرته فحالت دون إدراكه مبادئها ومقاصدها⁴.

المطلب الثالث: الثبات في الضوابط.

المقصود بالضوابط: "الضبط بفتح فسكون مصدر ضبط؛ حفظ الشيء بالحزم وهو القيام بالأمر على الوجه الأكمل، ومنه ضبط زمام الأمور أو اختزان المعلومات في الدماغ وحفظها ثم إخراجها صحيحة وقت الحاجة"⁵.

¹ الموافقات: 6/2-8 بتصرف.

² زكي البري، أصول الفقه الإسلامي، المكتبة التجارية الكبرى مصر، الطبعة الخامسة 1965م، ص306.

³ اسماعيل مظهر، فلسفة اللذة والألم، مؤسسة هنداوي 2012م، ص39.

⁴ يوسف العالم، المقاصد العامة للشريعة، ص45-46.

⁵ محمد رواس قلعجي، وحامد صادق قنبي، معجم لغة الفقهاء، ص282.

أولاً: ضوابط التفكير

التفكير في اللغة: "فكر: الفاء والكاف والراء تردد القلب في الشيء، يقال: تفكر إذا رد قلبه معتبراً، ورجل فكير: كثير الفكر"¹.

"التفكير مأخوذ من الفكر وهو تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني، ويقال: لي في الأمر فكر أي: نظر وروية، ويقال: الفكر ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علماً أو ظناً"².

يقول الراغب: الفكرة: "قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر: جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب"³.

التفكير في الاصطلاح: هو "التصور الذهني أو حصول صورة الشيء في الذهن، أو إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها"⁴. يقول المناوي: "هو طلب الفكر، وهو يد النفس التي تتال بها المعلومات كما تتال الجسم المحسوسات"⁵.

وفي تعريف آخر: "التفكير إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها"⁶.

وأما عند علماء النفس فإن التفكير هو: "جهد فكري موجه إلى اكتشاف إجابة على سؤال أو وسيلة لبلوغ هدف عملي مرغوب"⁷.

¹ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة فكر 4/446.

² الفيومي، المصباح المنير، ص284 مادة فكر.

³ مفردات ألفاظ القرآن، ص643 مادة فكر.

⁴ جميل صليبا، المعجم الفلسفي 2/158.

⁵ التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: 5 عبد الحميد حمدان، ص114.

⁶ ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص698.

⁷ على جمعة وآخرون، بناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية 1/235، سلسلة المفاهيم والمصطلحات.

و"التفكير كان يستعمل فيما مضى ليمثل الظواهر الذهنية بصفة عامة في ذلك الشعور، أما اليوم فهو يأخذ صور الاعتقاد والتخيل والتأمل والتقدير والتروي والافتراض"¹.

وحين استعرض تعريفات التفكير فإنما أريد التفكير العلمي إذا هو وحده التفكير المجدي الذي يمكننا من الاستنتاج من المقدمات أو الوقائع ومن ثم فإن بعض التربويين عرفه بأنه: "كل نشاط هادف من يتصرف بشكل منظم في محاولة لحل المشكلات، وتفسير الظواهر المختلفة والتنبؤ بها والحكم عليها باستخدام منهج معين يتناولها بالملاحظة الدقيقة والتحليل؛ وقد يخضعها للتجريب في محاولة للوصول إلى قوانين ونظريات"².

أنواع التفكير: يرى بعض الباحثين أن التفكير أنواع ثلاثة: سطحي، وعميق، ومستنير.

فالتفكير السطحي: هو تفكير عامة الناس. والتفكير العميق: هو تفكير العلماء.

والتفكير المستنير: هو تفكير القادة والمستنيرين من العلماء.

والتفكير السطحي هو آفة الشعوب، وهو عبارة عن نقل الواقع فقط إلى الدماغ، دون البحث في سواه، ثم الخروج بالحكم السطحي، وسببه ضعف الإحساس أو ضعف المعلومات ويعتبر هذا التفكير بدائيا.

أما التفكير العميق فهو التعمق في التفكير، أي التعمق في الإحساس بالواقع، والتعمق في المعلومات التي ترتبط بهذا الإحساس، بل يعاود الإحساس بالواقع ويحاول أن يحس فيه بأكثر مما أحس، إما عن طريق التجربة وإما بإعادة الإحساس، وهذا هو تفكير العلماء والمفكرين، فالتفكير العميق هو التعمق في الحس والمعلومات والربط.

أما التفكير المستنير: فهو التفكير العميق نفسه مضافا إليه التفكير بما حول الواقع وما يتعلق به للوصول إلى النتائج الصادقة، أي أن التفكير العميق هو التعمق بالفكر نفسه،

¹ علي جمعة وآخرون، بناء المفاهيم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي 2010م، 1/235.

² علي راشد، الجامعة والتدريس الجامعي، ص256.

ولكن التفكير المستتير هو أن يكون إلى جانب التعمق بالفكر، التفكير بما حوله وما يتعلق به، من أجل غاية مقصودة، وهي الوصول إلى النتائج الصادقة¹.

وهناك من تعرض لأنواع التفكير وذكر أنها نوعان:

التفكير العلمي: هو مجموعة من المبادئ التي توجه العلماء عند البحث عن المعرفة الجديدة، وأهم صفاته أنه نشاط مقصود وليس نشاطا تلقائيا، وهو نشاط منظم، وليس نشاطا مفككا، ويتصف بالدقة والضبط، ويبحث عن الأسباب، ومن صفاته التراكم والشمول واليقين.

والتفكير الموضوعي: وهو مجموعة الأساليب والخطوات والأدوات التي تمكننا من الوقوف على الحقيقة، والتعامل معها على ما هي عليه بعيدا عن الذاتية والمؤثرات الخارجية، وكل يدعي الموضوعية ولكن الموضوعية علم وإخلاص، قدرة وإرادة، فهم وتقوى، وقد يمتلك المرء ناصية الفهم والعلم والقدرة، لكن التحلي بالإخلاص والإرادة يحتاج إلى جهد طويل لا يتوقف إلا عند مفارقة الحياة؟²

التفكير فريضة إسلامية:

لا يذكر القرآن الكريم العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه ويحث المسلم دائما على تحكيم عقله فيما للعقل فيه مجال.

ولا يخاطب العقل بمعنى واحد من معانيه، بل تشمل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها كالعقل الوازع، والعقل المدرك، والعقل المفكر.

فمن خطابه للعقل الوازع قوله تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾³، وأما العقل المدرك فهو العقل الذي يعتمد على الفهم الواعي وهو أعمق من

¹ محامي منير محمد الشواف، تهافت القراءة المعاصرة، ص 101-102 بتصرف.

² عبد الكريم، فصول في التفكير الموضوعي، ص 41-46 بتصرف.

³ العنكبوت، الآية 43.

مجرد الإدراك، وقد ظهر ذلك في كل خطاب إلى ذوي الألباب من ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾¹.

أما العقل المفكر فقد كان القرآن الكريم يعبر عنه في الفكر والنظر والبصر والتدبر والاعتبار والذكر والعلم من ذلك قوله تعالى: ﴿فُلْ لَا أَفُولَ لَكُمْ عِنْدَ خَزَائِنِ اللَّهِ وَلَا أَغْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَفُولَ لَكُمْ إِنَّي مَلَكٌ إِنَّا آتَيْنَا مَا يُوْجَىٰ إِلَيْنَا فَلْهُلْ يَسْتَوِ الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾²، و"العقل الذي يخاطبه الإسلام هو التعقل الذي يعصم الضمير ويدرك الحقائق، ويميز بين الأمور، ويوازن بين الأضداد، ويبصر ويتدبر ويحسن الادكار والرواية.³"

إن الثروة الحقيقية لأي أمة لا تكمن في الأرض أو المال أو في الأشياء التي تمتلكها؛ وإنما في كمية الأفكار البناءة التي تخلصها من قيود الضرورات على الوجه الأكمل، وتعلمها حل المشكلات وإبصار دروب الفعل التي تسلكها، ونظرا لأهمية التفكير في حياة المسلمين فإن القرآن الكريم جاء بالآيات العظيمة التي تحث المسلم على التأمل والنظر في ملكوت السموات والأرض؛ ليستدل بذلك على وجود الخالق العظيم المبدع، كما حثهم على النظر في أحوال البشر وبدايات خلق الأشياء وتحريك عقولهم بقياس أحوالهم على أحوال من سبقهم من الأمم حتى لا يعرضوا أنفسهم إلى عقاب وتدمير، كما حثهم على اكتشاف السنن العليا التي تحكم حياة الإنسان والكون، حتى يختصروا الوقت والجهد ويجنبوا أنفسهم التصادم معها.

¹ يوسف، الآية 111.

² الأنعام، الآية 50.

³ معروف زريق، علم النفس الإسلامي، دار المعرفة، دمشق، الطبعة الأولى 1989م، ص91.

وفي مجال التوحيد والدلالة على خالق الكون يقول سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾¹.

ويذكر القرآن أن من أهم ما يهدي إليه هو حث العقل الإنساني على التفكير والتدبر

يقول سبحانه: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ

وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾²، كما يذكر لنا القرآن الكريم أن القصص الذي احتلت مساحة واسعة

منه تهدف إلى إثارة النظر والفكر حتى تستخلص العبر الهادية للناس في مسيرة الحياة

فيقول سبحانه: ﴿فَلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾³،

وقال أثناء إجلاء بني النضير: فاعتبروا يا أولي الأبصار، ويعلمنا الكتاب العزيز الوقوف

على بدايات الأشياء وكيف تكونت فيقول سبحانه: ﴿فَلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ

بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁴، كما يدلنا المولى

جل وعلا على الطريقة المثلى في منهجية البحث بعيدين عن التأثيرات الأخرى من المؤثرات

الخارجية والانفعالات فيقول سبحانه: ﴿فَلِإِنَّمَا أُعْطِيَكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْئِئًا

وَفَرَادًى ثُمَّ تَتَكَبَّرُونَ مَا بِصَلْحِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ

شَدِيدٍ﴾⁵.

ضوابط التفكير:

1 أَلْ عَمْرَان، الآية 190.

2 النحل، الآية 44.

3 الأنعام، الآية 12.

4 العنكبوت، الآية 19.

5 سبأ، الآية 46.

من الضوابط التي جاء بها الإسلام لضبط التفكير ما يؤدي إلى الاهتداء إلى الحق والوصول إلى حلول سليمة للمشكلات التي تبحث، ومن ذلك حث القرآن الكريم على الشورى قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾¹.

ومن تلك الضوابط استخدام القرآن الكريم أسلوب المناقشة والحوار مع المشركين، وساق لنا الأدلة العقلية التي تثبت بطلان عبادتهم للأوثان بغية إثارة تفكيرهم في أمر ألهمهم وبهدف إقناعهم بحقارتها وعجزها حين يتضح لهم عدم جدارتها بالالوهية، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ قَدْ دَعَوْهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ؛ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَلَهُمْ ۖ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ ۖ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ ۖ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ ۖ ءِذَا نَسَمِعُوا بِهَا فُلٌ يَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظِرُونَ ۚ إِنَّ ۖ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ وَالَّذِينَ ۖ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾²، وهنا يتبين أن الإنسان يسلك أسلوب المحاولة والخطأ ووضع الفروض وأسلوب المناقشة والحوار واستشارة أهل الرأي ومسلك طريق الإقناع العقلي وضرب الأمثال، والقرآن يرسم للمسلم طرق التفكير حتى يسير على هدى وخطى ثابتة إلى المسلك القويم.³

ومن الضوابط: الطريقة العقلية، وهي طريقة القرآن وبالتالي هي طريقة الإسلام، بل هي الطريقة الصحيحة لكل إنسان عاقل، والقرآن سلك الطريقة العقلية سواء في إقامة البرهان

¹ الشورى، الآية 38.

² الأعراف، الآيات: 191-195.

³ على جمعة وآخرون، بناء المفاهيم 301-300/1 بتصرف.

أو في بيان الأحكام، تراه يقول في البرهان ﴿قَلَيْتَنظِرُ إِلَّا نَسْلُ مِمَّ خُلِقَ﴾¹، وقوله: ﴿أَقْلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِفَتْ﴾²، إلى غير ذلك من الآيات التي تأمر باستعمال الحس لنقل الواقع حتى يصل إلى النتيجة الصحيحة. وتجده في الأحكام: كقوله تعالى: ﴿وَعَايَهُ لَهُمُ الْيَلُ نَسْلُخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمُ مُظْلِمُونَ﴾³، وإلى غير ذلك من الآيات التي تعطي أحكاما محسوسة لوقائع محسوسة، وفهمها سواء للحكم أو للواقعة التي جاء بها الحكم إنما يأتي بالطريقة العقلية، أي التفكير بها وبتطبيقها إنما يكون بالطريقة العقلية وبالأسلوب المباشر لا بالأسلوب المنطقي، ولهذا فإن الطريقة العقلية هي الطريقة السليمة التي يجب أن يسير عليها المسلم، وأن الأسلوب المباشر هو الأسلم حتى يكون التفكير صحيحا وتكون نتيجة التفكير صحيحة، وأقرب إلى الصواب فيما هو ظني، وقاطع بشكل جازم فيما هو قطعي، وهذا الأمر كله متعلق بالتفكير، وهو أعز ما لدى الإنسان وأعلى شيء في الحياة ولهذا يجب الحرص على طريقة التفكير الصحيحة⁴.

ثانيا: ضوابط السلوك.

سبق تعريف الضوابط في المطلب السابق.

السلوك في معجم لغة الفقهاء: "السلوك بالضم مصدر سلك؛ سيرة الإنسان وتصرفاته، وحسن السلوك: جعل التصرفات من الأقوال والأفعال وفق شريعة الإسلام"⁵.

¹ الطارق، الآية 5.

² الغاشة، الآية 17.

³ المائدة، الآية 4.

⁴ محمد منير الشواف، تهافت القراء المعاصرة، الشواف للنشر والدراسات، الطبعة الأولى 1993م، ص 84-85 بتصرف.

⁵ محمد قلججي، ص 249.

ضوابط السلوك: من ضوابط السلوك في الإسلام: الالتزام بالأمانة، وقد نجح الإسلام في القرون الأولى في غرس الأمانة في النفوس وبوسعه أن يفعل كلما لجأت إليه مناهج التربية.

قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾¹، وبين الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أن الأمانة ترفع من قلوب الرجال آخر الزمان تدريجياً فقال: (ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكت - وهي أثر الشيء اليسير منه - ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل المجل - وهو أثر العمل الغليظ في الكف - فيصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة فيقال: إن من بني فلان رجلاً أميناً فيقال للرجل: ما أعقله وما أظرفه وما أجده وما في قلبه حبة من إيمان)²، وهذا الحديث يدل على عظمة الأمانة وثباتها في جذور قلوب الرجال وأنها متأصلة. وعندما طلب أبو ذر من الرسول أن يوليه إحدى الولايات العامة أجابه: (يا أباذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه منها)³.

ورجح الطبري - رحمه الله - "شمولها لأنواع الأمانات في الدين والدنيا وحقوق الله والناس؛ فمن الأمانة المحافظة على الصلاة والصوم والزكاة والحج وسائر أحكام الدين، وفرائضه وحدوده، كما أن من الأمانة أداء الحقوق لأصحابها وبراءة الذمة من أعراض الخلق وأبشارهم وأموالهم"⁴.

¹ الأحزاب، الآية 72.

² صحيح مسلم، 3/1457 رقم الحديث 1825، ومسنَد الإمام أحمد 5/173.

³ جامع البيان 56/12.

⁴ أكرم ضياء العمري، الإسلام والوعي الحضاري، ص 259.

ومن ضوابط السلوك: تربية الوازع الديني ومحاسبة النفس عن طريق إرهاف الضمير، والتعويل عليه قبل نظام العقوبات وقد وضع ذلك القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿لَا تُفْسِمُ بِيَوْمِ
الْفَيْمَةِ وَلَا تُفْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾¹، ومعنى النفس اللوامة التي تحاسب صاحبها وتلومه،
فهي تدل على اليقظة وتفتح البصيرة، فإن الذي يحاسب نفسه في الدنيا يخفف حسابه ويحسن
منقلبه في الآخرة، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ
نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾²، أي إلى المحاسبة بعد العمل،
فينظر الإنسان في نيته من أعماله ومدى مطابقتها للشرع وأحكامه، وقد فسر رسول الله الإحسان
بقوله: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)³، ويريد بذلك مراقبة الله عز وجل
واستحضار عظمته في حال العبادة، مما يؤدي إلى إخلاص النية وتمام المتابعة، وهذا من
أهم ضوابط السلوك⁴، ومما يرتبط بصحة الضمير ومحاسبة النفس الإحساس العميق بالزمن،
ومعناه الوعي بالحياة والقيام بشروطها، قال تعالى: ﴿وَلْتَجِدْنَهُمْ ءَاخِرَ صَبَإٍ عَلَىٰ حَيٰوةٍ
وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَزَّحٍ عَلَيْهِ مِّنَ الْعَذَابِ أَن
يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾⁵، توضح الآية "أن عمر الإنسان مقدر لا يزيد ولا ينقص،
وأن العبرة ليست بطول العمر أو قصره، وإنما بكيفية قضائه، فأما من شغل نفسه بالباطل فلا
نفع في طول عمره، ومن شغل وقته بالحق فاز وإن قصر عمره"⁶.

¹ القيامة، الآيتان: 1-2.

² الحشر/ الآية: 18.

³ رواه مسلم في صحيحه 1/36-37 رقم الحديث 1.

⁴ أكرم ضياء العمري، الإسلام والوعي الحضاري، الجامعة الاسلامية المدينة المنورة، بيروت 1408هـ، ص 63-64 بتصرف.

⁵ البقرة، الآية: 96.

⁶ أكرم ضياء العمري، الإسلام والوعي الحضاري، ص 68.

ومن ضوابط السلوك أيضا: الدعوة إلى التفاؤل والإيجابية والبعد عن اليأس والعبثية، فالموت في نظر الإسلام انتقال إلى حياة من نوع جديد تتميز بالراحة والسعادة والخلود للمؤمنين، وليس في الإسلام مكان لفكرة العبث الوجودي التي جعلت الكثيرين ينهون حياتهم بالانتحار كما هو الحال في المجتمع الغربي، ان الأمل بالله والرجاء لفضله ورحمته، وحسن التوكل عليه والإنابة إليه تمنع اليأس والقنوط والإحساس بالكآبة والضياع أو التمرد والعبث، ولهذا دعا الإسلام إلى المواساة وإدخال السرور على نفوس الآخرين، ونهى عن الطيرة والتشاؤم ودعا إلى التفاؤل وبشر بالجنة مجموعة من الصحابة كالخلفاء الأربعة وبقية العشرة وأم المؤمنين خديجة رضي الله عنهم أجمعين، ودعا إلى المحبة وعني بمظاهر الجمال من حسن المنظر والمظهر والنظافة والطيب¹.

ومن ضوابط السلوك: تجنب الفتن، والمقصود بالفتن ما يصيب الفرد أو الجماعة من هلاك أو تراجع في المستوى الإيماني، أو زعزعة في الصف الإسلامي ومن أسبابها استعداد القلب لقبولها، ففي الحديث قال النبي: (تعرض الفتن على القلوب وأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء)²، وكذلك السعي فيها ففي الحديث: الماشي فيها خير من الساعي من تشرف لها تشرفته³، و"أشد ما يوقع في الفتن الخوض بالألسنة واعتقاد الأوهام، فالإسلام يضبط سلوك المسلم بإبعاده عن الفتن"⁴.

ومن ضوابط السلوك: الإعذار وهو "العفو عن المخطئ المستعفي عن إساءته، وقبول عذر صاحب العذر والتماس العذر لمن لا نعرف عذره، وحسن الظن بالناس مطلوب، ومراعاة الضعف البشري وبهذا ينضبط سلوك المسلم"⁵.

¹ أكرم ضياء العمري، الإسلام والوعي الحضاري، ص71-74 بتصرف.

² رواه مسلم، كتاب الإيمان 117/1 رقم الحديث 231.

³ رواه البخاري، كتاب الإيمان، ص1220 رقم الحديث 7081.

⁴ محمود محمد الخزندار، هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1997م، ص373.

⁵ محمود محمد الخزندار، هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا، ص374.

ومن الضوابط: القصد، هو الاعتدال في السلوك، والتوازن في الفكر والتوسط في كل الأمور بين طرفي الإفراط والتفريط، وخير الأمور الوسط، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾¹، و"ليس في القصد خروج عن السنة وهو أقرب إلى الفطر البشرية"².

ومن الضوابط لسلوك المسلم: المراجعة والتصحيح، فالمراجعة وسيلة لمحاسبة النفس، والتصحيح نتيجة تظهر آثارها بالرجوع عن المعصية الجلية، أو الخطأ في الاجتهاد والرأي، ومن وسائلها الاستماع إلى المشورة بنية البحث عن الحق، ومطالبة البطانة الصالحة بالتذكير بما هو خير وأصوب، وكذلك الخلوة بالنفس، وهي من أنجح صور المراجعة لمحاسبة النفس وتصحيح العمل، والحرص على الانتفاع من ضوابط السلوك، ولا تكتمل شخصية المسلم النافع لغيره ما لم يكن من خلقه الحرص على استنقاذ نفسه، واستغلال طاقاته، ومواقف حياته فيما ينجيهِ عند ربه وقد وجه النبي لا إلى هذا الخلق بقوله: **(احرص على ما ينفعك)**⁽³⁾⁴.

ومن ضوابط السلوك: المداومة على فعل المعروف، وكل مسلم يحب الخير ويرغب في المعروف ولكن ليس كل مسلم لديه الدافعية الدائمة المستمرة للبحث عن أبواب المعروف وطرق الخير، بحيث لا يترك ثغرة خالية لا يمكن أن يسدها بنفسه إلا ويسدها، صغرت أم كبرت، عظمت أم حقرت، والأحاديث كثيرة عن صنائع المعروف تنتظر الحريصين على الأجر والمهتمين بشؤون إخوانهم من المؤمنين، وصاحب المعروف والحريص عليه محفوظ من الله

1 البقرة، الآية 143.

2 محمود الخنزدار، هذه أخلاقنا، ص 391.

3 المرجع السابق، ص 401-402.

4 رواه مسلم، كتاب القدر رقم الحديث 2246، شرح النووي 210/16.

و مخصوص منه سبحانه بحسن الخاتمة لقوله: (عليكم باصطناع المعروف فإنه يمنع مصارع السوء)¹، والنفس الخيرة يفيض خيرها على من حولها، وصاحب القلب الحي يفكر في إخوانه كما يفكر في نفسه، ولا تفلح أمة يتقلب أبنائها بين السلبية والأناية.²

ومن الضوابط في مجال السلوك العام؛ فيمكن تحديده على أساس أن الإيمان يسفر بدون شك عن نتيجتين مترابطتين ارتباطا وثيقا هما، حب كل الطاعات حبا حقيقيا وكراهية جميع المعاصي كراهية حقيقية كما عبر عنها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "يدخل في ذلك جميع الطاعات؛ لأنه قد حُبب إلى المؤمنين الصلاة والزكاة وسائر الطاعات حب تدين، لأن الله أخبر: أنه حُبب ذلك إلى المؤمنين وزينه في قلوبهم لقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾³، ويكرهون جميع المعاصي؛ الكفر منها والفسوق وسائر المعاصي كراهية تدين لأن الله أخبره: ﴿أَنَّهُ كَرِهَ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾⁴، ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سرته حسنته، وساءته سيئته فهو مؤمن)⁵، لأن الله حُبب إلى المؤمنين الحسنات وكره إليهم السيئات)⁶.

وهذا الحب والكره لابد أن يكونا نابعين من القصد والإرادة دون أن يكون ثمة حل وسط. فإذا كان العبد يكره الشر كله فلا بد أن يريد الخير، ولا بد أن تتحول هذه الإرادة إلى واقع؛ حتى لا يكون ثم تفكير في الشر، فترك المعاصي لكي يكون مقبولا من وجهة النظر الإسلامية

¹ صححه الألباني عن ابن عباس وقد ذكره ابن أبي الدنيا في "قضاء الحوائج" رقم الحديث 4052، صحيح الجامع الصغير.

² محمود الخزندار، هذه أخلاقنا، ص 417-420 بتصرف.

³ الحجرات، الآية 7.

⁴ الحجرات، الآية 7.

⁵ رواه الإمام أحمد في مسنده 18/1. المسند بتحقيق أحمد شاكر 204/1-205 رقم الحديث 114، وقال في الهامش: إسناده صحيح.

⁶ موسوعة الفتاوى 43-47/7.

والخلقية أيضا، يشترط فيه أن يكون صادقا، وإرادة حرة، وعن كراهية حقيقية أيضا، كما يشترط فيه أن يكون الإنسان ممارسا لفعل الطاعات حقيقة¹.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "والمباح بالنية الحسنة يكون خيرا، وبالنية السيئة يكون شرا، ولا يكون فعل اختياري إلا بإرادة.. فيثاب على مباحاته التي يقصد الاستعانة بها على الطاعة كما في الصحيحين عن النبي، أنه قال: (نفقة الرجل على أهله يحتسبها صدقة)²، وفي الصحيحين أنه قال لسعد بن أبي وقاص لما مرض بمكة وعاده: (لن تتفق نفقة تبغى بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة، حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك)³.. وإن كان مقصود عبادة غير الله؛ لم تكن الطيبات مباحة له، فإن الله أباحها للمؤمنين من عباده"⁴.

هذه بعض الضوابط الثابتة للسلوك في الإسلام، وكلها تدل على أن المنهج الإسلامي ثابت في مصادره وفي ضوابطه للتفكير وفي ضوابطه للسلوك مما يؤكد ثبات القيم في الإسلام.

¹ محمد عبد الله عفيفي، النظرية الخلقية عند ابن تيمية، ص 319-418، الطبعة الأولى 1308هـ/1988م، ط، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، نشر وإصدار، مؤسسة الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الرياض.

² أخرجه البخاري بهذا اللفظ تعليقا في كتاب الايمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسنة ابن حجر فتح الباري 1/179، ثم وصل الحديث في كتاب المغازي دون لفظ يحتسبها أي بلفظ: "نفقة الرجل على أهله صدقة" رواه في كتاب المغازي رقم الباب 12 لم يذكر عنوانا للباب رقم الحديث 4006، وابن حجر فتح الباري 7/402.

³ رواه البخاري، فتح الباري 1/181، ورواه مسلم رقم الحديث 1628 وصحيح مسلم 3/1013.

⁴ مجموع الفتاوى 43/7-44.

المبحث الثاني: الثبات في قيم مرجعية الفكر الغربي.

ومن الأهمية بمكان تتبع جذور الثبات عند الغربيين، وحيث إن المجتمع الغربي المعاصر امتداد للفكر اليوناني القديم، ومن بعده الفكر الروماني، وحيث إن الغرب يسير على منهاجها ويراها تاريخه القديم ويتخذها قدوة وأسوة.

لهذا سألين في هذا المبحث جذور الثبات في الفكر اليوناني؛ ابتداء من فكر اليونان وسقراط الذي يعتبر الفيلسوف الأخلاقي الأكبر عند الغرب، ثم فكر تلاميذه وعلى رأسهم أفلاطون، ثم أرسطو تلميذ أفلاطون؛ ذلك لأن الغرب يعتز بهم ويعدهم مرجعا لفكره.

ثم أوضح في هذا المبحث جذور الثبات عند اليونان ومنهم الإمبراطور نيرون وأوغسطين وتوما الأكويني؛ لأن لهم في أعين المفكرين الغربيين التقدير والاحترام، ولأنهم يردون إليهم كثيرا من الفضل في تطورهم وفي قيمهم.

ثم أذكر جذور الثبات عند النصارى المحدثين في العصر الحديث، وما سبق تمهيد للوصول إلى نظرة الغربيين المحدثين إلى ثبات القيم في ضوء نقدهم للكتاب المقدس وما نتج من تبدل مستمر للمواقف وتناقض مع العقل ثم أنقدها بعد ذلك.

المطلب الأول: جذور الثبات في مرجعية الفكر الغربي.

أولاً: جذور الثبات عند اليونان.

يعتبر "سقراط"¹ الواضع الحقيقي في نظر الغرب لعلم الأخلاق، وذلك أنه وضع المعيار الحقيقي لعلم الأخلاق وهو المعرفة، وتلك هي قاعدته الأخلاقية: المعرفة هي الفضيلة والجهل والرذيلة، وذلك أنه ربط بين الكلمة والفعل والنظرية والتطبيق، فقد حرص أن تكون حياته العملية وسلوكه الأخلاقي متطابقة مع ما يدعو إليه من أفكار، وثبت عليها حتى الممات لما حكم عليه قضاة أثينا بالموت، وكانت أمامه فرصة من فرص النجاة، ومع ذلك أبى إلا الوفاء الكامل لما يؤمن به ويدعو إليه، كما أنه في نظر الغرب واضع الأساس للاتجاه العقلي في الفلسفة الخلقية، موضوعاً، ومنهجاً، وحسبه أنه وضع معياراً ثابتاً للأخلاق لا يعتمد على سلطة خارجية كما لا يرتبط بالمزاج الشخصي والأهواء الفردية².

وأما "أفلاطون"³ فقد دعا إلى ثبات القيم من خلال نظرية المثل، التي هي في نظره ثابتة وخالدة، ومعياره مقارب في جوهره لمعيار سقراط ولا يختلف إلا بالتحليل والتسمية وهو العدالة، وقد أقام تلك العدالة على الحكمة والمعرفة، ومن هنا كان المعيار متقارباً إن لم يكن متطابقاً بينهما. وذهب في مفهوم العدالة إلى حد حكمه بقتل الأطفال الضعفاء والمرضى ومن لا عمل لهم في جمهوريته، واحتقار الأسرة كمؤسسة تربية ونواة للمجتمع فدعا إلى شيوعية النساء وحضانة الدولة لكل مولود فيها؛ ترعى الصالح منهم وتقذف بالباقي في فم الموت، كما لفت أفلاطون إلى دور الدين في صلاح المجتمع وضبط السلوك والعمل واستتباب

¹ سقراط 469-399 ق. م فيلسوف ومعلم يوناني صارت حياته وآراؤه وطريقة موته مضرب المثل في الشجاعة في نظر الغربيين، وقد اشتهر في التاريخ، وصرف سقراط حياته في البحث عن الحقيقة والخير ولم يترك مؤلفات وإنما عرفت آراؤه من تلاميذه. ينظر الموسوعة العربية العالمية 986/1.

² حمدي عبدالعال، الأخلاق ومعيارها بين الوضعية والدين، ص 50-52.

³ أفلاطون جوالي 27 - 397 ق. م: فيلسوف يوناني تتلمذ على يد سقراط ولما عاد إلى أثينا أسس الأكاديمية حيث علم الرياضيات والفلسفة حتى آخر حياته. ينظر الموسوعة العربية العالمية 400/2.

الأمن والنظام في المجتمع، وهذا يدل على أن له فضل السبق في لفت النظر إلى القيم الإسلامية وأثرها في المجتمع، رغم أن الفلسفة اليونانية في مجملها وثنية¹.

وأما "أرسطو"² فقد انتقد أستاذه أفلاطون في فلسفة الثنائية، ولم يسلم من الوقوع في ثنائية أكبر وهي أن كل موجود عبارة عن صورة ومادة، وبهذا فسر أرسطو وجود الأشياء، أما سبب الحركة في الأشياء والتغير أو التحول الدائم فيها فهو انجذابها إلى غاية قصوى وتحقيق كمالها الخاص بها، ويتم هذا بانتقال المادة من صورة إلى صورة أرقى منها، والغاية القصوى من سلوكه هي السعادة، والسعادة تتحقق بالاعتدال بين العقل والحس في الفعل الخلفي، ومعيار أرسطو الاعتدال أو التوسط ولم يترك له تحديدا واضحا، إنما جعل تقديره تبعا لظروف التقدير العاقل للفرد نفسه³، بعد أن ندرجه على صحة النظر لمعرفة هذا الوسط.

يرى أرسطو أن المنهج المناسب هو الذي يصعد إلى المبادئ أي الاستقرائي لا الذي يصعد عنها (القياس)، ذلك أن المعاني معقدة ومتغيرة وليس من اليسير كشف العلة فيها، فيجب أن نبدأ بما هو أبين بالإضافة إلينا بما هو أبين بالذات وأغمض بالإضافة إلينا، فنستقري الآراء الشائعة ونستعين بحكمة الشيوخ وعلى الأخص خبرة الفضلاء؛ لأن الرجل الفاضل الذي يعرف الخير بالتجربة أقدر على معرفة صريحة عن هذا الخير، واستخلاص المبادئ الحاصل عليها ضمنا⁴.

¹ حمدي عبدالعال، الأخلاق ومعيارها بين الوضعية والدين، دار القلم، الطبعة الثالثة 1985م، ص 50-52.

² أرسطو 384 - 322 ق. م. فيلسوف يوناني تتلمذ على أفلاطون، كان يحاضر وهو ماشيا فسمي هو وأتباعه بالمشائين، له كتب في الأخلاق والسياسة والخطابة والشعر، كان له أثر في الفلاسفة الإسلاميين فلقبوه بالمعلم الأول والفارابي المعلم الثاني، وشرحوا فلسفته وأخذوا عنهم الغرب فساعدوا بذلك على نقل الفكر اليوناني إلى أوروبا. ينظر الموسوعة العربية الميسرة 1/177، 299، 592، والموسوعة العربية العالمية، ص 509.

³ حمدي عبدالعال، الأخلاق ومعيارها بين الوضعية والدين، ص 60-61 بتصرف.

⁴ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص 180.

ثانيا جذور الثبات عند الرومان:

لم يجد الباحثون عند الرومان ثوابت في القيم يعتمدون عليها وينطلقون منها، ف"نيرون"¹ مضرب المثل في الإجرام والوحشية والقسوة حتى مع أقرب الناس إليه؛ أمه وزوجته ومع الناس عامة، فقد اعتدى عليهم، وسلب ما معهم، وأرغمهم على أن يوصوا بأموالهم له، وسلب خزينة الدولة، وأحرق مدينة روما، ولهذا لا يوجد عنده ثوابت للقيم.

أما "أوغسطين"²، فيتضح من دراسة أقواله تناقضات وسخافات وقسوة في التفكير مع أقرب الناس إليه والدته ومع الآخرين، مع أنه أخذ بمبادئ وتعاليم الكنيسة لما تحول وقد كان قبلها وثنيا على ديانة أبيه، وكل ما فعلته الكنيسة لأوغسطين التجاؤها لبعض الضرورات الشعبية التي تغرس في الناس بعض المبادئ الأخلاقية الجديدة؛ لهذا لا يوجد عند القديس أوغسطين جذورا للثبات وكل ما فعله أنه لجأ إلى حياة الرهبة وما فيها من طقوس وأساطير.

وأما "توما الأكويني"³ فقد ورث الدين النصراني وراثته، وتأثر بعقيدة الخطيئة الأولى، وانغمس في مبادئ أرسطو، ويحذو حذوه في أنانيته البالغة الخطورة في الخوف من النساء؛

¹ نيرون 37-18م إمبراطور روماني اتسمت تصرفاته بالوحشية التي جعلته مضربة للأمثال، فقد قتل أمه، ثم زوجته، وتلقى عليه تبعه حريق روما عام 64م، لكنه اتهم المسيحيين بهذا الحريق، وبدأ اضطهاد الرومان للمسيحيين. أعاد بناء روما على نمط فخم جميل، دبريت ضده مؤامرة عام 65م فأنكشف أمرها واركتب سلسلة من أعمال القتل الوحشية، ووقعت في عهده عدة ثورات. ينظر محمد شفيق غريال، الموسوعة العربية الميسرة 2/1866، والموسوعة العربية العالمية 25/622-623.

² القديس أوغسطين 353-430م: ولد أوغسطين بتجستي في شمال قارة إفريقيا لأب وثني وام مسيحية، فشب أول الأمر على وثنية أبيه، لكنه اعتنق المسيحية في سن الرابعة والثلاثين ودافع عن الكنيسة دفاعا قوية جعله في العالم المسيحي بمنزلة الإمام. أيقن أوغسطين بوجود العقل، فالشك فيه هو نفسه تفكير عقلي، ووجود العقل في الإنسان دليل على وجود الله ويرى أن السبيل إلى الخير الأسمى هو الاتحاد بالله بواسطة التأمل. من مؤلفاته: الاعترافات، ومدينة الله، والثالوث، ولم يؤلف كتابا في التربية والتعليم ولكنه يتعرض في كثير من مؤلفاته إلى مسائل مهمة تتعلق بالموضوع، جمع بين الثقافة اليونانية والعقيدة المسيحية، وأدرك ما بينهما من اختلاف وتأثير متبادل، وكان له تأثير كبير في اتجاه التربية والتعليم في العالم المسيحي في العصور الوسطى.

³ توما الأكويني: 1220 - 1274م: يعتبر أشهر الفلاسفة وعلماء اللاهوت في العصور الوسطى في الغرب بتأثيره البالغ على الفكر النصراني وخاصة مذهب الروم الكاثوليك. نشأ في عائلة رفيعة الشأن ببلدة دوكاسكا بإيطاليا وتلقى تعليمه في

لأنه يرى أن حواء هي السبب في عصيان الإنسان لله، وفي الحكم على ما هو خير وهو يحمل في كل جيل وزر هذه الخطيئة، ويرى توما أن علم الأخلاق هو الفن والعلم الذي يعد الإنسان لبلوغ السعادة النهائية السرمدية.

ولكن الثبات للقيم وعدم تغييرها لم يتعرض له توما الأكويني، لهذا فالغالب على المجتمع الروماني الفساد والإجرام وقد ورثوا النصرانية وراثتها، أما الثوابت فلا أجد لها مكانة عند الرومان.

ثالثا جدور: الثبات عند النصارى المحدثين.

المذهب العقلي: المذهب العقلي هو القول بأن كل ما هو موجود فهو مردود إلى مبادئ عقلية، وهذا المذهب هو مذهب ديكارت وسبينوزا وليبنتز وفولوف وهيجل، وهو يطلق بشكل خاص على النظرية التي ترجع الحكم إلى الذهن لا إلى الإرادة، فلا تفسح المجال للظواهر الوجدانية ولا الإرادية في الأعمال الذهنية، ولذلك فإن المذهب العقلي وفقا للمفهوم الوارد أعلاه مقابل للمذهب الإرادي الذي يجعل تأثير الإرادة في الحياة النفسية أعظم من تأثير العقل¹.

والمذهب العقلي يقوم على الإيمان بالعقل وقدرته عن طريق الاستدلال العقلي الخالص على تحصيل الحقائق عن العالم بدون مقدمات تجريبية، وقد وصف مفكرو التنوير في فرنسا بشكل عام بأنهم عقلانيون؛ لحبهم البحث العلمي ومطالبتهم بنشر التعليم لأنه في نظرهم سعادة البشرية، وكان المبير وفولتير وكوندورسيه أبرز هؤلاء المفكرين الذين ذهبوا إلى إعلاء العقل كنقيض للخرافة والإيمان الساذج والتعصب، غير أن أهم ما اتصف به المذهب العقلي حقيقة أنه النقيض للمذهب التجريبي بمعنى أنه لا يستمد المعرفة بالعالم من الخبرة الحسية، ولكنه

جامعة نابولي، وانضم إلى سلك الرهبنة، وعين قسيسا عام 1200م على يد القديس ألبرت الكبير عالم اللاهوت الألماني، وفي عام 1209م صار توما أستاذا للاهوت في جامعة باريس حيث اشتهر بتمييزه في الجمع بين ورعه الديني وذاكرته الموسوعية وفرط تركيزه، له مؤلفات منها كتابه الدعوة إلى دحض المنكرين للعقيدة، وبحث لاهوتي شامل وهو أشهر مؤلفاته وتعليقات على كتاب أرسطو. يعتبر توما الأكويني فيلسوفا ولاهوتيا وأهم ممثلي الفكر الكاثوليكي. يلقب بالدكتور الملائكي دلالة على صفاء ذهنه، أما مبدأه الأساسي في الفلسفة فهو قائم على انسجام الإيمان والعقل.

¹ رونالد ستر ومبرج، تاريخ الفكر الأوربي الحديث، دار القارئ العربي، الطبعة الثالثة 1994م، ص 768 بتصرف.

يذهب إلى القول بأن وراء الخبرة الحسية معرفة أسبق منها يسميها أفلاطون معرفة قبلية ويقول ديكارت عنها إنها أفكار فطرية موجودة بالعقل¹.

وفي جميع الحالات "إن المذهب العقلاني يعني الإيمان بالعقل، وبحقيقة الحكم العقلي، وبقوة التدليل، وبهذا المعنى يتعارض المذهب العقلاني مع النزعة اللاعقلانية"².

وأصحاب المنهج العقلي يرون أن العقل قسمة مشتركة بين الناس جميعاً، وقوة فطرية فيهم، وهو مصدر كل معرفة يقينية يقينا مطلقة، وأحكام العقل تتميز بالضرورة وبالصدق المطلق، لا تحدّها حدود زمانيا أو مكانيا، أو ظروف خاصة لحضارة معينة، أو دين معين، والدليل على ذلك أننا نجد في العقل مبادئ أولية فطرية مثل مبدأ عدم التناقض، والبديهيات الرياضية، وهي حقائق فطرية ثابتة واضحة بذاتها لا تستند إلى خبرات حسية³.

ويتخذ المنهج العقلي في الغرب "طريقة الاستنباط أو المنهج القياسي الذي يكون الانتقال فيه من الكلي للجزئيات أو من العام للخاص، لأن القيم يجب أن تستند إلى مبادئ عامة ضرورية مسلم بها من الجميع، ويسير كل ما في المجالات الجزئية الخاصة على ضوئها"⁴.

و"المعارف التي يتوصل إليها في مجال القيم عن طريق المنهج العقلي تعتبر معارف لها صفة الضرورة والشمول المطلق، وهذا يعني أنها لا تترك استثناءات، وذلك على العكس من الطريقة التجريبية الاستقرائية التي تدع الباب مفتوحة لاحتمال الاستثناءات"⁵.

والعقلانية هي: "القول بأولية العقل، وتطلق على عدة معان: الأول: هو القول إن كل موجود فله علة في وجوده بحيث لا يحدث في العالم شيء إلا وله مرجع معقول.

¹ عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ص 431-432 بتصرف.

² عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ص 473.

³ عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ص 473 بتصرف.

⁴ توفيق الطويل، الفلسفة الخلقية، ص 473.

⁵ محمد يوسف موسى، تاريخ الأخلاق، دار الكتاب العربي مصر، الطبعة الثالثة 1953م، ص 268.

الثاني: هو القول إن المعرفة تنشأ عن المبادئ العقلية القبلية والضرورية لا عن التجارب الحسية؛ لأن التجارب لا تعتبر علما كليا والمذهب العقلي بهذا المعنى مقابل للمذهب التجريبي الذي يزعم أن كل ما في العقل فهو تولد من الحس والتجربة.

الثالث: هو القول أن وجود العقل شرط في إمكان التجربة، فلا تكون التجربة ممكنة إلا إذا كان هناك مبادئ عقلية تنظم معطيات الحس¹.

والعقليون يردون المعرفة إلى العقل ويرون أنها تمتاز بالضرورة والتعميم، ويراد بالضرورة أن المعرفة صادقة وثابتة غير متغيرة، وتوجب صدقها ضرورة عقلية، وأن أحكامها وقضاياها صادقة على الدوام صدقا ضروريا محتوما؛ إذ لا يمكن أن تصدق مرة وتكذب مرة أخرى، ومعنى التعميم أن الحكم صادق في كل زمان ومكان بصرف النظر عن تغير الظروف والأحوال، ومرجعه إلى طبيعة العقل نفسه وليس إلى خبرة الحس، وهاتان الصفتان - الضرورة والتعميم - تنقصان المعرفة الحسية التي يقول بها التجريبيون، وبهذا تتميز المعرفة الصادقة عند العقلين.

والعقليون على اتفاق في أن العقل قوة فطرية في الناس جميعا، وعلى اعتقاد في صحة الاستدلالات التي تقوم على قوانين العقل؛ والإنسان عندهم لا يتلقى من الخارج علما يقينيا، فالتجربة عندهم تزود الإنسان بمعلومات مفرقة لا ترقى باجتماع بعضها البعض الآخر حتى تصل مرتبة العلم اليقيني الذي ينشده هؤلاء العقليون، وقد تميز المذهب العقلي بالقول بفطرية المعرفة اليقينية، واعتبار المبادئ العقلية المشار إليها كلية ضرورية، على اعتبار أن العقل واحد في الناس جميعا، فهو فيما يقول ديكارت - أبو المذهب العقلي - أحسن الأشياء قسمة بين البشر، وهنا كانت الحقائق البديهية الفعلية في كل صورها ثابتة لا تتغير بتغير الزمان

¹ جميل صليبا، المعجم الفلسفي 90/2.

والمكان ولا تختلف باختلاف الظروف والأحوال، ودليل العقلين على صحة دعاويهم أن هذه المبادئ عامة في الناس جميعاً، وأن العقل يدركها بمجرد تفتحه من غير ما حاجة إلى تجربة¹

موقف المذهب العقلي من القيم: تعتمد العقلانية على عدد من المبادئ الأساسية هي:

العقل لا الوحي هو المرجع الوحيد في تفسير كل شيء في الوجود، والوصول إلى المعرفة عن طريق الاستدلال العقلي وليس بالتجربة، كما أن العقلانية لا تؤمن بالمعجزات أو خوارق العادات، وتخضع العقائد الإسلامية للاختبار بمعيار عقلي.

يتضح أن العقلانية أو المذهب العقلي مذهب فكري فلسفي يقوم على العقل فقط وينكر الوحي الإلهي أو التجربة البشرية، وينكر المعجزات وخوارق العادات، ويخضع العقائد الإسلامية للعقل، وهنا تكمن علة مناوئة ليس فقط للفكر الإسلامي، بل لكل دين سماوي صحيح².

وإذا كانت العقلانية على هذا فإنها تخضع كل شيء للعقل بما في ذلك القيم، والعقل في نظرهم حقائق ثابتة، ولكن العقول تتفاوت في الفهم والإدراك والتفكير، وهو قاصر ومحدود، ومن ثم فلا يمكن أن يثبت على شيء سواء في مجال القيم أو غيرها، كما أن العقلانية لا تؤمن بالوحي ولا بالدين وهذا يجعلها لا تؤمن بالثوابت إلا ما وافق العقل وخضع له.

والمذهب المثالي: من أنواع المذاهب العقلية في الفلسفة الحديثة، من أنصار مذهب الحاسة الخلقية والنزعة العقلية، ويتلخص أساس الفعل الخلقى أنه لا بد أن يهدف إلى تحقيق مثل أعلى يمكن اعتباره هدفا تسعى البشرية إلى تحقيقه وتعمل على شيوعه وسيادته، كمعاني الحب والحق والمروءة والشجاعة والوفاء، ولذلك فمهمة علم الأخلاق عند هذا الفريق من الدارسين تتمثل في وضع القواعد الثابتة التي تحكم سلوك الإنسان لكي يكون سلوكه أخلاقياً، والمبادئ الأخلاقية عندهم لا يصح أن تكون وسيلة لغاية بعدها، بل يجب أن تكون هي غاية في ذاتها يهدف الإنسان إلى تحقيقها ويناشد المجتمع العمل بها؛ لأن علم الأخلاق ينبغي ألا

¹ توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص 342-344 بتصرف.

² الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة، 2/806-708 بتصرف.

يهتم بالغايات الشخصية والمنفعة الجزئية بل يسعى أساساً إلى تحقيق الخير العام الذي لا يكون وسيلة لغاية أبعد منه، وتمتاز هذه الغاية بأنها غاية إنسانية متسامية، تكمل صاحبها وتعلو به وتزيد من إنسانيته وتجعله حارساً أميناً على سيادة الخير وإحلال السلام في بني جنسه، لهذا عرف هؤلاء الأخلاق: بأنه «علم يضع القوانين التي ينبغي أن يسير بمقتضاها السلوك الإنساني والتي تحقق ذاتية الإنسان بما هو إنسان، والسلوك هنا هو السلوك الواعي الصادر من العقلاء بمحض إرادتهم ومطلق اختيارهم، النابع من تفكيرهم، وكل سلوك يصدر تحت عوامل القهر أو الضغط النفسي أو المادي لا صلة له بالمفاهيم الأخلاقية تماماً، ولما كان غاية الأخلاق هي إحلال السعادة للجنس البشري كله لهذا كانت قواعد الأخلاق يجب أن تكون عامة ومطلقة صالحة للتطبيق في كل بيئة يعيش فيها الإنسان¹.

تيار مثالي ذاتي برز في القرن العشرين، و"الوضعية الجديدة هي الشكل المعاصر للمذهب الوضعي، وتقول الوضعية الجديدة إن معرفة الواقع لا تتحقق إلا من خلال التفكير العملي اليومي أو العيني، وأن الفلسفة لا تكون ممكنة إلا كتحليل للغة، ويرى الوضعيون الجدد أن التحليل النفسي لا يمتد إلى الأشياء الواقعة موضوعياً، بل يجب أن يقتصر فقط على التجربة المباشرة"².

و"الوضعية تيار من المثالية الذاتية واسع الانتشار في الفلسفة، ينكر أن للفلسفة نظرة شاملة للعالم، ويرفض المشكلات التقليدية للفلسفة وعلاقة الوعي بالوجود باعتبارها ميتافيزيقية وغير قابلة للتحقق من صحتها بالتجربة. ويحاول المذهب الوضعي أن يخلق منهجاً للبحث أو منطقة للعلم يقف فوق التناقض بين المادية والمثالية، وأحد المبادئ الأساسية لمناهج البحث الوضعية للعلم هو الوصف الخالص وليس تفسيرها"³.

¹ محمد السيد الجليلند، في الفلسفة الخلقية لدى مفكري الإسلام، مكتبة نهضة الشرق 1990م، ص 48-50. وعبد الرحمن الزنيتي، السلفية، ص 467 بتصرف.

² رونالد ستر ومبرج، تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، ص 777.

³ رونتال، ب يودين، الموسوعة الفلسفية، ص 582-583 بتصرف.

والتحليل الفلسفي في رأي الوضعيين الجدد لا يمتد للأشياء الواقعية موضوعيا، بل يجب أن يقتصر فحسب على التجربة أو اللغة المعطاة أي المباشرة، وتحظى الوضعية الجديدة بالدعاية لها في الصحف. ويطلق عليها (التجريبية العملية) ولها تأثير على الدوائر العلمية، وتشكل المفاهيم المثالية في تفسير اكتشافات العلم المعاصر تحت تأثيرها، وقد أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية المركز الرئيسي للوضعية الجديدة تحت اسم التجريبية المنطقية والفلسفة اللغوية، وهي ضرب خاص من الوضعية الجديدة في بريطانيا¹.

والمنهج الوضعي الذي يعتمد على التجربة يستند إلى وجهة النظر التي ترى أن هناك طريقا واحدا فقط للمعرفة وهو التجربة أو الخبرة، والمقصود بها التجربة الحسية فقط، ويستخدم المنهج التجريبي الاستقراء أي أن يصعد من الجزئيات إلى الكليات، أو من الخاص إلى العام بتحليل الظواهر والأعمال الأخلاقية ومعرفة بواعثها للوصول إلى قانون عام، والمعارف التي يصل إليها تتصف بالاحتمال الغالب فقط. وكمنهج مطبق على علم الأخلاق تستند هذه الطريقة التجريبية إلى الاقتناع بأن الخبرة وحدها هي التي تستطيع أن تطلعنا على وقائع وأسس الأخلاق. وينحو الوضعيون في بحوثهم الأخلاقية دائما نحو المنهج التجريبي، ويعتبر جون لوك أول من حاول محاولة واعية وضع علم الأخلاق على أساس تجريبي في نطاق كتابه (مقالة في العقل البشري)، وقد استخدم المنهج الاستقرائي أرسطو من قبل ولكنه يدرك أن هذا المنهج لا يعدو الاحتمال واختياره له كان لهدف تعليمي، وأما الوضعيون فيقولون بتغير القيم²، لأن المنهج التجريبي متغير.

والسبب في اتجاه المذهب الوضعي لهذا هو "أن الفكر البشري عرف أنه ليس في مقدوره الحصول على حقائق مطلقة عن البحث عن مبدأ العالم وغايته، وعن الكشف عن

¹ رونتال، ب يودين، الموسوعة الفلسفية، ص 584.

² محمود حمدي زقزوق، مقدمة في علم الأخلاق، دار القلم، الكويت، الطبعة الثالثة 1983م، ص 27-28 بتصرف.

الأسباب الباطنية للأشياء، وانصرف باستخدام الملاحظة والاستدلال معا على وجه حسن، إلى الكشف عن قوانين الظواهر، أي علاقاتها الثابتة التي لا تتغير"¹.

النظريات الوضعية، وهي: «نظريات عديدة يجمعها إنكار وجود حقائق، أو قيم لم تستمد من التجربة - باستثناء الأوليات الرياضية - وعليه ينكر أتباعها وجود قيم مطلقة تستمد من العقل، أو أي مصدر آخر سوى التجربة، فلم تعد القيم مبادئ ينبغي أن يستهدفها الفكر أو السلوك، وإنما سلوكيات واقعية محكومة بالأوضاع الاجتماعية المادية، ولقد انتهت تلك النظريات إلى التضحية بالقيم تماما»²

والوضعية قد استبعدت القيم الأخلاقية وذلك لموقفها من إنكار ما وراء الطبيعة، وحيث ان الوضعية يرى أتباعها أن كل قضية تحمل معنى تعبر لا محالة عن صورة مطابقة للواقع، والعبارات التي تعبر عن القيم والمثل العليا - مالم تكن وصفا وتقريراً لحالة موجودة بالفعل - لا تكون ذات معنى يمكن التثبت منه بالخبرة الحسية ولا يخضع لمبدأ التحقق - يعني التجربة - وبهذا لا تدخل عبارات القيم في مجال البحث العلمي، حيث يرون أن القيم تعبر عن انفعالات صاحبها، ومشاعر ذاتية لا تخضع لأحكام موضوعية، ومن أتباع الوضعية من رأى أن عبارات القيم أوامر في صيغة مضللة؛ لهذا أنكر دعاة الوضعية القيم ورأوا أن عبارات القيم التي تصف ظواهر الخبرة الأخلاقية كما هي موجودة بالفعل يمكن أن تعالج في نطاق علم النفس وعلم الاجتماع، أما عبارات القيم التي تعبر عما ينبغي أن يكون فهي عبارات ميتافيزيقية لا تحمل معنى ولا تدخل في مجال علمي.³

الوجودية: الوجودية "اتجاه فلسفي يغلو في قيمة الإنسان ويبالغ في التأكيد على تفرده، وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار ولا يحتاج إلى موجه. وهي فلسفة عن الذات أكثر منها فلسفة عن الموضوع، وتعبر جملة من الاتجاهات والأفكار المتباينة التي تتعلق بالحياة

¹ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، 579/2.

² عبد الرحمن الزيندي، السلفية وقضايا العصر، دار اشبيليا 1998م، ص 467.

³ توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص 445-446 بتصرف.

والموت، والمعاناة والألم، وليست نظرية فلسفية واضحة المعالم، ويرى الغربيون أن سورين كيركجورد وهو مؤسس الوجودية، وأشهر زعمائها الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر¹.

والوجودية تقول بأسبقية الوجود على الماهية، وأن الإنسان يوجد أولاً ثم تتحدد ماهيته باختياراته ومواقفه، وهو مذهب مختلف فيه حتى بين أتباعه، وهي تعلن محدودية العقل ومع ذلك فليست فلسفة غير عقلانية، ولكنها وجهة نظر ترى أن الإنسان لا يمكن فهمه إلا في المواقف التي يختارها لنفسه، وأن أسبابها ليست كلها خارجية ولكنها في مزاجه أو انفعالاته أو إرادته، والعالم عند سارتر مشتق من الوجود الذاتي للإنسان، وهو وجود لا يعتمد على القوانين الموضوعية، ومفتاح الإنسان هو ما يضعه بنفسه، والحرية جوهر الطبيعة البشرية².

والوجودية بالمعنى العام "إبراز قيمة الوجود الفردي، وبالمعنى الخاص المذهب الذي عرضه جون بول سارتر وخلاصته أن الوجود متقدم على الماهية، وأن الإنسان مطلق الحرية في الاختيار يضع نفسه بنفسه، ويملا وجوده على النحو الذي يلائمه"³.

الوجودية الآن مدرستان: "واحدة تؤمن بالأخلاق وتنسب إلى برجسون وإلى محمد إقبال، والأخرى ملحدة وهي التي بيدها القيادة وهي المقصودة بمفهوم الوجودية المتداول على الألسنة، فالوجودية إذن قائمة على الإلحاد"⁴.

موقف الوجودية من ثبات القيم: "لا يؤمن الوجوديون بوجود قيم ثابتة توجه سلوك الإنسان وتضبطه، إنما كل إنسان يفعل ما يريد وليس لأحد أن يفرض قيماً أو أخلاقاً معينة على الآخرين"⁵.

¹ الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، 828/2.

² عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ص 525.

³ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، 525/2.

⁴ الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة، 829/2.

⁵ الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة 829/2.

و"لا توجد معايير موضوعية يمكن أن يلجأ إليها الشخص للإجابة عن مشكلات الاختيار، لأن المعايير المختلفة تقدم نصائح متضاربة، ويجب على الفرد أن يقرر أي المعايير يقبل وأي المعايير يرفض، يستنتج الوجوديون إذن أن الاختيار البشري عملية ذاتية لأن الأفراد في النهاية يجب أن يمارسوا اختياراتهم بدون تأثير من المعايير الخارجية كالقوانين وقواعد الأخلاق، أو التقاليد وهم بذلك أحرار"¹.

والوجودية ذات شعب ثلاث: الوجودية المسيحية عند كير كجارد، ومؤداها أن قلق الإنسان يزول بالإيمان بالله، والوجودية الإلحادية عند هيدجر وسارتر، تجعل الإنسان مطلق الحرية في الاختيار، مما يترتب عليه قلقه ويأسه، والوجودية المسيحية التي ينشدها ماريتان، ويطبقها على فلسفة توما الأكويني فيقول: إن الإيمان بالله يحد من الرغبة في الوجود والخوف من العدم. والأساس المشترك بين الشعب الثلاث أن الوجود الإنساني هو المشكلة الكبرى، فالعقل وحده عاجز عن تفسير الكون ومشكلاته، وأن الإنسان يستبد به القلق عند مواجهته مشكلات الحياة. وأساس القيم قيام الإنسان بفعل إيجابي، وبأفعاله تتحدد ماهيته، وإذن فوجوده الفعلي يسبق ماهيته².

¹ الموسوعة العربية العالمية، 54/28.

² محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، 1945/2 بتصرف.

المطلب الثاني: التحول عن الثبات في مرجعية الفكر الغربي.

أولاً: نشأة التحول وتطوره.

في العصور الوسطى كان الثبات هو الطابع المسيطر على الحياة كلها في الغرب وكان مستمداً من الدين، كما هو مستمد من الوضع الاقتصادي والاجتماعي الثابت الأركان، وكان الدين بمفهومه الكنسي الأوربي عقيدة - أي بين العبد والرب - تحكم الوجدان، ومادام الدين عقيدة بهذا المفهوم، أي اعتقاداً في الله، وارتباطاً به وتعبداً روحياً إليه فهو ثابت بكل معنى الكلمة، فالله في الوجدان ثابت، وطريقة الوجدان في التطلع إليه تمثل كذلك لونا من الثبات¹.

وفي ظل هذا المفهوم الثابت تثبت الأفكار والقيم والتقاليد ويشمل ذلك كله من الخارج إطار الدين ليحكم الصورة الثابتة ويزيد في تثبيت المفهوم، فالدين كما صورته الكنيسة الأوربية للناس يمثل الثبات المطلق في جميع الأمور، وعندما قامت حركة النهضة والتطور في أوربا اصطدمت بالكنيسة التي تحكم في حياة الناس، وأصبحت تفرض عليهم الخضوع لها ودفع الضرائب وتعذيب العلماء وتحريفهم؛ لأنهم يعلنون ما تصل إليه أبحاثهم المخالفة لأساطيرها المقدسة؛ لهذا قامت الحركة العلمية مناهضة لسلطان الكنيسة بعيدة عن مفهوم الدين ساعدها ما في النفوس الأوربية من روح إغريقية رومانية تختفي تحت شعار المسيحية، فما أن وجدت الفرصة المناسبة حتى خرجت وعادت تحكم الحياة وتحكم الأفكار والنفوس².

ولما ظهرت نظرية دارون تزلزلت العقيدة النصرانية من منبتها، والأفكار من أساسها، لقد جاء دارون يقول إن لا شيء ثابت على وجه الأرض، لا النبات ولا الحيوان ولا الإنسان، وليس هناك قصد ثابت للخلقة، بل لا قصد على الإطلاق والخالق هو الطبيعة، والإنسان في منشئه لم يكن إنساناً وإنما أصله حيوان.

¹ محمد قطب، التطور والثبات في حياة البشرية، دار الشروق، الطبعة الثامنة 1991م، ص 11 بتصرف.

² محمد قطب، التطور والثبات في حياة البشرية، ص 15-17 بتصرف.

وهزت نظريته المجتمع الأوروبي كله وقامت قيامه الكنيسة ووقفت معها الجماهير أول الأمر ثم تغير موقف الجماهير؛ لأنها وجدت الفرصة سانحة للإفلات من سيطرة الكنيسة، وقامت المعركة شديدة بين الكنيسة وهذه النظرية التي كان من نتائجها زلزلة الإيمان بالله والعقيدة، زلزلة الإيمان بالإنسانية والإنسان ورفعته وسموه وروحانيته، وزلزلة الإيمان بثبات أي نظام من النظم أو قيمة من القيم أو فكرة من الأفكار، زلزلت كل شيء كان راکزاً من قبل وتحطيم كل بنيان راسخ الأساس¹.

وبعد ظهور نظرية دارون في الغرب تغلغت فكرة التطور في أفكار الناس ووجداناتهم وأخذت المكان الذي كانت تحتله من قبل فكرة الثبات، وما دام كل شيء يتطور ولا شيء يثبت على حاله - كما قال دارون - فلماذا لا يشمل التطور فكرة الله - سبحانه وتعالى - ذاتها وفكرة العقيدة، فإذا كانت القيم بمفهومها التقليدي شيئاً جميلاً في الماضي ومناسبة لمرحلة معينة من التطور، فليس من الضروري أن تكون اليوم جميلة ولا مناسبة؛ لأن المجتمع قد تطور والمجتمع هو الذي صنع هذه القيم من قبل وليس الله - سبحانه - وليس العقيدة، وإن كان الناس قد اسندوها من قبل غفلة منهم إلى الله والعقيدة، فالمجتمع إذن هو صاحب الشأن في تعديلها أو الإبقاء عليها وقد قرر التعديل².

فكان ذلك تطوراً اجتماعياً واقتصادياً موازياً للتطور العلمي والثقافي، وفي ظل هذه الظروف المتغيرة والمتطورة ولدت نظرية التطور في كتاب دارون «أصل الأنواع» والذي قال عن وست: «لقد كان تأثير هذا الكتاب عظيماً ولا شك، فعن طريقه وضع مبدأ جديد للدراسة وهو مبدأ ديناميكي وليس مبدأ استقرائياً أو استاتيكي - إحصائياً - استطاع أن يحدث ثورة في كل فروع المعرفة من علم الفلك إلى التاريخ، ومن علم الحفريات القديمة إلى علم النفس، ومن علم الأجنة إلى علم الدين³.

¹ محمد قطب، معركة التقاليد، ص 10 - 17 بتصرف، 1407هـ / 1987م ط، دار الشروق، القاهرة، بيروت.

² محمد قطب، معركة التقاليد، ص 18-20 بتصرف.

³ موسوعة تراث الإنسانية، إشراف: فؤاد زكرياء، 127/9 بتصرف، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

والتطور الذي شرحه دارون يشتمل على عنصرين بارزين: «الحتمية والاضطراب»، وعن طريق هذين العنصرين أوحى النظرية بتطور حتمي مطلق لا غاية له ولا حدود.

الحتمية تجعل الإيمان بثبات أي شيء وإن كان الدين أو القيم أو التقاليد جمودا ورجعية، وكل محاولة للثبات على شيء من ذلك هو معركة خاسرة مع القدر الذي لا يقهر، واضطراب خط التطور يلغي كل المعايير الثابتة المتعارف عليها للحكم على الأشياء ويستبدل بها معيارا واحدا لا ميزة له في ذاته إلا عدم قبوله صفة التطور وهو «الزمان»، فكل عقيدة أو نظام أو خلق هو أفضل وأكمل من غيره ما دام تاليا له في الوجود الزمني¹.

وهكذا آمنت أوروبا بالتطور المطلق وحسبت كل تغير - وإن كان انتكاسا وانحطاطا - تطورا وتقدما.

و"القيم في المجتمع الغربي تطورت في المراحل نفسها باعتبارها جزءا من الدين أو مستمدة منه، بل إن برترند رسل يرى أنها تطورت خلال ثلاث مراحل: "أخلاق المحرم" التابو ثم أخلاق الطاعة الإلهية ثم أخلاق المجتمع الغربي"².

ويقول وليم جيمس عن الأثر الدارويني في القيم: "إن فلسفة النشوء والارتقاء قد ألغت المعايير الأخلاقية التي سبقتها كلها؛ لأنها رأتها معايير ذاتية شخصية وقدمت لنا بدلها معيار آخر نتعرف به الخير من الشر، وبما أن المعايير السابقة معايير نسبية فهي مدعاة للقلق والاضطراب، وأما هذا المعيار الذي ارتضوه وهو أن الحس ما قدر له أن يظهر أو يبقى فهو معيار موضوعي محدد"³.

وإجمالا فقد "آمنت أوروبا شرقها وغربها بأن لا شيء ثابت على الإطلاق حتى الإيمان وهو ما عبر عنه رسل بقوله: «ليس ثمة كمال ثابت ولا حكمة لا تقدم بعدها... أي اعتقاد

¹ سفر الحوالي، العلمانية، ص 201-202 بتصرف.

² روح الجماعات، ص 103-104، ترجمة: عادل زعير 1955م.

³ العقل والدين، ص 98، ترجمة، محمود حب الله، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

نعتقده وإن كان مما نظنه بالغ الأهمية ليس بباقي مدى الدهر، ولو تخيلنا أنه يحتوي على الحق الأبدي فإن المستقبل كفيل بأن يضحك منا"¹.

أما "المسلمون فقد اهتموا في تفكيرهم إلى شيء آخر غير مذهب النشوء والارتقاء الذي قرره دارون وولاس، لقد لاحظوا التدرج في مراتب المخلوقات من الجوامد إلى الإنسان، ولكنهم لم يقولوا كما قال دارون - إن الإنسان من أصل حيواني، ولم يبخسوا قدره ولا نزعوا عنه مزاياه التي تفرد بها، وردوا تميزه ابتداء إلى إرادة الله الصريحة من خلقه هكذا متميزا متفردا ليصبح خليفة في الأرض، ومن ثم عرفوا فكرة التطور، ولكنها لم تتحول في تفكيرهم إلى لوثة مدمرة كما حدث في مرجعية الفكر الغربي"².

عصر النهضة: امتد عصر النهضة الأوروبية لفترة ثلاثمائة عام وتتميز بازدهار الفن والعلم، وقد صاحبه عصر التنوير وانتشر في أوروبا، وكان له التأثير الكبير على الحضارة الأوروبية، واتخذ الحضارتين الإغريقية والرومانية قدوة ونموذجا له مؤكدا على إنسانية الإنسان. وعصر النهضة اصطلاح يقصد به الفترة التي اتسمت بنشاط علمي وثقافي ذي سمات عقلانية عرفت بحركة التنوير أو العقلانية، وقد وصلت هذه الحركة إلى العالم الإسلامي في بداية عصر النهضة الحديثة، وتمثلت في الكتابات الأولى في الأدب العربي، والفكر الحديث بصفة عامة، متبنية أفكار حركات التجديد والتنوير المعاصرة في الغرب والمبنية على أساس الفلسفات الإلحادية من الدعوة إلى نبذ الدين والتخلي عن قيمه شرطا للنهضة³.

و"من أسباب النهضة في أوروبا والتحول عن القيم والتخلي عن الكنيسة وتعاليمها احتكاك أوروبا بالمسلمين في الحروب الصليبية والاتصال بمراكز الثقافة في الأندلس وصقلية والشمال الأفريقي، مما جعل العقل الأوروبي في شوق شديد لاسترداد حريته في التفكير، ولكنه عاد إلى

¹ العقل والمادة، ص 259، ترجمة: أحمد إبراهيم الشريف، القاهرة، 1975م.

² محمد فريد وجدي، الإسلام دين علم خالد، ص 234.

³ الموسوعة العربية العالمية 3/374-375 بتصرف، والندوة العالمية للشباب، الموسوعة الميسرة 2/1104.

الجاهلية الإغريقية ونفر من الدين الكنسي وسخر العقل للبعد عن الله وأصبح التفكير الحر معناه الإلحاد"¹.

أما العالم الإسلامي فقد نهض نهضة قوية وتحرك حركة علمية امتدت قرونا في هذا الجو المتحرك النامي المتطور بسبب الإسلام، حيث كانت أوروبا في جو من الركود والثبات، وحين ضعف العالم الإسلامي نتيجة البعد التدريجي عن الإسلام مصدر الحركة والإشعاع، وبدأت الحروب الصليبية مما أدى إلى بداية النهضة وإخراج أوروبا من الظلمات، في الحرب الصليبية انتقلت أوروبا ببقايا الحركة الإسلامية - أكبر حركة في مد التاريخ - فكانت هذه البقايا تحمل الحيوية والحركة والاشتغال ما استطاع أن يوقظ أوروبا من سباتها ويبعثها تطلب الحركة والحياة، وأعظم ثمار الحروب الصليبية في أوروبا كانت حركة البعث العلمي، فقد تعرف الصليبيون على المعارف الإسلامية وحملوا المجلدات والمؤلفات معهم، سواء منها ما كان من أصل إغريقي أم ما كان إضافة جديدة أضافها العلماء المسلمون في فترة الركود الأوربي الطويل².

وبعد ظهور حركة البعث العلمي عرف الأوروبيون نظريات العلم وأصبح من الأمور المهمة الشعور العميق بالتغير أو التطور أو عدم الثبات، بل إن التطور لم يعد نظرية علمية كالتي نادى بها دارون في داخل المعمل، وإنما صار لوثة تصيب كل شيء، وتتصور كل شيء من خلال فكرة التطور، لا شيء ثابت على الإطلاق، لا الدين، ولا القيم، لا التقاليد، ولا الأفكار، ولا الحقائق، ولا المعلومات، ولا شكل الحياة، ولا شكل المجتمع، ولا كيان الفرد، ولا علاقات الفرد بالمجتمع، ولا علاقاته مع الدولة، ولا مشاعر الرجل، ولا مشاعر المرأة، ولا أهداف الحياة؛ بل ينبغي محاربة الثبات بكل وسيلة من وسائل الحرب، كل شيء ينبغي أن

¹ الندوة العالمية للشباب الاسلامي، الموسوعة الميسرة، 807/2.

² محمد قطب، التطور والثبات في حياة البشرية، ص 13-14 بتصرف.

يطور بالقوة، إذا لم يتطور من تلقاء نفسه، لا شيء ينبغي أن يكون ثابتا على الإطلاق،
فالثبات ضد ناموس الحياة، والناموس هو التطور، وكل شيء ثابت فهو إذن مخالف لناموس¹.

ثانيا: أسباب التحول عن الثوابت العلمية والحضارية.

الأسباب العلمية:

1 - ظهور النظريات الجديدة باسم العلم: لقد كان الفكر الأوربي يعيش في ظل فكرة الثبات المطلق، وقد فوجئ بفكرة التطور التي ظهرت بظهور مذهب النشوء والارتقاء للكائنات العضوية الذي يعتبر مذهباً جديداً، وكان يدرس في مدارسهم وقد ذهبوا إلى أبعد مدى وذلك بتطبيقه على الجمادات والمعادن. لقد ظهرت نظريات يدعي أصحابها أنها علمية ومنها "نظرية دارون"²، ونظرية ماركس³، و"نظرية دور كايم"⁴.

ونظرية دارون قد أعطت إحياءين متضامين: الإحياء بالتطور الدائم الذي يلغي فكرة الثبات، والإحياء بحيوانية الإنسان وماديته بإرجاعه إلى الأصل الحيواني من ناحية، وحصر القوى التي تؤثر فيه من ناحية أخرى بالقوة المادية المتمثلة في البيئة أو الطبيعة وإغفال الجانب الروحي إغفالاً تاماً، وإغفال قدرة الله وتدبيره - سبحانه وتعالى عما يقولون في عملية الخلق أو

¹ المرجع السابق، ص 29 بتصرف.

² سبق شرحها.

³ سبق شرحها.

⁴ هو أميل دور كايم 1808 - 1917، يهودي فرنسي، من أسرة متدينة، تخرج من مدرسة المعلمين العليا، ويعتبر واضع علم الاجتماع المعاصر الذي أرسى قواعد منهجه، له مؤلفات منها: تقسيم العمل الاجتماعي، الانتحار، وغيرها، تقوم فكرته على وجود الضمير الجماعي أو العقل الجمعي الذي يفعل في الأفراد بالضغط عليهم إلى حد قسورهم على اتخاذ مواقف قد تختلف مع آرائهم الخاصة. وقد عني بالتضامن الآلي أوجه الشبه المشتركة بين كثير من الأفراد في داخل المجتمع مثل اشتراكهم في مجموع القيم والمعتقدات الإسلامية، وينتج التضامن العضوي، في رأيه، عن تقسيم العمل إلى وظائف متخصصة، وكان يعتقد أن تقسيم العمل يجعل الأفراد يعتمدون بعضهم على بعض في المجتمع، عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ص 183- بتصرف 184، وينظر الموسوعة العربية العالمية 460/10.

عملية التطور سواء . يقول دارون: إن تفسير النشوء والارتقاء بتدخل الله- تعالى عما يقولون- هو بمثابة إدخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت.¹

وأما ماركس فقد كان ميدان بحثه علم الاقتصاد، ولكنه لم يقتصر بحثه على الدراسات الأكاديمية في علم الاقتصاد، وإنما وضع مذهباً كاملاً، يتناول تصوراً كاملاً للحياة من زاوية معينة، فقد أسس أركان التفسير المادي للتاريخ، وهو تفسير يجعل للقوى المادية السلطان الأكبر على نشاط الإنسان كله، كما يجعل هذا النشاط مادياً بصفة أساسية، ومنبعثاً عن الكيان الحيواني للإنسان.

ولما كانت الأطوار الاقتصادية للبشرية حتمية ومتعاقبة فالقيم تأخذ أوضاعاً محددة ومتطورة وهي حتمية التطور مع تطور أوضاع البشرية.²

رد على نظرية التطور: يقول العالم الأمريكي كريسي موريسون: «إن القائلين بنظرية التطور - النشوء والارتقاء - لم يكونوا يعلمون شيئاً عن وحدات الوراثة الجينات... لقد رأينا أن الجينات متفق على كونها تنظيمات أصغر من الميكروسكوبية للذرات في خلايا الوراثة بجميع الكائنات الحية، وهي تحتفظ بالتعميم، وسجل السلف والخواص لكل شيء حي، وهي تتحكم تفصيلاً في الجذع والجذر، والورق، والزهر، والثمر، ولكل نبات تماماً، كما تشكل الشكل، والقشرة، والأجنحة، والشعر، لكل حيوان بما فيه الإنسان...³

ثم يقول: "إن ارتقاء الإنسان الحيواني إلى درجة كائن مفكر شاعر بوجوده، هو خطوة أعظم من أن تتم عن طريق التطور المادي، ودون قصد ابتداعي، وإذا قبلت واقعية القصد فإن الإنسان - بوصفه هذا. قد يكون جهازاً، ولكن ما الذي يدير هذا الجهاز؟ لأنه بدون أن يدار لا فائدة منه. والعلم لا يعلل من يتولى إدارته، وكذلك لا يزعم أنه مادي، لقد بلغنا من التقدم

¹ محمد قطب، الثبات والتطور، ص 39-40 بتصرف.

² محمد قطب، التطور والثبات في حياة البشرية، ص 40-42 بتصرف.

³ العلم يدعو الإيمان ص 149-151، ترجمة: الأستاذ محمود الفلكي، تقديم: أحمد زكي.

بدرجة تكفي لأن نوقن بأن الله قد منح الإنسان قبس من نوره، ولا يزال الإنسان في طور طفولته من وجهة الخلق وقد بدأ يشعر بوجود ما نسميه الروح، وهي برقي في بطنه ليذكر هذه الهيئة ويشعر بغريزته بأنها خالدة¹.

وهذه النظريات - أعني نظرية دارون، ماركس دور كايم، وغيرها التي انتشرت في جو الحضارة الغربية المعاصرة - "أغرقت الإنسان في المادية، وأبعدته عن إرواء روحه وفكره وقادته إلى السعار المادي الجارف"².

ويعرض كارل ياسبرز لمستقبل الحضارة، فيقول: "إن بدعتين طاغيتين من بدع العصر، هي: الماركسية، و الفرويدية، الوجودية يقول: "في عالم محروم من الله ظهر كارل ماركس... واتخذ القوالب التي يستطيع هذا العالم أن يقتنع بها، وأن يهمل، وكان طبيعياً أن تسيطر على النفوس أساليب فرويد ومدرسته في منهج مهزوز مكدود، في عالمنا المقلوب هذا قد أحس الناس بحاجة شديدة إلى التحرر، وجاء التحليل النفسي فزودهم بذلك الوهم، إننا بصدد عملية جبارة من عمليات الاستهواء الذاتي، الذي هو نتاج صادق لهذا العصر المفتون، والذي يسير جنباً إلى جنب مع أساليب السحر والتعاويذ التي استولت على عقول الناس"³.

وقد "ظهرت هذه الدعوات في غياب الروحانيات، واستغلت نفور الناس من الكنيسة، ومن استغلالها ومحاكمها التفتيشية، واستغلت تلك الأجواء وأمطرت الناس بكثير من الأوهام والخيالات والخرافات التي كانت جرثومة قوية في جسد الحضارة المادية"⁴.

2 - محاربة الكنيسة للعلم والعلماء واضطهادهم: أول عمل مارسه الكنيسة هو احتكارها للعلم وهيمنتها على الفكر البشري بأجمعه يقول كرين برنتن: "إن أكثر أصحاب الوظائف العلمية حتى في أوج العصور الوسطى كانوا ينتمون إلى نوع من أنواع المنظمات

¹ العلم يدعو للإيمان، ص 191 بتصرف.

² توفيق الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة المادية، دار الوفاء 1988م، مصر، ص 752.

³ أنور الجندي، الإسلام والحضارة، ص 75.

⁴ توفيق الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة المادية، ص 753.

الإسلامية، وكانوا جزءا من الكنيسة، حيث إن الكنيسة - لا نكاد نفهمها اليوم - تتدخل في كل لون من ألوان النشاط البشري وتوجهها وبخاصة النشاط العقلي... وإذن فقد كان الرجال الذين يتلقون تعليمهم في الكنيسة يكادون يحتكرون الحياة العقلية، فكانت الكنيسة منصة المحاضرة والصحافة والنشر والمكتبة والمدرسة والكلية¹.

ولما عرفت أوروبا الطريق إلى النهضة بفضل اتصالها بمراكز الحضارة الإسلامية في الأندلس وصقلية وجنوب إيطاليا التي كانت تشع نور العلم والمعرفة على القارة المستغرقة في دياجير الخرافة والجهل، استيقظ العقل الأوروبي من سباته وأخذ يقتبس عن المسلمين طرائق البحث ومناهج التفكير التي تجعله يكد ويعمل في مجال اختصاصه دون وصاية ضاغطة، عند ذلك ثارت ثائرة رجال الكنيسة على الذين يتلقون علوم الكفار (المسلمين) - بزعمهم - ويعرضون عن التعاليم المقدسة للكنيسة. وبذلك قامت المعركة على قدم وساق وأخذت تزداد سعارا بمرور الأيام². ولما ظهرت نظرية "كوبرنيك" الفلكية اهتزت الكنيسة لأنها كانت المصدر الوحيد للمعرفة، وكانت فلسفتها تعتنق نظرية بطليموس التي تجعل الأرض مركز الكون وتقول إن الأجرام السماوية كافة تدور حولها³. فلما "ظهرت نظرية كوبرنيك القائلة بعكس ذلك كان جديرا بأن يقع في قبضة محكمة التفتيش، ولم ينج من ذلك لأنه كان قسيسا، بل لأن الكنيسة حرمت كتابه: «حركات الأجرام السماوية» ومنعت تداوله وقالت إن ما فيه هو وساوس شيطانية معادية لروح الإنجيل⁴.

وبعد ذلك ظنت الكنيسة أن أمر هذه النظرية قد انتهى، ولكن رجلا هو «جردانو برونو» بعث النظرية بعد وفاة صاحبها، "فقضت عليه محكمة التفتيش وزجت به في السجن ست

¹ أفكار ورجال قصة الفكر الغربي، ص 231، ترجمة: محمود محمود.

² سفر الحوالي، العلمانية، ص 149.

³ روبرت داونز، كتب غيرت وجه العالم، الفصل الخاص بكتاب كوبرنيك، ص 245-246 بتصرف.

⁴ سفر الحوالي، العلمانية، ص 150.

سنوات، فلما أصر على رأيه أحرقتة سنة 1600م، وذرت رماده في الهواء وجعلته عبرة لمن اعتبر¹.

وبعد موته ببضع سنوات كان «جاليليو» قد توصل إلى صنع المرقب «التلسكوب» فأيد تجربيا ما نادى به أسلافه نظريا فكان ذلك مبررا للقبض عليه ومحاكمته، وقضى عليه سبعة من القراد له بالسجن مدة من الزمان وأمر بتلاوة مزامير الندم السبعة مرة كل أسبوع طوال ثلاث سنوات².

ولما خشي على حياته أن تنتهي بالطريق التي انتهى بها برونو أعلن ارتداده عن رأيه وهو راعع على قدميه أمام رئيس المحكمة قائلا: "أنا جاليليو وقد بلغت السبعين من عمري راعع أمام فخامتك والكتاب المقدس أمامي ألمسه بيدي، أرفض وألعن وأحتقر القول الإلحادي الخاطئ بدوران الأرض"، وتعهد مع هذا بتبليغ المحكمة عن كل ملحد يوسوس له الشيطان بتأييد هذا الزعم المضلل³.

هؤلاء هم زعماء النظرية وهذا موقف الكنيسة منهم، وليس غريبا أن تضطهدهم وتحارب أفكارهم، فإن أفكارها لا تعيش إلا في الظلام وهي لم تستعبد الناس بالحق بل بالخرافة: وكان مذهب ديكارت أبرز المذاهب الفلسفية في القرن السابع عشر، وقد دعا إلى تطبيق المنهج العقلي في الفكر والحياة واستثنى من ذلك - لسبب ما - الدين والعقائد الكنسية والنصوص المقدسة، وكان يرى «أن ميدان العلوم الطبيعية، وموضوعه استغلال القوى الطبيعية وأدواته الرياضية والتجربة، ويختص الدين بمصائر النفس في العالم الآخر ويعتمد على الاعتقاد والتسليم فلا مضايقة بين العلم والدين ولا سلطان لأحدهما على الآخر⁴.

¹ المرجع السابق، ص 150.

² هـ. ج. ويلز، معالم تاريخ الإنسانية 998/3 بتصرف، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاوي.

³ توفيق الطويل، قصة الصراع بين الدين والفلسفة، ص 218، الطبعة الثالثة، 1979م دار النهضة العربية القاهرة، وج. هـ. راندال، تكوين العقل الحديث، 348/3 ترجمة: جوار طعمه، دار الثقافة.

⁴ إميل بوترو، العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ص 19 بتصرف، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني.

وجاء من بعد ديكارت سبينوزا وكان عنيفا بحكم يهوديته وطبق المنهج العقلي على الكتاب المقدس نفسه، أما جون لوك فقد طالب بإخضاع الوحي للعقل عند التصارع، وقد تعرضت كتب ديكارت وسبينوزا ولوك وأضرابها للحرق والمصادرة، كما تعرضوا شخصيا للإيذاء والمضايقة من قبل الكنيسة¹.

3 - نجاحهم الباهر في فهم وتطبيق المناهج التجريبية في مجالاتها المختلفة:

التجريب هو الطابع الذي يتسم به العصر الحديث فقد أثر بإحياءاته المختلفة على العقلية الغربية كلها حتى دخل في كل جوانب الحياة الغربية في نواحي الطعام والأكل اليومي، ومنذ فرانسس بيكون بدأ العمل ينفصل عن الفلسفة، ويتخذ طريقة غير طريق البحث النظري، فاتجه إلى التجربة العملية، واستخلاص النتائج من التجارب الواقعية التي تقع في محيط الحواس، وخطا خطوات جبارة في هذا السبيل في القرنين التاسع عشر والعشرين، ووصل في الهندسة والطبيعة والكيمياء خاصة إلى ما يشبه المعجزات، وقد كانت النتائج التي وصل إليها العلم التجريبي من العظمة والجبروت، حتي بهرت الناس في الغرب والشرق، بل وصل الأمر في الغرب خاصة إلى عبادة هذا الكائن الجديد، والنظر إليه بعين الإيمان المطلق الذي لا تشوبه شائبة من شك أو جحود².

وقد أدى العلم التجريبي للإنسانية خدمات هائلة، وقفز بها في فترة قصيرة إلى مجالات لم تكن تبلغها في الماضي إلا في آماذ متطاولة، ولا يستطيع أحد أن يجحد المخترعات الحديثة الجبارة التي انتجها العلم فوفرت الوقت والجهد وضاعفت طاقة البشرية على الإنتاج³.

¹ سفر الحوالي، العلمانية، ص 155 بتصرف.

² محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، ص 47 بتصرف.

³ محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، ص 48 بتصرف.

الأسباب الحضارية:

1. نشأة حضارات عمرانية مادية لها بريق: الحضارة هي: «الحالة المقابلة للبداوة والفطرة، تطلق على جملة من مظاهر التقدم الأدبي والفني والعلمي والتقني التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات متشابهة، مثل الحضارة الصينية والحضارة العربية والحضارة الأوروبية»¹.

والحضارة "طريقة حياة نشأت بعد أن بدأ الناس يعيشون في مدن أو مجتمعات نظمت في شكل دول، وهي تشمل الفن والعادات والتقنية وشكل السلطة وكل شيء آخر يدخل في طريقة حياة المجتمع"²، وتشمل المباني والمصانع والمركبات البحرية والتنظيم وأساليب الحياة اليومية، والحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق.³

.. وهكذا يبدو أن البيئة التي نجح العلم والتكنولوجيا في إيجادها للإنسان لا ثلاثه؛ لأنها أنشئت اعتباطاً، وكيفما اتفق، دون أي اعتبار لذاته الحقيقية⁴.

2. تطور وسائل الطب التي تساعد على رفاهية الحياة: الطب علم وفن يعنى بدراسة الأمراض ومعالجتها والوقاية منها؛ فهو علم لأنه بني على المعرفة المكتسبة من خلال الدراسة والتجريب الدقيق، وفن لأنه يعتمد على كيفية تطبيق الأطباء البارعين الآخرين في مجال الطب هذه المعرفة حينما يتعاملون مع المرضى، وتشمل أهداف الطب إنقاذ الأرواح وعلاج المرضى؛ ولهذا السبب اعتبر الطب منذ أمد بعيد من أكثر المهن احتراماً. وقد حقق الطب تقدماً علمياً

¹ مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ص 293-294.

² الموسوعة العربية العالمية 344/9.

³ ول ديوانت، قصة الحضارة 3/1/

⁴ الإنسان ذلك المجهول، تعريب: شفيق سعد فريد، آفاق للنشر والتوزيع، ص 38-40 بتصرف.

هائلا إبان المائة سنة الماضية، واليوم فإنه من الممكن - بإذن الله - شفاء ومنع مئات الأمراض والسيطرة عليها، مثل شلل الأطفال إلى الدرن والحمى الصفراء، لقد جلبت الأدوية والعلاجات والعمليات الجراحية الحديثة الآمال إلى العديد من المرضى، ونتيجة للتقدم الطبي وعوامل أخرى، مثل حسن التغذية وتدابير حفظ الصحة العامة وظروف المعيشة؛ فإنه من المتوقع أن يعمر الناس الآن أكثر من الماضي، نظرا للرعاية الطبية التي تساعد على رفاه الحياة، ومع تطور الطب من الناحية العلمية فإنه قد صار أكثر تعقيدا. ففي الماضي كان الأطباء يعتنون بالمرضى في كثير من الحالات بدون مساعدة، وكان المرضى يتلقون العلاج لمعظم أنواع المرض في المنزل، وكان القليلون يذهبون للمستشفى، واليوم لم يعد الأطباء يعملون بمفردهم، فهم عوضا عن ذلك يقودون فريقا طبيا يتألف من فريق التمريض والفنيين والأخصائيين والمساعدين وأصبحت المراكز الصحية والعيادات والمستشفيات المراكز الرئيسية للرعاية الطبية في معظم الدول¹.

وقد اتسمت المرحلة التالية للقرنين التاسع عشر والعشرين "بتتابع عدد كبير لا يحصى من الكشوف وخطوات التقدم. وأدى التحسن في وسائل العناية بالتوليد إلى إنقاص معدل الوفيات بين المولودين والوالدات على السواء، كما أدى ظهور اللقاحات ومضادات السموم وغيرها من وسائل مقاومة الأمراض إلى خفض معدل الوفيات للأطفال البالغين، وقد أصبح علاج اضطرابات الغدد في حيز الإمكان بفضل البحوث الخاصة بتأثير الهرمونات وغيرها من إفرازات الغدد، وترتب على اكتشاف الأنسولين. وكذلك اكتشاف علاج لفقر الدم الخبيث إعادة عدد لا يحصى من المرضى إلى الحياة النافعة - بإذن الله - وقد توسع الطب واتجه نحو التخصص في فروع كثيرة طب النساء والتوليد والأطفال، والمسالك البولية، والقلب، والصدر، والجلد، والأعصاب، والأمراض الباطنية والأمراض النفسية، والطب الوقائي وغيرها².

¹ الموسوعة العربية العالمية 514/15 بتصرف.

² محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة 1151/2.

3. إحرار القوة بحالتيها في حالة البناء والهدم في إطار القيم المتغيرة: لقد أحرزت الحضارة الغربية السيطرة بتطورها الصناعي وإحرار القوة في حالة البناء والهدم في إطار القيم المتغيرة، وذلك بالتوسع في الإنتاج المادي وخلقت كثيرا من المآسي الاحتكارية والصحية والاجتماعية، لأنها لم تصاحبها القيم أو العرف الإنساني أو الشعور الروحي، فخلفت بفقدانها هذه الأمور جوا من التنافس والأحقاد بالإضافة إلى ما خلفته من جو آلي استعمل بعد في الإضرار بالإنسان نفسه في سلمه وحربه، نعم الابداع المادي مطلوب في هذه الحياة وضرورة لنمو الحياة ورفيها، ولكن بشرط أن لا يضر ويناقض خصائص الإنسان أو يفسدها، أو يقضي عليها ويدمرها، وهذا ما حصل في الحضارة الغربية اليوم¹.

المقارنة بين ثبات القيم في المرجعية الإسلامية ومرجعية الفكر الغربي.

- ثبات القيم في الإسلام ثبات شامل في المصادر والوسائل، والأهداف وفي جميع أحوال المسلم العامة والخاصة، الفردية والاجتماعية، بخلاف القيم في الغرب فقد فقدت خاصية الثبات، فالمصادر محرفة والسلوك منحرف والأهداف لا ضابط لها، وبذلك أصبحت القيم في الغرب متناقضة.

- ثبات القيم في الإسلام له جذوره وأصوله وأسس منذ فجر الإسلام وإلى يومنا هذا، فالقرآن محفوظ والسنة محفوظة والمقاصد الشرعية نابعة من القرآن والسنة، فالقيم ثابتة راسخة متينة على مدى الدهر، أما الثبات في القيم الغربية فليس لها جذور ولا أسس يعتمد عليها، وإنما هناك دعوات من بعض الفلاسفة إلى تأسيس القيم على أسس ثابتة، ولكن لم نجد لها قواعد ثابتة تعتمد عليها جعلها تفقد أهم وأعظم مقوماتها.

¹ توفيق الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص 750-751.

- ثبات القيم في الإسلام له أساس شرعي، وهو أن المسلم يدعو ربه بالثبات على الدين في الحياة وعند الممات وبعد الممات، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾¹.

- المسلم لا يقبل المساومة على مبادئه، ومن أهمها وأعظمها قيمه التي يؤمن بها. أما في الغرب فالقيم نسبية متغيرة تحكمها الغريزة والمصلحة واللذة والأنانية وعبادة الذات.

- الثبات في القيم الإسلامية لا يعني الجمود وإنما هناك مرونة في إطار الشرع المطهر لمواجهة متطلبات الحياة ومستجداتها وفق ضوابط وأسس وقواعد وضعها العلماء، أما في الغرب فالتطور طبق في كل ناحية في الدين والقيم والحياة الاجتماعية، وبذلك لم يبق هناك ثوابت وأصبح التطور سمة الغرب بل لوثة تطبق على كل شيء، وبهذا فقد الغرب أهم الثوابت المهمة التي يعتمد عليها كل مجتمع.

الثبات في القيم الإسلامية جعلت المسلم متميزا في أضيق الظروف، بل حتى في ساحة المعركة يحمل القيم السامية، فلا يقتل شيخا ولا طفلا ولا امرأة ولا يقطع شجرة، وقد أصبح المسلم متميزا في سلوكه وتفكيره وفي حياته كلها، بل حتى إذا (قتل يحسن القتلة وإذا ذبح يحسن الذبحة)².

أما الغرب فشجع الحرية البهيمية وأطلق العنان للنفس البشرية، فتقطعت العلاقات والروابط والمودة والإخاء، وتأثر ذلك المجتمع بالمجتمع الصناعي الذي تحكمه المصلحة والرغبة دون مراعاة لمشاعر الآخرين، فانتشرت الأنانية والنرجسية- وهي حالة الإنسان المستغرق في عبادة الذات.

¹ إبراهيم، الآية 29.

² عن شداد بن أوس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته» رواه مسلم 3/1231 ح: 1955

- يؤمن المسلمون بأن الدين فطرة والقيم شرعة من شرائع الدين تقوم به وتستمد منه ولا تنفصل عنه، وهي من الأصول الثابتة التي لا تتغير بتغير الزمان أو المكان. والفرق بين مفهوم القيم في الإسلام، ومفهوم القيم في مرجعية الفكر الغربي يرجع إلى نقطة واحدة هي وجود أو إنكار الدين المنزل من عند الله على البشرية بالتزاماته وضوابطه ومفاهيمه.

- المنهج الإسلامي في مجال القيم قائم أساساً على عناصر الثبات الواسعة المرنة القادرة على استيعاب تغيرات المجتمعات والعصور والتجاوب معها دون أن تتعارض إلا في الأصول العامة التي هي مرتبطة بالإنسان نفسه وبالحدود والضوابط الأساسية التي لا سبيل إلى تجاوزها، وفي مقدمتها قاعدة الإلزام الأساسية، أما المنهج الغربي الذي يطرح نفسه بقوة في أفق الفكر الإسلامي من خلال مفاهيم مدرسة العلوم الاجتماعية والنفسية وغيرها فإنه يقوم على أساس المشيئة الخاصة بالقبول أو الرفض للالتزام الخلقي.

- الإسلام يلزم أتباعه بالمسؤولية الخلقية ويطرح قاعدته عليها ولا يقبل أي محاولة للتفسير أو التأويل فيها، والقيم الغربية بعد أن انفصلت عن الدين لم تتوقف عن مفهوم الواجب أو المنفعة، ولكنها خضعت للتطور مرحلة بعد مرحلة وضاع منها عنصر الثبات فذهبت بعيدة أو انفصلت تماماً عن كل القيم التي تتصل ببناء الإنسان وإقامة قاعدة الالتزام، ولما ظهرت المدارس الفلسفية التي سيطرت على مرجعية الفكر الغربي جراء القول في تعميق معاني نسبية القيم وأن لكل شعب قيمه الخاصة، وأن هذه القيم تحددها الظروف المعيشية، وأنها تتغير مع اختلاف الأزمان والبيئات¹.

¹ أنور الجندي، مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام، دار الاعتصام 1977م، مصر، ص 20-21 بتصرف.

الفصل الثاني: التغير في قيم المرجعية الإسلامية ومرجعية الفكر الغربي.

المبحث الأول: التغير في قيم المرجعية الإسلامية

التغير في الإسلام عبارة عن مرونة ومراعاة للمصلحة الشرعية وظروف الزمان والمكان والأحوال، فالثبات سمة للقيم الإسلامية إذ الأصل ثابت، والفروع مرنة تتناسب مع ظروف المسلمين وأحوالهم وظروفهم الزمانية والمكانية والاجتماعية من عادات وأفكار ومستجدات.

وأما القيم في الغرب فقد حاربت الثبات وتخلت عنه وافتتنت بلوثة التطور وطبقته على كل الأمور والمجالات بما في ذلك القيم.

وسياتي في هذا الباب ما فعله الغربيون منذ نبذ القيم والتحول عنها حتى جعلت المجتمع هو الذي يصنع القيم، وبذلك عكست المسألة، وهي أن القيم هي التي تصنع المجتمع، وبذلك اختلفت الموازين والمفاهيم والتصورات في الغرب وفقد المجتمع الغربي عنصر الثبات في الدين وفي القيم وفي مجالات السياسة والاقتصاد ونتج عنه نتائج وخيمة تنذر بانهايار ذلك المجتمع، وهذا ما أنا بصده في هذا الباب

مفهوم التغيير: في اللغة: التغير مأخوذ من غير، وغير يقال على أوجه:

الأول: أن تكون للنفي المجرد من غير إثبات معنى نحو: مررت برجل غير قائم أي: لا قائم.

الثاني: بمعنى إلا فيستثنى به، وتوصف بها النكرة نحو: مررت بقوم غير يزيد أي إلا يزيد.

الثالث: لنفي صورة من غير مادتها نحو الماء إذا كان حاراً غيره إذا كان بارداً.

الرابع: أن يكون متناولاً لذات نحو: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾¹ أي: "الباطل"²، وغير: "استثناء تقول: عشرة غير واحد، وغيرت الشيء تغييراً أزلته عما كان عليه فتغير هو"³.

يتبين مما سبق أن التغير في اللغة يأتي على معان، منها

1 - النفي المجرد من غير إثبات.

2 - الاستثناء وتكون بمعنى سوى.

3 - الإزالة من حال إلى حال.

4 - التحول من شيء إلى شيء

التغير في الاصطلاح: التغير، هو "عبارة عن تبدل صفة إلى صفة أخرى، مثل تغير الأحمر إلى الأبيض، والتغير إما في ذات الشيء، أو جزئه أو الخارج عنه، ومن الأول: تغير الليل والنهار، ومن الثاني: تغير العناصر بتبدل صورها، ومن الثالث: تغير الأفلاك بتبدل أوضاعها"⁴.

التغير هو: «انتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى»⁵ والتغير هو: كون الشيء بحال لم يكن له قبل ذلك، ويطلق على معنيين:

أحدهما: التغير الكلي وهو أن يتغير الشيء في ذاته حقيقة، مثل الخبز إذا صار لحماً بعد الأكل.

1 الأنعام، آية: 94.

2 الراغب الأصفهاني، المفردات، ص 918.

3 الفيومي، المصباح المنير، ص 237.

4 الكفوي، الكليات، ص 294.

5 الجرجاني، التعريفات، ص 87.

ثانيهما: "التغير التدريجي وهو: أن يتغير في كفيته مع بقاء صورته النوعية. فالتغير الأول يسمى كونا أو فسادا والتغير الثاني يسمى الاستحالة"¹.

ومن التغير "ما يكون في الجوهر وهو الذي يسمى بالكون المطلق والفساد المطلق، ومنه ما يكون في الكيف، وهو الذي يسمى استحالة، ومنه ما يكون في الكم، وهو الذي يسمى نموا ونقصا، ومنهما ما يكون في المكان، وهو الذي يسمى انتقالا، ومنه ما يكون في الزمان وهو الذي يسمى تتابعا، فإذا تغير الشيء في ذاته دفعة واحدة كان تغيره دفعا، وإذا تغير في الحكم، أو في الكيف، أو في الأين، شيئا فشيئا كان تغيره تدريجيا"².

من خلال التعريفات السابقة للتغير يتبين أن أقرب تعريف للتغير هو تعريف الجرجاني وهو: انتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى، وهو تعريف جامع مانع وقريب للصواب خاصة فيما يتعلق بتغير القيم.

المطلب الأول: أسباب التغير.

أولا: التغير في المكان.

القيم في الإسلام ثابتة في أصلها مرنة في تطبيقها. وهناك أسباب لتغير التطبيق تتعلق بالمكان، يقول ابن القيم رحمه الله: "الأحكام نوعان:

نوع لا يتغير عن حالة واحدة، هو عليها لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة، ولا اجتهد الأئمة كوجوب الواجبات وتحريم المحرمات، والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم، ونحو ذلك فهذا لا يتطرق إليه تغيير ولا اجتهد يخالف ما وضع عليه.

¹ التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون 490/1.

² جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص311.

والنوع الثاني: ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانه ومكانه وحا، كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها، فإن الشارع ينوع فيها بحسب المصلحة"¹.

ويقول رحمه الله في فصل تغير الفتوى بحسب تغير الأزمنة والأمكنة: "هذا فصل عظيم النفع جدا، وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه ما يعلم إن الشريعة الباهرة التي هي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به؛ فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل"².

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله ضرورة أن يعرف المفتي عرف السائلين فيحمل ألفاظهم على ما اعتادوه وعرفوه، وإن كان مخالفا لحقائقها الأصلية، وذكر أنه إذا لم يفعل ذلك ضل وأضل، وأنه يحصل بالجهل بهذا ضرر عظيم. ومن هنا تتغير الفتوى حسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال وهو أمر مقدر لدى العلماء، وليس هو تغيرا في أحكام الشريعة ونصوصها³.

وقد ضرب ابن القيم رحمه الله أمثلة كثيرة على قاعدة تغير الفتوى واختلافها، وبين أن الاختلاف فيها لاختلاف أحوال الناس وعاداتهم وظروفهم، كإنكار المنكر، وما يترتب عليه من المصالح أو المفسد وأن الحكم يتبع ذلك، وما جاء في الشريعة من النهي عن قطع الأيدي في الغزو وذلك "أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن تقطع الأيدي في الغزو"⁴، لئلا يكون ذريعة إلى إلحاق الحدود بأصحابها، ولهذا لا تقام الحدود في الغزو. الحدود في أرض العدو،

¹ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان 1/ 330 - 331 بتصرف.

² إعلام الموقعين عن رب العالمين 2/3.

³ عبد الله بن عبد المحسن التركي، أصول مذهب الإمام أحمد، ص 836-837 بتصرف.

⁴ أخرجه أحمد 4/ 181، وأبو داود 4408، والنسائي 91/8، والدارمي 2/ 150، عن بسر بن أرطاة، الحديث والترمذي، ح: 145، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي 2/ 134 ح: 145، مكتبة المعارف، الرياض..

وقد روى سعيد بن منصور في سننه عن الأحوص بن حكيم، عن أبيه، أن عمر كتب إلى الناس ألا يجلد أمير جيش ولا سرية رجلا من المسلمين أصاب حدا وهو غاز حتى يقطع الدرب قاف، لئلا تلحقه حمية الشيطان...¹.

وإسقاط عمر بن الخطاب رضي الله عنه حد القطع عام المجاعة ملاحظة للحالة التي يعيشها الناس، وذكر أن صدقة الفطر لا تتعين في الأنواع التي وردت في الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنه "فرض رسول الله زكاة الفطر صاعا من تمر، أو صاعا من شعير، على كلّ عبدا أو حرا، صغرا أو كبيرا"² لأنها كانت غالب أقواتهم بالمدينة، وعلى المجتهد أن يفتي في كل بلد بإخراج غالب قوتهم، وما يحقق الغرض من شرعية صدقة الفطر، وتكلم على رد صاع من تمر مع المصرة هل يتعين أو يرد صاع من قوت ذلك البلد الغالب، ولو لم يكن تمرة، وقد صحح الثاني.

ومن أمثلة ما تغيرت به الفتوى ما وقع من الخليفة عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - إذ كان واليا على المدينة، فكان يحكم للمدعي بدعواه، إذا جاء بشاهد واحد، وحلف اليمين، فيعد يمين المدعي قائمة مقام الشاهد الثاني، فلما ولي الخلافة، وأقام في عاصمة الدولة بالشام لم يحكم إلا بشهادة رجلين، أو رجل وامرأتين فسئل في ذلك فقال: لقد وجدنا أهل الشام على غير ما عليه أهل المدينة³. وما فعله عمر بن عبد العزيز في الشام لا ينافي ما جاء عن النبي أنه قضى بشاهد ويمين، فإن قضاء النبي صلى الله عليه وسلم بذلك يدل على جوازه ومشروعيته، ولا يدل على الوجوب والإلزام، الفرد فيجوز القضاء الواحد مع اليمين في

¹ ابن قدامة، المغني 8 / 474 مسألة: ولا يقام الحد على مسلم في أرض الغزو.

² رواه البخاري: 4 / 100 وفتح الباري 3 / 471، ورواه مسلم 2 / 564.

³ علي حسب الله، أصول التشريع الإسلامي، ص بتصرف 106، الطبعة الخامسة، 1394 هـ / 1979م، دار المعارف، مصر، وإعلام الموقعين 3 / 113 119 القضاء بشهادة شاهد ويمين صاحب الحق، تحقيق: عبد الرحمن الركيل، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

بعض الحالات، وتركه في حالات أخرى بناء على اعتبارات صحيحة كما فعل عمر ابن عبد العزيز.¹

أسباب التغير في المكان: المشقة: فمن رحمة الله عز وجل أنه لم يكلفنا ما نطيق قال تعالى: ﴿قَالَ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾² وأنه حينما تكون المشقة يكون التيسير والتخفيف، وحيث إن المكان بظروفه من سهولة ووعورة، وحر وبرد، وأمن وخوف، يتفاوت حسب الأمكنة؛ لهذا فإن الشرع المطهر؛ يدعو للتيسر والقاعدة الفقهية «المشقة تجلب التيسير» تعتبر أصلاً عظيماً من أصول الشرع المطهر لأن معظم الرخص منبثق عنها، بل إن هذا الأصل هو إحدى الدعائم التي يقوم عليها صرح الفقه الإسلامي كله³، قال الشاطبي رحمه الله: "إن الأدلة على رفع الحرج في هذه الأمة بلغت مبلغ القطع"⁴، فتبين ما يلي:

أ - تفسير الأحكام التي روعي فيها التيسير والمرونة، وأن الشريعة الإسلامية لم تكلف الناس بما لا يستطيعون أو بما يوقعهم في الحرج أو بما لا يتفق مع ما جبلوا عليه من غرائز، وما فطروا عليه من طبائع، وأن مراعاة التيسير والتخفيف في المكان مرادة ومطلوبة من الشارع الحكيم.

ب - أنه تفرع عنها من القواعد المشتملة على كثير جداً من الفروع التي استوعب أبواب الفقه كلها رغم تنوعها وتعددتها⁵؛ ومن أنواع المشاق المتعلقة بالمكان مشقة البرد في الوضوء والغسل، ومشقة الصوم في شدة الحر وطول النهار، ومشقة السفر للحج والجهاد ومشقة

¹ يوسف القرضاوي، مدخل لمعرفة الإسلام، ص 19 بتصرف.

² الشرح، آية: 5.

³ عبد الله بن عبد العزيز العجلان، القواعد الكبرى في الفقه الإسلامي، ص 91-92 بتصرف.

⁴ الشاطبي، الموافقات، 1/ 340.

⁵ عبد الله العجلان، القواعد الكبرى، ص 62.

الخوف، ومشقة الاغتسال للجنابة في شدة البرد بأن لا يجد مكانا يؤويه ولا ثوبا يتدفأ به، ولا ماء مسخنا ولا حماما له فجاز له التيمم¹.

ثانيا: التغير في الزمان.

تغير الأحكام بتغير الأزمان: والمقصود بتغير الأزمان تغير عرف الناس وعاداتهم بتغير الزمن، وقد يقتضي ذلك تغير في الحكم، فالله سبحانه وتعالى حين بدأ الخلق أباح تزوج الأخ بأخته ثم عندما بدأ الناس في التكاثر منع ذلك.

كما أن توبة الإنسان كانت تقع بأن يقتل التائب نفسه، ولكن عندما تغير الزمان، ولم يعد الناس قادرين على ذلك أزيل الحكم، وأصبح مقتصرا على مجرد الندم والإقلاع عن الفعل والعزم على عدم الرجوع إليه.

والأحكام القابلة للتغير بتغير الزمان هي التي تتعلق ببعض الفروع وليس بالأصول، ولابد أن تكون متماشية مع القواعد الشرعية العامة، أو تكون مسكوتا عنها، بحيث لم تأمر بها الشريعة ولم تنه عنها، وذلك كالمصالح المرسلة التي لم يشهد لها الشرع باعتبار ولا بإلغاء، كإحداث الدواوين في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكضرب السكة، وإحداث السجون، والتسعير الذي لم يكن موجودا زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم أقر بمرور الزمن وانتشار الفساد وظهور الحاجة إليه².

الأزمان وما يتعلق بها من الطاعات: هناك أزمان تختص بالفضل، وهناك مواسم زمنية تختص بعبارات متنوعة وظروف معينة، وقد أحببت ذكرها لبيان أسباب التغير في الزمان. أحدها: صلاة الكسوف والخسوف، وهما مختصتان بزمن الكسوف والخسوف.

¹ المرجع السابق، ص 29 بتصرف.

² محمد الطاهر الزرقي، عامل الزمن في العبادات والمعاملات، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، 52/1 بتصرف.

النوع الثاني: الصلوات المكتوبات وهي مختصة الأداء بالأوقات المعروفة جائزة القضاء بعد خروج الوقت.

النوع الثالث: الجمعات وهي مختصة بوقت الظهر لا تقبل القضاء

النوع الرابع: الصيام الواجب وهو مخصوص بشهر رمضان قابل للقضاء.

النوع الخامس: الصيام المندوب المعين الأوقات، كصيام الاثنين والخميس والأيام البيض وتسع ذي الحجة وعاشر الحرم.

النوع السادس: الضحايا وهي مؤقتة بيوم العيد وبأيام التشريق ولا تقبل القضاء إلا أن تكون مندورة.

النوع السابع: الحج وهو مؤقت عند بعضهم بشوال وذو القعدة وذو الحجة وعند آخرين بالشهرين المذكورين وعشر من ذي الحجة وعند الشافعي -رحمه الله- الشهرين المذكورين وتسع ليال من ذي الحجة.

النوع الثامن: العمرة ولا وقت لها خلافا لبعض العلماء.

النوع التاسع: الصلوات والأوقات كلها قابلة لها إلا الأوقات الخمسة المكروهات.

النوع العاشر: صيام التطوع والأوقات كلها قابلة له إلا رمضان والعيدان، وأيام التشريق، وأكثر اختصاص العبادات بالأماكن والأزمان¹.

وقد فضل الله بعض الأوقات على بعض، فالعمل في ليلة القدر خير من العمل من ألف شهر مع التساوي، وإذا كانت الحسنة في ليلة القدر أفضل من ثلاثين ألف حسنة في غيرها، مع أن تسبيحها كتسبيح غيرها، وصلاتها كصلاة غيرها، وقراءتها كقراءة غيرها، علم

¹ العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام 171/1-172 بتصرف.

أن الله يتفضل على عباده في بعض الأزمان مالا يتفضل به في غيره مع القطع بالتساوي، وليس ذلك إلا تفضلاً من الإله، إذا لا فرق بين وقت ووقت¹.

أسباب تغير الفتوى لارتباطها بالزمان والمكان: هذه القاعدة ثابتة وعليها من السنة النبوية وعمل الصحابة والتابعين والفقهاء من بعده قولاً وعملاً، ومنهج تشريع الأحكام من الكتاب والسنة دليل يستأنس به على تغير الأحكام تبعاً للمصالح، فثبوت النسخ، والتدرج ونزول الأحكام حسب المناسبات يؤيد ذلك.

1. النظر في المآل:

أ. قصة عبد الله بن عمرو فقد شكاه من أنه يبالغ في عبادته فيصوم كل يوم ويقوم كل الليل، فقال له الرسول: "إن لنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فصم وأفطر وقم ونم، إذا فعلت ذلك هجعت عينك ونفثت نفسك"².

ب. حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لولا أن قومك حديثي عهد بشرك لبنيت الكعبة على قواعد إبراهيم"³.

ج. منع عمر بن الخطاب الزواج بالكتابات رغم أن الله تعالى قد اعتبر ذلك أمراً حلالاً لما يترتب عليه من الضرر في ترك بنات المسلمين أو الوقوع في المومسات ويضيع الأولاد وتقسد الأخلاق.

2. تشريع حكم لحالة زمنية وربما يفهم أنه حكم مؤبد:

أ. عن عائشة رضي الله عنها قال: دف الناس من أهل البادية فحضرت الأضاحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ادخروا لثلاث وتصدقوا ما بقي."

¹ العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنعام. 26/1

² رواه البخاري، كتاب الصوم، باب حق الأهل في الصوم، ص 318، ح: 1977.

³ رواه مسلم، كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها 2/ 790 ح: 1333.

قالت: فلما كان بعد ذلك قلت: يا رسول الله قد كان الناس ينتفعون بضحاياهم فقال: إنما كانت نهيتكم للدافة التي دفت فكلوا وتصدقوا وتزودوا، وفي رواية: إنما فعلت ذلك من أجل الدافة¹. فالحكم هنا ليس دائماً وإنما هو مؤقت².

3. الاستثناء للحاجة:

أ. مثل النظر إلى المخطوبة لما يترتب عليه من مصالح واستمرار للحياة الزوجية، فغض البصر مأمور به ولكن لحاجة الزواج قال عليه الصلاة والسلام للمغيرة بن شعبه: "انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما"³.

ب. عن أبي هريرة رضي الله عنه لما فتح الله تعالى على رسوله مكة قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنما أحلت لي ساعة من النهار ثم هي حرام إلى يوم القيامة لا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد"، فقام العباس وقال: يا رسول الله الإذخر، فإنه لقبورنا وبيوتنا، فقال: "إلا الإذخر"⁴.

فقد استثنى مما حرم قدر الحاجة التي سألوها.

4. التأجيل في التطبيق دفعا للضرر:

التأجيل هو عدم تطبيق حكم معين في ظرف معين لما قد يحدث جراء التطبيق من مضاعفات قد تخل بمقصود الشارع، ومن الأمثلة:

أ. روى أبوداود بسنده إلى جنادة بن أبي أمية قال: كنا مع بسر بن أرطاة في البحر فأتي بسارق بختيه - أنثى الجمال طوال الأعناق. فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

¹ رواه مسلم، كتاب الأضاحي 3/ 1240، ح: 1971.

² عامر سعد الزبياري، مباحث في أحكام الفتوى، ص 89- 92 بتصرف.

³ رواه الترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء في النظر إلى المخطوبة 3/ 397 ح. 1970

⁴ رواه البخاري، ص 330 ح: 209، ورواه مسلم، 809/ 2 ح 445.

يقول: "لا تقطع الأيدي في السفر، ولولا ذلك لقطعته"، وفي رواية الترمذي: (في الغزو) بدل السفر¹.

ب. روى أبو يوسف بسنده عن زيد بن ثابت أنه قال: "لا تقام الحدود في دار الحرب مخافة أن يلحق أهلها بالعدو"².

5. عدم وجود المصلحة في تطبيق الحكم أو ما شرع الحكم له قد تغير: يكون الحكم
إذ أورد مطلقاً أو مقيداً بعلّة، لكنه إذا زالت العلة منه أو تغير السبب الذي شرع لأجله الحكم فيتغير، مثل: سهم المؤلفة قلوبهم، فقد أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم من الزكاة ومضى الأمر في عهد أبي بكر وهما عيينة بن حصن والأقرع بن حابس فلما علم عمر رضي الله عنه أخذ الكتاب منهما ثم ثقل فيه ومحاه وقال: إن رسول الله كان يتألفكما والإسلام يومئذ قليل، وإن الله قد أغنى الإسلام، اذهبا فاجهدا جهدكما، لا يرعى الله عليكما إن رعيتهما فترك أبوبكر الإنكار عليه.

6. السياسة الشرعية: هي عبارة عن استحداث أحكام زاجرة اقتضتها الحال ولم تكن في زمن النبي دفعا لمفسدة وجلبا لمصلحة، وقد يؤدي ذلك إلى تخصيص نص عام أو ترك ظاهره. مثل إحراق المصاحف بعد أن جمعها عثمان بن رضي الله عنه على مصحف واحد، ومثل إحراق علي بن أبي طالب لبعض الزنادقة³.

¹ رواه أبو داود والترمذي سبق تخريجه.

² الجصاص، أحكام القرآن 153/3

³ عامر سعيد الزبياري، مباحث في أحكام الفتوى، ص 93 98.

ضوابط تغيير الفتوى:

الضابط الأول: إن الأحكام الشرعية ثابتة لا تتغير بمرور الزمان ولا بتغير الأحوال، وإنما تتغير الفتوى بناء على أصول شرعية وعلل مرعية ومصالح جنسها مراد الله عز وجل ورسوله.

الضابط الثاني: إن الفتوى لا تكون بحسب الهوى والتشهي، واستحسان العباد واستقباحهم، ولا يصلح أن يكون تغير الزمان والأحوال سببا لتغير الفتوى، وإنما يصلح أن يكون هذا سبب يدعو المجتهد لإعادة النظر في مدارك الأحكام، فإذا تحقق من ضعف المدرك أو زواله أو ترجح غيره عليه لمصلحة معتبرة شرعا غير موهمة، نظر في أمر الفتوى معتمدا على الدليل الشرعي.

الضابط الثالث: إن تغير الفتوى مقصور على طائفة متخصصة وهم حملة الشريعة، وورثة الأنبياء أهل الاجتهاد والفتوى، فليس لأحد أن ينازعهم هذا الأمر ولا أن يقول على الله بغير علم.¹ والنصوص المحتملة، ومرد هذا التغير إلى:

1 - سعة الشريعة ومرونتها.

2 - التيسير ورفع الحرج عن المكلفين، وهو أمر مقطوع به في الشريعة، ظاهر لكل من تأمله.

3 - احتواء المسلمين جميعا على اختلاف بلدانهم وأزمانهم والوفاء بحاجاتهم، وإعانتهم على الالتزام والتطبيق، وعدم الهبوط عن المستوى العالي الذي يريده الشرع.

¹ عبد الله حمد الغطيميل، تغير الفتوى، مفهومه وضوابطه، مؤتمر تغير الفتوى في الفقه الإسلامي، جامعة أم القرى، ص 21-

4 - تحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل، ودرء المفاسد عنهم، فالشريعة كلها مصالح، إما درء مفاسد، أو جلب مصالح.

5 - التوسعة والرحمة¹.

6 - إعمال الرخص والاعتبار بالأعذار المبيحة لها، ومبررات تخفيف الأحكام، من مرض، وسفر، وخطأ، ونسيان، وإكراه، والله سبحانه بفضله قد تجاوز عن الخطأ والنسيان والإكراه ورفع إثمهم عن الأمة، من هنا جاءت هذه القواعد الفقهية كأساس في الحكم: «المشقة تجلب التيسير، الضرورات تبيح المحظورات.

7 - مناسبة التكليف لطاقة الإنسان وقدرته، فما يعجز عنه المرء لا يطالب به، فالتكليف مرهون بالقدرة، وإذا قصد الشارع تحقيق المصلحة، فإنها لا تكون إلا مع القدرة، وتنتفي إذا عجز المرء عن القيام بما يكلف به.

8 - فساد الزمان وانحراف أهله عن الجادة: وأيضا تغير العادات وتبدل الأعراف، وهذا منتزع من قواعد فقهية مثل: درء المفاسد مقدم على جلب المنافع، العادة محكمة، لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان، الضرر يزال.

على أن الوصول إلى هذه الدرجة لا يكون إلا من عالم باختلاف العلماء ومخارج العلم، موسوم بالإنصاف، يعرف الحق، ويرحم الخلق، واسع العلم... صاحب صلة بالحياة وما يدور فيها غير منسلخ عن الواقع².

ثالثا: التغير في الأحوال.

الأحوال في اللغة: الحال في اللغة: "مأخوذة من حولا من باب قال إذا مضى، ومنه يقال للعام: حول ولو لم يمض لأنه سيكون تسميته بالمصدر والجمع أحوال، وحال الشيء

¹ عبد الله شعبان، ضوابط الاختلاف في ميزان السنة، دار الحديث، القاهرة، ص 183-189 بتصرف.

² عبد الله شعبان، ضوابط الاختلاف في ميزان السنة، ص 184-185 بتصرف.

وأحوال وأحول إذا أتى عليه حول، والحال: صفة الشيء يذكر ويؤنث فيقال: حال حسن وحال حسنة، وقد يؤنث بالهاء فيقال حالة، واستحال الشيء تغير عن طبعه ووضعه¹.

تعريف الأحوال في الاصطلاح: الحال هي: ملابسات الشيء المحيطة به، فكل رغبة مرتبطة بالحال التي تنشأ فيها، فإذا تغيرت الحال لسبب ما ضعفت الرغبة وتغيرت، أو كذلك الحال تتعدل أو تتبدل تلبية للطوارئ التي تؤثر في محركات الفعل وبواعثه، ومسايرة لاختلاف الرغبات والغايات والأحوال ليس في قبضة الإنسان، بل هي كالرياح تجري بما لا تشتهي السفن، ولذلك تتغير أحوال الإنسان من وقت إلى آخر².

وهناك أحوال تمر بالمسلم تقتضي المصلحة الشرعية تغييرها حسب الأحوال مثل الحرب، والإصلاح بين الناس، أو حديث الرجل لامرأته وحديث المرأة إلى زوجها، فقد روى مسلم عن أم كلثوم بنت عقبة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: "ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيرا ويمني خيرا"³. قال ابن شهاب: "ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها"⁴.

وأهل العلم قالوا: إن المراد بالكذب في هذا الحديث التورية وليس الكذب الصريح، وقال التورية قد تسمى كذبا كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات: اثنتين منهن في ذات الله تعالى، قوله: إني سقيم وقوله:

¹ الفيومي، المصباح المنير، ص 84 مادة حول.

² محمد أحمد جاد المولى، الخلق الكام، مطبعة حجازي، 1936م، 52/1 بتصرف.

³ رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الكذب وبيان المباح منه، 4/ 1909 ح: 2700.

⁴ أخرجه الترمذي ح: 1939، وأحمد في المسند، وذكره الألباني في ضعيف سنن الترمذي برقم 1939، وقال: صحيح دون قوله ليرضيها، وذكره أيضا في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم 545.

بل فعله كبيرهم هذا، وواحدة في شأن سارة¹، وهو لم يكذب وإنما وري تورية هو فيها صادق، وسواء كان هذا أو هذا فإن الكذب لا يجوز إلا في الثلاث على رأي كثير من أهل العلم.

من أسباب التغير في الأحوال:

1 - التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرها ممن له ولاية وقدرة على إنصافه من ظالمه.

2 - الاستعانة على تغيير المنكر، ورد العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته: فلان يعمل كذا فازجره.

3 - الحاجة بأن يقول للمفتي: ظلمني فلان، أو أبي، أو أخي أو زوجي بكذا، فهذا جائز للحاجة.

4 - تحذير المسلمين من الشر، كجرح المجروحين من الرواة والشهود.

5 - أن ذكر المجاهر بفسقه أو بدعته كشارب الخمر فيجوز ذكره بما يجاهر به.

6 - التعريف: فإن كان معروفا بقلب، كالأعمش والأعرج والأزرق والقصير والأعمى جاز تعريفه به ويحرم ذكره بها تنقضا ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى².

وتحريم الغيبة ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، والصيغة الواردة في الكتاب والثابتة في السنة عامة عموما شموليا يقتضي تحريم الغيبة من كل فرد من أفراد المسلمين، وأما اغتياب المظلوم لظالمه فقد دل على جوازه قول الله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾³، فإذا الاستثناء قد أفاد جواز ذكر المظلوم للظالم

¹ أخرجه البخاري، ح: 3307، 3308. ومسلم/ 4 ح: 2371.

² شرح صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، 19/ 192 - 193 بتصرف.

³ النساء، آية: 148.

بما يبين للناس وقوع الظلم له من ذلك الظالم، ورفع صوته بذلك والجهر به في المواطن التي يجتمع الناس بها¹.

أمثلة على التغير في الأحوال: "روى ابن أبي شيبة بسنده أن رجلا جاء إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال: ألمن يقتل مؤمنا توبة؟ قال: لا، إلى النار. فلما ذهب قال جلساؤه: ما هكذا كنت تفتينا، فما بال هذا اليوم؟ قال: إني أحسبه مغضبا يريد أن يقتل مؤمنا، فبعثوا في أثره فوجدوه كذلك"².

وقد "روى سعيد بن منصور عن سفيان قال: كان أهل العلم إذا سئلوا عن القاتل قالوا: لا توبة وإذا ابتلي رجل (أي قتل بالفعل) قالوا له: (تب)"³.

وفي هذا المعنى ما أخرجه أبو داود "عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المباشرة للصائم فرخص له، وأتاه آخر فسأله عنها فنهاه، فإذا الذي رخص له شيخ، وإذا الذي نهاه شاب"⁴.

وأشهر من ذلك أن النبي كان يجيب عن السؤال الواحد بأجوبة مختلفة. وذلك لاختلاف أحوال السائلين، فهو يجيب كل واحد بما يناسب حاله، ويعالج قصوره أو تقصيره. فقد وجدنا من يسأله عن وصية جامعة فيقول "لا تغضب"⁵.

وآخر يقول له: "قل آمنت بالله ثم استقم"⁶. وآخر بقوله: "كف عليك لسانك"⁷.

¹ محمد بن علي الشوكاني، رفع الريبة عما يجوز من الغيبة، ص9 بتصرف.

² المصنف في الأحاديث والآثار، كتاب الديات، باب من قال ليس لقاتل المؤمن توبة 397/6.

³ أخرجه سعيد بن منصور في سننه، تفسير النساء، رقم الأثر: 795، سنن سعيد بن منصور 4/ 1397 تحقيق ودراسة: سعيد بن عبد الله الحمي انظر: ابن حجر، التلخيص الحبير 4/209.

⁴ ابن حجر، التلخيص الحبير، مؤسسة قرطبة، 1995م، 4/209.

⁵ رواه البخاري ح: 9191، فتح الباري 10/ 930.

⁶ رواه مسلم ح: 38 صحيح مسلم 7/1.

⁷ أخرجه الترمذي ح: 2616/4-362-364 وصححه الالباني في سنن الترمذي برقم 2616/3-4243

وكان أبو حنيفة في أول عهد الفرس بالإسلام، وصعوبة نطقهم بالعربية، يرخّص لغير المبتدع منهم بقراءة ما لا يقبل التأويل من القرآن في الصلاة باللغة الفارسية، فلما لانت ألسنتهم من ناحية وانتشر الزيغ والابتداع من ناحية أخرى، رجع عن هذا القول.

وروا عن العلامة الفقيه أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني صاحب الرسالة المشهورة في فقه المالكية وشيخ المذهب في وقته، أنه اتخذ كلبة للحراسة في داره فأنكر عليه بعضهم قائلاً: كيف تتخذُه وقد كرهه مالك؟ فكان جوابه: لو كان مالك في زماننا لاتخذ أسدا ضارية.

وفي كل مذهب من المذاهب المتبوعة، يجد الباحث أمامه أمثلة عديدة تغيرت فيها الفتوى من علماء المذهب، بتغير موجباتها، من الأمكنة والأزمنة والأحوال والعوائد¹.

¹ يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص248 بتصرف.

المطلب الثاني: مجالات التغير.

أولاً: التغير في العادات.

العادة في اللغة: تطلق على تكرار الشيء مرة بعد أخرى، يدل على ذلك ما جاء

في لسان العرب والقاموس حيث جاء فيهما: العادة الدين¹.

و"العادة ما اعتاد الناس عليه أو طائفة منهم، وعرفها صاحب تاج العروس بأنها تكرير الشيء دائماً أو غالباً على نهج واحد بدون علاقة عقلية. وقيل: ما يستقر² في النفوس من الأمور المتكررة المقبولة عند الطباع السليمة".

قال الكفوي: "العادة: ما استمر الناس عليه على حكم العقول وعادوا إليه مرة بعد أخرى"³. وذكر المناوي: "العادة: كل ما تكرر، واشتقاقها من عاد ويعود إذا رجع"⁴.

العادة: "ما استمر عليه الناس تطبيقاً لنص شرعي"⁵.

والعادة: "كيفية راسخة في النفس، أو هيئة مكتسبة تمكن صاحبها من أداء بعض الأفعال أو تحمل بعض المؤثرات في سهولة، فإذا كانت سريعة الزوال سميت حالة، وإذا كانت متعسرة الزوال سميت ملكة"⁶.

¹ علال الفاسي، مقاصد الشريعة ومكارمها، ص 155.

² السيد محمد أمين أفندي، الشهير بابن عابدين، مجموعة رسائل ابن عابدين/1، 114،

³ الكليات، ص 117.

⁴ زين الدين، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت-القاهرة الطبعة الأولى، 1410هـ-1990م، ص 233.

⁵ محمد قلججي، حامد قنيبي، معجم لغة الفقهاء، ص 299-300 بتصرف.

⁶ جميل صليبا، المعجم الفلسفي 40/3.

تعريف العرف في الفقه الإسلامي: العرف: "ما اعتاده الناس، وساروا عليه في جميع البلدان أو في بعضها سواء أكان ذلك في جميع العصور أم في عصر معين"¹...

الفرق بين العرف والعادة: اختلف العلماء في ذلك على ثلاثة أقوال هي:

القول الأول: أنه لا فرق بينهما. أي أنهما بمعنى واحد، وهذا هو رأي ابن عابدين الحنفي وغيره حيث قال في تعريفه للعرف: «فالعادة والعرف بمعنى واحد من حيث المصادق وإن اختلف من حيث المفهوم».

القول الثاني: إن العرف خاص بالأقوال والعادة خاصة بالأفعال.

القول الثالث: إن بينهما عموما وخصوصا مطلقا، فالعادة أعم من العرف مطلقا حيث تطلق على العادة الجماعية «العرف» وعلى العادة الفردية فكل عرف عادة ولا عكس².

شروط اعتبار العرف: العرف لا يكون معتبرا ولا صحيحا تبني عليه الأحكام في

الفقه الإسلامي إلا إذا توفرت فيه الشروط الآتية.

أولا: أن يكون العرف مطردا، أو غالبا.

ثانيا: أن يكون العرف عاما، ونازع فيه بعضهم.

ثالثا: ألا يخالف العرف موجودا أو قائما عند إنشاء التصرف.

رابعا: ألا يكون العرف موجودا أو قائما عند إنشاء التصرف.

خامسا: ألا يعارضه تصريح بخلافه.

¹ أحمد بن علي سير مباركي، العرف وأثره في الشريعة والقانون، ص30، الطبعة الأولى، 1412هـ / 1992م

² ابن عابدين، مجموع الرسائل، 114/2 وكسيرم الباركي، ص48 49، والمدخل الفقهي العام 2 / 879 وأحمد فهمي أبو سنة، العرف والعادة في رأي الفقهاء، ص 63 بتصرف.

سادسا: أن يكون العرف ملزما¹.

يقول عبد الوهاب خلاف: العرف ما تعارفه الناس وساروا عليه، من قول، أو فعل، أو ترك، ويسمى العادة، وفي لسان الشرعيين لا فرق بين العرف والعادة.

فالعرف العملي: مثل ما تعارفه الناس من البيع بالتعاطي من غير صيغ لفظية.

والعرف القولي: مثل تعرفهم إطلاق الولد على الذكر دون الأنثى، وتعارفهم

على أن لا يطلقوا لفظ اللحم على السمك.

العرف يتكون من تعارف الناس على اختلاف طبقاتهم عامتهم وخاصتهم بخلاف الإجماع، فإنه يتكون من اتفاق المجتهدين خاصة، ولا دخل للعامة في تكوينه.

أنواعه: العرف نوعان: عرف صحيح وعرف فاسد.

فالعرف الصحيح: هو: ما تعارفه الناس، ولا يخالف دليلا شرعية، ولا يحل محرما ولا يبطل واجبا، كتعارف الناس عقد الاستصناع وتعارفهم تقسيم المهر إلى مقدم ومؤخر.

وأما العرف الفاسد: فهو ما تعارفه الناس، ولكنه يخالف الشرع أو يحل المحرم أو يبطل الواجب، مثل تعارف الناس كثيرا من المنكرات في الموالد والمآتم². ولهذا قال العلماء: العادة شريعة محكمة، والعرف في الشرع له اعتبار، والإمام مالك - رحمه الله - بني كثيرا من أحكامه على عمل أهل المدينة، وأبو حنيفة - رحمه الله - وأصحابه اختلفوا في أحكام بناء على اختلاف أعرافهم، والشافعي - رحمه الله - لما هبط إلى مصر غير بعض الأحكام التي كان قد ذهب إليها وهو في بغداد؛ لتغير العرف، ولهذا له مذهبان قديم وجديد. والأحكام المبنية

¹ عبد الله بن عبد العزيز العجلان، القواعد الكبرى في الفقه الإسلامي، ص 94 بتصرف.

² علوم أصول الفقه، ص 89.

على العرف تتغير بتغيره زمانا ومكانا، لأن الفرع يتغير بتغير أصله، ولهذا يقول الفقهاء في مثل هذا الاختلاف: إنه اختلاف عصر وزمان، لا اختلاف حجة وبرهان¹.

ومع ذلك "فالمعتبر من جهة الشرع أنفس تلك العادات وعليها تنزل أحكامه، لأن الشرع إنما جاء بأمر معتادة، جارية على أمور معتادة"².

اختلاف العادات لا يعني تغير الشرع ونسخه: واختلاف الأحكام عند اختلاف العوائد ليس في الحقيقة اختلاف في أصل الخطاب. أي أنه ليس منسوخا؛ لأن الشرع موضوع على أنه دائم أبدي، فلو فرض بقاء الدنيا من غير نهاية والتكليف كذلك، لم يحتج في الشرع إلى مزيد. وإنما معنى الاختلاف أن العوائد إذا اختلفت رجعت كل عادة إلى أصل شرعي يحكم به عليها³.

في العادات المأكل: هناك آداب وسنن في الإسلام مطلوب العمل بها في عادات الأكل، سواء أكان الإنسان يأكل منفردا أم مع غيره، وهناك آداب وسنن مطلوبة إذا كان الإنسان يأكل مع غيره، وتسمى الأولى الآداب المطلقة في الأكل والثانية الآداب الاجتماعية في الأكل.

فالآداب المطلقة: التسمية، والأكل باليمين، والأكل من أمامه، والتواضع في جلسة الأكل، ولا يعيب طعاما، والكلام أثناء الطعام، واستحباب الأكل بثلاثة أصابع، والانتفاع بكل الطعام، وتجنب التنفس في الطعام والنفخ فيه، وتقليل الأكل، وغسل اليدين بعد الأكل، وشكر الله وحمده بعد الأكل.

وهناك آداب اجتماعية للأكل منها: أن يكون الذهاب إلى الطعام مسبقا بدعوة، وألا يحضر معه أحدا لم تتله الدعوة، ومنها مباسطة الضيوف ومؤانستهم، والعفة ومراعاة حق من يشاركه شعوره، الدعاء لمن أكل طعامه، الانصراف بعد الأكل بدون تأخر إلا لسبب.

¹ علم الأصول الفقه، ص 90 91، ويوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص 248.

² المرجع السابق 2 / 280. بتصرف.

³ الشاطبي، الموافقات 2 / 280 - 289 بتصرف.

كل هذه الضوابط قابلة للتغير والتبدل، ولكن الإسلام حرص على المسلم في جميع أحواله وفي جميع مراحل حياته لوقايته ورعايته وتهذيبه.

في المشرب: للشرب آداب وسنن شرعها رسول الله وعلم أمته التأدب بها لما فيها من الذوق الرفيع والكمال والصحة والنظافة ورعاية الحقوق الاجتماعية وآدابها، وهذه السنن هي: الشرب باليد اليمنى، أن تشرب قاعدا، التسمية في أوله، والحمد في آخره، التنفس ثلاثة خارج إناء الشرب، البداءة بمن هو على اليمين وإن كان أصغر، ساقى القوم آخرهم شربا، تحريم الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة، جواز الأكل والشرب في آنية غير المسلمين. هذه ثوابت في عادات الشرب، ولكن هناك مجال للتغير في ظروف معينة، فقد يصاب المسلم بألم في يده اليمنى فيشرب بشماله، قد يكون الزحام شديدا فيشرب واقفا، قد ينسى التسمية في بداية الشرب أو آخره فيعذر بنسيانه، قد يشرب في آنية الذهب والفضة جاهلا بحكمها أو ناسيا أو الضرورة ملحة فيعذر بنسيانه أو جهله وهذا من يسر الإسلام. وهذه "الأمر راعاها الإسلام ولكنه يعذر في حالة المرض أو الضرورة أو النسيان، فهناك مجال للتغير مراعاة لظروف الإنسان وضعفه في الحياة ومواقفها المختلفة"¹.

ومن الأمور المهمة في عادة الشرب ألا يشرب أثناء الطعام فإنه أجود في الطب، ولا يحب الماء عبأ، ويأخذ إناء الماء بيمينه ويسمى وينظر فيه ثم يشرب منه مصة، ويشرب مقطعا ثلاثا ويتنفس دون الإناء ثلاثة فإنه أروى وأمرأ وأبرأ².

في الملبس: وضع الإسلام ضوابط لما يلبس المسلم، فلا يلبس المسلم القصير ولا الطويل جدا، ولا يطيل الأكمام و الإزار أو القميص عن الحد المعقول، وكان عليه الصلاة والسلام يستحب اللباس الأبيض فهديه في اللباس أكمل الهدى³، وإذا تأملنا الملبس في تاريخ الإسلام

¹ حسن الشرقاوي، الأخلاق الإسلامية، دار المعرفة الجامعية 1998م، ص 160.

² ابن مفلح، الآداب الشرعية: 164/3 بتصرف.

³ زاد المعاد في هدي خير العباد 164/3 بتصرف. راجعه: طه عبد الرؤوف طه.

في البداية كان بسيطاً يتخذ من مواد الطبيعة كجلود الحيوانات أو أوراق الشجر، ثم تطورت أنواعه وأشكاله وأغراضه والمواد التي يصنع منها بتطور الحياة وتقدم الإنسانية، فصار يصنع من المنسوجات الصوفية والقطنية ومن ليف القنب ومن الكتان والحريز، ثم صارت بعض المنسوجات تصنع من خلط هذه المواد أيضاً، وزاد إتقان الغزل والنسيج وكثر استعمال الأصباغ والتفنن في النقوش، وزيادة على ما تقدم صارت الملابس تستعمل لإبراز معالم الجمال ولزيادة الجاذبية والفتنة وقوة التأثير كما استخدمت في بعض المجتمعات للدلالة على المراكز الاجتماعية للأفراد، حيث تميزت كل طبقة باللبسة خاصة بها من حيث موادها والوانها وطريقة خياطتها، ولبسها، وأصبحت فيما بعد مظهر من مظاهر الحضارة المادية، ومن أحسن الدلالات على مستوى المجتمع وأحواله وأوضاعه¹.

المستجدات الطبية: تطورت طرق العلاج عبر التاريخ الإسلامي، فكانت الأعشاب والأشجار والأدوية الشعبية والحمية والحجامة والكي والعسل²، والنبى صلى الله عليه وسلم أرشد إلى بذل الأسباب والبحث عن العلاج، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: "ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له شفاء"³، ووجه عليه الصلاة والسلام إلى بعض الأدوية النافعة كما جاء في كتب الطب النبوي.

وقد ظهرت مستجدات طبية حديثة غيرت العادات الطبية، وقد تطور الطب من الناحية العلمية فلم يعد الطبيب يمارس مهنته بمفرده، بل صار يقود فريقاً طبياً يتألف من فريق التمريض والفنيين والأخصائيين في مجال الأشعة والمختبرات والأجهزة والعمليات والتخدير وتخطيط القلب والتغذية والخدمة الاجتماعية والعلوم الطبية المساعدة، وتطورت أجهزة الطب تطورا

¹ صبيحة رشيد رشدي، الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية، ص3.

² عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار وإنهي امتي عن الكي رواه البخاري، كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث، ص 1006 ح 5680.

³ رواه البخاري، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، ص 1000، ح 5978.

عظيما، وأصبحت المراكز الصحية والعيادات والمستشفيات والمراكز الطبية المتخصصة على أعلى المستويات، وأصبحت العناصر الرئيسة للدعاية الطبية تتألف من ثلاثة عناصر رئيسة:

1 - التشخيص أو التعرف على المرض أو الإصابة.

2 - علاج المرض أو الإصابة.

3 - الارتقاء بالصحة ومنع المرض - ما يسمى بالطب الوقائي¹.

كل هذه التغيرات والمستجدات الطبية حصلت نتيجة التطور الذي حصل في المجتمع الإسلامي والجهود العلمية والاقتباس من علوم الآخرين بما لا يتعارض مع الإسلام، ما جعل عالم الطب يتوسع ويصل إلى درجات عالية من المهارة والكفاءة والتفوق، ومع ذلك فالقيم الإسلامية ثابتة لا تتغير، والتغير إذا حصل فهو في الفروع وليس في الأصول، وهو مرونة ويسر وسهولة تدل على سماحة الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان.

ثانيا التغير في الأفكار:

الفكر الإسلامي: الإسلام في مقابلة الفكر هو: ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعاليم في الكتاب والسنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منزهاً عن الخطأ، لأنهما من علم العليم الخبير مباشرة، وغير متأثرين بالزمان والمكان، فليس لمستوى الفكر في عصوره المختلفة، ولا للواقع المادي، وظروف البيئات عمل في تشكيلهما أو صبغهما بصبغة وقتية، أو واقعية مقيدة.

أما الفكر الإسلامي: فهو ما قام عليهما، واستتبط منهما، ودار في فلكهما بالعقل البشري المؤهل لذلك. ولأن جهاز هذا الفكر هو: العقل البشري أحد أجزاء الإنسان المخلوق المحدود بحدود الزمان والمكان، والمعرض لمؤثرات كثيرة في حركته ومن حركة الإنسان تفكيره، لذا فإن الفكر الإسلامي متأثر بالواقع المادي المتغير، وبالمستوى الفكري الذي يعيشه صاحبه في

¹ الموسوعة العربية العالمية 514/15-515 بتصرف.

زمنه، ومحدود في قدراته، ومن ثم فإنه غير معصوم من الوقوع في الخطأ والنقص، والخطأ هنا يعود إلى العقل المحدود الذي أنتج الأفكار لا إلى الأساس الذي قام عليه هذا الفكر وهو الوحي.¹

من مجالات التغير في الفكر الإسلامي الاجتهاد:

الاجتهاد في اللغة: بذل الوسع. وفي الاصطلاح: استقراغ الفقيه الوسع ليحصل له ظن بحكم شرعي، وبذل المجهود في طلب المقصود من جهة الاستدلال.²

الاجتهاد في الإسلام دليل قوي على قابلية أحكام الإسلام لمواجهة كل التغيرات والاختلافات والوقائع، وهو دليل كذلك على شمولية شريعة الإسلام ومرونتها وصلاحياتها لكل زمان ومكان خاصة في مجال الفكر، ففي الأصول الثابتة والأحكام الكلية تسير حركة الاجتهاد في الإسلام ملبية كل الاحتياجات، مستجيبة لكل المواجهات التي تفرضها طبيعة التطور والتغير، مستوعبة لكل ذلك في إطار القرآن والسنة، مع استخدام ذلك الباب العظيم في الإسلام وهو باب الاجتهاد الذي يعتبر لونا من الجهاد والعبادة، فمن أخطأ فيه فله أجر، ومن أصاب فله أجران.³

يقول الغزالي: "الاجتهاد ركن عظيم في الشريعة الإسلامية، لا ينكره منكر، وعليه عول الصحابة رضوان الله عليهم بعد أن استأثر الله برسوله، وتابعه عليه التابعون إلى زماننا هذا".⁴

¹ المرجع السابق، ص 17.

² الجرجاني، التعريفات، ص 24.

³ نادية شريف العمري، الاجتهاد في الإسلام، ص 197

⁴ المنحول من تعليقات الأصول، تحقيق: محمد حسن هيتو، ص 197

وبهذا يتبين أن وسائل الاجتهاد في هذا العصر قد توفرت وتيسرت بشكل لم يكن معروفا سابقا أيام كان المحدث پر حل من قطر إلى آخر لرواية حديث أو للتأكد من صحته¹.

والقرآن الكريم يحث البشرية على إعمال العقل، فيقول في آيات كثيرة:

لعلكم تعقلونه ولعلكم تتفكرون، وأفلا تعقلون، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾².

كل هذه الآيات ونحوها تطالب المؤمن بالبذل المتجدد في كل وقت وحين، سواء كان في مقام العبادات أم في مقام المعاملات أم في غير ذلك من أمور الدين والدنيا.

ذلك لأن الوقائع غير محددة ولا متناهية، والنصوص محدودة متناهية، فكان لابد من الاجتهاد للتعرف على الأحكام، تارة بالشورى وأخرى بالقياس على المنصوص، وثالثة بالإجماع، ورابعة بالرأي الذي تشهد له نصوص الكتاب والسنة بالقبول.

وبذلك يمكن أن تنزل الوقائع المستجدة على أحكام الكليات التي وردت بها النصوص الشرعية، فكان لابد من إعمال الذهن في الحوادث والوقائع، ثم في النصوص القرآنية والسنة النبوية لإدراك مناط التكليف وعلة الحكم فيها.

والحق أن الاجتهاد حركة علمية بناءة لبيان مقومات الشريعة الإسلامية، ومن أهم مرتكزات الحضارة الإسلامية، وسبيل تحقيق الإخلاص للشريعة، وطريق من طرق الحفاظ على خلودها وصلاحياتها لكل زمان ومكان، ووسيلة التعرف على الأحكام الشرعية لما يجد من حوادث وقضايا دائمة الطرء على الحياة مما يرعى خاصية ختم الشرائع بالشريعة الغراء،

¹ نادية شريف العمري، الاجتهاد في الإسلام، ص 250 204 بتصرف.

² آل عمران، آية 190.

وهذا هو الذي يوضح سر إتيان نصوصها بالقواعد الكلية مما يجعلها حية ومرنة وقابلة لتغطية حاجات الناس¹.

يقول الإمام الشافعي - رحمه الله -: "كل ما نزل بمسلم ففيه حكم لازم، وعلى سبيل الحق فيه دلالة موجودة، وعليه إذا كان فيه بعينه حكم اتباعه، وإذا لم يكن فيه بعينه طلب الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد"².

ومن أجل ذلك فإن القرآن الكريم يجعل للعلماء ولأهل الذكر والاستنباط منزلة سامية، ويأمر الناس بالرجوع إليهم فيما يحتاجون إليه فيقول جل ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾³، والمراد بأولي الأمر العلماء الذين يفتون في الأحكام الشرعية، ويعلمون الناس شؤون دينهم، وهذا التفسير هو الذي نقل عن ابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك⁴.

يقول الشاطبي - رحمه الله -: "إن الوقائع في الوجود لا تنحصر، فلا يصح دخولها تحت الأدلة المنحصرة؛ ولذا احتيج إلى فتح باب الاجتهاد من القياس وغيره"⁵.

من مجالات التغير في الفكر الإسلامي: التجديد:

التجديد يعني جعل الشيء جديداً، فتجديد الدين يعني إعادة نضارته ورونقه وبهائه وإحياء ما اندرس من سننه ومعالمه ونشره بين الناس⁶.

¹ نادية شريف العمري، الاجتهاد في الإسلام، مؤسسة الرسالة 1984م، ص 259 / 290 بتصرف.

² الرسالة، ص 477، الفقرة 1329.

³ النساء، آية 58.

⁴ الإمام الفخر الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنگي 116/10.

⁵ الموافقات في أصول الشريعة 476/4 مسألة أنواع الاجتهاد شرح وتخريج: عبد الله دراز.

⁶ المنتدى الإسلامي، التجديد في الإسلام الجزء الأول، ص 39.

و"التجديد المقصود المنشود ليس تغيير في حقائق الدين الثابتة القطعية لتلائم أوضاع الناس وأهواءهم، ولكنه تغيير للمفاهيم المترسبة في أذهان الناس عن الدين ورسم للصورة الصحيحة الواضحة، ثم هو بعد ذلك تعديل لأوضاع الناس وسلوكهم حسبما يقضيه هذا الدين"¹.

حديث المجدد: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"².

وعن المغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون"³.

يقول ابن حجر - رحمه الله - بعد سياق الخلاف في المجدد أفرد أم جماعة: "لا يلزم أن يكون على رأس كل مائة سنة واحد فقط، بل يكون الأمر فيه كما ذكر في الطائفة، وهو متجه في اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لانحصار في نوع من أنواع الخير، أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد، إلا أن يدعي ذلك في عمر بن عبد العزيز فإنه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى باتصافه بجميع صفات الخير، وتقدمه فيها؛ ومن ثم أطلق الإمام أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عنه وأما من جاء بعده؛ فالشافعي وإن كان متصفا بالصفات الجميلة إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد، والحكم بالعدل، فلعل هذا كل من كان متصفا بشيء من ذلك عند رأس المائة هو المراد؛ سواء تعدد أم لا"⁴.

¹ المرجع السابق، ص 42.

² رواه أبو داود ح: 291. ورواه الحاكم في المستدرک 522/4 راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني 2 / 100، المكتب الإسلامي.

³ فتح الباري شرح صحيح البخاري 363/13 ح 7311

⁴ فتح الباري 366/13

مجالات التجديد:

التجديد في مجال العقيدة: والمقصود هنا تخليص العقيدة من الإضافات البشرية لتصبح نقية صافية، ليس فيها أثر لصنع البشر وآرائهم وفلسفاتهم، ولتفهم بالبساطة الواضحة التي فهمها سلف هذه الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

التجديد في مجال النظر والاستبدال: وذلك بإحياء الحركة العلمية التي تهدف إلى دراسة القضايا الشرعية كلها دراسة مبينة على الدليل الشرعي الصحيح بعيدة عن عصبية المذاهب... ولا بد من صياغة المنهج السليم للتفقه من خلال استقراء طريقة السلف الصالح¹.

التجديد في السلوك الفردي والاجتماعي، وذلك بالعمل على صياغة حياة المسلمين صياغة إسلامية شرعية، فالانحراف السلوكي بات خطيرا حقا في حياة المسلمين، وأصبحت طريقة الوعظ والتعليم لا تفي بالغرض؛ لأنها لا تربط المعاني بقضايا سلوكية واقعية يجب أن تعالج.

التجديد في فضح المناهج والاتجاهات والأوضاع والمبادئ والسبل المخالفة للإسلام فيحيى من حيي عن بيئة ويهلك من هلك عن بيئة، ولقد كان من مهمة الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه كشف طريق الضلال لئلا يلتبس بطريق الحق².

كما يشمل التجديد تنقية الإسلام مما يلحقه على مر السنين من أمور تخالف القرآن والسنة وهذا أمر بدهي وتقتضيه العودة إلى عهد النبي وخلفائه الراشدين، كذلك التصدي للمستحدثات التي تستجد في كل عصر لبيان حكم الشريعة في هذه الأمور المستحدثة، وهذه تعيد للإسلام وظيفته المعطلة وهو وجوب تحكيم الشريعة في كل ما يستجد من الأمور؛ لأن الشريعة الإسلامية لها حكم في كل واقعة تقع في الدنيا إلى يوم القيامة، فواجب المجدد أن

¹ المنتدى الإسلامي، التجديد في الإسلام، ص 47 48، ومحمد حامد الناصر، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، ص 308-359 بتصرف.

² المنتدى الإسلامي، التجديد في الإسلام، ص 48 49، وانظر: محمد حامد الناصر، العصرانيون، ص 359-360 بتصرف.

يتصدى لكل مستحدثات عصره، ولا يستطيع أحد أن يغمض عينيه ويوهم نفسه أن الأمور لم تتغير من عهد النبوة، بل على المجدد أن يتصدى لعصره بالحق حتى لا تنفلت عقد المسلمين. وتفسح الشريعة الإسلامية الفرصة للعقل البشري لكي يجتهد بحسب تغير الزمان والمكان دون الخروج عن نطاق هذه المبادئ الواسعة¹.

والحياة الإنسانية من الوجهة العضوية والنفسية والاجتماعية قائمة على ثوابت ومتحولات وكذلك المؤسسات والمنظمات الإنسانية ينبغي أن تكون قائمة على هذا الأساس الأصيل. هكذا فعل الإسلام خاصة في موضوع الدولة إذ جعل لها مسالك ومعالم ثابتة مما تقتضي الحياة والأخلاق ثباتها كالعدالة والشورى مثلا وترك الأشكال والتفاصيل والقواعد التنظيمية متبدلة متحولة يحددها الفكر والتجارب البشرية بحسب خصائص الأطوار الاجتماعية².

¹ عباس حسني، اتجاهات النهضة والتغيير في العالم الإسلامي، مكتبة السلام العالمية، 1982م، ص 157- 191 بتصرف.

² محمد المبارك، نظام الإسلام الحكم والدولة، دار الفكر 1989م، ص 183 114 بتصرف.

المبحث الثاني: التغير في قيم مرجعية الفكر الغربي.

سعت المدارس الغربية جاهدة للبحث عن القيم؛ وخصوصا المدرسة البرجماتية والمدرسة الاشتراكية لإثبات حقيقة علمية أصيلة هي ثبات القيم عند المسلمين وتغيرها وتذبذبها عند الغرب، مع نقد ما وصل إليه الغرب من انحطاط وتخلف في القيم، كل ذلك لبعدهم عن الدين، وانحرافهم عن المنهج الأصل، وتمسكهم بنظريات بشرية أرضية.

المطلب الأول: التغير في أصول القيم.

أولا: التغير في المدرسة الذرائعية

الذرائعية: اتجاه مثالي ذاتي واسع الانتشار في الفلسفة الحديثة.

والذريعة هي الوسيلة وجمعها ذرائع. والذرائعية تقرر أن الأفكار والنظريات والمعارف والنتائج والغايات؛ وسائل وذرائع دائمة لبلوغ غايات جديدة، وتعديل وتوضيح المعايير والمعارف دوما في ضوء الخبرات المتراكمة؛ أي أنها ذرائع لمزيد من العمل، والعلة الذرائعية هي العلة الأداة لإحداث النتيجة، والمنطق الذرائعي هو الذي يبني أحكامه على التجربة، وقد طور الذرائعية ثلاثة فلاسفة أمريكيون: تشارلز بيرس¹، ووليم جيمس²، وجون ديوي. وقد

¹ هو تشارلز ساندوز بيرس 1839-1914 أمريكي ولد في كمبرج بالولايات المتحدة، وكان أبوه من أكبر علماء أمريكا في الرياضيات ومعلمها بجامعة هارفارد وبها تعلم بيرس وتخصص في الرياضيات والفلك ودرس الكيمياء ثم انصرف إلى الفلسفة، كان له دور في نشر الفلسفة الذرائعية، عرض بيرس أفكاره الأساسية لمذهبه الذرائعي في مقال عنوانه: كيف نجعل أفكارنا واضحة، وربط الفكر بالممارسة، وقد أسهم بأفكار اتسمت بالأصالة فيما يتعلق بنظرية التطور، ودور المصادفة في نشأة الكون، والعقل البشري وحقيقة الوجود الإلهي. انظر: عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ص120، وانظر: الموسوعة العربية العالمية 400 وانظر: الندوة العالمية، الموسوعة الميسرة 842/2.

² وليم جيمس 1892-1910م فيلسوف وطبيب أمريكي من أصل سويدي، ويعد مبتكر كلمة البرجماتية في الفلسفة المعاصرة، حاضر بها في التشريح ووظائف الأعضاء وانتقل بعدئذ إلى علم النفس والعلاقة بين التجربة والتفكير والسلوك، ويعد كتابه مبادئ علم النفس الذي أصدره عام 1890م عمدة في موضوعه ولم تشبع دراسة وظائف الأعضاء وعلم النفس رغبة جيمس في التعرف على النفس البشرية، فقد كان في المقام الأول فيلسوفا يؤمن بأن الأهمية العليا للأفكار، وكان

وضع بيرس هذه الفلسفة، ونشرها جيمس ووسعها ديوي لتشمل مناحي الحياة الرئيسية، وقد فسر كل واحد من هؤلاء الذرائعية بطريقته الخاصة.

وقد ظهرت الذرائعية عام 1898 م عندما أعاد جيمس صياغة أفكار بيرس في لغة أكثر شعبية ويتضمن تفسير جيمس للذرائعية بأن معنى فكرة مجردة تحدده تأثيرات الفكرة على الشخص الذي يعتقد بها. وكتب جيمس أن الفكرة الصحيحة هي التي يمكن إثبات صحتها، والتي تعمل والتي تقنع، واستنادا لهذا المفهوم فإن الحقيقة قابلة للتغير. وبما أن الفكرة الصحيحة هي الفكرة التي تتفق مع الواقع، فقد خلص جيمس إلى أننا نستطيع أن نجعل الأفكار الصحيحة بأفعالنا ونغير العالم الذي نحيا فيه.

وقد طور الذرائعية جون ديوي وناصر الرأي القائل بأنه يجب استخدام الأسلوب العلمي من أجل إعادة صياغة التعليم والأخلاق والسياسة والمجتمع، وأصبحت الذرائعية أكثر الحركات الفلسفية أهمية في الولايات المتحدة، وقد دعت الذرائعية بأنها فلسفة أمريكية نموذجية بسبب تفاؤلها العميق وتأكيدها على العمل وإيمانها بمستقبل يمكن تغييره بواسطة الأفكار والجهود البشرية، ويعتقد الكثير بأن الذرائعية تعبر عن جوهر الشخصية الأمريكية.

والذرائعية مذهب فلسفي اجتماعي يرى أن الحقيقة توجد في جملة التجربة الإنسانية لا في الفكر النظري البعيد عن الواقع، وأن المعرفة آلة أو وظيفة في خدمة مطالب الحياة، وأن صدق قضية ما: هو في كونها مفيدة للناس، وأن الفكر في طبيعته غائي.

وقد أصبحت الذرائعية طابعا مميزا للسياسة الأمريكية وفلسفة الأعمال الأمريكية كذلك؛ لأنها تجعل الفائدة العملية معيارا للتقدم بغض النظر عن المحتوى الفكري أو الأخلاقي أو العقائدي¹.

¹ م. روزنتال، ب. يودين، الموسوعة الفلسفية، ص 217 بتصرف، وينظر: عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ص 202. والموسوعة العربية العالمية 10/638-639 والندوة العالمية للشباب، الموسوعة الميسرة 2/842.

التغير في أصول القيم عند البرجماتية:

الدين: يرى بيرس: أن معنى الفكرة يتوقف على آثارها العملية في حياة الإنسان، فالكلمة أو العبارة مشروع للعمل أو خطة لحل إشكال، وكل فكرة لا تتحول عند صاحبها إلى سلوك ناجح في دنيا الواقع فهي باطلة، ومثل ذلك يقال في المعتقدات الدينية والمفاهيم الأخلاقية.. فالحق أو الخير يقاس بمقياس العمل المنتج وليس بمنطق العقل المجرد كما كان الحال عند أصحاب النزعة الصورية من الفلاسفة؛ وسار وليم جيمس في هذا الطريق نفسه، فالفكرة أو المعتقد لا يطلب لذاته، وإنما يطلب لترقية حياتنا وتحقيق أغراضنا، إن الحق أو الخير كالبضاعة المطروحة في السوق، قيمتها يحددها الثمن الذي يدفع فيها فعلا، وهو القيمة المنصرفة.

وقد كان وليم جيمس منذ نشأته يميل إلى التدين، وقد برر التدين تبريرا فلسفيا سيكولوجيا، فأقام الدليل على التجربة وحاول أن يطبق عليه منهجه البرجماتي، وكانت دراساته في هذه سيكولوجية، برجماتية، ويبدأ جيمس بالقول بأن الإيمان الديني هو استعداد للسلوك وإلا كان مجرد فرض ميت، وليست العقيدة عنده إلا مجرد فرض أمكن تحقيقه عند صاحبه تجريبيا، والاعتقاد يتحقق بالتجربة عن طريق ما يترتب عليه من نتائج نافعة، وكان جيمس حريصا على أن يثبت أن اعتناق الدين والإيمان بالله حق، لأنه يتحول عند المؤمن إلى سلوك ناجح في حياته، فالإيمان يساعد صاحبه على احتمال الكوارث ويجعله أقدر على الصبر والعمل، بعكس الإلحاد الذي إذا نزلت بصاحبه كارثة قد تدفعه إلى الانتحار أو اليأس من الحياة والتوقف عن العمل¹.

الحق:

رفض البرجماتيون منهج أتباع المذهب الصوري أو النزعة المنطقية من الرياضيين الذين يرون أن الحق معنى مطلق يقوم مستقلا عن تجارب الإنسان، أو صفة عينية تقوم في الموجودات مستقلة عن وجود عقل يدركها أو عدم وجوده، فرفض أصحاب الفلسفة البرجماتية

¹ توفيق الطويل، فلسفة الأخلاق، ص 299-297. بتصرف.

هذا التصور، وأنكروا وجود حقائق موضوعية وقيم مطلقة، واعتبروا الحقيقة اختراع شيء جديد وليس اكتشاف شيء موجود، ومقياسها يقوم في مدى نفعها في دنيا العمل، إذ ليس للحياة من هدف إلا العمل المنتج، من هنا وجب أن يسخر العقل في تسيير حياة الإنسان وإشباع رغباته، وألا يشغل نفسه بالبحث في حقائق الأشياء وطبائع الموجودات إلا متى حقق البحث نفعاً، بل أوجبوا على الإنسان أن يهتم بوضع الخطط التي تمكنه من السيطرة على الأشياء وتسخيرها لصالح الإنسان، ويصدق الحكم بمقدار ما تشهد التجربة بفائدته عقلياً وعملياً.

معيار الصواب: هو المنفعة أو العمل المنتج وليس حكم العقل النظري.

أما "الحقائق المطلقة والقضايا الميتافيزيقية عند البرجماتية فهي غير مقبولة إلا إذا كانت مفضية إلى نفع يتحقق في حياة الإنسان"¹.

وأما جون ديوي² فيرى أن الفكرة لا تكون صواباً ما لم تتحول إلى سلوك ناجح في حياة الإنسان، فالحق هو النتائج الموفقة التي تترتب على اعتناقه، وجاهر ديوي بأن الفكرة هي اقتراح لحل اشكال، أو خطة للتغلب على صعوبة، أو مشروع للتخلص من مأزق، فهي في كل الحالات أداة للعمل، وبمقدار نجاحها في توجيه سلوك الإنسان بمقدار حظها من الصواب، ويجاهر ديوي أيضاً بأن الحق هو التحقق من منفعة الفكرة بالتجربة ولا يمكن أن يكون شيئاً آخر، والحياة عنده توافق بين الفرد وبيئته، فالعقل أداة لترقية الحياة وليس للمعرفة، وصواب المعتقد مرهون بأثره، أي: بقيمته المنصرفة كما قال جيمس من قبل، وأصبح صواب الفكرة أو المبدأ معناه تكيفه مع حياة الآخرين ومعتقداتهم لا مع حياة صاحبه العملية وحدها، والفكرة أداة الخدمة الحياة والإنسان لا بزوال التفكير متي جرت حياته لينة ناعمة، وإنما يباشر التفكير حين يعوق رغباته عائق فيفكر لكي يتخلص من هذا العائق ويتغلب عليه.³

¹ وليام جيمس، إرادة الاعتقاد، ص 43-81 المحاضرة الثانية، 1993 نقلاً عن الطويل، فلسفة الأخلاق، ص 15 وينظر: المرجع السابق، ص 290-299.

² ديوي الشروط المنطقية في معاملات الأخلاق، ونظرية القيمة نقلاً عن توفيق الطويل، لسفة الأخلاق، ص 298.

³ توفيق الطويل، فلسفة الأخلاق، الطبعة الأولى 1953م، ص 299 بتصرف.

الأخلاق:

مقياس الخير والشر في مجال الأخلاق هو نفسه مقياس الحق والباطل في مجال المعرفة، وهي منفعة الإنسان، وقد اتفق البرجماتيون مع السفطائية في رد القيم إلى الإنسان، ولكنهم خالفوا السفطائية وجعلوا الإنسان وليس الفرد هو معيار الفرد، والمقصود التجربة الإنسانية.

الخير في نظر البرجمائين هو الحل الموفق لكل ما يعوق اضطراب التقدم الاجتماعي، وهو الذي يسهم في حل مشكلة تواجه الإنسان، و"القيم بمختلف صورها خلقية أو منطقية أو اقتصادية نسبية، فهي مجرد وسائل لتحقيق غايات هي الخيارات بوجه عام".¹

موقف وليم جيمس: هكذا يكون الفعل الذي يأتيه الفرد خيرا متى تحول عند صاحبه إلى سلوك ناجح في حياته، وخيريته تتوقف على تقدير صاحبه، ومن هنا ذهب إلى أن الفعل الفاضل هو الذي يشبع عند صاحبه رغبة أو يحقق له منفعة، وبمقدار ما تكون هذه النتيجة بمقدار حظه من الخير، هذه قاعدة الخير عند الفرد وهي نفسها معيار الخير عند الجماعة، فالمثال الأعلى هو الذي يشبع أكثر ما يمكن من رغبات الإنسان، وكل إنسان أعلم بظروفه، فالأمر متروك لتقدير كل فرد، "إذ ليس من شأن الفلسفة الخلقية أن تقدم للناس المواعظ التي تصلح لكل إنسان".²

وإن لم يمنع هذا من القول بأن البرجماتية قد أقرت قاعدة لجميع الناس: هي معيار الحق ومقياس الخير وغيره من القيم، هذه القاعدة التي تقول: إن الفكرة أو المبدأ حق متى تحول عند معتقه إلى سلوك ناجح في حياته، وهكذا "سخر العقل في الفلسفة البرجماتية لتيسير

¹ توفيق الطويل، فلسفة الأخلاق، ص 299، والطويل، مذهب المنفعة العامة، ص 263-264

² وليم جيمس، إرادة الاعتقاد نقلا عن: الطويل، فلسفة الأخلاق، ص 297.

أسباب الحياة وإشباع الرغبات، ولم يعد معنية بالبحث عن حقائق الأشياء ووضع المبادئ المطلقة والمثل العليا ونحوها مما قالت به الفلسفة المثالية¹.

موقف جون ديوي: يرفض ديوي رد المثل والمبادئ إلى سلطة خارجية، فهي عنده ليست من وضع الفلاسفة كما قال المثاليون، ولا هي وليدة اجتماع الناس بعضهم ببعض كما قال الوضعيون، ولا هي وحي من السماء كما يقول رجال الدين، وإنما تنشأ المثل العليا نتيجة لظروف الإنسان، تنبعث من محيطه وتهدف إلى تغيير حياته، وهي تتغير وفقا للظروف، لأنها مجرد أدوات يستخدمها الإنسان لخدمة حياته، وإن مذهب الذرائع عنده يقول إن الأفكار والمثل والمبادئ مجرد ذرائع ووسائل يستعين بها الإنسان في توجيه سلوكه إلى حيث تتحقق مطالبه وغاياته².

هكذا أنكر ديوي وجود مبادئ ثابتة في التقاليد الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والإسلامية والعلمية كما سيأتي في التغير في مجالات القيم.

النسبية الأخلاقية عند البرجماتيين: نظرية النسبية الأخلاقية مذهب من يقرر أن "فكرة الخير والشر تتغير بتغير الزمان والمكان، من غير أن يكون هذا التغير مصحوبة بتقدم معين"³.

والنسبية الأخلاقية: هي وجهة النظر التي تقول بأن "صواب أي فعل أو حكم، إنما يكون بالنسبة للظروف أو المواقف التي جرى فيها الفعل أو صدر في إطارها الحكم"⁴.

وهي وجهة ترى أن المستويات الأخلاقية مجرد اعتقادات وأنها ليست ملزمة بالانطباق على المبادئ العامة للسلوك، وأنه من المستحيل إيجاد تفسير أخلاقي صحيح لفعل ما. "وتفضي

¹ توفيق الطويل، فلسفة الأخلاق، ص 298، وانظر: الطويل، مذهب المنفعة العامة، ص 271 272.

² توفيق الطويل، فلسفة الأخلاق، ص 300 بتصرف.

³ جميل صليبا، المعجم الفل سفي 466/2

⁴ عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ص 482

النسبية إلى نفي إمكان وضع أخلاق علمية، وتؤدي أيضا إلى تبرير اللا أخلاقية¹. وجون ديوي يرفض القول بمبادئ أو قيم ثابتة حين يقول: "إن ما يزعمه الناس من الأخلاقيات تقتضي مبادئ ثابتة لا تتغير على مر الزمان، ومعايير ومقاييس وغايات ثابتة، بوصفها الحماية الوحيدة الأكيدة التي تصون الأخلاق من الفوضى، وهذا الزعم لم يعد في استطاعته أن يتجه الآن إلى العلم الطبيعي يلتزم منه التأييد، ولم يعد يتوقع أنه يستطيع أن يبرر على أساس العلم إعفاءه الأخلاقيات العلمية منها والنظرية من اعتبارات الزمان والمكان أي إعفاءها من عملية التغير².

إن "النسبية عند جون ديوي تشمل أسلوب الحياة العملية كما تشمل أيضا القيم العليا، فهي أيضا نسبية متغيرة وهي من صنع الأفراد"³.

"إن النسبية في القيم ليست من عوامل تقدم القيم وإنما من عوامل انهيارها، فإذا ما أبيع مبدأ النسبية فإنه سيصبح مفاهيم متعددة مختلفة متنوعة بتنوع الأفراد، كما يصبح كل شيء مباحا، ويفسر الخير حسب أهواء الأفراد ومصالحهم، كما تفسر العدالة تفسيرا ذاتيا، وبما يخدم الأغراض الشخصية أو تحقق حولها ويبنى عليها الحكم الأخلاقي، إن الاعتراف بنسبية القيم يعني إلغاء كافة القواعد الأخلاقية والقيم المعيارية في المجتمع"⁴، "فإن نسبية القيم مناقضة لحياة الجماعة، لا نستغرب بعد هذا أن نجد المجتمعات التي تأخذ بها قد تحولت إلى مجتمعات ذئاب يحكمها قانون بيولوجي «البقاء للأقوى»، وأن تصبح كل الوسائل صالحة للانتصار على الخصم - الأفراد الآخرين - وأن يستحيل فيها أي حكم

¹ روزنتال، بيودين، الموسوعة الفلسفية، ص 526

² جون ديوي، تجديد في الفلسفة، ص 19- 91 بتصرف، ترجمة: أمين مرس قنديل، مراجعة: زكي نجيب محفوظ.

³ هنية القماطي، الأخلاق والعرف، ص 134

⁴ المرجع السابق، ص 132.

قيمي؛ إذ لكي نقيم فعلا من الأفعال نحتاج إلى قاعدة نعتمد عليها وأن تكون هذه القاعدة متفقا عليها".¹

إذا كانت النسبية في الأخلاق تخص المبادئ والقيم والمعايير العامة في المجتمع بحيث تختلف هذه المبادئ مع اختلاف الأفراد داخل المجتمع، وبتغير الزمان والمكان فإنها بحسب الرأي السابق تصبح شرا على المجتمع وتسعى إلى نشر الفوضى والفساد وانعدام الاستقرار فالقوي يبقى والضعيف يموت وينتهي، أي أن تفسير الأخلاق يعتمد على قناعات الأفراد الشخصية الفردية، فكل فرد يرى الخير من زاوية تحقيق أهدافه الخاصة والآخر كذلك وهكذا. وهذا يؤلف خطرة بالغ الأهمية على حياة المجتمع بصفة عامة. بل يؤدي إلى انهيار القيم والمبادئ الأخلاقية في المجتمع وتعم الفوضى في جميع المجالات².

يقدم جون ديوي أسباب عديدة لظهور الاعتقاد بالأفكار والقيم المطلقة في الماضي:

السبب الأول: التصور القديم لفلسفة وعلماء، للعالم والأشياء مقابل التصور الحديث ويتجلى ذلك في:

أ. وضع العالم: "كان عند الفلاسفة والعلماء عالم مغلق ثابت، يعد فيه غير المتحرك، أسمى صفة وسلطان من المتغير حسب تقسيم أرسطو وجميع الفلاسفة الوسيطيين للعالم إلى عالم الثبات وهو السماوي وعالم الكون والفساد -أي: التغير. وهو العالم الأرضي الطبيعي"³.

ب. الطبقة الغائبة: العالم طبقات تبدأ من أخسها المادة، فالمعادن، فالنبات، فالحيوان، فالإنسان، فالموجودات العليا. وبعضها تخدم بعضا ويهدف لمحاكاته، فالعالم مرتب ترتيبا أرسقراطيا.

¹ رجب أبو دبوس، أخلاق الاجتماع، ص 59، 1983م، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان طرابلس، ليبيا.

² هنية القماطي، الأخلاق والعرف، ص 132 بتصرف.

³ ديوي، تجديد في الفلسفة، ص 129 132.

هذه الصور للعالم ولأشياءه كانت تقرض على الإنسان الميل إلى الثبات وتصور الاعتقاد بمبادئ وقوانين ثابتة وقيم مطلقة؛ لأن التغير معناه الفوضى والفساد والشر. وعلى العكس من هذه الصورة فإن العلم الحديث يقول بعالم غير مغلق، الأرض ليست مركزا ولا الإنسان، متغير لا ثابت، العلة الفاعلية لا العلة الغائية تفعل فيه¹.

السبب الثاني: هو ميل الإنسان إلى التخيل والأمل بدافع الصعوبات الحياتية والإمكانات التي بيده، واحتقار الحسيات والخبرات والكمالات الجزئية هذا السبب "هو الذي وقع أفلاطون والمثاليين إلى التجريد إذ قالوا بقيم مطلقة، انقسام المعرفة إلى حسية متغيرة ناقصة، وعقلية ثابتة"².

السبب الثالث: يري ديوي أن العقل إذا ما حل محل العادة، فإنه ملزم بتقديم مقاييس ولوازم لها قوة العادة وثباتها، ولذلك "وقعت النظريات الأخلاقية تحت تأثير فكرة وظيفتها لا تتعدى العمل على الكشف عن غاية نهائية وخير نهائي"³.

إن الفكرة الصادقة هي الفكرة الناجحة في معترك الحياة، وهذا النجاح هو القيمة الأولى، ومصدر القيم هو "التجربة التي تكشف عن المنفعة أو عدمها وهي محك الصدق والزيف، ومقياس الحق والباطل، ومعيار الخير والشر"⁴.

وينتقد وليم جيمس كل معيار آخر غير هذا المعيار، يقول: "لقد أقر الفلاسفة معايير شتى وافترضوا أسسا مختلفة للنظام الأخلاقي مثلا... ذلك كأن يكون الشيء وسطا بين متطرفين، أو أن نعترف به قوة بديهية خاصة، أو أن يجعل الفاعل سعيدا وقت الفعل، أو أن يجعل الآخرين بالإضافة إلى الفاعل سعداء في النهاية، أو أن يزيد في كمال الفاعل وشرفه، أو ألا يسبب أذى لأحد، أو أن يكون نتيجة عقلية، أو ناشئة عن قانون عام، أو أن يكون وفق

¹ ديوي، تجديد في الفلسفة، ص 133-150 بتصرف.

² المرجع السابق، ص 198-202.

³ المرجع السابق، ص 297-298.

⁴ وليم جيمس، إرادة الاعتقاد، ص 96.

إرادة الله، أن يساعد على بقاء النوع الإنساني على ظهر البسيطة إنها معايير شتي اعترف بكل واحد منها جمع من الفلاسفة، ولكن المسألة المعيارية مسألة عملية¹.

يتبين أن الرغبة الفلسفية في إيجاد معيار يخضع فيه بعض المثل لبعض ليست إلا نتيجة لحاجة عملية، ولابد أن يضحى ببعض المثل، وعلينا أن نعرف ذلك البعض، أن مثلاً من المثل الإنسانية لا يتمتع إذن بأحقية مطلقة، ولذا يتعذر الإيمان بمثل أخلاقية مطلقة خالدة، وهذه المثل لابد وأن تتطور وتتغير وتكثر وتتضارب، وأن الفيلسوف، من حيث إنه فيلسوف، أقدر من أي فرد آخر على تحديد أي العوالم خير في الحياة الواقعية؛ لأنه يرى حقيقة المسألة أكثر من الجمهور، ولكنه لا يستطيع أن يختار الأحسن والأفضل إلا إذا خبر بتجربته تعدد المثل العليا.

ويؤكد العمليون - البرجماتيون - أن القيمة الحقيقية للفعل أو معيار الصواب والخطأ هو ما ينتج إيجاد الوسائل التي تفتح آفاق العمل أمام الإنسان لكي يستطيع عن طريقه تحقيق مطامحه وإشباع رغباته، وليس كما هو عند الحدسيين عبارة عن قوة فطرية مهمتها اكتشاف شيء موجود سبق وجوده².

إن علم القيم العقلي القائم على الحقائق المجردة "لا دلالة له ولا معنى"³؛ لأن علم القيم في نظر البرجماتيين - مرتبط بالنظم والعادات الاجتماعية، وبالتالي فإن القيم ليست ثابتة نهائية، "ولذا فإن علم القيم ينبغي ألا يكون علماً نظرياً مجرداً، بل أن يكون جزءاً من الحياة لا ينفصل عنها ولا يباينها، بل يتمها، ويظهر أن الخير هو ما يخدم غايات الجماعة ومطالب الفرد في الجماعة، ولذا يترتب على القيم أن تعتبر الفرد غاية في ذاته، بدلاً من اتخاذ وسيلة إلى تحقيق غاية"⁴.

¹ وليم جيمس، إرادة الاعتقاد، ص 96، نقلاً الطويل، فلسفة الأخلاق، ص 297 - 298.

² المرجع السابق 903 بتصرف.

³ محمود زيدان، وليم جيمس، ص 182، 1908م، دار المعارف بمصر، القاهرة.

⁴ عادل العوا، المذاهب الأخلاقية 907

إن المذهب البرجماتي الذي نادى به جيمس يجعل الحقائق نسبية على حد القول: مصائب قوم عند قوم فوائد، وقيمة العمل تقاس بعد ظهور نتيجته، فمقياس الخير هو الثمرة أو النتيجة الناتجة عن العمل. وليس مقياسها العقل أو الوحي، لذلك فإن دعامتي الإيمان الصحيح عند جيمس القوة والبطش الذي يواجه به الناس والحياة ويرى البرجماتيون ذلك في عبارة رائد البرجماتية الأول فرنيس بيكون إذ يقول: «إن المعرفة هي القوة»، وما دامت المعرفة هي القوة فإن الجاهل القوي هو سيد العلماء. إن البرجماتية بهذه الصورة ترجع بالبشرية إلى شريعة الغاب - إي المجتمع الحيواني - الذي لا يعرف إلا الفردية وإشباع الرغبات، والقوي فيه يبطش بالضعيف، والسيد هو الغالب في حلبة الصراع، وكأن البرجماتي يقول لك: افعل ما شئت إذا كان الفعل خيرا لك ولا تتقيد بأية قيود تفرض عليك نمطا معيناً من القيم¹.

ثانياً: التغير في أصول القيم في الاشتراكية.

الاشتراكية: "نظام اجتماعي قائم على الملكية العامة لوسائل الإنتاج، والاشتراكية ظهرت إلى حيز الوجود نتيجة إلغاء النمط الرأسمالي للإنتاج وإقامة دكتاتورية البروليتارية، وتبني الاشتراكية على شكلين من الملكية: ملكية الدولة العامة، والملكية التعاونية الجماعية"².

¹ المرجع السابق، ص 157، بتصرف.

² م. روزنتال، ب. يودين، الموسوعة الفلسفية، ص 30

وقد كان ظهور البيان الشيوعي الذي أصدره ماركس¹، وإنجلز² المؤسسان لهذا النظام عام 1848 م نقطة تحول فاصل بين ما يسمى الاشتراكية الخيالية وبين ما أطلق عليه ماركس وإنجلز اسم الاشتراكية العلمية، ولأول مرة خاطب العمال العالم في كل العالم بوصفهم طبقة واحدة بصرف النظر عن الجنس والقومية، وكان استخدام "العلمية" لوصف الاشتراكية بقصد أنها اشتراكية تأخذ بالتكنولوجيا الحديثة وتستخدم في تحليلاتها المنطق المستمد من الدراسات التاريخية الذي يقوم على فرضين: أن العمال طبقة مستغلة في النظام الرأسمالي المعاصر ومحرومة من ناتج عملها، وأنه لا سبيل إلى تغيير هذا الواقع القائم إلا بتغيير أسلوب الإنتاج والتوزيع، وإن هذا التغيير لن يتم بالتراضي أو النوايا الحسنة أو الدعوات الإصلاحية، ولكنه سيتم فقط لو تحدثت البروليتارية وقامت بتنحية البورجوازية عن الحكم وأقامت دكتاتوريتها³.

¹ كارل ماركس 1818 فيلسوف ألماني وثوري محترف، كان المؤسس الرئيس لحركتين جماهيريتين قويتين هما: الاشتراكية الديمقراطية والشيوعية الثورية. ولد في إقليم ترير التابع لما يعرف باسم بروسيا، التحق بجامعة بينا وحصل على الدكتوراه في الفلسفة انتقل ماركس إلى باريس وهناك التقى بفريدريك إنجلز أحد الشبان الألمان المتطرفين فأصبحا صديقين وعملًا معًا في كتابة العديد من المقالات والكتب، ويعتبر ماركس فيلسوف الشرعية المعاصرة، وهو من أصل يهودي ألماني، اضطلع في ألمانيا بسبب نشاطه الثوري ثم انتقل إلى باريس حيث التقى بإنجلز، كان على صلة بالثورات التي اجتاحت ممالك أوروبا الغربية والوسطى عام 1848م وما بعدها، وعلى أثر فشل هذه الثورات هاجر إلى إنجلترا حيث توفي هناك. انظر: الموسوعة العربية العالمية 93 / 22، ومحمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة 1919

² فدرريك إنجلز 1820 1895 زعيم البروليتارية الذي صنع مع ماركس المذهب الماركسي أي: النظرية الشيوعية العلمية نظرية المادية والجدلية والتاريخية. ولد في مدينة بار من بألمانيا من أسرة رأسمالية وقد سعى إنجلز منذ شبابه للمساهمة في الكفاح والنضال من أجل تبديل العلاقات الاجتماعية القائمة. وانضم إلى الجناح اليساري من حركة الهيجليين الشبان، وتنبه إلى صراع الطبقة العاملة بوصفها طبقة المستقبل وتحول إلى الاشتراكية، والتقى بماركس عام 1844م بباريس، وكونا معًا أشهر ثنائي عرفه تاريخ الفكر، وتكفل إنجلز بالإنفاق على ماركس في حياته، وعلى أسرته لمدة 12 سنة، بعد وفاة صديقه كان له مؤلفات، وكانت كل كتاباته تأصيلًا للماركسية وإذاعة لمبادئها، ويزعم البعض أنه لولا إنجلز لما أصبحت الماركسية حركة دولية، وإنه كان يؤمن بأنها فلسفة علمية محورية تزيد في أهميتها عن نظرية دارون. انظر: روزنتال، ب يودين، الموسوعة الفلسفية، ص 56، وعبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، ص 99.

³ عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، دار ابن زيدون، بيروت، ص 46. بتصرف.

والاشتراكية نظام اقتصادي غربي الأصل وحركة سياسية ونظرية اجتماعية. ويعتقد أغلب الاشتراكيين أن الحكومات الوطنية أو المحلية هي التي ينبغي لها امتلاك موارد الأمة واستغلالها وليس الأفراد، وتقوم الاشتراكية على امتلاك الدولة للأراضي والمصانع وغيرها من وسائل الإنتاج؛ لأنهم يعتقدون أن الشر يدخل من باب الملكية الخاصة¹.

نظرة الشيوعية إلى نشأة الدين: يفسر الشيوعيون نشأة الدين من واقع مبادئهم؛ لأن من مبادئهم أنه لا وجود إلا للمادة المحسوسة، وإذا كان الله - تعالى عما يقولون - غير محسوس فإنه غير موجود، وعلى هذا فالدين في نظرهم نشأ تحت تأثير الظروف الاقتصادية للإنسان، وقد ارتبط ظهوره بوقوع أول خلاف دار بين البشر، بعد أن تجاوز الإنسان المرحلة الشيوعية البدائية، تلك التي كان يكتفي فيها كل شخص بما يحصل عليه من صيد وقنص، وعندما اكتشف الإنسان الزراعة تطورت حياته عن ذي قبل، وفاض دخله على ما يحتاجه فاستأثر به بعض الأقوياء نتيجة صراع بينهم وبين غيرهم، فانقسم المجتمع تبعاً لذلك إلى طبقتين:

إحدهما: هي القوة المسيطرة.

والأخرى: هي الضعيفة التي لاحول لها ولا قوة، وهنا لم المسيطرون سوى اختراع "الدين" استرضاء للطبقة المظلومة حتي يمنيهم هذا الدين بحياة أفضل ويوهمهم أن ما عليه من الظلم ليس إلا ضرباً من الإرادة العليا لا يمكن الخروج عليها.²

التغير في أصول القيم في الاشتراكية:

الدين:

ترى الاشتراكية الماركسية أن الدين خدعة مصطنعة، ولدتها الظروف الاقتصادية والتاريخية التي نجمت من الصراعات المادية و تحالف طبقة الإقطاع والرأسماليين ضد العامة

¹ الموسوعة العربية العالمية 210 بتصرف.

² جورج بوليترز وآخرون، ص 242، ترجمة شعبان بركات، المكتبة العصرية صيدا، لبنان.

والفقراء؛ لينشغل هؤلاء بإقامة الطقوس والشعائر وينصرفوا تحت وقع التخدير عن حقوقهم في هذه الحياة انتظاراً للفردوس الآخروي، ويصبروا على ظلم الأغنياء وجشعهم، ويتفرغ الآخرون لإحراز الثروة وامتصاص دماء الفقراء، وبناء على هذا فإن الدين في نظر الماركسية من اختراع العقل ووضعه، وبقاء الدين وانتشاره مرهون بجهل الطبقات الفقيرة، وعدم وعيها بأبعاد المؤامرة التي حيكت ضدها، ولا سبيل إلى توعية هذه الطبقات بحقوقها إلا بإزالة الدين الذي يخدرها عن طلب حقوقها، ويعطلها عن إدراك مركزها في الحياة.

كما ترى الماركسية إنه ليس هناك أساس عقلي يمكن أن يقوم عليه الدين؛ لأن الدين عندها يعتمد في أساسه على الإيمان بأشياء غيبية ليست موجودة وجوداً حقيقياً، كالله والملائكة واليوم الآخر وغير ذلك من الغيبيات التي لا تترك الحواس البشرية وجودها، ذلك أن الوجود الحقيقي في نظر الماركسية إنما هو الوجود المادي المحسوس، وما لا تدركه الحواس فوجوده محال. والمادة عند الماركسية أزلية، وتطور العالم إنما يتم تبعاً لقوانين حركة المادة، فليس العالم محتاجاً في تطوره إلى عقل كلي؛ لأن قوانين التطور كامنة في المادة ذاتها¹.

يقول ماركس: "إن الدستور والأخلاق والدين كلها خدعة البرجوازية وهي تتستر وراءها من أجل مطامعها"، كما يقول: "الدين أفيون الشعوب".

ويقول لينين: "إننا لا نؤمن بالإله، ونحن نعرف كل المعرفة أن أرباب الكنيسة والإقطاعيين والبرجوازيين لا يخاطبوننا باسم الإله إلا استغلالاً ومحافظة على مصالحهم. إننا ننكر بشدة جميع هذه الأسس الأخلاقية التي صدرت عن طاقات وراء الطبيعة غير الإنسان، والتي لا تتفق مع أفكارنا الطبيعية، ونؤكد أن كل هذا مكر وخداع، وهو ستار على عقول

¹ عبد المعطي محمد بيومي، الماركسية في مواجهة الدين، ص 19 20، طبعة دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة، دار الأنصار، القاهرة.

الفلاحين والعمال لصالح الاستعمار والإقطاع، ونعلن أن نظامنا لا يتبع إلا ثمرة النضال البروليتاري، فمبدأ جميع نظمنا الأخلاقية: هو الحفاظ على الجهود الطبقة البروليتارية".¹

وفي البيان الشيوعي: "إن البروليتارية ترى القانون والأخلاقيات والدين على أنها ابتكارات برجوازية عديدة تكمن في مخبأ متخفية شأن عديد من المصالح البرجوازية".²

ولكن الماركسيين عادوا إلى إطلاق حرية المعتقدات الدينية، ومن ذلك أن روسيا قد عدلت في عهد لينين لأسباب سياسية - عن تشجيع الدعاية اللادينية التي كان دستورهما من قبل ينص على تشجيعها، وإن كان الماركسيون يقولون في تأويل هذه الجملة إن الدين لا يحارب إلا حين يغترب، أي: يسخر لغير عرضه أو يساء استغلاله.

وقد انتهت النظرية الماركسية إلى عد الأديان وسائر القيم مجرد تبريرات ابتكرها أصحاب المصالح المادية ليقنعوا الجماهير الكادحة بمشروعية استغلالهم، وقد قررت الماركسية أن الدين أحد الأبنية الفوقية، التي تقوم على قاعدة الاقتصاد ومن ثم فليس له أي بعد مقدس، إذ هو من إفراز الظروف النفسية والاقتصادية المحيطة بالإنسان، وعليه فإنها متغيرة متطورة تبعا لتغير العامل الاقتصادي وتطوره. ومن ثم فهي ليست ثابتة أو قائمة بنفسها يمكن وصفها بالخير أو الشر، بالصلاح أو الفساد، إنما هي صواب في وقتها فقط لكونها استجابة طبيعية وانعكاسا صادقا للوضع المادي والاقتصادي.³

¹ وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، مدخل علمي إلى الإيمان، ترجمة، ظفر الإسلام خان، مراجعة وتقديم. عبد الصبور شاهين، ص 39.

² أوجين كامنكا، الأسس الأخلاقية للماركسية ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، ص 86، نقلا عن عبد المعطي بيومي، الماركسية في مواجهة الدين، ص 21.

³ سارة بنت عبد المحسن ابن جلوي آل سعود، قضية العناية والمصادفة في الفكر الغربي المعاصر، دراسة نقدية في ضوء الإسلام، ص 249، 330، 302 بتصرف.

الحق:

تقوم فكرة ماركس على المنهج الديالكتيكي - الجدلي - الذي أخذه عن هيجل، وحوله إلى جدل تاريخي يقوم على فكرة الصراع بين الطبقات، ومؤدى هذا المنهج عند هيجل أن كل قضية إنسانية لها نقيض يعارضها، وأن الحقيقة الكاملة لا تكون في القضية ولا في نقيضها، لأن في كل منهما جانبا من الحق وجانبا من الباطل، والحقيقة الكاملة إنما تكون من مركب بينهما يوفق بينهما ولا يعارض مع أحدهما، وقد يظهر للقضية المركبة منهما نقيض يقتضي الأمر استخلاص الحق بمركب يوفق بينهما... وهلم جرا، وقد كان هذا المنهج من مقومات الماركسية، لأن اصطناعه في دراسة التاريخ قد أدى إلى الكشف عن التناقض بين القوى المنتجة . وهي أدوات الإنتاج وأهل الخبرة ممن يقومون به . وعلاقات الإنتاج . أي علاقة الملكية . فأفضى هذا إلى تفسير التاريخ تفسيراً مادياً بإرجاع كل أحداثه إلى العامل الاقتصادي، وبهذا المنهج أيضاً كشفت الماركسية عن التناقض بين طبقات المجتمع الواحد، فأفضل هذا إلى وضع نظرية في الصراع بين الطبقات أضحت دستوراً للماركسية، وهكذا كشفت الماركسية عن القوانين الموضوعية التي تتحكم في سير التاريخ برغم إرادة الأفراد والجماعات الإنسانية، وهذه هي حتمية التاريخ.¹

نظرة الاشتراكية إلى أصل ومنشأ القيم:

ترد المثالية الأبستمولوجيا² عالماً الأشياء والمحسوسات إلى العالم العقلي، وتجعل الأفكار والمعاني الكلية سابقة في وجودها عن الأشياء والجزئيات التي تطابقها. وأما الواقعية فعلى عكسها، ترد عالم العقل إلى عالم الحس، وتجعل الأشياء سابقة على صورها في الذهن، وامتداد المثالية في مجال الأخلاق يصرف فلاسفة الأخلاق عن وصف

¹ توفيق الطويل، فلسفة الأخلاق، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة 2004م، ص300-309. بتصرف

² الأبستمولوجيا: لفظ إفرنجي مشتق من نقطتين الأولى: بمعنى المعرفة، والثاني علم. والأبستمولوجيا فرع من فروع الفلسفة يبحث في أصل المعرفة وبنيتها ومناهجها ومصادقيتها. انظر: مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ص14.

الواقع ودراسة الأفعال الإنسانية كما تبدو فعلا في سلوك الإنسان إلى وضع قيم أو مثل عليا تنتزع من طبيعة العقل البشري ويجرى بمقتضاها سلوك الإنسان في حياته اليومية، ومن هنا كان تأثيرها في سلوك الإنسان وتشكيل حياته، كما أن امتداد الواقعية الأبنستمولوجيا إلى مجال الأخلاق قد أدى بالباحث إلى أن يقصر دراساته على وصف الوقائع والظواهر الخلقية كما هي موجودة بالفعل دون أن يتجاوزها إلى تصور ما ينبغي أن يكون مما لا وجود له في عالم الواقع.

وقد تمردت الماركسية على هاتين الصورتين معا، لم تقنع بإبعاد القيم الخلقية من المثالية السالفة الذكر، ولم تكتف بالفصل بينهما وبين تعاليم الأديان، بل لم يرقها موقف الماديين السابقين عليها من هذه القيم، رفضت المادية السالفة الذكر جملة وتفصيلا، وكلفت بالنزعة العملية في دراسة الواقع حتى رفضت أن تدخل في تفسيرها للتاريخ عنصرا روحيا، حقيقة أن ماركس قد أخذ عن الفيلسوف المثالي هيغل « منهج الديالكتيك الذي طبقه في دراسة التاريخ، ولكن ماركس كان يقول إن الديالكتيك عند هيغل يقف على رأسه وعلينا أن نقلبه عقبا على رأس حتى يعتدل، ويريد بهذا عالم العقل من معان ومفاهيم وحقائق وقيم.¹

وكان طبيعية أن ترفض الماركسية رد القيم للدين، فقد عرفنا رأي ماركس في الدين، وأنه أفيون الشعوب، وضرورة التحرر من مفاتنه وضلالاته، ولم يحذف لينين من دستور بلاده تشجيع الدعوة اللادينية -إلا لأسباب سياسية -في الأخير بعد إجراء تعديل، بل إن الماركسية قد زادت فأنكرت رأي سابقها من الماديين في نشأة القيم؛ لأنهم لم يفتنوا إلى إرجاعها إلى النظام الاقتصادي السائد، إلى جانب أن تصوره التاريخي قد اتسم بطابع ميتافيزيقي باعد بينه وبين التصور العلمي الصحيح، ويستشهد لينين على صحة ذلك بفلسفة فيرباخ.²

¹ توفيق الطويل، فلسفة الأخلاق، ص310-311 بتصرف.

² هو: لودفيغ فيور باخ 1809 1872م فيلسوف مادي ملحد، درس في جامعة إيرلانجين أدى كتابه أفكار حول الخلود والموت الذي نشره عام 1830م تحت اسم مستعار إلى فصله من الجامعة. وكان المضمون الأساسي لفلسفة فيورباخ إعلان المادية والدفاع عنها. رونتال، ب. يودين، الموسوعة الفلسفية، ص390.

وقد شاركت الماركسية أهل الفلسفة الوضعية في إنكار القيم العامة المطلقة التي تتخطى الزمان والمكان، والقول بأن القيم تنشأ تلقائية آلية ولا تكون من وضع فلاسفة الأخلاق، ولكن الوضعية قد ذهبت إلى أن الأخلاقية تقوم في طاعة الفرد المواصفات المجتمع، وأن القيم من صنع العقل الجمعي... بينما تربط الماركسية بين الأخلاق والاقتصاد، وتؤكد أن القيم وليدة التنظيم الاقتصادي الذي يعيشه المجتمع، لأنها انعكاس للعلاقات الإنتاجية المتغيرة زمانا ومكانا، وبالتالي يصبح من الخطأ أن يظن أنها تشكل سلوك الفرد وتحدد اتجاه المجتمع كما ظن أصحاب المثالية التقليدية

والشيوعية تنكر جميع العواطف البشرية والمثل العليا والقيم الأخلاقية والمعاني الروحية والجوانب الإنسانية، وتتكرت الماركسية لثبات القيم الأخلاقية العليا التي جاء بها الدين، وأعلنت دعوى نسبيتها وتغيرها مع اختلاف العصور أو البيئات، وذلك ما يتعارض تماما مع الفطرة واقع التاريخ، ذلك أن القيم الأخلاقية العليا ثابتة ثابتة فطرة الإنسان وكيانه ووجوده، وأن تغير البيئات والعصور لا يغير منها، فلا يمكن أن يكون العدل ظلما، أو الحق باطلا، أو الفضيلة رذيلة، أو الرذيلة فضيلة، وستظل هذه القيم قائمة ثابتة مادامت الحياة الدنيا بمجتمعاتها وحضارتها.

والفكر الماركسي يرى "أن الدين والأخلاق خدعة للمجتمعات وأن المادية هي نور الطريق".¹

وعلى هذا فالماركسية ترد كل القيم التي يوحى بها الدين، ولم يبق أمامها إلا القيم التي يوحى بها العقل المثالي، وهذه أيضا لا وجود لها في الفلسفة الماركسية، وذلك بحكم موقفها من المعرفة وطبيعتها، وموقفها من الإنسان ومركزه من الوجود، ومعطيات التفكير لديها إنما هي أثر من آثار الكون المادي، وعلى هذا فالمعنى المجرد والقيمة المطلقة لا وجود لها أبدا. إن كل الأوصاف التي يوصف بها الإنسان مما يتبين علاقاته مع غيره، ليست أمورا ثابتة، بل إنها أسماء مؤقتة لحالات متغيرة، فالأثرة - كوصف - يمكن أن يكون تطبيقها شرا في

¹ أنور الجندي، هزيمة الشيوعية في عالم الإسلام، دار الاعتصام، القاهرة 1983م، ص 95.

حالة جميلا في أخرى، كما أن التضحية يمكن أن يكون تطبيقها شرا في حالة وخيرا في أخرى، والظروف والملابسات هي التي تحدد طبيعة هذه العلاقات، يقول ماركس: "إن الشيوعيين لا يبشرون بأية أخلاقيات على الإطلاق، لا يضعون للناس الأمر الخلقى: أحبوا بعضكم لا تكونوا أنانيين إلخ، إنهم يعرفون تماما أن الأنانية مثل التضحية هي في ظل ظروف معينة الشكل الضروري لصراع الفرد من أجل البقاء"¹.

الضمير:

لا تعترف الماركسية مما عرف لدى المثاليين بالحاسة الخلقية (الضمير) بالمعنى العام الموجود في الإنسان في جميع أحواله، وأنه المراقب لتصرفاته كلها، وأن وجوده سابق على وجود الأشياء، وإنما تعترف به كأثر للموقف الراهن لدن صاحبه، شأنه في ذلك شأن الوصف الذي يمكن أن يخلع على الفعل، إنه مرتبط عندهم بمعرفة الطريقة الكلية لحياة إنسان ما، في بيئة معينة، وتحت أنظمة خاصة، فالجمهوري له ضمير يختلف عن ضمير الملكي، والغني له ضمير يختلف عن ضمير الفقير، والمتقف يختلف في ضميره عن الجاهل، وما ينطبق على الضمير ينطبق بالتالي على التطورات والأفكار الإنسانية، يقول ماركس وإنجلز في البيان الشيوعي: "هل الأمر يحتاج إلى حدس عميق الاستيعاب، إن أفكار الإنسان وآراءه وتصوراته ووعيه إنما تتغير مع كل تغير في ظروف وجوده المادي، وفي علاقاته الاجتماعية وفي حياته الاجتماعية، على أي شيء يبرهن تاريخ الفكر، سوى أن الإنتاج العقلي إنما يغير طبيعته بالنسبة للتغير الذي يطرأ على الإنتاج المادي، الأفكار السائدة في كل عصر كانت دائمة الأفكار الخاصة بالطبقة الحاكمة في هذا العصر، وعندما يتحدث الناس عن الأفكار التي تحدث الثورة للمجتمع، إنما لا يفعلون شيئا سوى التعبير عن أنه في المجتمع القديم إنما تخلق

¹ أوجين كامنكا، الأسس الأخلاقية للماركسية، ص197، نقلا عن عبد المعطي بيومي، الماركسية في مواجهة الدين، ص113.

عناصر المجتمع الجديد، وأن تحلل الأفكار القديمة، إنما يتمشى مع تحلل الظروف القديمة للوجود"¹.

الإنسان في نظر الشيوعية:

الإنسان في نظر الشيوعية مفهوم نسبي بالدرجة الأولى، ذلك أن مفهوم الإنسانية يتبدل ويتغير ويتجدد، ومع ذلك فكل تغير وتجدد ما هو إلا شكل جديد يتم بخلود أبدي، بل سيظل مرحلة انتقالية، ومن ثم فإن الماركسية تنظر إلى الإنسان من حيث علاقته بالبيئة التي تحيطه من ظروف اجتماعية وتاريخية تشمل الأوضاع الطبقيّة والاقتصادية التي تلازمه، وتحدد أخلاقه وأهدافه العليا. إذن فذات الإنسان عند الماركسية إنما تظهر في عمله اليومي من خلال إثبات وجودها في إطار صيرورة الحوادث والوقائع الحسية الملموسة، وبذلك تكون علاقة الإنسان بالكون عملاً وكفاحه وليست علاقة ميتافيزيقية².

الأخلاق في نظر الشيوعية:

الماركسية حسب إضافات إنجلز ولينين ترفض أي محاولة تهدف إلى فرض أي مذهب خلقي على الماركسية مهما كان شأنه، بوصفه القانون الأخلاقي الدائم النهائي الذي لا يتغير أبداً، بحجة أن عالم الأخلاق له مبادئه الدائمة التي تسمو على التاريخ وعلى الخلافات بين الأمم، ولهذا تقرر الماركسية أن كافة النظريات الخلقية السابقة إنما هي النتائج في التحليل الأخير للطور الاقتصادي الذي بلغه المجتمع في تلك الفترة المعينة من الزمن، وحيث إن المجتمع كان قد انتقل قبل ذلك إلى خصومات بين الطبقات، فقد كانت الأخلاق دائمة هي أخلاق الطبقات وهي إما برزت سيادة الطبقة الحاكمة ومصالحها أو مثلت بمجرد اشتداد ساعد الطبقة التي وقع عليها الاضطهاد، ولاشك أنه كان في هذه العملية على وجه عام تقدم في

¹ أوجين كامنكا، الأسس الأخلاقية للماركسية، ص 198، نقلاً عن محمد عبد الستار نصار، دراسات في فلسفة الأخلاق، ص 48.

² علي عبد المعطي محمد، الفكر السياسي الغربي، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع الإسكندرية، 2005م، ص 391-392 بتصرف.

الأخلاق كما كان هناك تقدم في كافة فروع المعرفة الإنسانية الأخرى، ويستطرد إنجلز بأنه لم يتجاوز بعد أخلاق الطبقات، وأن الأخلاق الإنسانية الحقّة هي التي تسمو على الخصومات بين الطبقات وتراثها الفكري، ولا تصبح ممكنة إلا في طور يبلغه المجتمع لا يتغلب فيه على الخلاف بين الطبقات فحسب بل يكون قد نسيها في حياته العملية.¹

أما رأي لينين في الأخلاق، فقد تضمنته رسالته: «هناك شيء يقال له الأخلاق الشيوعية؟» هناك شيء يقال له الآداب الشيوعية؟ لا شك في وجود هذه وتلك وكثيرا ما تصور على أنه ليست لنا مذاهب أخلاقية خاصة بنا، كثيرا ما يتهمنا البرجوازيون بأننا نحن الشيوعيون ننكر كل مبادئ الأخلاق والآداب فننكرها بالمعنى الذي يبشر به البرجوازيون الذين استمدوا المذاهب الأخلاقية من وصايا الله، أو أنهم بدلا من أن يستمدوا المذاهب الخلقية من وصايا الله استمدوها من مصطلحات المثاليين أو أشباه المثاليين من المذاهب الأدبية المستمدة من الأفكار غير الإنسانية وخارج نطاق الطبقات.

ونقول إن هذا خداع، بل غش يستفيد منه أصحاب الأراضي والرأسماليون، كما نقول إن مذاهبنا الخلقية تخضع كلها لصراع الطبقات الذي تقوم به الطبقة العاملة، وإن مذاهبنا الخلقية مستمدة من المصالح التي يتمخض عنها صراع الطبقات الذي تقوم به الطبقة العاملة، ومازال صراع الطبقات مستمرة ونحن نخضع مذاهبنا الخلقية الشيوعية إلى هذا الواجب، ونقول مذاهب الأخلاق هي التي تعين على هدم المجتمع الاستغلالي القديم وعلى توحيد كافة الكادحين حول الطبقة العاملة التي تعمل على خلق مجتمع شيوعي جديد ونحن لا نؤمن بمذاهب خلقية دائمة²

¹ محمد ممدوح علي العربي، الأخلاق والسياسة في الفكر الإسلامي والليبرالي والماركسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1992م، ص 300 بتصرف.

² لينين، المؤتمر الثالث للشباب الشيوعي، عام 1920 نقلا عن محمد ممدوح علي العربي، الأخلاق والسياسة في الفكر الإسلامي الليبرالي والماركسي، ص 300 بتصرف.

وبهذا يتبين أن لينين قد قبل التقسيم الفاصل الذي وصفه ماركس بين البرجوازية والطبقة العاملة وقد سار عليه، ولكنه في صورة تفسيرية أكثر.

والملاحظ أن مذاهب الماركسيين مادية طبيعية حيث إن الإنسان وليد الطبيعة ومقيد بقوانينها، والمجتمع يتطور وفقا لهذه القوانين لا وفقا لأحلام الإنسان ومثله، ومن ثم فإن صراع الطبقات أمر جوهري، ومن هذا الصراع يتولد مذهب الثورة الاشتراكية الذي يحول الماركسية من نظرية إلى مذهب النشاط العدواني كقول "ثرون تسكي": "إن أرقى صورة من صور الصراع بين الطبقات هي الحرب الأهلية التي تضعف بكافة الروابط الخلقية من الطبقات التي تعادي كل منها الأخرى"¹. ومن ثم فإن أساس الأخلاق الماركسية هو ما يسميه الماركسيون الحاليون "الحلة الإنسانية الثانية" التي تكون فيها ظروف الإنتاج هي العامل الفاصل أي: أنها مذاهب أخلاقية متأصلة في المطالب الماركسية تنبذ أي عنصر رفيع الشأن كالدين والروح وما يتعلق بها من أخلاق سامية تدعو إلى المحبة والتعاون والسلام.

كما أن الأخلاق الماركسية تعني "أخلاق الطبقة العاملة" التي تلغي الدولة الرأسمالية وبين إنشاء المجتمع الذي تنعدم فيه الطبقات أي ذلك الطورين أطوار الطبقة العاملة الذي وصفه لينين بأنه طور "العنف الذي لا يقيدده قانون"، وكما نرى أن أخلاق المجتمع الذي تنعدم فيه الطبقات في ذلك الطور "الطور الراقي من الاشتراكية" الذي يقع في المستقبل ولكن ستؤدي إليه حتما ديكتاتورية الطبقة العاملة².

المطلب الثاني: التغير في مجالات القيم.

أولا: في المدرسة الذرائعية.

يرى جون ديوي أن المعيار الصحيح لاختيار قيمة أي فلسفة إنما هو معرفة النتائج

¹ كاربوهنت، الشيوعية نظريا وعمليا، ص103، دار الكتاب العربي، نقلا عن: ممدوح العربي، الأخلاق والسياسة، ص01.

² ممدوح العربي، الأخلاق والسياسة، ص351 / 350 بتصرف.

التي توصلنا إليها هذه الفلسفة في مجال الخبرة العملية، وإلى أي حد تؤدي إلى إلقاء الأضواء على مصاعب وجدونا العملي، فتجعل من تلك المشكلات أو المصاعب عناصر مترابطة تقبل الحل.

ومعنى هذا أن فلسفة ديوي العملية لا تحصر قيمة الفكرة في الإشباع الذي تحققه لنا فقط، وإنما تمتد لتشمل القيمة الوظيفية لهذه الفكرة حين تجيء فتحل الصراع أو الإشكال، وفي ضوء مذهب ديوي كل شيء في الحياة قابل للتغير إذا دعت الضرورة إلى تغييره، ولا يجوز أن يقف شيء مهما كانت قيمته وقداسته حائلاً في مجرى الإصلاح الاجتماعي وتوفير العيش الرغيد للإنسان العامل، لابد من تغيير قواعد القيم إن اقتضى الإصلاح هذا التغير. وهكذا الحال في السياسة والاقتصاد والتربية وكل شيء قد يظن به الدوام والثبات، في سبيل تغيير الحياة تغييراً يجعلها أكثر ملاءمة للحياة في تغييرها.¹

يقول ديوي: «ماذا يمكن أن تكون هذه القيم -في الأخلاق أو في السياسة أو في

غيرها... إن لم تكن أدوات أو ذرائع يستخدمها الإنسان في سلوكه.

جعل ديوي من الأفكار أدوات أو وسائل التوجيه السلوك وضبطه، بحيث تحقق للإنسان غاياته المنشودة، فمهما تكن الفكرة فهي تتضمن مشروعاً للعمل، وخطة حل كل إشكال أو مأزق، وهي هنا أداة للعمل، وبمقدار نجاح الفكرة تكون صائبة؛ لهذا تحقيق الفكرة لا يكون في الخيال وربما يرتبط بالواقع، هذا الواقع الذي نراه دائماً متفقاً مع أهدافنا فنلجأ إلى تغييره بما يناسب حاجتنا².

مجالات التغير في علم النفس والتعليم: يرى ديوي أن من الممكن تعديل الغرائز الأخرى كغريزة حب الامتلاك والسيادة عن طريق التأثير الاجتماعي والتعليم. يجب أن نغير أفكارنا حول ثوابت الطبيعة البشرية وعدم تغييرها، وقوة البيئة القادرة على كل شيء، إذ لا حدود للنمو

¹ سامية عبد الرحمن عبد السلام، القيم الأخلاقية، مكتبة النهضة العربية، ص 112 113.

² جون ديوي، التثقيف في الفلسفة، ص 109، نقلاً عن: سامية عبد السلام، القيم الأخلاقية، ص 113 بتصرف.

والتغيير"¹ لقد دعت البرجماتية إلى الأخذ بالنتائج العملية والأمور الواقعية، ولكنها قفزت بعد ذلك بسرعة من الأرض إلى السماء.

لقد بدأت برد فعل سليم ضد الميتافيزيقيا وفلسفة المعرفة، وتوقع الإنسان منها تقديم فلسفة عن الطبيعة والمجتمع، ولكنها انتهت بالدعوة إلى احترام كل عقيدة دينية وتبجيل كل إيمان متن تترك الفلسفة للدين تلك المسائل المحيرة حول الحياة الأخرى، وتترك لعلم النفس مشاكل عملية المعرفة ومصاعبها، وتوجه نفسها بكل قواها إلى تصوير الأهداف الإنسانية وتنسيق الحياة الإنسانية والنهوض بها. قد قام جون ديوي بهذه المهمة وأشبع هذه الحاجة وأوجد فلسفة تعبر عن روح أمريكا. لقد عرف ديوي أمريكا شرقها وغربها فدرس إمكانياتها وقواها وحدودها. ولعل أعظم كتاب له هو الديمقراطية والتعليم. لقد طالب سبنسر بزيادة تدريس العلوم وإقلال دراسة الآداب في برامج التعليم. فجاء ديوي وأضاف على ذلك وجوب تدريس العلوم بطريقة عملية تأتي عن طريق الممارسة الحقيقية النافعة للحرف والمهن، لا عن طريق الكبت إذ ينبغي أن تكون المدارس في مجتمع صناعي أشبه شيء بالمصنع الصغير، وأن تقوم بتعليم طلابها بطريقة عملية، يتدرب فيها التلاميذ بإقامة التجارب العلمية والاستفادة من أخطاء هذه التجارب، أو بعبارة أوضح تطبيق نظرية التجربة والخطأ، وتدريس الفنون والنظم اللازمة بالنسبة إلى النظام الاقتصادي والاجتماعي، وأن ينظر إلى التعليم لا على أساس كونه مجرد إعداد للنضوج بل على أنه نمو ونهوض مستمر للعقل وتنوير مستمر للحياة، إذ المدارس لا تقوم لنا سوى النمو العقلي، والبقية تعتمد على مدى استيعابنا وتفسيرنا لتجاربنا، والتعليم الحقيقي يأتي بعد تخرجنا من المدارس ويجب أن يستمر معنا طيلة حياتنا².

مجالات التغيير في العلم والسياسة: قبل ديوي الديمقراطية مخالفة بذلك معظم الفلاسفة على الرغم من معرفته لأخطائها. إذ إن هدف النظام السياسي أن يساعد الفرد على التطور

¹ ول ديوانت، قصة الفلسفة، مكتبة المعارف، الطبعة السادسة، 1988م، ص129.

² ول ديوانت، قصة الفلسفة، ص 124 / 129 بتصرف.

والنهوض بنفسه تطوراً تاماً. ولن يصل إلى هذا إلا إذا اشترك كل فرد على قدر وسعه في تقرير سياسة جماعته ومصيرها، والأرستقراطية والملكية أكثر مقدرة وكفاءة من الديمقراطية، ولكنها في الوقت ذاته أكثر خطورة منها.

إن ديوي لا يثق بالدولة ويفضل نظاماً متعددًا، يقوم فيه بعمل المجتمع بقدر المستطاع جمعيات طوعية اختيارية، ويرى أن في تعدد المنظمات والأحزاب والشركات والنقابات وغيرها توفيق بين الفردية والعمل العام المشترك، ويرى ديوي أن تجديد البناء السياسي لن يتحقق إلا إذا طبقنا على مشاكلنا الاجتماعية الوسائل التجريبية والآراء التي أثبتت نجاحها في العلوم الطبيعية، ويرى ديوي أن المرحلة السياسية لازالت في البدايات والافتراضات، لهذا يدعو إلى الاعتماد على التجربة والخطأ لا على التحقيقات الخاصة والاعتقادات العاطفية، ولأزال التفكير يسير في تعارض كبير في داخل العلوم الاجتماعية، والأخلاق والسياسة والتعليم. وما زال يسير وسط تعارض نظري من النظام والحرية والفردية والاشتراكية والثقافية والنفعية والنظام والطوعية والواقعية والتقليد، لقد انشغلت العلوم الطبيعية في الماضي تمثل هذه الآراء العامة كان تأثيرها العاطفي يتناقض مع وضوحها العقلي¹.

مجالات التغير في المجال الاجتماعي:

يختلف البرجماتيون حول المحافظة على العادات والتقاليد الاجتماعية وعدم التغير فيها حيث قال جيمس: «إن الآراء الذائعة حق وأن القانون المعياري الحق هو ما يعتقده الرأي العام، وإنه من الحماسة بالنسبة لكثير منا أن يحاول وحده التجديد في القيم².

فالتجديد في القيم بإخضاع العادات والتقاليد للتغيير والتبديل من أي جهة ودون اقتناع الأفراد بذلك يعد أمراً غير مرغوب فيه عند وليم جيمس؛ لأن ذلك قد يؤدي إلى نتائج عكسية تؤثر على المجتمع والأفراد، بل يدعو إلى ضرورة أن يكون التغيير طبيعياً وتلقائياً بمرور

¹ ول ديوانت، قصة الفلسفة، ص 130 / 131 بتصرف.

² وليم جيمس، إرادة الاعتقاد، ص 101، ترجمة: محمود حب الله نقلاً عن: هنية القماطي، الأخلاق والعرف، ص 20.

الزمن، «ينبغي أن نتمسك بالحسن والقبح في عرف المجتمع وللزمن فعله وأثره في تطور الفضائل، فقد ينهض بعض الأفراد ويرون آراء ويتمسكون بأفعال جديدة يعتقدون أنها أكثر خبرة مما درج عليها الناس، فتتغير الفضائل إذا قبلتها الجماعة¹.

يساير وليم جيمس عادات وتقاليد المجتمع الموجودة فيه، ويؤكد ضرورة المحافظة عليها، وعدم إحداث تغيير أو تطوير فيها، ذلك أن التجديد لا يمكن أن يكون من خارج المجتمع، بل يكون عن طريق أفرادهم، ويحدث التغيير بطريقة تلقائية، ويتفق هذا الرأي مع العرف الذي يتغير تدريجيا وفقا لاحتياجات المجتمع واستعداده للتغيير، كما يتضح من دعوة وليم جيمس للمحافظة على العادات والتقاليد أن القيم ليست فطرية؛ بل مكتسبة ومصدرها العرف الاجتماعي².

أما جون ديوي فإنه يري ضرورة التجديد والتطوير في الأخلاق، وكل اهتمامه مركز على المواقف الفعلية الفردية للأفراد في المجتمع، «المبادئ والمعايير والقوانين كلها ليست إلا وسائل وأدوات عقلية لتحليل مواقف فردية أو فذة في بابها³.

فالمبادئ والمثل الأخلاقية ما هي إلا وسائل وغايات يستخدمها الفرد لتحقيق أهدافه الخاصة، وليست هي التي تستخدم الفرد لكي يتبعها ويسير وفق منهجها، فهي ليست من صنع فلاسفة الأخلاق ولا من نتاج البيئة الاجتماعية، وإنما تنشأ نتيجة علاقة متفاعلة بين الفرد والمجتمع أي أن هذه المثل خاضعة للظروف⁴.

¹ محمود زيدان، وليم جيمس، ص 183، القاهرة، 1908م، دار المعارف، مصر

² هنية مفتاح القماطي، الأخلاق والعرف، بنغازي، ليبيا: جامعة قاريونس، الطبعة الأولى 1991م، ص 120- 121 بتصرف.

³ جون ديوي، تجديد في الفلسفة، ص 299 بتصرف.

⁴ انظر: توفيق الطويل، فلسفة الأخلاق، ص 300.

ثانيا: التغير في مجالات القيم الاشتراكية.

في مجال الأسرة: قامت الاشتراكية بتغيير نظام الأسرة ليتمشى مع أهدافها الشيوعية، فحولت الإنسان من إنسان مكرم إلى حيوان ملك للدولة لا يحق له الكرامة والاستقلال، وليس من حقه تربية أولاده؛ لأنهم في نظر الاشتراكية ملك للدولة.

يقول ماركس: «حين يقول الوالدان هذا ابني وتلك ابنتي، لا تعني هذه الكلمات وجود أسرة أبوية فحسب، بل توجي للأبوين حقا في تربية أولادهم من وجهة نظرهم كما يريدون، والماركسية تأبى هذا الإقرار بهذا الحق للآباء؛ لأن الفرد ليس ملكا لنفسه ولكنه ملك للجماعة¹.

وما قاله ماركس رده صديقه إنجلز بقوله: "إن الأسرة وضع من أوضاع مجتمع لا ناضج ولا جدوى منه ولا محل لاستبقاء هذا الوضع وتأثيره إلا بالقدر الذي يلائم مصلحة الدولة، وبالقدر الذي يستطيع استغلاله لتدعيم هذه المصلحة، فالطفل لا يولد لأبويه، بل يولد للمجتمع"²، وتستند الماركسية في موقفها هذا إلى أن الأسرة تدعم النزعة الفردية والرغبة في التملك والملكية.

وهذه الكلمات التي أطلقها أقطاب الماركسية بشأن الأسرة تعني من وجهة نظرهم ما يأتي:

1 - القضاء على الأسرة بمنع رباطها ألا وهو الزواج.

2 - إقامة الحظائر لتربية أبناء الدولة ومنع الأبوين من القيام بدور التربية؛ لأن

ذلك يعطل سير الإنتاج.

¹ علي أدهم وآخرون حقيقة الشيوعية نقلا عن: عبد الرحمن عميرة، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، ص66.

² أنور الجندي، هزيمة الشيوعية في عالم الإسلام، دار الاعتصام، 1983م، ص75.

3 - إطلاق المشايعة الجنسية بين رجال الدولة ونسائها، أو الزواج الاختياري كما كانوا يسمونه.

وتبرر الماركسية موقفها هذا تجاه الأسرة بقولها: إن البشرية عاشت في حالة مشايعة جنسية في عصورها الأولى، أنها لم تعرف نظام الأسرة إلا تحت تأثير الظروف الاقتصادية فالفوضوية هي الأصل وتساند الرجال والنساء على قارعة الطريق أو فوق أغصان الشجر هو القاعدة وفكرة الأسرة أو رباط الزواج شيء طارئ¹.

ونتساءل متى تم ذلك؟ يعني وجود هذا الشيء الطارئ وما العوامل التي جدت على البشرية حتى ساعدت على قيامه؟

وترد الماركسية على ذلك بأباطيلها التي لا تستند على أساس علمي أو تاريخي بقولها: «إن انتقال الأفراد إلى فكرة الملكية الفردية لوسائل الإنتاج هو الذي أوجد الحياة الأسرية باعتبار أن الأسرة وحدة اجتماعية تساعد على وفرة الإنتاج، ومن هنا وقعت المرأة فريسة الاستغلال من جانب الرجل، ولكن عندما يتم القضاء على نظام الملكية الفردية تحرر المرأة وتعود لها شخصيتها، وتقوم علاقتها بالرجل على أساس المعاشرة الاختيارية وهو التعبير المذهب لفكرة المشاعة الجنسية².

و"قد حمل إنجلترا على الأسرة حملة شديدة وهاجمها واعتبرها مدعاة للتهالك على الادخار والاكتناز، ولذلك يجب القضاء على هذا النظام ليحل محله نظام الجماعية العامة"³.

في المجال الاجتماعي أو الفوضى الاجتماعية:

تتم تحت إزالة الفوارق بين الطبقات، وإزالة القيم الاجتماعية وتغييرها في تلك القيم التي تعيش في ضمير المجتمع وتحكم علاقاته، ليحل التطاول محل الاحترام، ويحل أكل حقوق

¹ عبد الرحمن عميرة، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، دار اللواء للنشر والتوزيع، 1978م، ص 199-197 .

² عبد الحليم خفاجي، محاور مع الشيوعيين في أقبية السجون، دار القلم، 1993م، ص 148 - 149 بتصرف.

³ أنور الجندي، هزيمة الشيوعية في عالم الإسلام، ص 75.

الناس محل صيانتها، وتحل مع ذلك صور الانحلال والحيوانية التي تغذيها الشيوعية وتحرص عليها لتلهي الناس وتغرقهم في مستنقع الغريزة الآسن... فلا ينظرون ولا يفكرون، ولئن لم تصل الشيوعية بعد إلى فرض إلغاء الأسرة وشیوعية النساء وتبعية الابن أو نسبته إلى الدولة باعتبار ذلك مصادرة للفطرة والطبيعة، فلقد وصلت في مجال العلاقات الاجتماعية وخاصة مجال علاقات الرجال بالنساء هذا حيوانيا فاق ما وصلت إليه بعض دول الغرب تحت اسم التحرر والوجودية، يساعد على ذلك ما عجزت الشيوعية في بلادها عن توفيره للأسرة وهو المسكن، مما ألجأها إلى إسكان الأسرة في حجرة واحدة، وأحيانا أكثر من أسرة في حجرة واحدة، مما جعل ممارسة الغريزة ترتفع عنها السمة الإنسانية وتهبط إلى مستوى حيواني تأنف منه بعض كرائم الحيوانات. بالإضافة إلى أن الشيوعية وإن نجحت في إلغاء الطبقات فقد أبقت على طبقتين: طبقة الأسياد، وهم الحكام والحزب الواحد ويتبع هؤلاء وأولئك جواسيس وأجهزة مراقبة.

أما الطبقة الثانية: فهي (طبقة العبيد) وهي تشمل الشعب كله فيما عدا الأولى، كل ذلك إلى جوار ما تشيعه الشيوعية من تباغض وتنافر بين الطبقات ربما لم يكن له وجود قبل تطبيقها في أكثر الأحيان، وهو ناجم عما يشيعه أعلامها من تحريض بين الطبقات على بعض ليحل التنافر والتفرق فيسود معه حكام الشيوعية، ويضمنون به عدم اجتماع الناس عليهم أو ضدهم¹.

يقول "دجيلاس"² وهو الخبير المجرب:

وربما أنه من الأمور البعيدة عن الواقع، والمستحيلة التحقيق، تكوين إنسان اشتراكي متميز، فإن من الأمور السائدة لدى الشيوعيين، سعيهم إلى تنمية روح التمييز الطبقي والتفرقة

¹ علي جريشة، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، دار الوفاء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1998م، ص 197-198 بتصرف.

² هو شيوعي يوغسلافي، وصل إلى منصب نائب الرئيس تيتو ثم عاد إلى رشده، وارتد عن الشيوعية ونشر فضائحا في كتابه: الجديدة، انظر: الشيخ عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، الكيد الأحمر في سلسلة أعداء الإسلام، ص 6.

الاجتماعية، ليس لأنها مبادئ مطلقة، بل لأنها تشكل لديهم مفاهيم ومعايير أخلاقية متميزة في صلب النظام الشيوعي المبني على أساس هرمي، يكون كل شيء فيه مباحا على مستوى القمة الحاكمة، ومحرمة على القواعد الحزبية.

والقيم عند الشيوعيين ذات مفاهيم ومعايير خاصة، تؤمن للطبقات الفوقية في الحكم وفي الحزب القائم على نظام هرمي أن تسيطر سيطرة تامة على الطبقات التحتية، والويل كل الويل لمن يخرج عليها، ويتعدى صلاحيات شريحته، والأخلاقيات المفروضة على القاعدة الحزبية تجاه من فوقها ثقيلة التكاليف والمسؤوليات، وهي مطالبة بتضحيات لا حدود لها، ومطالبة بالتقاني والإخلاص التام في سبيل المثل العليا التي هي مبادئ الشيوعية في نظر المغرر بهم، وهي مصالح الزعماء في الواقع، وكم في القاعدة من مغفلين أغرار، يتخذهم شياطين الحزب مطايا وضحايا، ويرضى هؤلاء الأغبياء بما يقدم لهم من بعض الشهوات وبعض المكافآت، وتقل القيم لدى الشريحة كلما ارتفعت في اتجاه القمة، وحين تكون الشريحة هي قمة الهرم تسقط كل المفاهيم والمعايير الأخلاقية الخاصة بالحكم الشيوعي وبالحزب الشيوعي، ويكون هو الزعيم القائد أو الزعماء القادة هو المعيار لكل القيم والمبادئ، سواء في داخل الحزب، أو في معاملة الشعب. أما المعايير الأخلاقية ذات الصبغة الإنسانية العامة، فلا وجود لها لدى الشيوعيين إطلاقاً¹.

والحياة الاجتماعية من أشد الحالات في الحياة خطورة، فإن الماركسية لا تحسبها غير نظرية مشتملة على جملة مقولات أو قوانين ترتكز على بعض الجوانب المتمثلة في التطور وصراع المتضادات، كل ذلك وواقع الحياة الاجتماعية لكل من الفرد والأسرة والجماعة غير ذي اعتبار لدى النظرية في حقيقتها ومضامينها. مع أن الروابط الاجتماعية بكل ما تعنيه من ظواهر في السلوك والأخلاق والممارسات والعلائق هي من أخطر الأمور اللصيقة بواقع الإنسان وما يقوم عليه هذا الواقع من كيفية وتركيب. فعلاقة الفرد بذويه من أهل وأول قربي،

¹ الشيخ عبد الرحمن حسن حنكة الميداني، الكيد الأحمر في سلسلة أعداء الإسلام، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى 1988م، ص 48 / 49 بتصرف.

أو علاقته بمن يحيط به من ذوي جوار أو غيره، كل ذلك لا يجوز بحال أن يحظى بغير فائق العناية والاهتمام، وإلا كان الإنسان عرضة للسقوط والتدهور في أحلك مباءات الزيف والانحراف عن السبيل القويم¹.

في المجال الاقتصادي:

نتيجة إلغاء الشيوعية الحافز الفردي الذي يدفع دائما إلى مزيد من الإنتاج، الأمر الذي أكدته الإحصاءات وصدقه التطبيق في كل البلاد التي سلكت سبيل الشيوعية فجنت في هذا المجال:

ضعف الإنتاج كما وكيفا: أي تحقق تناقص الإنتاج من ناحية ورياءته من ناحية أخرى، وهو ما اضطر روسيا في الستينات إلى التراجع لإدخال الحوافز الفردية بعد أن فشلت وسائل القهر والإرهاب في الحفاظ على وفرة الإنتاج وجودته، وبرغم الأراضي الشاسعة الصالحة للزراعة في الاتحاد السوفيتي فقد انحدر الإنتاج الزراعي بسبب إلغاء الملكية الفردية ثم بسبب المزارع الجماعية بأشكالها المختلفة، انحدر حتى مدت روسيا اليد إلى أمريكا لتصدر لها القمح كما مدت يدها إليها لتصدر إليها التكنولوجيا والأجهزة الإلكترونية الحديثة.

والجانب الوحيد الذي نجح فيه النظام الروسي الشيوعي هو جانب الإنتاج الحربي، ويرجع ذلك إلى ما يتسم به الإنتاج الحربي من خضوع للنظام العسكري الذي يتمشى ويتجاوب مع الدكتاتورية التي يفرضها النظام الشيوعي وهناك ملاحظتين:

أولهما: أن هذا الإنتاج من ناحية الجودة والكفاءة أقل من الإنتاج الغربي.

وثانيهما: أن الشيوعية حين غزتها النازية وهزمتها لجأت إلى الإفراج عن الدين بل واستثارته عند الروس وبخاصة المسلمين منهم، والهزيمة التي حاقت بهتلر في النهاية كانت

¹ أمير عبد العزيز، النظرية الماركسية، عمان (الأردن): مكتبة الاقصى 1981م، ص 97 - 98 بتصرف.

على أيدي أبناء المسلمين في روسيا من بعد أن ظنوا بالحكام الروس خيرا إزاء وعودهم وتصريحاتهم¹.

وفي ميدان الاقتصاد يمكن القول بأن النظرية الماركسية في غالبها نظرية اقتصادية تهدف إلى إبادة الملكية إبادة تامة، وفي ذلك ما يتمخض بالضرورة عن فتور همة الفرد وجنوحه للتقاعس والكسل وسوء العطاء؛ ليكون عطاء هينا محدودا، وفي ذلك أيضا إضعاف لحجم الإنتاج وهو المحور الذي تدور حوله الشيوعية في نظرتها للأشياء والأمور وفي تفسيرها لكل ظواهر التاريخ والحياة البشرية.

وليست الماركسية إلا نظرية اقتصادية تعالج مسألة الإنتاج ووسائله، وذلك جانب من جوانب شتى في حياة الإنسان ومع ذلك جاء العلاج ضارا غير ناجع².

وتصور ماركس وأتباعه أن الإنتاج هو الذي يقدر بالضرورة جميع جوانب الحياة الاجتماعية، أو أن المجتمع إنما يدور في فلك الاقتصاد كيفما كان، وليست الحياة بما فيها من أحوال وظروف وبيئات إلا حصيلة لوسائل الإنتاج أو الاقتصاد الذي يغير وجه الأشياء والتاريخ، وما تكون من ظاهرة من ظواهر الأرض سواء كانت مادية أو نفسية أو ذهنية أو روحية إلا وهي أثر في آثار الاقتصاد، أو هي خلاصة لتبدل قد طرأ على وسائل الإنتاج³.

المجال السياسي: تأتي خطورة الشيوعية في أهدافها التي تتمثل في نظامها السياسي الذي تنهار فيه القيم بدعوى هدم القديم، والقضاء على البرجوازية، وتمكين طبقة البروليتارية، إلى غير ذلك من الشعارات التي تطلقها الشيوعية، وما تعتنقه الشيوعية في هذا السبيل، وهي شعارات اتبعتها الشيوعية في مرحلتها الأولى لكنها في مرحلة ثانية لجأت إلى اللعبة التي

¹ علي جريشة، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ص 198-199.

² أمير عبد العزيز، النظرية الماركسية، ص 98 بتصرف.

³ أمير عبد العزيز، النظرية الماركسية، ص 69 بتصرف.

لجأت إليها الولايات المتحدة الأمريكية، وهي لعبة الانقلابات العسكرية، وفي مرحلة ثالثة رجعت إلى سياسة الرجعية البغيضة وهي رجعية الاستعمار والاحتلال العسكريين.

والشيوعية في كل أساليبها: الثورة أو الانقلابات العسكرية، أو الاحتلال العسكري، تستحل الدماء بشكل رهيب، لم يماثلها فيه استعمار قديم أو جديد، وبالتأكيد تستحل ما دون الدماء من أعراض وأموال، وما فعلته بالمسلمين غداة انتصار الشيوعية في بداية القرن العشرين خير دليل على ذلك، إذ كان ضحاياه بالملايين، وما فعلته على أرض المسلمين في الاتحاد السوفيتي غداة انتصار ثورتها ضحاياه ملايين، وما فعلته في انقلاباتها وثوراتها يرتفع إلى مئات الآلاف من الضحايا في مختلف البلدان والأقاليم. وما فعلته في احتلالها الأخير لأرض أفغانستان، من سفك الدماء، واستعمال لوسائل الفتك المحرمة دولياً.

الفهرس:

4	المقدمة:
9	أسباب اختيار الموضوع وأهميته:
10	الدوافع الذاتية:
10	وأما الأسباب الموضوعية فيمكن إجمالها في:
11	إشكالية البحث:
12	منهج البحث وبنية المعرفة:
14	الدراسات السابقة:
20	صعوبات البحث:
21	من هذه الصعوبات:
21	خطة البحث:
27	الباب الأول: المنطلقات التأسيسية لبناء القيم:
27	الفصل الأول: مفهوم القيم وأهميتها:
27	المبحث الأول: مفهوم القيم:
27	المطلب الأول: الدلالة اللغوية للقيم:
29	المطلب الثاني: مفهوم القيم في المرجعية الإسلامية:
30	أولاً: القيم في القرآن الكريم:

39	ثانيا: القيم في السنة النبوية.
43	ثالثا: القيم في التراث الإسلامي.
44	ومن مصادر القيم في التراث الإسلامي.
46	رابعا: نماذج من القيم الإسلامية.
47	ومن نماذج القيم الإسلامية:
47	قيمة العفة:
49	قيمة النزاهة:
49	قيمة صلة الرحم:
50	قيمة الإيثار:
51	قيمة الأخوة:
53	قيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:
53	المطلب الثالث: مفهوم القيم في مرجعية الفكر الغربي.
59	المقارنة بين مفهوم القيم في المرجعية الإسلامية ومرجعية الفكر الغربي.
62	المبحث الثاني: أنواع القيم
62	المطلب الأول: أنواع القيم في المرجعية الإسلامية.
68	أولا: القيم العليا.
68	أ - الحق
72	ب - العبودية
77	ثانيا: القيم الحضارية.
77	أ. قيمة المساواة.
80	ب - قيمة الجمال
84	القيم الخلقية:
84	قيمة البر
90	قيمة التعاون
94	المطلب الثاني: أنواع القيم في مرجعية الفكر الغربي.
94	النظرية اللاهوتية:

95	النظرية المثالية:
98	النظرية الوضعية:
100	أنواع القيم في مرجعية الفكر الغربي المعاصر:
	القيم العقلية أو المتعلقة بالحق. القيم الجمالية أو المتعلقة بالجمال. القيم الأخلاقية أو
100	المتعلقة بالخير.
100	قيمة الحق:
104	قيمة الخير:
106	الحق والخير:
106	قيمة الجمال:
111	التوحيد بين الجمال والخير:
112	مقارنة بين النظرية الإسلامية والغربية للقيم:
115	الفصل الثاني: أسس القيم وخصائصها
115	المبحث الأول: أسس القيم في المرجعية الإسلامية وفي مرجعية الفكر الغربي:
115	المطلب الأول: أسس القيم في المرجعية الإسلامية:
117	أ - الأساس الاعتقادي:
119	مميزات هذا الأساس:
120	ب - الأساس الواقعي والعلمي:
125	ج - الأساس الإنساني:
134	د - أساس الحرية:
143	هـ - أساس المسؤولية:
152	و. الأساس الجزائي:
163	المطلب الثاني: أسس القيم في مرجعية الفكر الغربي:
163	الأساس الأول: العقل:
166	سيادة العقل أو عصر التنوير:
168	النظريات التي أسهمت في تشويه صورة الدين في مرجعية الفكر الغربي:
168	أولاً: نظرية التطور لدارون:

171		ثانيا: نظرية فرويد
175		ثالثا: النظرية الماركسية
179		الأساس الثاني: المنفعة (اللذة أو السعادة):
183		أولا: القيم
184		ثانيا: الدين
186		الأساس الثالث من أسس القيم عند الغرب: المادة:
188		منهج التفكير المادي
192		نتائج الفكر المادي
195		مقارنة بين أسس القيم في المرجعية الإسلامية وفي مرجعية الفكر الغربي:
196		المبحث الثاني: خصائص القيم في المرجعية الإسلامية وفي مرجعية الفكر الغربي .
197		المطلب الأول: خصائص القيم في المرجعية الإسلامية:
198		1. الربانية:
202		2 - الشمول:
203		3 - العموم:
204		4 - الملاءمة للفطرة:
206		5 - الإيجابية:
209		6 - جامعة للثبات والمرونة:
209		7 - التوازن:
211		8 - الواقعية:
212		المطلب الثاني: خصائص القيم في مرجعية الفكر الغربي:
212		1 - تحقيق لذة المنفعة:
217		2 - إشباع الرغبة:
219		3- تلبية الحاجات المادية:
		المطلب الثالث: مقارنة بين خصائص القيم في المرجعية الإسلامية ومرجعية الفكر
222		الغربي.

الباب الثاني: الثبات والتغير في القيم في المرجعية الإسلامية وفي مرجعية الفكر الغربي.
225

الفصل الأول: الثبات في قيم المرجعية الإسلامية ومرجعية الفكر الغربي. 226

المبحث الأول: الثبات في قيم المرجعية الإسلامية: 226

المطلب الأول: الثبات في مصادر المرجعية الإسلامية..... 227

أولاً: مفهوم الثبات..... 227

ثانياً: الثبات في القرآن الكريم..... 229

ثالثاً: الثبات في السنة المطهرة..... 234

المطلب الثاني: الثبات في مصالح الشريعة ومقاصدها: 240

أولاً الثبات في المقاصد الشرعية..... 240

ثانياً: الثبات في المصالح الشرعية..... 253

المطلب الثالث: الثبات في الضوابط..... 265

أولاً: ضوابط التفكير..... 266

ثانياً: ضوابط السلوك..... 272

المبحث الثاني: الثبات في قيم مرجعية الفكر الغربي..... 279

المطلب الأول: جذور الثبات في مرجعية الفكر الغربي..... 280

أولاً: جذور الثبات عند اليونان..... 280

ثانياً جذور الثبات عند الرومان:..... 282

ثالثاً جذور: الثبات عند النصارى المحدثين..... 283

المطلب الثاني: التحول عن الثبات في مرجعية الفكر الغربي..... 292

أولاً: نشأة التحول وتطوره..... 292

ثانياً: أسباب التحول عن الثوابت العلمية والحضارية..... 297

المقارنة بين ثبات القيم في المرجعية الإسلامية ومرجعية الفكر الغربي..... 305

الفصل الثاني: التغير في قيم المرجعية الإسلامية ومرجعية الفكر الغربي..... 308

308	المبحث الأول: التغير في قيم المرجعية الإسلامية
310	المطلب الأول: أسباب التغير
310	أولاً: التغير في المكان
314	ثانياً: التغير في الزمان
320	ثالثاً: التغير في الأحوال
325	المطلب الثاني: مجالات التغير
325	أولاً: التغير في العادات
331	ثانياً: التغير في الأفكار
338	المبحث الثاني: التغير في قيم مرجعية الفكر الغربي
338	المطلب الأول: التغير في أصول القيم
338	أولاً: التغير في المدرسة الذرائعية
340	التغير في أصول القيم عند البرجماتية
340	الحق
342	الأخلاق
348	ثانياً: التغير في أصول القيم في الاشتراكية
350	التغير في أصول القيم في الاشتراكية
350	الدين
353	الحق
353	نظرة الاشتراكية إلى أصل ومنشأ القيم
356	الضمير
357	الإنسان في نظر الشيوعية
357	الأخلاق في نظر الشيوعية
359	المطلب الثاني: التغير في مجالات القيم
359	أولاً: في المدرسة الذرائعية
362	مجالات التغير في المجال الاجتماعي
364	ثانياً: التغير في مجالات القيم الاشتراكية

- 365 في المجال الاجتماعي أو الفوضى الاجتماعية:
- 368 في المجال الاقتصادي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الثالث: آفاق بناء منظومة القيم في المدرسة المغربية.

الفصل الأول: واقع منظومة القيم في المدرسة المغربية والمجتمع.

المبحث الأول: القيم في المنظومة التربوية.

- المطلب الأول: القيم في الوثائق التربوية.
- المطلب الثاني: القيم في المناهج التعليمية؛ منهاج مادة التربية الإسلامية مثالا.

المبحث الثاني: القيم في المدرسة المغربية.

- المطلب الأول: المدرسة المغربية.
 - المطلب الثاني: القيم في المدرسة المغربية.
 - المطلب الثالث: واقع التربية على القيم في المدرسة المغربية
- ### الفصل الثاني: مؤسسات التربية على القيم في المجتمع المغربي

المبحث الأول: الأسرة والتربية على القيم.

- المطلب الأول: الأسرة ومكانتها في المرجعية الإسلامية.
- المطلب الثاني: العوامل الأسرية ودورها في التنشئة الاجتماعية.
- المطلب الثالث: واقع التربية على القيم في الأسرة المغربية.

المبحث الثاني: المسجد والتربية على القيم.

- المطلب الأول: المسجد ووظيفته في المرجعية الإسلامية.
- المطلب الثاني: دور المسجد في التربية على القيم.

- **المطلب الثالث: واقع التربية على القيم في المسجد.**
- المبحث الثالث: الإعلام والتربية على القيم.**
- **المطلب الأول: مفهوم الإعلام ووسائله وتطوره.**
- **المطلب الثاني: دور وسائل الإعلام في التربية على القيم.**
- **المطلب الثالث: واقع القيم في الإعلام.**

الباب الثالث: آفاق بناء منظومة القيم في المدرسة المغربية

تعد التربية أداة فعالة في ضمان تطوير البناء الإنساني المنشود والقاعدة الأساسية لتطور ورقي المجتمع وفق الفلسفة التي تضعها الدول والمؤسسات التعليمية، والتي تخطط وتعمل لتحقيق التنمية الهادفة إلى تجسيد المناهج الدراسية وربطها بواقع مجتمعها بهدف الوصول بالمتعلمين إلى الإسهام في بناء مجتمعهم، وإذا كانت الأسرة هي الحاضنة الأولى للإسهام في تنشئة الفرد، فإن المدرسة في الواقع هي الفضاء التربوي والتعليمي الذي يمثل ساحة المتعلمين في تلقي المهارات والمعارف وترسيخ الأخلاق الحميدة التي تصون سلوك الفرد باعتبارها صمام الأمان في ضبط سلوكيات الأفراد وبيان حدود علاقتها مع خالقها ومع الدولة وبين الأفراد فيما بينهم في المجتمع، وإذا حدث وظهر أن هناك اختلالات في مخرجات المنظومة التربوية، فالسبب يرجع أساسًا إلى ما قد يكون أصاب القيم المعتمدة فأفرز أزمة القيم، وهذا ما تعاني منه النظم التربوية في عالمنا العربي والإسلامي، حيث تنتشر هذه الأزمة بسرعة في جميع القارات بسبب سهولة المواصلات والاتصالات الرقمية، فالمتمتعن في أوضاع العالم كله يستنتج مجموعة من الأزمات القيمية، وما نتج عنها من سلوكيات انحرافية. وإن أقرتها بعض المجتمعات الغربية بسبب استبعاد الدين المسيحي بوصفه مصدرًا أساسيًا ترتكز عليه التربية الأخلاقية بدعوى أن التربية المسيحية غير عقلانية، وبدعوى المنفعة البرجماتية أو الجدوى الوظيفية لتلك السلوكيات، وهو ما يجعل العقل في الغرب المعاصر يبحث عن مصادر جديدة للالتزام الأخلاقي باعتبار أن المجتمعات لا يمكنها أن تعيش فراغًا أخلاقيًا، فالحياة بدون هذا الالتزام لا تستقيم.

ويشهد الجميع للمغرب محاولاته في تبني القيم والتنصيب عليها في القوانين والدساتير المتتالية، ومناهج التربية والتعليم، وبرامج وزارة الأوقاف، والإعلام المرئي والمسموع، وما يعرفه المغرب من تشبته بالدين الإسلامي، لكن واقع المجتمع ينبئ بتحويلات قيمية بدأت تتسلل إلى المجتمع المغربي وتحيد به عن الطريق المنشود، مما

يدعو إلى فتح أورش للإصلاح بمقاربات تربوية لمواجهة هذه التحديات والاختلالات ومواكبة التحولات التي يشهدها المجتمع المغربي.

ومن أبرز الأوراش التي تعد مجالا للمساءلة القيمية في المجتمع المغربي مجال التربية والتعليم باعتباره أحد أبرز المعامل التي تسهر على التنشئة الاجتماعية والقيمية للأجيال المتعاقبة، لكن المتمعن في الشأن التربوي اليوم يستشف للوهلة الأولى مجموعة من الممارسات والتحولات القيمية في المدرسة المغربية مما يجعلها تكاد تخفق في إخراج المواطن الصالح، الذي يجمع بين العلم من جهة، والأخلاق والقيم من جهة أخرى. ولعل كثيرا من أنواع العنف الذي بدأ يستشري بشكل ملحوظ في جسم مؤسساتنا التربوية، إلى درجة أصبح معها يشكل ظاهرة اجتماعية تعيش على إيقاعها عدد من المؤسسات التعليمية، راجع في جانب مهم منه إلى غياب مقاربات قيمية كفيلة بغرس القيم والأخلاق الفاضلة، ومن ثم فإن الإشكال المطروح هنا يمكن صياغته كالتالي:

ما واقع منظومة القيم بالمدرسة المغربية، وكيف يمكن بناء القيم بالتوفيق بين ثباتها في المرجعية الإسلامية وتغيرها في مرجعية الفكر الغربي؟

وانطلاقا من الإشكال الرئيس يمكن صياغة أسئلة فرعية كالتالي:

- ما المقصود بالمدرسة وما هو دورها في التربية على القيم؟
- ما مدى حضور القيم في المنظومة التربوية المغربية؟
- ما العوائق الذاتية والغيرية أمام تفاعل القيم مع المجتمع؟
- ما السبل لتجاوز التحديات وبناء شخصية التلميذ؛ الإنسان بالاعتماد على منظومة القيم؟
- ما سبل حفز المربيين والمربين للانخراط في مشروع بناء القيم وترسيخها لدى التلميذات والتلاميذ؟

الفصل الأول: واقع منظومة القيم في المدرسة المغربية والمجتمع.

أصبح سؤال القيم اليوم؛ من الأسئلة الملحة على الفكر التربوي المعاصر بشكل عام، ومنه أيضا المدرسة المغربية، لعدة أسباب، أهمّها؛ الشعور بالحاجة إلى معالجة المشكلات الأخلاقية على مستويات المجتمع، والفرد، والدولة، والعلاقات الدولية، والأسرة، إضافة إلى كونها أحد أهم أبرز المهام التربوية للمؤسسات التعليمية.

لكن البحث الوضعي عن إجابات لهذا السؤال الملحّ، ينتهي دائماً إلى أفق مسدود، لأنّه لا يدمج في مقاربتة مبادئ الوازع الرّوحي والجزاء الأخروي والعلاقة بالله تعالى، والمفهوم السليم للحرية والمسؤولية، ووظيفة الإنسان في الحياة. ومن ثم كانت الفلسفات الوضعية في حاجة إلى الانفتاح على «مدوّنة القيم في المرجعية الإسلامية» باعتبارها مصدرا مهما من مصادر الأخلاق التي أنارت الوجود البشري عبر ممارسات حية.

وقبل الشروع في التنقيب عن آليات الإفادة من هذه المنظومة القيمية فإنّ الضرورة المنهجية تدعونا لتشخيص واقع التربية على القيم في المدرسة المغربية والمجتمع المغربي، وماهيتها ونسقتها، ومضامينها بالمؤسسات التعليمية والأسرة والمؤسسات الشريكة في العملية التربوية، وتأثيراتها على سلوك الأفراد، والتحديات التي تواجهها.

المبحث الأول: القيم في المنظومة التربوية

يعتبر مدخل القيم من أهم مداخل المنظومة التربوية المغربية، حيث أكدت جميع الوثائق الرسمية في المملكة المغربية على ضرورة نهوض نظام التربية والتكوين بوظائفه اتجاه الأفراد بمنحهم فرصة اكتساب القيم التي تؤهلهم للاندماج في الحياة العملية؛ وقد أرسى الميثاق الوطني للتربية والتكوين أسس هذه القيم، ورسم اختياراتها وتوجهاتها الكتاب الأبيض، وأقرها البرنامج الاستعجالي في ضوء ما جاء به تقرير المجلس الأعلى

للتعليم (المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي) حول حالة المنظومة التربوية وآفاقها، بل إن الحديث عن ضرورة تعزيز القيم في المنظومة التربوية يكاد لا يغيب في عدة خطب ورسائل ملكية، وهو ما تجلّى أيضا في الرؤية الاستراتيجية لإصلاح التعليم (2015-2030)، كما تجلت في تقارير المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي. وهكذا فإنه لا يمكن الحديث عن القيم في المنظومة التربوية المغربية، دون الوقوف عند الوثائق التالية:

- الخطابات الرسمية.
- الميثاق الوطني للتربية والتكوين.
- الكتاب الأبيض.
- الرؤية الاستراتيجية للإصلاح 2015-2030
- تقرير المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي عن التربية على القيم بالمنظومة الوطنية للتربية والتكوين والبحث العلمي.

المطلب الأول: القيم في الوثائق التربوية

أولا: القيم في الخطابات الرسمية

إن التربية على القيم ليس هدفا تربويا فحسب، بل هو خيار وطني استراتيجي يندرج في صيرورة بناء المجتمع الديمقراطي الحداثي، المرتكز على ترسيخ مبادئ الحكامة الجيدة والضامن للحقوق والواجبات؛ من خلال الحث على المشاركة، والمساهمة في تدبير الشأن العام.

وقد نص الدستور المغربي الجديد على ما يلي: "إن المملكة المغربية، وفاء لاختيارها الذي لا رجعة فيه، في بناء دولة ديمقراطية يسودها الحق والقانون، تواصل إقامة مؤسسات دولة حديثة، مركّزاتها المشاركة والتعددية والحكامة الجيدة، وإرساء دعائم مجتمع متضامن،

يتمتع فيه الجميع بالأمن والحرية والكرامة والمساواة، وتكافؤ الفرص والعدالة الاجتماعية، ومقومات العيش الكريم، في نطاق التلازم بين حقوق وواجبات المواطنة¹.

كما جاء في الخطاب الذي ألقاه جلالة الملك محمد السادس بمناسبة تنصيب المجلس الأعلى للتربية والتكوين: "لقد أبينا إلا أن نفتتح الموسم الدراسي لهاته السنة؛ بتنصيب المجلس الأعلى للتعليم، مجددين التأكيد على المكانة المتميزة التي نخص بها الإصلاح التربوي في مشروعهنا التنموي؛ اعتباراً لدوره الحاسم في تعميم المعرفة، وترسيخ قيم المواطنة، وإعداد أجيال المستقبل²".

وقد كان عنوان أول ندوة نظمها المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي: "المدرسة والسلوك المدني"، وعزز هذا الاختيار بالخطاب الملكي الذي وجه في رسالة إلى المشاركين في هذه الندوة الوطنية والتي جاء فيها: "إذا كان النهوض بالسلوك المدني يعد مهمة تربوية مطروحة بإلحاح على المجتمعات المعاصرة؛ فإن الاضطلاع بها يسائل بالدرجة الأولى المنظومات التربوية، ويجعل مسؤوليتها مركزية ودورها راهنيا وحاسما في هذا المضمار. ذلكم أن المدرسة مدعوة قبل غيرها لأن تكون منفتحة باستمرار على محيطها؛ باعتماد نهج تربوي قوامه جعل المدرسة المجتمع في صلب اهتماماتها بما يعود بالنفع على أمتنا عامة، وشبابنا بصفة خاصة، وهو ما يتطلب دعم تفاعلها مع المجالات المجتمعية والثقافية والاقتصادية³".

كما ورد في الرسالة أن: "الغاية المثلى من تنمية السلوك المدني هي تكوين المواطن المتشبث بالثوابت الدينية والوطنية لبلاده؛ في احترام تام لرموزها وقيمتها

1 الفقرة الأولى من تصدير الدستور المغربي، 2011

2 مقتطف من الخطاب الملكي الذي ألقاه جلالة الملك محمد السادس بمناسبة تنصيب المجلس الأعلى للتعليم بمدينة الدار البيضاء

بتاريخ الخميس 14 شتنبر 2006

3 مقتطف من الرسالة الملكية الموجهة الى المشاركين في الندوة الوطنية بالرباط حول "المدرسة والسلوك المدني" الأربعة

بتاريخ 23 ماي 2007

الحضارية المنفتحة، المتمسك بهويته بشتى روافدها، المعتر بانتمائه لأمتة، المدرك لواجباته وحقوقه...¹

وعليه؛ لم يكن مبدأ ترسيخ السلوك المدني بالمدرسة المغربية الذي اتخذته وزارة التربية الوطنية آنذاك مجرد حملة موسمية، بل دعوة إلى إعادة الاعتبار للتربية ذاتها، وتكريسا للأغراض السامية المناطة بالمنظومة التعليمية التربوية.

ثانيا: القيم في الميثاق الوطني للتربية والتكوين

بعد فشل كثير من المحاولات الإصلاحية للتعليم المغربي، تكونت لجنة من الخبراء والأساتذة وممثلي النقابات والأحزاب والمجتمع المدني؛ لإعداد ميثاق وطني للتربية والتكوين² يتضمن المرتكزات الثابتة ومجالات التجديد ودعامات التغيير والاقتراحات البناءة الكفيلة بالنهوض بالشأن التعليمي والتربوي خلال عقد من الزمن (2000 - 2009) وهو ما اصطلح عليه بال عشرية الوطنية للتربية والتكوين لما لقطاع التعليم والتربية من أولوية وطنية بعد الوحدة الترابية، ولما يحظى بأقصى العناية والاهتمام على كل المستويات والمسؤوليات.

وما يهم من هذا الميثاق، الذي دخل حيز التنفيذ ابتداء من سنة 2000 بعد مصادقة البرلمان عليه؛ إبراز:

أولاً؛ كيف تعامل مع القيم،

ثانياً؛ بيان كيف ترجمت غاياته الكبرى في الكتاب الأبيض؛ الذي يحدد المواصفات والمؤهلات التي ينبغي للمتعلم التوفر عليها عند نهاية كل سلك دراسي،

1 مقتطف من الرسالة الملكية الموجهة الى المشاركين في الندوة الوطنية بالرباط حول " المدرسة والسلوك المدني " الأربعاء بتاريخ 23 ماي 2007

2 - اللجنة الخاصة بالتربية والتكوين: الميثاق الوطني للتربية والتكوين، يناير 2000

ثالثاً؛ استجلاء التدابير الواعدة للنهوض بالقيم في البرنامج الاستعجالي
2009-2012.

جاء الميثاق الوطني للتربية والتكوين 1999م، لترسيخ منظومة القيم في السياسة التربوية الوطنية، بجعله التربية على القيم أحد المداخل الثلاثة للمنظور الإصلاحية الشامل للمنظومة التربوية، حيث حددت اختيارات وتوجهات الميثاق في مجال القيم في:

- قيم العقيدة الإسلامية.
- قيم الهوية الحضارية ومبادئها الأخلاقية والثقافية.
- قيم المواطنة.
- قيم حقوق الإنسان ومبادئها الكونية.

حدد الميثاق الوطني للتربية والتكوين المبادئ الأساسية والمرتكزات الثابتة للتعليم بالمملكة المغربية في "مجموعة من الأهداف:

- تكوين المواطن الصالح المصلح، المتزن، المتصف بالاستقامة والاعتدال والتسامح.
- _ الاتسام بروح المبادرة الإيجابية، والإنتاج النافع.
- التشبع بروح الحوار وقبول الاختلاف، وتبني الممارسات الديمقراطية.
- التفتح على معطيات الحضارة الإنسانية العصرية.
- التفتح على المحيط؛ بفضل نهج تربوي قوامه استحضار المجتمع في قلب المدرسة، والخروج إليه منها، بكل ما يعود بالنفع على الوطن، مما يتطلب نسج علاقات جديدة بين المدرسة وفضاءها البيئي والمجتمعي والاقتصادي"¹.

وقد جعل الميثاق الوطني للتربية والتكوين من بين المرتكزات الثابتة التي تقوم عليها منظومة التربية والتعليم بالمغرب حقوق الإنسان، فقد جاء ذلك صريحاً في

1 الميثاق الوطني للتربية والتكوين، المملكة المغربية، أبريل 2001، منشورات المركز المغربي للإعلام، ص 7-11.

المرتکز الرابع منها والذي هذا نصه: "يندرج النظام التربوي في حيوية نهضة البلاد الشاملة، القائمة على التوفيق الإيجابي بين الوفاء للأصالة والتطلع الدائم للمعاصرة، وجعل المجتمع المغربي يتفاعل مع مقومات هويته في انسجام وتكامل، وفي تفتح على معطيات الحضارة الإنسانية العصرية؛ وما فيها من آليات وأنظمة تركز حقوق الإنسان وتدعم كرامته"¹.

يتجلى الجانب القيمي في القسم الأول من الميثاق والموسوم بالمبادئ الأساسية؛ في تركيزه على الإيمان بالله، وحب الوطن، والتمسك بالملكية الدستورية، وبراثن على تربية المتعلم على القيم الآتية: الاستقامة والصالح، والاعتدال والتسامح، والمشاركة الإيجابية.

ومن خلال فحص القيم المنشودة في الميثاق يتضح ما يلي:

يسعى الميثاق إلى تزويد المتعلم بكل ما يحفزه على قبول الاختلاف، والتشبع بروح الحوار، وتبني الممارسة الديمقراطية في ظل دولة الحق والقانون.

يوفق بين الوفاء للأصالة؛ (التفاعل مع مقومات الهوية في انسجام وتكامل) وبين التطلع الدائم إلى المعاصرة؛ (التفتح على المعطيات والآليات التي تركز حقوق الإنسان وتدعم كرامته).

يتطلع إلى تيسير اندماج المتعلمين اجتماعيا، وحفزهم على استيعاب القيم الدينية والوطنية والمجتمعية، وتأهيلهم للإسهام في البناء المتواصل لوطنهم على جميع المستويات.

ثالثا: القيم في الكتاب الأبيض

في ضوء تنفيذ إجراءات الميثاق الوطني للتربية والتكوين انكبت لجان مراجعة المناهج التربوية في شهر يونيو 2002 على وضع تصورات لتنظيم الدراسة في كل سلك أو مسلك دراسي، وتدقيق مواصفات المتعلم، واقتراح المحتويات والكفايات وسبل تنفيذها.

1 وزارة التربية الوطنية، الميثاق الوطني للتربية والتكوين، المرتكزات العامة: ص7.

وانطلاقاً من القيم التي تم إعلانها مرتكزات ثابتة في الميثاق الوطني للتربية والتكوين؛ والتي يمكن تصنيفها إلى أربعة أقسام كبرى وهي:

قيم العقيدة الإسلامية؛

قيم الهوية الحضارية ومبادئها الأخلاقية والثقافية؛

قيم المواطنة؛

قيم حقوق الإنسان ومبادئها الكونية.

وانسجاماً مع هذه القيم فإن "الوثيقة الإطار للاختيارات والتوجهات التربوية" رسمت الغايات الكبرى للتربية على المواطنة؛ والتي عملت المناهج التربوية على أجرأتها وترجمتها إلى كفايات معرفية ومنهجية، وإلى اتجاهات ومواقف ينتظر أن يكتسبها المتعلمون.

وتتبع هذه الغايات والمواقف من الحاجات المتجددة للمجتمع المغربي، ومن الحاجيات الشخصية للمتعلمين وهي:

"ترسيخ الهوية الحضارية المغربية، والوعي بتنوع وتفاعل وتكامل روافدها.

التفتح على مكاسب ومنجزات الحضارة الإنسانية المعاصرة.

تكريس حب الوطن، وتعزيز الرغبة في خدمته.

تكريس حب المعرفة وطلب العلم، والبحث والاكتشاف وتطوير العلوم والتكنولوجيا الجديدة.

تنمية الوعي بالواجبات والحقوق.

التربية على المواطنة وممارسة الديمقراطية.

التشبع بروح الحوار والتسامح وقبول الاختلاف.

ترسيخ قيم الحداثة والمعاصرة.

التمكن من التواصل بمختلف أشكاله وأساليبه والتفتح على التكوين المهني المستمر.

تنمية الذوق الجمالي، والإنتاج الفني والتكوين الحرفي في مجالات الفنون والتقنيات.

تنمية القدرة على المشاركة في الشأن المحلي والوطني.

تنمية الثقة بالنفس والتفتح على الغير.

الاستقلالية في التفكير والممارسة.

التفاعل الإيجابي مع المحيط الاجتماعي.

التحلي بروح المسؤولية والانضباط.

إعمال العقل واعتماد الفكر النقدي.

تثمين العمل والاجتهاد والمثابرة والإنتاجية والمردودية.

المبادرة والابتكار والإبداع.

التنافس الإيجابية.

الوعي بالزمن والوقت كقيمة أساسية في المدرسة وفي الحياة.

احترام البيئة الطبيعية والتعامل الإيجابي مع الموروث الثقافي الوطني.¹

كما تنص أيضا الوثيقة (الإطار) لمراجعة المناهج التربوية، على عدد من الاختيارات

والتوجهات نذكر منها:

1 الكتاب الأبيض، ج1، الاختيارات والتوجهات التربوية العامة المعتمدة في مراجعة المناهج التربوية، الوثيقة الإطار

للاختيارات والتوجهات التربوية، يونيو 2000، ص12-13.

"استحضار أهم خلاصات البحث التربوي الحديث في مراجعة مناهج التربية والتكوين؛ باعتماد مقارنة شمولية ومتكاملة تراعي التوازن بين البعد الاجتماعي الوجداني، والبعد المهاري، والبعد المعرفي، والعلاقة البيداغوجية المتفاعلة"¹.

من أهم توجيهات الوثيقة (الإطار) ما يلي:

- معرفة الذات والتعبير عنها.
- التمتع في الزمان والمكان.
- التمتع بالنسبة للآخر وبالنسبة للمؤسسات المجتمعية؛ (الأسرة، المؤسسة التعليمية، المجتمع)، والتكيف معها ومع البيئة بصفة عامة.
- تعديل المنتظرات والاتجاهات والسلوكات الفردية، وفق ما يفرضه تطور المعرفة والعقليات والمجتمع.

رابعاً: القيم في الرؤية الاستراتيجية للإصلاح / الوثيقة الإطار (2015-2030)

جعلت الرؤية الاستراتيجية للإصلاح 2015-2030 التي أعدها المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي والمصادق عليها؛ ضمن غايات المنظومة التربوية؛ ضرورة اعتبار التربية على القيم خياراً استراتيجياً لا محيد عنه لترسيخ مدرسة مغربية جديدة، ووضعت وظيفة المدرسة في التربية على القيم في صلب التحقيق الفعلي لرافعات التغيير الهادفة إلى بناء المدرسة الجديدة القائمة على الإنصاف وتكافؤ الفرص، والجودة والارتقاء بالفرد والمجتمع؛ فعلى الرغم من الاهتمام الذي أولته المدرسة المغربية للتربية على القيم وحقوق الإنسان والمواطنة، لا سيما منذ اعتمادها البرنامج الوطني للتربية على المواطنة وحقوق الإنسان، وثقافة المساواة بين الرجال والنساء وقيم التسامح،

1 الوثيقة (الإطار) لمراجعة المناهج التربوية وبرامج تكوين الأطر ص2.

استمرت السلوكات اللامدنية في الانتشار؛ كالغش والعنف، والإضرار بالبيئة وبالمكان العام؛ داخل المؤسسات التعليمية والتكوينية وفي محيطها.

من هذا المنطلق تنص الرؤية الاستراتيجية للإصلاح 2015 - 2030 في رافعتها الثامنة عشر حول ترسيخ مجتمع المواطنة والديمقراطية والمساواة على ضرورة "جعل التربية على القيم الديمقراطية والمواطنة الفاعلة، وفصائل السلوك المدني، والنهوض بالمساواة، ومحاربة كل أشكال التمييز، خيارا استراتيجيا لا محيد عنه، يتم تصريفه على المستويات الأربعة التالية:

مستوى النهج التربوي.

مستوى البنيات التربوية والآليات المؤسساتية.

مستوى الفاعلين التربويين.

مستوى علاقة المؤسسة التربوية بالمحيط".¹

على مستوى النهج التربوي، نصت الرؤية الاستراتيجية على ضرورة إدماج المقاربة القيمية والحقوقية في صلب المناهج التعليمية، مع العمل على التجسيد الفعلي ثقافة وسلوكا للقيم المتقاسمة داخل البيئة المدرسية، كما أوصت بتعزيز التربية على ثقافة المساواة ومحاربة التمييز والتمثيلات السلبية عن المرأة في البرامج والكتب المدرسية، وبالحرص على تحقيق التوازن بين التمتع بالحقوق، والالتزام بالواجبات الفردية والجماعية.

وعلى مستوى البنيات التربوية والآليات المؤسساتية، فقد أوصت الرؤية الاستراتيجية بتوفير فضاءات مدرسية؛ من شأنها تجسيد وتنمية الممارسات الديمقراطية والمدنية داخل المؤسسات التعليمية، وبالحرص على وضع صيغ محفزة على الخدمة التطوعية للتلاميذ في إطار مشروع المؤسسة، كما أوصت بإحداث مرصد جهوية ووطنية؛ تعمل على رصد وتتبع

1 الرؤية الاستراتيجية للإصلاح - الرافعة الثامنة عشر - الفقرة 101 - ص 55.

السلوك المدني داخل المدرسة وفي محيطها، ومواكبة برامج التربية على المواطنة، وتقييم آثارها على مستوى الفاعلين التربويين والمتعلمين وشركائهم في محيط المدرسة.

أما على مستوى الفاعلين التربويين فقد أشارت الرؤية إلى ضرورة إدماج تكوينات جديدة للفاعلين التربويين في مجال تدبير التربية على المواطنة وحقوق الإنسان، وتنمية الحس المدني بعيداً عن الصيغ العقابية؛ مع ضرورة مراعاة مقتضيات الديمقراطية والاستحقاق والتميز الإيجابي، ومبدأ المناصفة في إسناد المسؤوليات المختلفة داخل منظومة التربية والتكوين والبحث العلمي.

وعلى مستوى علاقة المؤسسة التربوية بالمحيط، فقد أوصت الرؤية الاستراتيجية بتقوية الروابط المباشرة والتواصل المنتظم مع الأسر وإشراكهم في الفعل الثقافي والتدبيري، وتعزيز الشراكات المؤسساتية، والاستفادة من مختلف الخبرات الخارجية التي توفرها المؤسسات الاجتماعية قصد إشراكها في بلورة مشاريع المؤسسة، مع ضرورة إسهام المدرسة في مد الجسور مع المحيط الخارجي التي يتشكل من الفضاءات المرتبطة بمحيط المدرسة، من أجل ضمان حسن استعمال هذه الفضاءات والإسهام في تحصين السلوكات اللامدنية وتنمية قيم المواطنة.

وفي الرافعة الثانية عشر للرؤية الاستراتيجية حول تطوير نموذج بيداغوجي قوامه التنوع والانفتاح، والنجاعة والابتكار، أكد المجلس الأعلى على أن تطوير النموذج البيداغوجي¹ - القائم على النحو الذي يستجيب للخيارات المجتمعية الكبرى ويحقق الانفتاح على مستجدات العصر والمعارف والمناهج والقيم الكونية - يشكل رافعة حاسمة أهداف التغيير المنشود.

1 يتشكل النموذج البيداغوجي-حسب الرؤية الاستراتيجية للإصلاح- من غايات المدرسة ووظائفها، ومن المناهج والبرامج والتكوينات، ومن المقاربات البيداغوجية والوسائط التعليمية، ومن الإبقاءات الزمنية للدراسة والتعلم، ومن التوجيه المدرسي والمهني والإرشاد الجامعي، ومن نظام الامتحانات والتقييم.

من هذا المنطلق يرى المجلس ضرورة القيام - على مستوى التعليم الأولي والابتدائي - بما يلي:

"تقوية مواد التفتح بالتعليم الأولي والسنتين الأولى والثانية من التعليم الابتدائي، من خلال التحسيس بالقيم الدينية والوطنية والإنسانية، والاستئناس بالطرق العلمية والتجريبية، واستثمار التطبيقات التفاعلية والرقمية والتربية الفنية: المسرحية والسينمائية والتشكيلية والموسيقية والرسوم المتحركة وأنشطة الترفيه والتربية الرياضية الخاصة بالطفولة المبكرة.

تركيز التعليم الابتدائي على المعارف والكفايات المتعلقة بالحساب واللغات ومواد التفتح العلمي والبيئي وربط مواد القراءة بالمعارف، وبالقيم الدينية، والوطنية، والإنسانية.¹

خامسا: القيم في تقرير المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي عن "التربية على القيم بالمنظومة الوطنية للتربية والتكوين والبحث العلمي".

انطلق المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلم في تقريره الصادر في يناير 2017 عن "التربية على القيم بالمنظومة الوطنية للتربية والتكوين والبحث العلمي" من اعتبارات أساسية، في مقدمتها:

كون التربية على القيم تمثل أحد مداخل تكوين وتأهيل الرأسمال البشري، وتنميته بشكل مستدام.

كون التربية على القيم تكتسي أهمية خاصة مما يجعلها في صميم انشغالات الدولة والمجتمع وفي صلب النقاش العمومي حول المدرسة ومختلف أدوارها.

كون آثار التربية على القيم لا تهم ميادين التعليم والتكوين والتأهيل والبحث فقط؛ بل تمتد أيضا إلى عمق التنمية البشرية والبيئية.

1 الرؤية الاستراتيجية للإصلاح - الرافعة الثانية عشر - الفقرة 69 - ص 31.

كون التربية على القيم تشكل مكونا مهيكلًا لبنية وظائف المدرسة، ولا سيما وظيفتها المتعلقة بالتنشئة الاجتماعية والتربية والتثقيف، والإدماج الاجتماعي والثقافي للمتعلمين، وتقوية الروابط الاجتماعية وتحقيق تماسك المجتمع.

"وتتمثل الأهداف الأساسية من تخصيص المجلس لتقرير يتضمن مقترحات ومداخل استراتيجية للتربية على القيم في الإسهام بما يلي:

تمكين المنظومة التربوية من تعزيز الاضطلاع بإحدى وظائفها الأساسية المتمثلة في التنشئة الاجتماعية والتربية.

مساعدتها على الارتقاء المستمر بجودة نسقها التكويني في تكامل بين بناء المعارف وتنمية المهارات وترسيخ القيم.

تيسير قدرة المدرسة على تمكين المتعلمين والخريجين من اندماجهم السوسيوثقافي والقيمي.

تطوير أساليب عملها التربوي ونظام العلاقات داخل فضاءها، وبين مؤسسات التربية والتكوين والبحث وبين محيطها، على نحو يرسخ البعد القيمي وثقافة الحقوق والواجبات.

جعل المنظومة التربوية رافعة من رافعات الارتقاء بمجتمع تسوده منظومة القيم المنصوص عليها في الدستور.¹

وبالرغم من المكتسبات العديدة التي أشار إليها التقرير في قسمه الأول والتي حققتها المنظومة في مجال التربية على القيم، سواء على مستوى مشاريع إصلاحها أم على مستوى السياسات العمومية في ميادين التربية والتكوين، فإنه قد كشف عن

1 تقرير المجلس الأعلى للتربية والتكوين عن "التربية على القيم بالمنظومة الوطنية للتربية والتكوين والبحث العلمي" - الفقرة 14 - ص 6.

مجموعة من الاختلالات والإشكالات الواقعية التي تمثل تحديات كبرى أمام المدرسة المغربية ودورها في التربية على القيم، وقد حصرها في أربع مفارقات أساسية:

- اتساع الهوة بين الخطاب حول القيم والحقوق والواجبات، وبين الممارسة الفعلية لها، بالنظر لاستفحال السلوكات المخلة بالقيم داخل المدرسة وفي محيطها.

- تبني مؤسساتي لبرامج متتالية كبرى للتربية على القيم، مقابل ندرة أو شبه غياب التقييمات المنتظمة لهذه البرامج، مما يضعف سيرورات الإصلاح، ويكون سببا في هدر الطاقات والإمكانات.

- رهان قوي على أدوار الفاعلين التربويين؛ مقابل ضعف تكوينهم الأساس والمستمر في مجال القيم والتربية عليها، وماله من آثار على ممارساتهم التربوية وانخراطهم في الإصلاحات ذات الصلة.

- تأكيد الأدوار الوازنة لمحيط المدرسة في التربية على القيم، مقابل محدودية قدرة المدرسة المغربية على تنمية الشراكات في هذا الشأن.

وفي قسمه الثاني؛ ركز المجلس على سبع مجالات أساسية لتطوير وتجديد التربية على القيم من خلال استخلاص نتائج التقارير والدراسات الوطنية، واستلهام التجارب الناجحة في هذا المجال، وتتمثل هذه المجالات في:

المجال الأول: المناهج والبرامج والتكوينات.

من خلال توضيح الخيارات والمقاربات المتبناة في إدماج التربية على القيم ضمن المنهاج المدرسي العام، وإعداد أطر ودلائل مرجعية، واختيار مصفوفة القيم ذات الأولوية؛ مع إدماج المقاربة القيمية والحقوقية في المناهج التعليمية، وتعزيز التربية على ثقافة المساواة ومحاربة التمييز، وتشجيع الإبداع والابتكار التربوي.

المجال الثاني: الوسائط المتعددة والفضاء الرقمي.

من خلال تعزيز أدوار الفضاء الإعلامي بالمؤسسات التعليمية والاستثمار الأمثل للوسائط المعلوماتية والثقافة الرقمية منذ المراحل الأولى للتعليم، في برامج وأنشطة التربية على القيم بما يضمن للمتعلمين استعمالها بشكل بناء ومثمر، مع إحداث فضاء رقمي للمؤسسات التعليمية ينهل منه المتعلمون الموارد ذات الصلة بمنظومة القيم المدرسية.

المجال الثالث: الحياة المدرسية والجامعية والممارسات المواطنة

من خلال ملائمة الإيقاعات الدراسية بشكل يساهم في تحقيق أهداف التربية على القيم، بموازية تعميم الأنشطة التربوية المختصة في التوعية بالقيم، وتكريس الممارسات الهادفة إلى ترسيخ حس الانتماء المشترك وطنيا وعالميا وتنمية روح المبادرة والإبداع لدى المتعلمين في قضايا القيم، مع إرساء آليات للوساطة وتدبير الخلافات داخل المؤسسات ومراكز الإنصات لفائدة المتعلمين.

المجال الرابع: الفاعلون التربويون

من خلال إدماج مؤشرات محددة في التربية على القيم في اختبارات قبول الأطر الإدارية والتربوية عند ولوج مهن التربية والتكوين، وتعزيز مناهج تكوين الفاعلين التربويين بوحدات قارة في التربية على القيم وتنميين من يجتهدون منهم في أساليب التربية القيمية، وكذلك من خلال إطلاق أوراش بيداغوجية ميدانية داخل المؤسسات التعليمية يشارك فيها مختلف الفاعلين التربويين المعنيين بهدف انخراطهم المباشر في بناء تصورهم التربوي للمواطنة والسلوك المدني داخل المؤسسة وخارجها.

المجال الخامس: علاقة المؤسسة التربوية بالمحيط والشراكات مع الفاعلين المؤسساتيين والمجتمع المدني

من خلال تجديد المدرسة ومؤسسات التربية والتكوين لصيغ الشراكة والتعاون مع المحيط، وإشراكها في بلورة المشاريع والبرامج التربوية على القيم، بموازاة نهج سياسات التقائية وشراكات مثمرة مع الفاعلين المؤسساتيين، وهيئات وجمعيات المجتمع المدني الحقوقية والثقافية المهمة بقضايا التربية على القيم، وكذلك من خلال تنمية التعاون والعمل المشترك بين المنظومة التربوية وبين المجالس والهيئات الوطنية المهمة، والمراصد ومعاهد البحث الوطنية المختصة والعاملة في التنمية البشرية والمواطنة والسلوك المدني... ومع الهيئات والمنظمات الدولية.

المجال السادس: البحث العلمي والتربوي

وذلك من خلال دعم البحث التربوي في مجال قضايا القيم والتربية على القيم وإدماجها في المشاريع البحثية، مع توسيع الشراكات والتعاون بين مراكز البحث الوطنية وبنياته ذات الصلة بالتنمية البشرية والبيئية والاستراتيجيات التربوية والاجتماعية وبين المراكز المماثلة على الصعيد الدولي، واستثمار نتائج هذا البحث في تطوير برامج التكوين الأساس والمستمر لمختلف الفاعلين التربويين، مع محاولة بلورة منظومة قيمية للبحث العلمي تجمع بين قيم الجودة والصرامة العلمية، والقيم ذات الصلة بأخلاقيات البحث العلمي، لتشكل إطارا مرجعيا لمجموع ممارسات البحث العلمي والتربوي بوجه عام.

المجال السابع: الفئات في وضعية إعاقة، وفي وضعيات خاصة، والفئات المعرضة أو الحاملة للهشاشة.

وذلك من خلال تعزيز سياسات تعميم التمدرس والتكوين، وتحقيق الإنصاف والمساواة، وضمان الحق في التربية لفائدة جميع المتعلمين، وضمنهم الفئات من ذوي الإعاقات أوفي وضعيات خاصة والفئات المعرضة أو الحاملة للهشاشة، وذلك في إطار العمل على رفع كافة

أسباب التهميش واللامساواة التي قد يعاني منها الأطفال والشباب، دون إغفال الأطفال والشباب المغاربة في المهجر، من خلال بلورة برامج عمل في إطار سياسة تربوية تكوينية لفائدتهم، تستثمر ثقافات وطنهم الأم في مجال القيم والثقافة، قصد تمكينهم من قيم مجتمعهم الأصلي وضمان إسهامهم في حوار الثقافات وتواصلها في بيئات المهجر.

وفي ختام التقرير جدد المجلس تأكيده على الأهمية الاستراتيجية للتربية على القيم في ارتباطها بالتمكن من اللغات والمعارف والكفايات، وقدم مجموعة من التوصيات لتفعيل هذه التربية على الوجه المطلوب، يمكن إجمالها فيما يلي:

- وضع برنامج عمل وطني وجهوي يتضمن التدابير والإجراءات الكفيلة بتفعيل المقترحات والتوصيات المتضمنة في التقرير، مع استثمار أول فرصة سيتم فيها مراجعة المناهج والبرامج، لإدماج مقترحات التقرير حول التربية على القيم ضمن المناهج والبرامج المقبلة.

- إعداد ميثاق تربوي تعاقدى وطني للتربية على القيم مؤطر للتدابير التربوية وشاركات المؤسسة.

- بلورة إطار مرجعي عام لمنظومة القيم المستهدفة ومجالات التربية عليها في كل من: القيم الدينية والوطنية، قيم المواطنة المحلية والعالمية، قيم المحافظة على البيئة وتتميتها المستدامة، قيم المجال المدرسي.

- تنويع المقاربات والأساليب في تفعيل المقترحات والتوصيات مع مراعاة تكاملها وانسجامها: مقارنة وقائية، مقارنة قائمة على التمييز الإيجابي، مقارنة استشرافية.

- اعتماد آليات للرصد والتقييم المنتظم لبرامج التربية على القيم، من خلال إحياء تجربة مرصد القيم، وإحداث مرصد جهوية، وتعميمها مع اعتماد تقييمات مؤسساتية لتقييم وقياس الأثر ومدى التمكن من الكفايات القيمية المختلفة المستهدفة.

إذن ومن خلال ما سبق عرضه، يتضح مدى تأكيد الوثائق المرجعية الرسمية والتربوية للبلاد على أهمية التربية على القيم وضرورة إدماجها في صلب المناهج الدراسية؛ لإعداد نشء صالح لنفسه ووطنه وأمته، ولترسيخ مدرسة مغربية جديدة منتجة وفعالة بمنظومتها القيمية التي تجعل المتعلم يستدمج هذه القيم، وينتج المعرفة، ويندمج بكل سهولة في المجتمع، ويواجه الحياة بكل شجاعة في عالم متغير.

المطلب الثاني: القيم في المناهج التعليمية؛ منهاج مادة التربية الإسلامية مثالا

تعتبر المناهج الوسيلة التي يحقق بها المجتمع أهدافه وغاياته التربوية، وبالتالي فإن بناء هذا المنهج يحتاج إلى أسس علمية واضحة، وخصائص، وغايات وأهداف وقيم؛ يسعى إلى تحقيقها في المجتمع.

والمنهاج الدراسي المغربي يعتبر مدخل القيم من أهم مداخله، وأهدافه التي يسعى إلى بنائها لدى المتعلمين، وقد أكدت جميع الوثائق الرسمية في المملكة المغربية كما مر معنا؛ على ضرورة نهوض نظام التربية والتكوين بوظائفه تجاه الأفراد بمنحهم فرصة اكتساب القيم التي تؤهلهم للاندماج في الحياة الاجتماعية والعملية. وحتى تكتمل لنا صورة المنهاج التعليمي ودوره في ترسيخ القيم لا بد لنا من الوقوف على مفهوم المنهاج وأساسه ومكوناته.

المنهاج في اللغة:

"يراد بالمنهاج في اللغة؛ الطريق الواضح والخطة المرسومة، أو الطريقة الواضحة قال تعالى ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾¹، وكذلك المنهج والنهج، ومنه منهاج

الدراسة ومنهاج التعليم. وفي حديث العباس رضي الله عنه: (لم يمت رسول الله عليه السلام حتى ترككم على طريق ناهجة)¹ ، أي واضحة بينة، ونهجتُ الطريق أبنته وأوضحته².

المنهاج في الاصطلاح:

مر مفهوم المنهاج بمراحل متعددة؛ "فقد كان يعني المواد الدراسية التي تقدم للمتعلمين، وقسمت المعرفة ضمن هذا المفهوم إلى فروع متعددة بعيدة عن الترابط، كالنحو والبلاغة والمنطق والحساب والهندسة والفلك وغيرها"³.

وحدد دور الكتاب المدرسي في تبسيط المعرفة الواردة في هذه الموضوعات وتوضيحها، وكان معيار نجاح المدرس في عمله يعتمد على مدى إتقان المتعلمين لهذه المعلومات وحفظها.⁴

هذا هو المفهوم التقليدي للمنهاج التربوي. وقد عرف على أنه:

- مجموعة المواد الدراسية التي يتولى المتخصصون إعدادها، ويقوم التلاميذ بدراستها.
- المعلومة والحقائق المقدمة للتلاميذ على صور مقررات دراسية.
- عملية نقل المعلم للمعلومات التي يحتويها المنهاج إلى الطلاب ملخصا لغرض إعدادهم للامتحانات، وليحكم المعلم بالتالي على مدى نجاحهم في التعليم⁵.

ويمكن أن يجمل مفهوم المنهاج في المعنى التقليدي على أنه:

1 أخرجه عبد الرزاق في مصنفه "5/ 434" وأخرجه بنحوه الدارمي في سننه "1/ 39" وابن سعد في طبقاته "2/ 226" عن عكرمة.

2 أنيس وآخرون: المعجم الوسيط باب التاء ص 957. ابن منظور: مرجع سابق ص 1300 مادة نهج.

3 محمد هاشم ريان: التربية الإسلامية ص 4

4 المرجع نفسه ص 4

5 وليد رفيق العياصرة: التربية الإسلامية واستراتيجيات تدريسها وتطبيقها العملية ص 465

المحتوى، ونقل كم من المعرفة للطلبة، وعلى أنه نقل المعرفة من المعلم إلى المتعلم، ويركز على جانب الحفظ للمتعلم، ويهمل الجوانب الأخرى كالجانب الوجداني والنفسي والحركي والاجتماعي والمهاري، والانفعالي، وهذا ما يتعارض مع التطور السليم لشخصية المتعلم التي يراد لها النمو بشكل متكامل من جوانبها المتكاملة¹.

أما تعريف المنهاج في مفهومه الحديث المعاصر، فله أكثر من تعريف، منها:

- مجموعة المعارف والخبرات الموجهة التي تبناها قادة المجتمع للنشء ككفايات، يجب تحقيقها لصالح نموهم، واتجاهاتهم الاجتماعية؛ من خلال تعليم هادف منظم بتخطيط المؤسسة التعليمية².

- كل الخبرات المخططة التي يمر بها الطالب بصرف النظر عن مصادرها وطرائقها³.

- كل الخبرات التي يمارسها الطالب تحت إشراف المدرسة⁴.

- مجموع الخبرات التربوية والثقافية والاجتماعية والرياضية والفنية التي تهيئها المدرسة لطلابها داخل المدرسة أو خارجها؛ بقصد مساعدتهم على النمو الشامل، وتعديل سلوكهم لأهدافها التربوية⁵.

والمنهج بمفهومه الحديث هو مجموعة الخبرات التربوية التي تهيئها المدرسة للتلاميذ سواء داخلها أو خارجها؛ وذلك بغرض مساعدتهم على النمو الشامل المتكامل، أي النمو في كافة الجوانب العقلية والثقافية والدينية والاجتماعية والجسمية والنفسية والفنية؛ نمواً يؤدي

1 نفس المرجع ص 465

2 وليد خضر الزند، هاني حتمل عبيدات: المناهج التعليمية، تصميمها، تنفيذها، تقويمها، تطويرها ص 16

3 فرحان إسحاق وآخرون: المناهج التربوية بين الأصالة والمعاصرة ص 466.

4 نفس المرجع ص 466

5 نفس المرجع ص 466

إلى تعديل سلوكهم، ويكفل تفاعلهم بنجاح مع بيئتهم ومجتمعهم، وابتكارهم حلولاً لما يواجههم من مشكلات.

لقد أبرزت هذه التعريفات مهمة المدرسة والمعلم، وجعلتها منصبة على النمو والخبرات، وتهيئة الجو المناسب الذي يمكن المتعلمين من التعلم بهدف تشكيل السلوك المتكامل وليس حفظ المعرفة والتلقين، ويركز على العمليات العقلية لدى المتعلم واكتساب المفاهيم والاتجاهات الإيجابية والقيم والمهارات، ويراعي الفروق الفردية، وتنظيم عملية التعليم كوظيفة يمارسها المتعلم في حياته، فالمعرفة يجب أن يكون لها تطبيق في حياة الناس، فالمنهاج التعليمي لا ينشأ من فراغ ولا يمكنه ذلك، بل لابد له من أسس تُعنى "بتحديد الإطار الثقافي والتربوي والتعليمي الذي ينبغي أن تسير فيه أهداف التربية ومخرجاتها، وأن تُبنى في ضوءه الخطط، والاستراتيجيات، والأساليب"¹ التي سيشملها المنهاج.

لذلك؛ يُعتبر الكثير من المتخصصين أن أسس المناهج هي القوة الأساسية التي لها التأثير الكبير في أهداف المنهاج التعليمي ومحتواه وطرائق تنظيمه وتصميمه، ويرون فيها العوامل التي تتأثر بها عمليات المنهاج في جميع مراحلها، ابتداءً من التخطيط ومروراً بالتنفيذ ثم وصولاً إلى التقويم. "وغالباً ما يُكتب النجاح أو الفشل للمنهج المدرسي بمقدار مراعاة المخططين لهذه الأسس أثناء عملية التخطيط"²، لذا يبذل مخططو المناهج جهوداً كبيرة في سبيل أخذ هذه الأسس بالحسبان عند تصميمهم للمناهج الجديدة، أو عند قيامهم بعملية التقويم للمناهج الحالية، أو عملهم على تنقيح المناهج الراهنة أو تعديلها أو تطويرها نحو الأفضل.

ويتفق المتخصصون على تحديدها بأربعة أسس:

— الأسس الفلسفية.

1 د. بطاينة، رزقفايز. "المناهج التربوية: المفهوم، العناصر، الأسس، أنواعها، التطوير"، مرجع سابق، ص 57.

2 د. سعادة، جودت أحمد؛ د. إبراهيم، عبد الله محمد. "المنهج المدرسي المعاصر"، مرجع سابق، ص 67.

– الأسس الاجتماعية.

– الأسس النفسية.

– الأسس المعرفية.

ويفرد المنهج التربوي مساحة مهمة لتوضيح الآليات التربوية التي يستخدمها في ترسيخ القيم التي يدعو إليها، وحينما نتحدث عن الآليات التي يستخدمها المنهج التربوي في ترسيخ القيم، يجب أن نتذكر دوماً أن تلك الآليات هي آليات متغيرة تتبع حالة الفرد من جهة والمحيط أو البيئة التي تؤثر عليه من جهة أخرى، وهذا الاختلاف في الآليات مع ثبات القيم يشير إلى دقة المنهج التربوي في التعامل الواقعي السليم مع كل حالة تربوية على حدة، أضف إلى ذلك أن الآليات التي تستخدم في التعامل مع الطفل تختلف أيضاً حسب المرحلة العمرية التي يمر بها الطفل.

وإذا كان الميثاق الوطني للتربية والتكوين، دعا إلى الاهتمام بمدخل القيم، حيث جعل أمر الاهتمام بها من مرتكزاته الثابتة، فنص على ضرورة " أن يهتدي نظام التربية والتكوين بمبادئ العقيدة الإسلامية، وقيمها الرامية لتكوين المواطن المتصف بالاستقامة والصلاح، المتمسك بالاعتدال والتسامح، الشغوف بطلب العلم والمعرفة، والمتوثب للاطلاع والإبداع، والمطبوع بروح المبادرة الإيجابية والإنتاج النافع"¹.

فإن مادة التربية الإسلامية، تعد المجال الأكثر طواعية لترسيخ قيم المسؤولية وأخلاقيها، ويتضح دور منهاج التربية الإسلامية في اكتساب المتعلمين هذه القيم والأخلاق باعتبارها المادة الدراسية المنوط بها تحقيق هدف الإسلام؛ في تنشئة أبنائه على عقيدته ومبادئه وقيمه ومثله، وفي التسامي بفطرتهم إلى الغاية التي رسمها لهم، لذلك يتم تدعيم مادة التربية الإسلامية من خلال حسن إعدادها وتقويتها، وتأكيد المثل والقيم العليا الرفيعة التي جاء بها الإسلام

1 الميثاق الوطني للتربية والتكوين ص 71

العظيم، كما يمكن تضمين القيم البيئية والقيم النفسية والعقلية والصحية في هذا المنهاج ودعمها في نفوس المتعلمين.

لقد جاء المنهج القرآني بقيم أخلاقية تميزت على كل المناهج الأخرى؛ لمواكبته الحياة، والتطبيق الصادق لا مجرد شعارات، فأيات القرآن الكريم كان من أسباب نزولها معالجة بعض الظواهر الاجتماعية والأخلاقية، فتمثل هذا المنهج في إعداد إنسان مسلم يؤمن بقيم نبيلة ومشرفة، كما يلاحظ أن المنهج التربوي القرآني يرافق الإنسان في جميع مرافق حياته، ومن أبرز وسائل وأساليب المنهج القرآني في تربية الفرد والمجتمع؛ التربية بالقدوة فقد دعا المربون إلى اتخاذ القدوة أساسا للتربية، فالطفل بالتقليد يتأثر أكثر من النصح والإرشاد، كذلك التربية بالقصة لها أثر قوي في النفس، بالإضافة إلى أسلوب النقاش والإقناع بالحجة، وأيضا استخدام أسلوب الثواب والعقاب والتوبة والاستغفار بعد كل ذنب، وهو منهج الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث عمل عليه الصلاة والسلام على جمع كل الأخلاق الفاضلة كما أمره الله تعالى، فكان هذا المنهج متكاملا جديرا بالوقوف معه والتأمل فيه، لأننا نحتاجه في تربية الأفراد على مكارم الأخلاق وفضائل السلوك وسامي القيم، فهذا المنهج قادر على تخريج جيلا متقدرا بسمو أخلاقه وعلو همته ونجاحه في كل الميادين.

منظومة القيم في المنهاج الجديد لمادة التربية الإسلامية.

يسعى المنهاج الجديد لمادة التربية الإسلامية إلى إكساب المتعلم شخصية "مستقلة قادرة على الاندماج في المحيط بشكل إيجابي، والتفاعل مع مكوناته (حسن التصرف)، انطلاقا من التعرف على الذات والآخر، والتعبير عن الذات والتخاطب مع الغير، ولا يكون ذلك إلا باعتبار المدرسة مجتمعا صغيرا مفتحا على محيطه المحلي والجهوي والوطني ثم الدولي، مع تمكين المتعلم(ة) من معرفة وظيفية، وأدوات إنتاجها، عبر أنشطة تعليمية ذات معنى بالنسبة له في إطار وضعيات تعليمية، تمكنه من تحديد درجة أهميتها بالنسبة له، وتكون حافزا على الانخراط بتلقائية وفعالية في العملية التعليمية". ولأجل ذلك جاء هذا المنهاج ليحقق مجموعة من الأهداف أبرزها:

- ترسيخ عقيدة التوحيد وقيم الدين الإسلامي على أساس الإيمان النابع من التفكير.
- والتدبر والإقناع، وتثبيتها في نفس المتعلم(ة) انطلاقاً من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة
- التشبث بالهوية الدينية والثقافية والحضارية المغربية.
- تعرف المتعلم (ة) على سيرة الرسول ومقاصدها وفقهها والاقتداء به.

القيم التي يتوخى المنهاج نقلها للمتعلمين.

القيم باعتبارها سلوكات ومواقف وممارسات فإنه ينبغي تنميتها في فضاءات المجتمع المدرسي، ليتسع مجالها إلى الفضاء المجتمعي العام. من خلال وضعيات حقيقية أو مستمدة من واقع الحياة اليومية للمتعلم، وعلى نفس المنوال صار المنهاج الجديد للتربية الإسلامية، حيث ركز بشكل كبير على القيم، وصاغ مقاصد عظمية للتربية الإسلامية يمكن إجمالها فيما يلي:

المقصد الوجودي: ويتحقق هذا المقصد من خلال الإيمان بالوجود الحق لله تعالى وكماله المطلق؛ والإيمان بأن غاية الوجود البشري تكمن في عبادة الله وتسبيحه.

المقصد الكوني: ويعني الإيمان بوحدة البشرية من حيث المنطلق والمصير وبتكامل النبوات باعتبارها نور الهداية وحبل الله إلى الخلق. وبهذا يكون الرسول المصطفى نبي الرحمة ونموذج الكمال الخلقي والخلقي خاتم الأنبياء ورسول للعالمين.

المقصد الحقوقي: ويرتكز هذا المقصد على أربعة قيم حقوقية كبرى وهي الحرية (التحرر من كل القيود والأغلال)، والقسط (حكم المؤمن بالعدل ولو على نفسه والأقربين)، والمساواة (لا تمييز بين البشر)، والكرامة (عزة الفرد لا ينتقص منها قوة أو سلطان أو جهل أو فقر أو عرف...).

المقصد الجودي: يتحدد هذا المقصد باتخاذ المبادرة لتحقيق النفع للفرد والمجتمع. فالإحسان والتضامن والتعاون وإصلاح المحيط دليل الإيمان التام.

والناظر في هذا المنهاج يستشف أن القيمة المركزية لهذا المنهاج هي قيمة التوحيد، إلا أن هناك قيم مرتبطة بها ولصيقة بها تتمثل في، الحرية - الاستقامة - المحبة - الإحسان.

وقد عمل هذا المنهاج على أجرة هذه القيم وذلك عن طريق توظيف هذه القيم في الكتاب المدرسي والتركيز عليها حتى يتسنى للمتعلم فهمها فهما صحيحا، والملاحظ أن هذه القيم هي موجودة في كتب السنة الأولى ابتدائي إلى السنة الثانية باكوريا وهذا يؤكد على أن المنهاج حاول أن يجعل المتعلم دائما يحتك مع هذه القيم في جميع المستويات بالشكل الذي يناسب قدراته الذهنية، لذلك نجد المنهاج مبني وفق المداخل الرئيسية الآتية: التزكية، والاقتداء، والاستجابة، والقسط، والحكمة.

فالتزكية: يقصد بها تزكية النفس وتطهيرها بتوحيد الله تعالى وتعظيمه ومحبته، وذلك بدوام مناجاته من خلال تلاوة القرآن، والاتصال به وتعرف قدرة الله وعظمته قصد ترسيخ قيمة التواضع لدى المتعلم.

الاقتداء: يقصد به معرفة رسول الله من خلال وقائع السيرة وشمائله وصفاته الخلقية والخلقية باعتباره النموذج البشري الكامل قصد محبته واتباعه والتأسي به لنصرته وتعظيمه وتوقيره.

الاستجابة: ويقصد بها تطهير الجسم والقلب لتأهيل المؤمن لعبادة الله وشكره بالذكر والدعاء. بهدف تزكية الروح لتحقيق الفلاح في الدنيا والآخرة.

القسط: ويقصد به تعرف المتعلم(ة) مختلف الحقوق: حق الله في التعظيم والتزويه، وحق النفس في التربية والتهديب، وحق المخلوقات في الإصلاح والرعاية،

وحق الخلق في الرحمة والنفع والنصح. وغاية هذه الحقوق والواجبات الوصول بالفرد إلى التعامل الإيجابي مع كل ما خلق الله من الكائنات وذلك برعاية حقوقها والعناية بها قصد إصلاح أحوالها وفق منظور الرحمة والرعاية.

الحكمة: وتعني إصلاح النفس وتهذيبها والسمو بها وتطهيرها وفق توجيهات الشرع، بما يرفع الفرد إلى مستوى الإيجابية والمبادرة بالأعمال الصالحة للتقرب إلى ربه، ولتعميم النفع وتجويد الأعمال وفق قيم الرحمة والتضامن والمبادرة.

وبهذا يتضح أن المنهاج الجديد للتربية الإسلامية حاول أن يعطي نقلة نوعية على مادة التربية الإسلامية لتركز على إصلاح سلوك المتعلم والتربية على القيم.

المبحث الثاني: القيم في المدرسة المغربية.

المطلب الأول: المدرسة المغربية

عنيت المملكة المغربية عبر مسارها التاريخي منذ تأسيسها إلى يومنا هذا بتأسيس المدارس ودور التعلم بكافة تلويناتها؛ سواء تلك المدارس التي أنشأها المجتمع المدني والتي تهدف إلى تعليم الصغار وتنشئتهم؛ كالكتاتيب القرآنية، والزوايا، أو المدارس العليا التي خرجت مجموعة من كبار العلماء؛ كالقرويين، ومدرسة العطارين... وقد تواصل اهتمام المملكة المغربية الحديثة؛ بالتربية والتعليم فحظيت قضية التربية والتكوين بمكانة خاصة جعلت منها أولوية وقضية وطنية ترجمت إلى عدة مظاهر لإصلاح المدرسة المغربية وتطويرها للارتقاء بها إلى مصاف الأمم.

فما المقصود إذن بالمدرسة المغربية؟ وما هي الوظائف المنوطة بها لغرس القيم الفاضلة؟

أولاً: مفهوم المدرسة.

المدرسة في اللغة هي: مصدر مشتق من الفعل الثلاثي دَرَسَ، ودرس الشيء يعني جزأه، ودَرَسَ الكتاب يعني كَرَّرَ قراءته لِيَحْفَظَهُ ويفهمه، ودرس الدرس يعني جزأ الدرس لِيَسْهُلَ تعلُّمه على أجزاء، ويُقال درس القمح أي طَحَنَهُ، ويُقال فلان من مدرسة فلان يعني ذلك أنه على رأيه ومذهبه.¹

أما في الاصطلاح فهي: مكان التعليم والتدريس، فالمدرسة مؤسسة أسسها وأنشأها المجتمع بهدف تربية وتعليم من يشترك فيها، ففي بداية كل عام دراسي يدخل فوج جديد للتعلُّم وإكمال المسيرة التعليمية، فالمدرسة هي اللبنة الأساسية في المجتمع لخلق أجيال تنهض بالأمّة وتواكب العلم والتطور والحضارة.

1 أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ) كتاب العين تحقيق: د مهدي

المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال ج: 7 ص: 227

كما أن هناك العديد من التعاريف التي بيّنت ماهية المدرسة وأهم وظائفها، ومن هذه التعاريف ما يلي:

مؤسسة أوجدها المجتمع من أجل إعداد أفراد الجيل الجديد، وتعليمهم المشاركة في النشاطات الإنسانية التي تكثر في حياة الجماعة، ودمج هذا الجيل في المجتمع والعمل على تكييفه معه من حيث الأفكار والفلسفة والأهداف.

مؤسسة نظامية اجتماعية تربوية أنشأتها الحكومة أو المجتمع، للعمل على تربية الأفراد وإعدادهم في إطارٍ معيّن من البرامج والمناهج المحددة.

فريدريك هاتسن يعرفها "بأنها نظام معقد من السلوك

المنظم، الذي يهدف إلى تحقيق جملة من الوظائف في إطار النظام الاجتماعي القائم".

أما "لارنولد كلوس" يصف المدرسة على أنها: "نسق منظم من العقائد والقيم والتقاليد، وأنماط التفكير والسلوك التي تتجسد في بنيتها وفي إيديولوجيتها الخاصة".¹

وعرفها ريموند بدون: على أنها نظام اجتماعي يقوم بمجموعة من الوظائف مثل وظيفة الإدماج ووظيفة الحراك الاجتماعي، وهذا النظام التعليمي يضم مجموعة من الأشخاص يتميزون بالمعرفة، وهدفهم إخراج جيل جديد على كفاءة عالية، والعمل على استمرارية هذا النظام.

ثانياً: خصائص المدرسة.

من خلال تعريفات المدرسة يمكن استخلاص خصائصها ووظائفها التربوية؛ فيما يلي:

1 علي أسعد وطفة، علي جاسم الشهاب: علم الاجتماع المدرسي بنيوية الظاهرة المدرسية ووظيفتها الاجتماعية (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2004 . ص16: بتصرف

١ - الطابع الاجتماعي للمدرسة.

من أهم الخصائص التي تطبع هذه المؤسسة؛ هي الاجتماعية إذ تعتبر المدرسة المؤسسة الاجتماعية والتربوية التي تعمل على إعداد المتعلم ليكون شخصاً إيجابياً في المجتمع. على اعتبار أنها تمثل مجتمعا مصغرا يشمل عدة مكونات. تقوم بالتفاعل الاجتماعي، وذلك بالتمركز حول العملية التعليمية، وضرورة إلزام المتعلم بالتقيد بما جاءت به المناهج الدراسية؛ من تطبيق مجموعة من الحقائق والمهارات والقيم الأخلاقية.

فالمدرسة النقطة المركزية للعلاقات الاجتماعية العديدة المتفاعلة بعضها مع بعض كالتلاميذ والمدرسين والمجتمع الذي يعيشون فيه. ويسود في المدرسة شعور بالفخر والانتماء تجاه هذه المؤسسة التعليمية، والفترة التي يقضونها في المدرسة هي أهم فترات حياتهم، ويظهر هذا الشعور بشكل واضح في المباريات التنافسية. كما تنتشر في المدرسة ثقافة معينة تمثل جانباً أساسياً من أخلاق المتعلمين والمدرسين وسلوكهم، ويكون لها دور بارز في تقوية العلاقات والروابط الاجتماعية فيما بينهم.

ب - النقل الثقافي.

ويعني نقل المعرفة والقيم الانسانية والثقافية والفكرية في صيغتها المعيارية والنموذجية، ولعل هذه الوظيفة من أهم الوظائف على الإطلاق، فوظيفة المدرسة لا تقتصر على تعليم الطلبة بعضاً من العلوم والمعارف العلمية، بل تتعدى وظيفتها إلى أكثر من ذلك مثل: النقل الثقافي والتي عرفت في السنوات الأخيرة تصدعا وهشاشة في الرؤية والتنظير، والتطبيق، والتمثل الفردي، والمجتمعي. وفي هذا الصدد لا بد من طرح مسألة جدلية بامتياز: فالبعض يعتبر أن المدرسة جزء من المجتمع، وبالتالي فإذا كان المجتمع مريضاً فإن المدرسة تصبح هي الأخرى معتلة ومريضة وغير قادرة على القيام بأدوارها: سواء التنشئية أو التثقيفية أو حتى التأهيلية. بينما يرى البعض الآخر أن المدرسة يمكنها أن تطور المجتمع، وأن تقوم بدور ريادي في عملية غرس القيم وتنميتها، وإعداد الأفراد كما الجماعات

بكل الآليات والسند لمواجهة كل أشكال التردّي والتخبط والتصدع. ولعل المثال الذي يحضرنا في هذا الإطار، هو مسألة تعليم اللغة، فرغم أن المجتمع يتداول في لسانه اليومي أشكالاً من اللهجات المتعددة والمختلطة، فإن الطفل عندما يلتحق بالمدرسة، يتعلم لغة معيارية في صيغتها المثلى الكلاسيكية أو العالمية، ويبدأ في تلقي؛ بل وبناء الأنساق اللغوية الذهنية ثم الشفهية وفي مرحلة متقدمة الكتابية. وهذا المثال يصدق على القيم، فرغم كون المجتمع يقدم قيماً معارضة للمدرسة، ومن ثم لقيم العلم والمعرفة، فإن الطفل عندما يجد المدرسة منسجمة ومتوافقة مع الأهداف العليا المتفق بشأنها، يبدأ في النهل من مرجعياتها ومن معلميها ومدرسيها الشيء الكثير، وهكذا دواليك.

ج - التكامل الاجتماعي.

كل المجتمعات هي في الأصل خليط من العديد من الجماعات المختلفة، التي تفاعلت وتعايشت فيما بينها عبر الزمان والمكان لتكون مجتمعا واحداً، وهنا قد يطرأ بعض الإشكالات بين الفينة والأخرى بين هذه المكونات.

فيأتي دور المدرسة، لإزالة التناقضات التي قد توجد بين هذه الجماعات، وتحقيق التكامل فيما بينها، ليصير مجتمعا متكاملاً.

د - النمو الشخصي السليم.

تعمل المدرسة على رعاية المتعلمين داخل حدودها وخارجها، وذلك بتكوين شخصيته القوية المتماسكة، وتنمية أنماط سلوكية واجتماعية جديدة لدى الفرد، والعمل على تنميتها على أسس علمية ومعرفية، ليستطيع المتعلم أن يتكيف مع المجتمع الذي يعيش فيه، وتنمية القدرات الإبداعية؛ فالمدرسة تعمل على تنمية القدرات العلمية، وترعى الأفكار الإبداعية، وتنمي لدى المتعلم الفضول المعرفي الذي يدفعه للنجاح، وتوفير المناخ المناسب الذي يشجعه على ممارسة حقوقه المشروعة.

ومن خلال هذه الوظائف يظهر جليا الطابع الاجتماعي للمدرسة الذي لا يقل أهمية عن الطابع العلمي.

ثالثا: أنواع المدرسة المغربية.

المدرسة المغربية ثلاثة أنواع:

أ - المدارس العمومية؛

والتي الجهة المسؤولة عنها هي الدولة؛ وتتكفل بكافة مصاريف الدراسة للتخفيف عن التلميذ وأهله، فالتعلم في المدارس العمومية مجاني لكل المتعلمين. وتشكل النسبة الأكبر في استقطاب المتعلمين بكافة المستويات. وهي نوعان التعليم العام والتعليم الأصيل.

ب - المدارس الخاصة؛

وتتبع في شقها التنظيمي والمنهجي إلى وزارة التربية الوطنية لكنها في الجانب المالي فهي مؤسسات تقدم خدمات مؤدى عنها من قبل المرتفقين. ويتحمل التلميذ وأسرته كافة مصاريف الدراسة. وتتشابه المدارس العمومية والخاصة في العملية التعليمية.

ج - مدارس التعليم العتيق؛

والتعليم العتيق امتداد للمدرسة المغربية على مر العصور، من عهد المولى إدريس الأكبر مرورا بالدول المتعاقبة على الحكم في المغرب إلى عهد الدولة العلوية الشريفة، وفي الوقت الحاضر هو نوع من التعليم يلقي بالكتاتيب القرآنية كمرحلة أولية. وبالمدارس العتيقة كمرحلة تعليم ابتدائي، وإعدادي، وثانوي. وبجامع القرويين وبمؤسسات التعليم النهائي كمرحلة التعليم النهائي العتيق، وتستغرق الدراسة في كل

طور نفس المدة الدراسية بكل طور من أطوار الدراسة المماثلة لها بالتعليم العمومي. وهو نوعان عمومي وخاص.

وتشتمل البرامج الدراسية على قسم العلوم الإسلامية ذات الصلة المباشرة بالقرآن الكريم، وقسم آخر يتضمن حصصا إلزامية من المواد المقررة بمؤسسات التعليم العمومي، في حدود الثلثين من الحصص المخصصة لهذه المواد بما في ذلك مادتا اللغات والرياضيات.

المطلب الثاني: القيم في المدرسة المغربية.

إن وظيفة المدرسة مهمة في المجتمعات، ويميزها موضوعها الذي هو الإنسان لأنها تحضنه في أكثر مراحل حياته أهمية، وأيضا يميزها أدواتها ووسائلها وهي المعارف والقيم، وأهدافها التي هي تكوين المواطن من حيث هو إنسان حامل للمعارف، والقيم ومبادئ؛ ومن ثم فإن الرهان قائم على المؤسسة التربوية في سبيل بلوغ ذلك الهدف.

وقد سعت الوزارة الوصية للرفع من مستوى القيم والسلوكيات داخل المدرسة المغربية، بطرق وأساليب شتى، منها:

أولا: اعتبار التربية على القيم من أهداف مخرجات المدرسة المغربية.

إذا نظرنا إلى مواصفات المتعلم في نهاية الأسلاك التعليمية على اعتبار أنها تعكس مخرجات العملية التربوية من كل جوانبها المعرفية والقيمية فإننا نجد حضور الجانب القيمي كهدف واضح للعملية التربوية بالمدرسة المغربية.

مواصفات من حيث القيم والمقاييس الاجتماعية المرتبطة بها تتجلى في كون المتعلم:

- مكتسبا للقدر الكافي من مفاهيم العقيدة الإسلامية، حسب ما يلائم مستواه العمري، ومتحليا بالأخلاق والآداب الإسلامية في حياته اليومية.

- متشبعا بقيم الحضارة المغربية بكل مكوناتها وواعيا بتنوع وتكامل روافدها.

- متشعبا بحب وطنه وخدمته.
- منفتحاً على قيم الحضارة المعاصرة و إنجازاتها.
- متشعبا بقيم حقوق الإنسان وحقوق المواطن المغربي وواجباته.
- على دراية بالتنظيم الاجتماعي والإداري محليا وجهويا ووطنيا، ومتشعبا بقيم المشاركة الإيجابية وتحمل المسؤولية.
- منفتحاً على التكوين المهني والقطاعات الإنتاجية والحرفية.
- متذوقاً للفنون وواعياً بالأثر الإيجابي للنشاط الرياضي المستديم على الصحة.
- متشعباً بقيم المشاركة الإيجابية في الشأن المحلي والوطني وقيم تحمل المسؤولية.¹

ثانياً: دمج التربية على القيم في أنشطة المدرسة المغربية

- من وسائل تعزيز التربية على القيم بالمدرسة المغربية أيضاً؛ دمج أنشطة لتفعيل منظومة القيم في الحياة المدرسية ومن هذه الأنشطة ما يلي:
- إحياء الأيام العالمية (اليوم العالمي للطفل/ للمدرس/ للمرأة/ للبيئة/ للتغذية / للسلام / للأشخاص المسنين/ للقضاء على الفقر/ للتسامح/ ...
 - إحياء الأيام الوطنية من مثل: عيد المدرسة/ ذكرى المسيرة الخضراء/ عيد الاستقلال/ اليوم الوطني للشجرة / اليوم الوطني لمحاربة الرشوة...
 - تنقيح المناهج من المفاهيم والمضامين المنافية لحقوق الإنسان؛

1 الكتاب الأبيض الجزء الثالث. لجان مراجعة المناهج التربوية المغربية للتعليم الابتدائي والثانوي الإعدادي والتأهيلي ربيع

الأول 1423 - يونيو 2002

- إدماج مبادئ حقوق الإنسان، والتربية السكانية، والتربية البيئية، ومدونة الأسرة وغيرها من القيم بواسطة مداخل متنوعة (دروس / مقررات/ أنشطة..)
- تكوين الأساتذة والمفتشين في التربية على حقوق الإنسان؛
- تتبع الدخول المدرسي؛ تربويا وإداريا..
- وضع شعار لكل سنة يرتبط بالتربية على القيم، يهدف الرفع من جودة النظام التربوي؛
- الإشراف على الأنشطة الخاصة بالأطر التعليمية: مباريات إنتاج الوثائق التربوية، والأنشطة الخاصة بالمؤسسات: مسابقات أحسن مكتبة مدرسية/ أنظف مؤسسة/ أحسن داخلية...

ثالثا: وضع آليات لتحقيق التربية على القيم.

- 1 - مشروع المتعلم ويشكل اللبنة الأساسية لبناء مشروع المؤسسة، باعتبار عدد المتعلمين بالقسم الواحد بعدد المشاريع المرتبطة بتطوير القيم لديهم، كلٌ حسب القيمة التي يحتاج إلى تنميتها وترسيخها لديه، ويتطلب هذا اختيار طرق التدريس المناسبة، والوسائل التعليمية المساعدة، والأنشطة التعليمية الصفية الملائمة.
- 2 - مشروع القسم: من خلال بناء مصفوفة للقيم المركزية حسب حاجات المتعلمين إليها؛ حيث يتم بناء مشروع القسم كامتداد لمشروع المتعلم، خدمة لتكوين الفرد وتعديل سلوكه ومشاركته ضمن جماعة القسم.
- 3 - مشروع المؤسسة: ويمثل الإطار العملي والآلية المنهجية لتنزيل أنشطة المؤسسة في مجال التربية على القيم، كما في مجال الارتقاء بجودة التعلّيمات، في أفق إعداد نموذج لمدرسة مغربية حاملة للقيم.

4 - آلية الخطاب: تعتبر المناهج والبرامج بمفهومها الشامل، وبمختلف مكوناتها، المضمون الرئيس للتربية والتكوين، وتشكل غايات وتوجهات النظام التربوي والتي يتم تجسيدها في برامج ومضامين دراسية تحمل بين إرسالياتها تلك القيم.

ومن خلال استقراء مضامين بعض الكتب المدرسية، يمكن القول إجمالاً بأن التربية على القيم وتكريس السلوك المدني حاضران بقوة في مقررات الكتب المدرسية، خصوصاً في مواد كالتربية الإسلامية والاجتماعيات واللغة العربية، إذ نجد دروساً عديدة في هذه المواد تسعى إلى مقارنة مفاهيم كالتسامح والكرامة والمساواة والحريات العامة... هادفة بذلك إلى الإسهام في تكوين مواطن مستقل ومتوازن وعارف بذاته ولغته ودينه وتاريخ وطنه، وواع بما له من حقوق وما عليه من واجبات.

5 - آلية القدوة: القائمة على حث المدرسين/المربين على تقديم القدوة الحسنة والمثال البيداغوجي الذي يجسد القيم المستهدفة، من خلال تصرفاتهم وسلوكياتهم ومعاملاتهم مع المتعلمين.

6 - آلية الحياة المدرسية الأنشطة المندمجة اللاصفية: وذلك عن طريق تشجيع الأنشطة الموازية (الرياضية والثقافية والفنية والبيئية...) باعتبارها مجالا خصبا لترسيخ الأخلاق النبيلة وتثبيت السلوكات الإيجابية.

إن انخراط المتعلم (ة) في الفرق النشيطة ومشاركته في مختلف الأنشطة التربوية (الرياضية، البيئية، الثقافية...) يجعله في وضعية تعلم مقرون بممارسة ثقافة القيم والسلوك المدني.

7 - آلية تعبئة المحيط الاجتماعي والمدني للمدرسة: فلن يكتمل تحقيق الأهداف المرتبطة بترسيخ القيم، إلا بإشراك الأسرة ومنظمات المجتمع المدني، لا سيما منها النشطة في ميدان التربية على المواطنة وحقوق الإنسان، بهدف استثمار خبرات هذه المنظمات في تنويع الأنشطة التربوية والثقافية...

8 - آلية تسيير المؤسسة التعليمية: بتقديم نماذج متميزة في المشاركة في تدبير مختلف مجالسها استنادا إلى ثقافة الديمقراطية والشفافية والنزاهة.

المطلب الثالث: واقع التربية على القيم في المدرسة المغربية

لقد أجريت عدة دراسات لرصد واقع التربية على القيم في المدرسة المغربية؛ سواء فيما تعلق بالبحوث المنجزة في سياق رسائل تخرج بحثية، أو مقالات علمية صادرة عن مجلات محكمة، أو تقارير علمية صادرة عن مؤسسات رسمية مثل تقرير المجلس الأعلى للتربية والتكوين لسنة 2019

لكنه بالرغم من تعدد هذه الدراسات التحليلية لواقع التربية على القيم في المدرسة المغربية؛ إلا أنها تبقى دراسات لحظة مقرونة بزمن معين في ضوء المتغيرات الاجتماعية التي تعد أهم أبرز التحديات التي تواجه مشاريع التربية على القيم؛ لدى فقد تم الاعتماد على تشخيص الواقع الآني للتربية على القيم في المدرسة، وربطه بالمؤسسات الاجتماعية الأخرى التي تشارك المدرسة في العملية التربوية في المجتمع المغربي.

أولاً: عينات البحث:

تشخيص واقع التربية على القيم؛ هي عملية مركبة تستدعي أن ينظر إليها من زاويتين؛ كونها عملية تواصلية تشمل المرسل والمرسل له؛ وبناء على ذلك سيتم رصد هذه العملية من زاوية المتلقي؛ المتمدرسين بكافة المستويات الدراسية، لننتقل بعد ذلك إلى الزاوية الأخرى الفئات التي تساهم في التربية على القيم.

العينة الأولى:

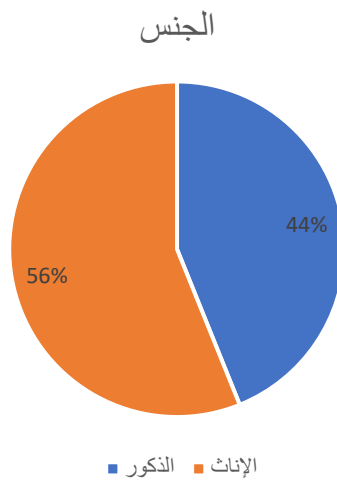
اشتملت العينة الأولى على 287 تلميذا وتلميذة موزعين على ثلاث مستويات دراسية:

المستوى الأول: السلوك الابتدائي.

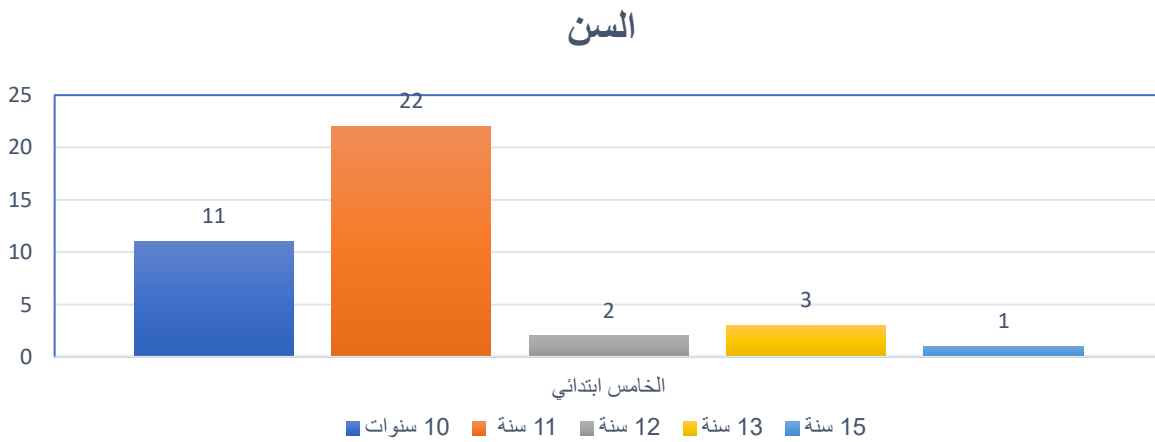
اشتمل الاستبيان لهذه الفئة على 39 تلميذا وتلميذة موزعين على الشكل التالي:

المجموع	الإناث	الذكور	
39	21	18	الخامس ابتدائي

وشكلت نسبة الإناث بهذا السلوك 56% بينما انحسرت نسبة الذكور في 44%.



أما بالنسبة للسن فقد تراوح بين عشر سنوات وخمسة عشر سنة، لكن الفئة الأكثر تمثيلية؛ استقرت في إحدى عشر سنة.

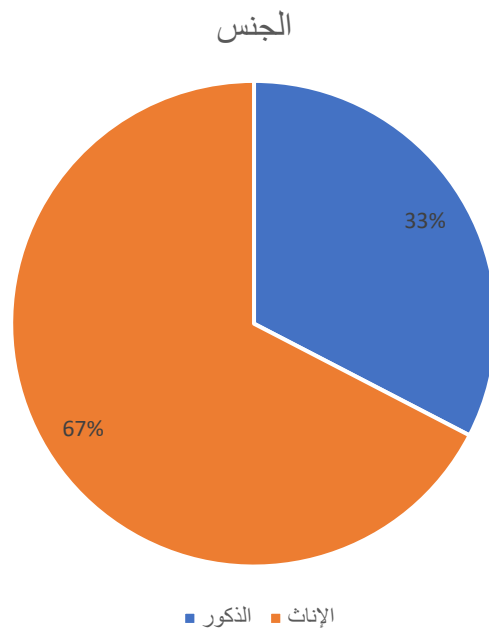


المستوى الثاني: السلك الثانوي الإعدادي.

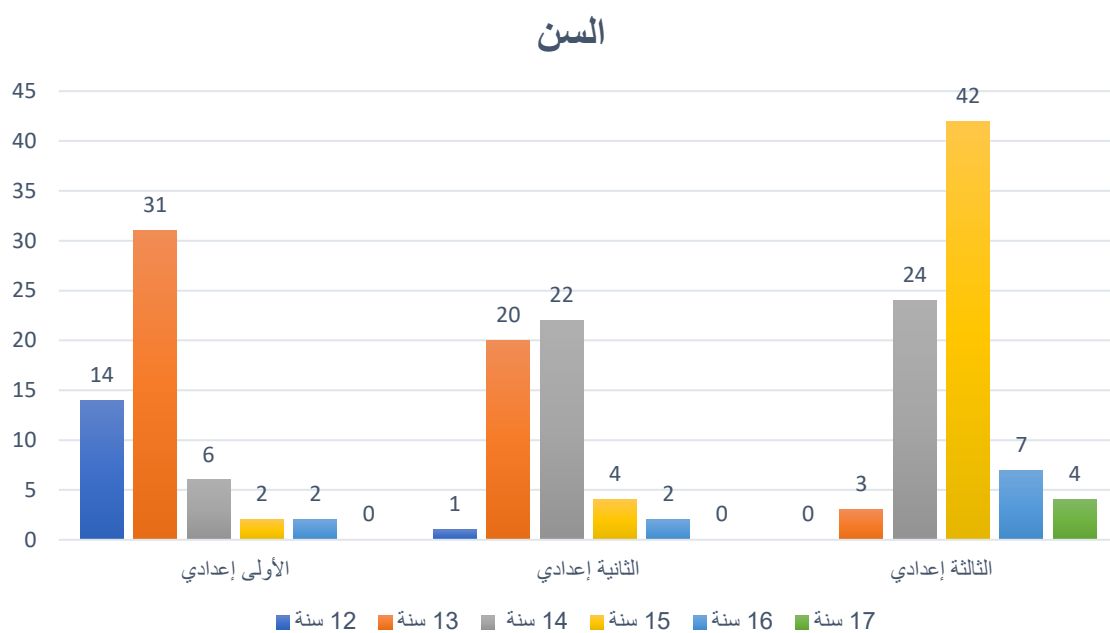
شمل الاستبيان بهذا السلك 184 تلميذا وتلميذة موزعين على الشكل التالي:

	الذكور	الإناث	المجموع
الأولى إعدادي	16	39	55
الثانية إعدادي	14	34	48
الثالثة إعدادي	30	51	81
المجموع	60	124	184

وتراوحت نسبة الإناث منهم 67% بينما نسبة الذكور في 33%.



أما معدل السن فقد تراوح بين اثني عشر سنة وسبعة عشر سنة.

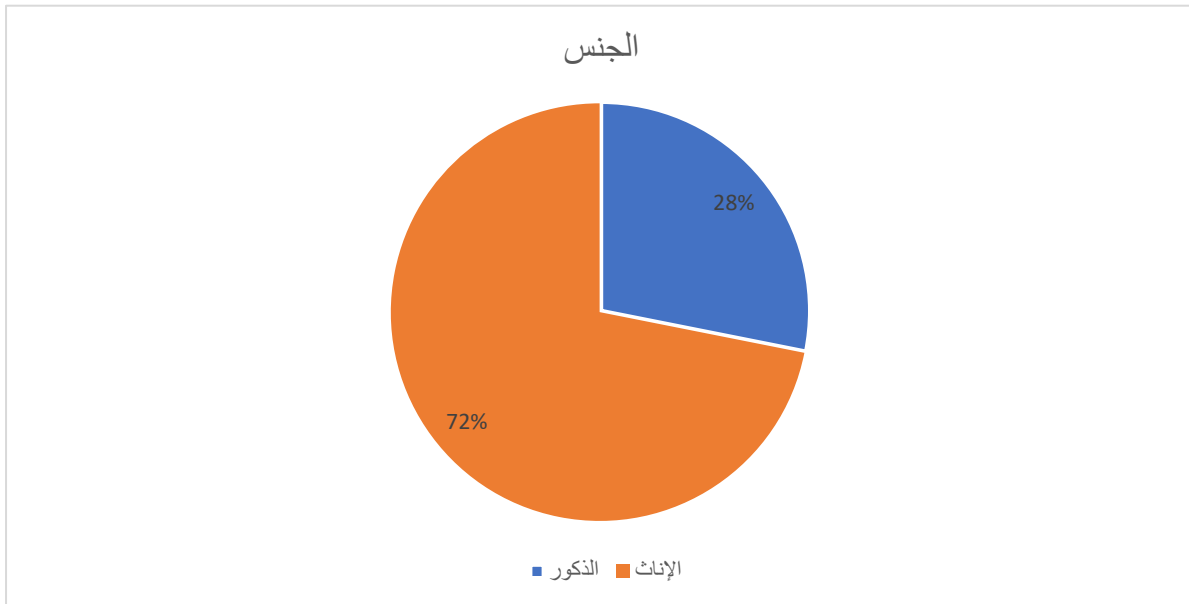


المستوى الثالث: السلك الثانوي التأهيلي.

شمل الاستبيان بهذا السلك 64 تلميذا وتلميذة موزعين على الشكل التالي:

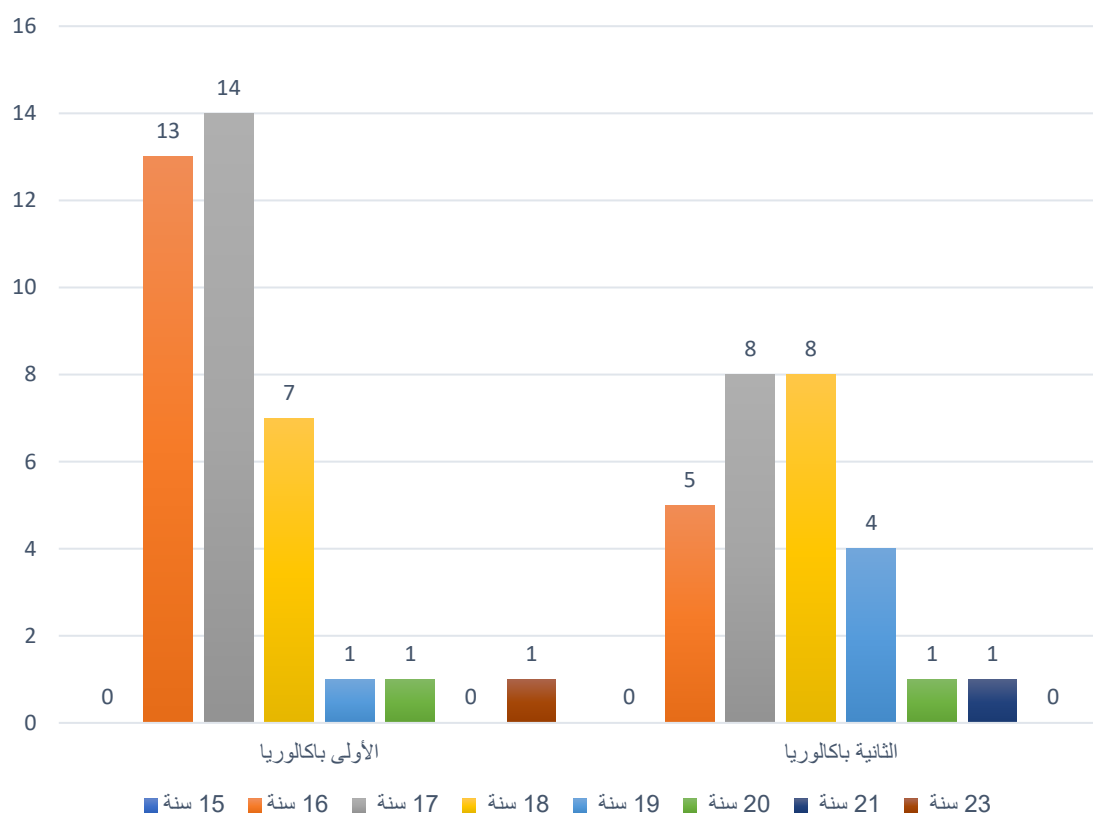
المجموع	الإناث	الذكور	
37	28	9	الأولى بكالوريا
27	18	9	الثانية بكالوريا
64	46	18	المجموع

وتراوحت نسبة الإناث منهم 72% بينما نسبة الذكور في 28%.



أما معدل سن هذه الفئة فقد تراوح بين اثني عشر سنة وسبعة عشر سنة.

السن



ثانياً: محتوى الاستبيان:

اشتمل الاستبيان على ثلاثة أسئلة موجهة لكل عينات البحث حسب المستويات:

المستوى الأول: السلك الابتدائي.

السؤال الأول: اختر القيم التي اكتسبتها من المدرسة.

وهو سؤال مغلق؛ يقيس القيم التي اكتسبتها المتعلم من المدرسة؛ وكانت نتائج الاستبيان

على الشكل التالي:

الخامس ابتدائي		
النسبة المئوية	التكرار من (39)	
69%	27	التعاون
69%	27	الانضباط
69%	27	احترام الآخر
62%	24	الايمان بالله
59%	23	المسؤولية
59%	23	حب الوطن
56%	22	الصدق
54%	21	الأمانة
54%	21	حب الخير للناس
54%	21	التسامح
54%	21	المبادرة للعمل التطوعي
36%	14	الرحمة
36%	14	العفو
31%	12	الحرية
31%	12	التعايش

من خلال النتائج المتوصل إليها عن طريق الاستبيان تم حساب تردداتها عن طريق

القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 27 فكانت النتائج على الشكل التالي:

القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد
التعاون	1	حب الوطن	0.85	الرحمة	0.52
الانضباط	1	الصدق	0.81	العفو	0.52
احترام الآخر	1	الأمانة	0.78	الحرية	0.44
الايمان بالله	0.89	حب الخير للناس	0.78	التعايش	0.44
المسؤولية	0.85	التسامح	0.78		
		المبادرة للعمل التطوعي	0.78		

من خلال معاملات الارتباط بين القيم المستهدفة بالدراسة نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL^1 بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 39 يساوي 35 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.32 ما يعني؛ أن القيم مرتبطة في ذهن عينة الدراسة هي التي تفوق 0.32 وعددها 15 عشرة قيمة من أصل 15. بنسبة 100% مع الاختلاف في تكرار هذه القيم وعليه فإننا سوف نصنفها حسب هذا التكرار.

القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد
التعاون	1	حب الوطن	0.85	الأمانة	0.78	الرحمة	0.52
الانضباط	1	الصدق	0.81	حب الخير للناس	0.78	العفو	0.52
احترام الآخر	1	الايمان بالله	0.89	التسامح	0.78	الحرية	0.44
		المسؤولية	0.85	المبادرة للعمل	0.78	التعايش	0.44
				التطوعي	0.78		

بالنظر إلى تكرار القيم أعلاه يظهر تصدر قيم التعاون، والانضباط، واحترام الآخر، لدى الفئة المستهدفة الأمر الذي ينبئ بحضور هذه القيم في العمليات التعليمية التعليمية، وأن للمدرسة دور أساسي في ترسيخ هذه القيم عبر أنشطتها التربوية.

¹ DL : درجة الحرية (DEGREE OF LIBERTY) ويمثل عدد أفراد عينة الدراسة n ناقص اثنان (2_n). المرجع:

أحمد العيسوي، القياس والتجريب، دار الفكر العربي، بيروت.

السؤال الثاني: اختر طريقة اكتسابك لهذه القيم.

سؤال مغلق؛ يقيس الطرق التي اكتسب بها المتعلم القيم من خلال المدرسة؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التكرار من (39)	النسبة المئوية
نصيحة توجيهية من الأستاذ	29	74%
درس مدرسي	28	72%
الاقتداء بالمدرس	21	54%
نشاط تربوي	19	49%
مخالطة الأصدقاء في المدرسة	19	49%

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 29 فكانت النتائج على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التردد
نصيحة توجيهية من الأستاذ	1
درس مدرسي	0.97
الاقتداء بالمدرس	0.72
نشاط تربوي	0.66
مخالطة الأصدقاء في المدرسة	0.66

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 39 يساوي 35 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.32 ما يعني؛ أن كل طرق اكتساب القيم المذكورة أعلاه لها تأثير في ذهن عينة الدراسة. مع تفاوت ملحوظ؛ وتكون بذلك أكثر هذه الوسائل تأثيراً هي: المدرس والمحتوى التدريسي.

السؤال الثالث: اختر مدى تطبيقك لهذه القيم في حياتك اليومية.

سؤال مغلق؛ يقيس مدى تطبيق المتعلم للقيم التي اكتسبها؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

مدى تطبيقك لهذه القيم	التكرار من (39)	النسبة المئوية
دائماً	17	44%
غالباً	17	44%
أحياناً	5	13%

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 17 كانت النتائج على الشكل التالي:

مدى تطبيقك لهذه القيم	التردد
دائماً	1
غالباً	1
أحياناً	0.29

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 39 يساوي 35 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.32 ما يعني؛ أن الحال التي تفوق 0.32 هي: دائماً وغالباً. ويكون بناء على ذلك أثر لهذه القيم في الواقع اليومي للفئة المستهدفة.

المستوى الثاني: الثانوي الإعدادي.

السؤال الأول: اختر القيم التي اكتسبتها من المدرسة.

وهو سؤال مغلق؛ يقيس القيم التي اكتسبها المتعلم من المدرسة؛ وكانت نتائج الاستبيان على الشكل التالي:

النسبة المئوية	التكرار				
	المجموع	الثالثة إعدادي	الثانية إعدادي	الأولى إعدادي	
68%	126	51	33	42	الانضباط
57%	105	42	25	38	احترام الآخر
55%	101	39	25	37	التعاون
53%	97	39	25	33	المسؤولية
49%	91	41	20	30	التعايش
46%	85	32	20	33	التسامح
43%	80	33	22	25	حب الخير للناس
43%	80	32	15	33	الايمان بالله
43%	79	32	19	28	الصدق
42%	77	37	11	29	حب الوطن
40%	74	38	11	25	المبادرة للعمل التطوعي
39%	71	28	16	27	الأمانة
33%	60	27	9	24	العفو
29%	53	18	9	26	الحرية
25%	46	17	11	18	الرحمة

من خلال النتائج المتوصل إليها عن طريق الاستبيان تم حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 27 فكانت النتائج على الشكل التالي:

القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد
الانضباط	1	التسامح	0.67	المبادرة للعمل التطوعي	0.59
احترام الآخر	0.83	حب الخير للناس	0.63	الأمانة	0.59
التعاون	0.8	الايمان بالله	0.63	العفو	0.48
المسؤولية	0.77	الصدق	0.63	الحرية	0.42
التعايش	0.72	حب الوطن	0.61	الرحمة	0.37

من خلال معاملات الارتباط بين القيم المستهدفة بالدراسة نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 184 يساوي 100 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.19 ما يعني؛ أن القيم مرتبطة في ذهن عينة الدراسة هي التي تفوق 0.19 وعددها 15 عشرة قيمة من أصل 15. بنسبة 100% مع الاختلاف في تكرار هذه القيم وعليه فإننا سوف نصنفها حسب هذا التكرار.

القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد
الانضباط	1	التعايش	0.72	حب الوطن	0.61	العفو	0.48
احترام	0.83	التسامح	0.67	المبادرة للعمل		الحرية	0.42
الآخر	0.8	حب الخير		التطوعي	0.59	الرحمة	0.37
التعاون	0.77	للناس	0.63	الأمانة	0.59		
المسؤولية		الايمان بالله	0.63				
		الصدق	0.63				

بالنظر إلى تكرار القيم أعلاه يظهر؛ تصدر قيم الانضباط، احترام الآخر، التعاون، المسؤولية، لدى الفئة المستهدفة الأمر الذي ينبئ بحضور هذه القيم في العمليات التعليمية التعلمية، وأن للمدرسة دور أساسي في ترسيخ هذه القيم عبر أنشطتها التربوية.

السؤال الثاني: اختر طريقة اكتسابك لهذه القيم.

سؤال مغلق؛ يقيس الطرق التي اكتسب بها المتعلم القيم من خلال المدرسة؛ وكانت

نتائج السؤال على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التكرار من (184)	النسبة المئوية
نصيحة توجيهية من الأستاذ	115	63%
درس مدرسي	102	55%
مخالطة الأصدقاء في المدرسة	75	41%
الاقتداء بالمدرس	70	38%
نشاط تربوي	56	30%
مقاطع توجيهية من الإنترنت	1	1%
خارج المدرسة	1	1%

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على

التكرار الأكبر الذي يساوي 29 فكانت النتائج على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التردد
نصيحة توجيهية من الأستاذ	1
درس مدرسي	0.89
مخالطة الأصدقاء في المدرسة	0.65
الاقتداء بالمدرس	0.61
نشاط تربوي	0.49
مقاطع توجيهية من الإنترنت	0.01
خارج المدرسة	0.01

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط

الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 184

يساوي 100 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد

نسبة الخطأ 5% هو 0.19 ما يعني؛ أن طرق اكتساب القيم التي لها تأثير في ذهن عينة

الدراسة هي: نصيحة توجيهية من الأستاذ، درس مدرسي، مخالطة الأصدقاء في المدرسة، الاقتداء بالمدرس، نشاط تربوي مع تفاوت فيما بينها؛ تكون بذلك أكثر هذه الوسائل تأثيراً هو المدرس والمحتوى التدريسي.

السؤال الثالث: اختر مدى تطبيقك لهذه القيم في حياتك اليومية.

سؤال مغلق؛ يقيس مدى تطبيق المتعلم للقيم التي اكتسبها من خلال المدرسة؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التكرار من (184)	النسبة المئوية
دائماً	86	47%
غالباً	63	34%
أحياناً	35	19%

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 17 كانت النتائج على الشكل التالي:

مدى تطبيقك لهذه القيم	التردد
دائماً	1
غالباً	0.73
أحياناً	0.41

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 184 يساوي 100 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.19 ما يعني؛ أن الحال التي تفوق 0.19 هي: دائماً وغالباً وأحياناً مع تفاوت بينها وتكون دائماً هي الحالة الأكثر.

المستوى الثالث: الثانوي التأهيلي.

السؤال الأول: اختر القيم التي اكتسبتها من المدرسة.

وهو سؤال مغلق؛ يقيس القيم التي اكتسبتها المتعلم من المدرسة؛ وكانت نتائج الاستبيان على الشكل التالي:

النسبة المئوية	التكرار من (64)			
	مجموع	الثانية باكالوريا	الأولى باكالوريا	
71%	45	22	23	الانضباط
57%	36	17	19	احترام الآخر
51%	32	15	17	المسؤولية
49%	31	14	17	التسامح
48%	30	13	17	التعاون
44%	28	13	15	الايمان بالله
43%	27	10	17	الأمانة
41%	26	10	16	التعايش
40%	25	11	14	العفو
38%	24	13	11	حب الخير للناس
38%	24	14	10	المبادرة للعمل التطوعي
37%	23	10	13	الصدق
22%	14	7	7	حب الوطن
21%	13	5	8	الرحمة
19%	12	6	6	الحرية

من خلال النتائج المتوصل إليها عن طريق الاستبيان تم حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 27 فكانت النتائج على الشكل التالي:

القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد
الانضباط	1	التعايش	0.58	حب الوطن	0.31
احترام الآخر	0.8	العفو	0.56	الرحمة	0.29
المسؤولية	0.71	حب الخير للناس	0.53	الحرية	0.27
التسامح	0.69	المبادرة للعمل التطوعي	0.53		
التعاون	0.67	الصدق	0.51		
الايمان بالله	0.62				
الأمانة	0.6				

من خلال معاملات الارتباط بين القيم المستهدفة بالدراسة نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 64 يساوي 60 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.25 ما يعني؛ أن القيم مرتبطة في ذهن عينة الدراسة هي التي تفوق 0.25 وعددها 15 عشرة قيمة من أصل 15. بنسبة 100% مع الاختلاف في تكرار هذه القيم.

القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد
الانضباط	1	المسؤولية	0.71	التعايش	0.58	حب	0.31
احترام الآخر	0.8	التسامح	0.69	العفو	0.56	الوطن	0.29
		التعاون	0.67	حب الخير للناس	0.53	الرحمة	0.27
		الايمان بالله	0.62	المبادرة للعمل التطوعي	0.53	الحرية	
		الأمانة	0.6	الصدق	0.51		

بالنظر إلى تكرار القيم أعلاه يظهر؛ تصدر قيم الانضباط، احترام الآخر، لدى هذه الفئة المستهدفة الأمر الذي ينبئ بحضور هذه القيم في العمليات التعليمية، وأن للمدرسة دور أساسي في ترسيخ هذه القيم عبر أنشطتها التربوية.

السؤال الثاني: اختر طريقة اكتسابك لهذه القيم.

سؤال مغلق؛ يقيس الطرق التي اكتسب بها المتعلم القيم من خلال المدرسة؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التكرار من (64)	النسبة المئوية
درس مدرسي	36	57%
نصيحة توجيهية من الأستاذ	34	54%
مخالطة الأصدقاء في المدرسة	30	48%
الاقتداء بالمدرس	20	32%
نشاط تربوي	15	24%
قراءة بعض الكتب الدينية	1	2%

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 36 فكانت النتائج على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التردد
درس مدرسي	1
نصيحة توجيهية من الأستاذ	0.94
مخالطة الأصدقاء في المدرسة	0.83
الاقتداء بالمدرس	0.56
نشاط تربوي	0.42
قراءة بعض الكتب الدينية	0.03

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 64 يساوي 60 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.25 ما يعني؛ أن طرق اكتساب القيم التي لها تأثير في ذهن عينة الدراسة هي:

النصيحة التوجيهية من الأستاذ، درس مدرسي، مخالطة الأصدقاء في المدرسة، الاقتداء بالمدرس، نشاط تربوي

مع تفاوت فيما بينها؛ وتكون بذلك أكثر هذه الوسائل تأثيراً هو المدرس والمحتوى التدريسي.

السؤال الثالث: اختر مدى تطبيقك لهذه القيم في حياتك اليومية.

سؤال مغلق؛ يقيس مدى تطبيق المتعلم للقيم التي اكتسبها من خلال المدرسة؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التكرار من (64)	النسبة المئوية
غالبا	34	54%
دائما	19	30%
أحيانا	10	16%

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 34 كانت النتائج على الشكل التالي:

مدى تطبيقك لهذه القيم	التردد
غالبا	1
دائما	0.56
أحيانا	0.29

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 64 يساوي 60 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.25 ما يعني؛ أن الحال التي تفوق 0.25 هي: غالبا ودائما ثم أحيانا مع تفاوت بينها، وتكون غالبا هي الحالة الأكثر.

العينة الثانية:

اشتملت العينة الثانية الخاصة بالفاعلين التربويين على 228 فاعل؛ موزعين على

الشكل التالي:

المجموع	الإناث	الذكور	
217	92	125	مدرس
5	0	5	مفتش
3	0	3	مؤطر
3	2	1	مدير
228	94	134	المجموع

المستوى الثقافي والعلمي للفئة المستهدفة

المجموع	تعليم عتيق	ثانوي	جامعي	دكتوراه	
228	5	18	204	1	المؤهل العلمي

السؤال الأول: في نظرك؛ ما هي المؤسسات التي تساهم في التربية على القيم.

سؤال مغلق؛ يقيس أنواع المؤسسات التي تساهم في التربية على القيم؛ وكانت نتائج

السؤال على الشكل التالي:

النسبة المئوية	التكرار	
95%	217	الأسرة
95%	216	المدرسة
80%	182	الاعلام
77%	175	المسجد
6%	14	جمعيات المجتمع المدني
1%	2	الرياضة
1%	2	الاحزاب وكل ما له علاقة بالثقافة
0%	1	الرفقة الحسنة
0%	1	الأقران
0%	1	الهوايات
0%	1	المفتش تربوي
0%	1	الدولة

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة

على التكرار الأكبر الذي يساوي 217 كانت النتائج على الشكل التالي:

المؤسسات التي تساهم في التربية على القيم	التردد
الأسرة	1
المدرسة	1
الاعلام	0.84
المسجد	0.81
جمعيات المجتمع المدني	0.06
الرياضة	0.01
الاحزاب وكل ما له علاقة بالثقافة	0.01
الرفقة الحسنة	0
الأقران	0
الهوايات	0
المفتش تربوي	0
الدولة	0

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 228 يساوي 100 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.19 ما يعني؛ أن المؤسسات المساهمة في التربية على القيم بالنسبة لعينة البحث تنحصر: الأسرة، والمدرسة، والاعلام، والمسجد. أما باقي المؤسسات فلا تأثير لها في ذهن عينة الدراسة.

السؤال الثاني: من خلال تجربتك التربوية هل قمت بإنجاز مشروع للتربية على القيم.

سؤال مغلق؛ يقيس مدى امتلاك الفاعلين التربويين لمشروع التربية على القيم؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

النسبة المئوية	التكرار من 228	
81%	184	نعم
19%	44	لا

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه يظهر أن نسبة 81% من الفاعلين التربويين يمتلكون مشاريع مساهمة في التربية على القيم بينما كانت نسبة المصالحين بعدم امتلاكهم لهذه المشاريع فقط؛ 19%.

السؤال الثالث: حدد الأسباب التي حالت دون امتلاكك مشروعاً للتربية على القيم.

سؤال مغلق؛ يقيس الأسباب التي حالت دون امتلاك الفاعل التربوي مشروعاً للتربية على القيم؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

النسبة المئوية	التكرار من 44	
52%	23	لا أعرف كيف أقوم بها
23%	10	هناك من يقوم بها فلا حاجة لذلك
14%	6	لم يقدم مبرراً
9%	4	غير معني بالتربية على القيم
2%	1	أنوي فعل ذلك مستقبلاً

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 23 كانت النتائج على الشكل التالي:

الأسباب	التردد
لا أعرف كيف أقوم بها هناك من يقوم بها فلا حاجة لذلك	1 0.43
لم يقدم مبرراً غير معني بالتربية على القيم أنوي فعل ذلك مستقبلاً	0.26 0.17 0.04

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 44 يساوي 40 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.30 ما يعني؛ أن الأسباب المساهمة في عدم امتلاك عينة البحث لمشروع قيمى هي: عدم معرفتهم لكيفية القيام به أو أن هناك من يقوم به نيابة عنهم.

السؤال الرابع: حدد الفئات التي تستهدف من خلال مشروعك.

سؤال مغلق؛ يقيس أنواع الفئات المستهدفة بالتربية على القيم؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

النسبة المئوية	التكرار من 184	
81%	149	التلاميذ
9%	16	الأبناء
9%	16	كل الفئات
5%	9	مدرسين
3%	5	الأسرة
1%	1	نساء برنامج محو الامية

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 149 كانت النتائج على الشكل التالي:

التردد	الفئات المستهدفة
1	التلاميذ
0.11	الأبناء
0.11	كل الفئات
0.06	مدرسين
0.03	الأسرة
0.01	نساء برنامج محو الامية

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 149 يساوي 100 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.19 ما يعني؛ أن الفئة المستهدفة بمشاريع التربية على القيم هي: التلميذ.

الفصل الثاني: مؤسسات التربية على القيم في المجتمع المغربي.

المبحث الأول: الأسرة والتربية على القيم.

تعد الأسرة اللبنة الأولى في بناء المجتمع، والخلية الأساسية لتكوينه، لما لها من دور عظيم في تنشئة الإنسان، وتأهيله للاضطلاع بوظائفه والنهوض بمسؤولياته، لذا فقد أولتها الشريعة الإسلامية الكثير من الرعاية والاهتمام منذ تأسيسها؛ فجعلتها قائمة على العلاقة الزوجية الشرعية المرتكزة على قيم المودة والرحمة والتعاون والتكامل في ظل اعتراف بوحدة الأصل في الخلق مع تمايز في القدرات والاستعدادات وتنوع في الأدوار وتكامل في الوظائف، للقيام بمسؤولياتها على أكمل وجه.

المطلب الأول الأسرة ومكانتها في المرجعية الإسلامية:

أولاً: مفهوم الأسرة

تُعرّف الأسرة في اللغة على ثلاثة أوجه، أهل الرجل وعشيرته، وتُعرّف أيضاً بأنها الدرع الحصينة، وفي اللسان الأسرة: "الدرع الحصين، وأسرة الرجل: عشيرته ورهطه الأدنون، لأنه يتوقى بهم"¹ ومفهوم الأسرة يُطلق على الجماعة التي يربطها أمر مشترك إذ توجد روابط تجمع أفراد الأسرة الواحدة، وجمعها أُسر. أما اصطلاحاً: فتتعدد تعريفاتها تبعاً لاختلاف المدخل الذي يتم من خلاله الدراسة. فعلى اعتبار أن الأسرة جماعة اجتماعية، تعرف بأنها "جماعة اجتماعية مكونة من أفراد ارتبطوا مع بعضهم برباط الزواج أو الدم أو التبني، وهم غالباً يشتركون مع بعضهم في عادات عامة، ويتفاعلون مع بعضهم تبعاً للأدوار الاجتماعية المحددة من قبل المجتمع".²

وتعرف الأسرة كنظام اجتماعي: بأنها الطرق التي ينشئها المجتمع وينظمها لتحقيق حاجات إنسانية ضرورية. والأسرة من الظواهر الاجتماعية التي ينطبق عليها تعريف النظام

1 ابن منظور لسان العرب، ج 04، ص 18.

2 محمد شريف صقر، 1987، ص 16.

الاجتماعي، فهي عبارة عن وظائف حيوية متشابكة ومتداخلة محاطة بمجموعة من المعايير الاجتماعية، تنسق عملها وتسهل مهمتها وتربطها بنظم أخرى، كالنظم التربوية والدينية والاقتصادية، ولذلك فالأسرة كنظام اجتماعي يتصل بمعظم أوجه النشاط في المجتمع.

ولذلك يعرفها " قاموس فيرتشيلد " بأنها: منظمة اجتماعية رئيسية، فيها يعيش رجل مع امرأة في علاقة جنسية دائمة أو مؤقتة يقرها المجتمع، بالإضافة إلى الواجبات والحقوق الاجتماعية المعترف بها مع إقامة الأولاد معهم في معيشة واحدة".

ويوضح مصطفى الخشاب: أن الأسرة في طبيعتها هي مؤسسة اجتماعية تخضع في تكوينها للدوافع الطبيعية والاستعدادات والقدرات الكامنة في الطبيعة البشرية النازعة إلى الاجتماع، وهي بأوضاعها ومراسيمها عبارة عن: مؤسسة اجتماعية تنبعث عن ظروف الحياة الطبيعية التلقائية للنظم والأوضاع الاجتماعية، وهي ضرورة حتمية لبقاء الجنس البشري ودوام الوجود الاجتماعي.¹

والأسرة في الإسلام: هي تلك المؤسسة الاجتماعية التي تخضع في تكوينها للدوافع الطبيعية والاستعدادات والقدرات الكامنة في الطبيعة البشرية النازعة إلى الاجتماع، في ضوء التعاليم الإسلامية، وبما لا يتعارض مع ظروف الحياة الاجتماعية.

وعلى ضوء ذلك فالأسرة في الإسلام هي نظام اجتماعي حددت صورته الشريعة الإسلامية، وكذلك ثقافة المجتمع التي تتفق مع هذه الشريعة، وأقرت أساسه برجل وامرأة يرتبطان بطريقة منظمة حددها الإسلام، وقد يزداد عدد أفراد الأسرة بالإنجاب أو بانتماء بعض الأقارب للأسرة.

1 مصطفى الخشاب، 1966 ص 43.

ثانيا: مكانة الأسرة في الإسلام

عني الإسلام بالأسرة عناية خاصة لما لها من مكانة في المحافظة على النسيج الاجتماعي وعلى قوة بنيانه. وبين الأسس التي ينبغي أن تقوم عليها، والأحكام التي يجب أن تضبط العلاقة بين أعضائها، والسبل الكفيلة بالمحافظة عليها وحل النزاعات بين أفرادها. ولذلك جاءت أحكام الأسرة في كتاب الله تعالى محكمة ومفصلة. ومن وراء تلك الأحكام المفصلة التي تنتظم داخل كليات عامة مقصدها بالأساس هو حفظ الدين وحفظ النسل، تقوم فلسفة اجتماعية متكاملة ونظرة خاصة لأسس العلاقة بين الرجل والمرأة داخل مؤسسة الأسرة، تتضبط بدقة الحقوق والواجبات، والمسؤوليات والالتزامات.

ويمكن إجمال الرؤية العامة والفلسفة الاجتماعية التي بني عليها التصور الإسلامي للأسرة فيما يلي:

1- أهمية الأسرة ومكانتها المركزية في النسيج الاجتماعي، وهو ما يؤكد اعتبار رباط الزوجية ميثاقا غليظا في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمُ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾¹

2- إقامة الأسرة على أساس السكن والمودة والرحمة، والتأكيد على أهمية الوشائج الاجتماعية والعلاقات الإنسانية التي تقوم عليها هذه المؤسسة. فالأسرة ليست شركة اقتصادية أو مؤسسة إدارية تقوم على علاقات مادية أو تنظيمية جافة، ولا هي تعاقد تتوزع فيه الواجبات والحقوق والالتزامات توزيعا رياضيا حادا، وإنما تقوم على أساس المودة والرحمة والتضحية والمكارمة، وبذل الفضل بين الطرفين سواء في حالات الوفاق أو في حالة الخلاف قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ

1 النساء: الآية 21.

بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾ وفي قوله تعالى: ﴿وَأِنْ طَلَفْتُمْوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا أَلَدَيْهِ عِفْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾.

3 - الأسرة هي أصل الوجود الإنساني، فقد خلق الله عز وجل آدم وزوجه وجعل اجتماعهما سبب النسل، وأساس تكاثر النوع البشري، يقول تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ بِتَقْوَا رَبِّكُمْ أَلَدَيْ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَفِيبًا ﴿٣﴾.

4 - تَحَقُّقُ أَرْوُعُ مشاهد من مشاهد الزوجية في هذا الكون في الأسرة، في انسجام فطري بين الذكر والأنثى يتمثلان فيه سنة الله في الخلق ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٤﴾.

5 - استيعاب الشريعة الربانية الحكيمة مختلف مراحل تكوين الأسرة، حيث فاقت أحكامها العامة والتفصيلية تلك المتعلقة بباقي مجالات ومؤسسات المجتمع رغم أهميتها. وقد تطرقت

1 الروم: الآية 20

2 البقرة: الآية 235

3 النساء: الآية 1

4 الحجرات: الآية 13

سور عديدة في القرآن الكريم للأسرة وأحكامها وقضاياها، كما أن السنة والسيرة النبوية تحفلان بكثير من الأحكام والمواقف والتوجيهات التي تروم بناء الأسرة والعناية بها.

6- المساواة بين الرجال والنساء وضمان حق الأبناء والآباء؛ هذه المساواة مبنية على التكامل، إذ أن النساء شقائق الرجال في الأحكام. وخطاب التكليف يشمل الرجال والنساء، وهن يتحملن نفس مسؤوليات الرجال وعليهن نفس الواجبات من حيث الأصل، إلا ما استثنى الشرع وراعى فيه الشارع الحكيم أحوالا خاصة بالمرأة، وهي مراعاة ترتبط بتكامل الوظائف داخل الأسرة، ولا تقصد إلى التتقيص من أي من الزوجين، وتصب في نهاية الأمر في مصلحة الأسرة بضمان حقوق الأبناء ورعاية الآباء ومختلف الأطراف.

والمساواة المقصودة هنا ليست هي المساواة التماثلية الرياضية فتلك المساواة تضر بالمرأة والأبناء. فلا قوام للأسرة مثل غيرها من المؤسسات الاجتماعية دون حد أدنى من التقسيم للوظائف. كما أن المساواة لا تعني المساواة في أعيان الحقوق، وإنما المراد منها أن الحقوق بينهما متبادلة، وأنهما فيها أكفاء. فما من عمل للمرأة إلا وللرجل عمل يقابله، وللأبناء عمل.

7 - تكريم الأمومة، واحترام الأصول ورعايتهم وتربية الأبناء: للأمومة أهمية مركزية داخل مؤسسة الأسرة وداخل المجتمع الإسلامي. وقد حظيت الأم بوظيفة كرمت من أجله فاستحقت برا مضاعفا فقد جاء رجل إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، فقال: **مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: "أُمُّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أَبُوك"**¹.

والأحاديث الواردة في بر الوالدين، ورعاية الأبناء وتربيتهم وتنشئتهم كثيرة سنعرض لبعضها في مجالها.

1 الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه لأبي عبد الله محمد بن

إسماعيل البخاري (ت 256) باب من أحق الناس بحسن الصحبة، رقم الحديث: 5971

8 - المسؤولية في الحقوق وأداء الواجبات؛ قرر الإسلام المساواة في الجزاء. وجعل المسؤولية تشمل جميع الميادين الاجتماعية، فهي مسؤولية عن طلب العلم وتعليمه، ومسؤولية في المشاركة في الشأن العام المعروف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وتلك إحدى مقتضيات الولاية المتبادلة التي ينبغي أن تقوم بين المؤمنين والمؤمنات في المجتمع الإسلامي الذي يشغل بكامل طاقاته قال تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَمْشُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾¹ إلى غير ذلك من مظاهر المسؤوليات التي تشمل مختلف أوجه النشاط البشري.

ولذلك فالأسرة هي الوحدة الأساس لبناء الإنسان، والمشتل الطبيعي المتوازن المستقر لغرس القيم والأخلاق، وزرع المبادئ والمفاهيم، والمحضن الهادئ الذي يوجه الفرد ويرسم مستقبل عاداته وسلوكاته واهتماماته ورغباته، التي تمكنه من حمل الأمانة التي أبت السماوات والأرض أن يحملنها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء"². وبذلك تعظم مسؤولية الزوجين في تكوين الخلف الراشد الرائد، المؤهل للإسهام في بناء المجتمع السليم والدعوة للدين الحق وأداء رسالة الشهود الحضاري، والمتوجه دوماً إلى ربه بأن يجعله في كل ذلك قدوة وإماماً، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾³.

1 التوبة: الآية 71.

2 صحيح البخاري: باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم الحديث 1385.

3 الفرقان: الآية 74

كما أن الأسرة وفقا لنفس المرجعية هي أساس استقرار المجتمع والضامن لتوارث القيم بين الأجيال، فكم من المجتمعات افتقدت عددا من المؤسسات لكنها استمرت باستمرار الأسرة، وكم من المجتمعات استمرت فيها منظومة القيم محفوظة رغم اندثارها من باقي مؤسسات المجتمع، لأن الأسرة بقيت محفوظة في بنيتها ووظائفها ورسالتها.

المطلب الثاني . العوامل الأسرية ودورها في التنشئة الاجتماعية:

وقد عرفت الأسرة المغربية اليوم، كما هو الشأن في العالم الإسلامي، العديد من التحديات والاختلالات، وذهاب القيم وضعفها، مما طرح التساؤلات عن سبل إعادة الاعتبار لها، وكيف يمكن رسم معالم أسرة متماسكة ومضطلة بأدوارها التربوية والرسالية؛ أسرة تتحمل المسؤولية، وتقاوم معاول الهدم، وترعى فيها الأبناء، ويوقر فيها الآباء، وتكرم فيها النساء. والأسرة تقع على عاتقها مسؤولية الفرد في أهم مراحل حياته، وغرس الفضائل والمثل العليا لديه، وهي مقياس رقي الفرد والمجتمع.

ومعلوم أن للأسرة أهمية متميزة في بناء المجتمعات وتحسينها وتماسكها، وكل خلل فيها ينذر بالتدهور والتفكك والانحدار الحضاري.

لكن؛ تتحكم مجموعة من العوامل عند اضطلاع أي أسرة بمهمتها في التنشئة الاجتماعية، وهي تتداخل فيما بينها لتؤثر في النهاية إيجابا أو سلبا على تحقيق التوازن المطلوب بين مكونات شخصية الطفل على المستوى المعرفي، والمهاري، والقيمي.

ويعد العامل الثقافي المتمثل أساسا في التحصيل العلمي للأبوين، والعامل الاقتصادي الذي يندرج في إطاره مستوى الدخل المادي، وأنماط الاستهلاك، وطبيعة العمل؛ من أبرز العوامل التي حظيت بالبحث في دراسات علماء الاجتماع التربويين لتحديد العلاقة بينها وبين المستقبل العلمي والمدرسي للأطفال.

ويشكل العاملان السابقان، عند علماء الاجتماع التربوي، معيارين أساسيين متكاملين في تحديد مفهوم الانتماء الاجتماعي للفرد، يتم الفصل بينهما منهجيا لتعميق الفهم بالظاهرة الاجتماعية، وإلا فهما يرتبطان وفق علاقة جدلية في مجال التربية خاصة، وفي مجالات الحياة الاجتماعية على وجه العموم.

فبعض الدراسات المنصبة حول تأثير العامل الثقافي تؤكد أن وجود مستوى عال من الثقافة لدى الأبوين يؤثر إيجابا على عمليات الاكتساب لدى الأبناء، وأن حضور مستوى متدن لديهما يؤدي إلى نتائج عكسية [دراسة الباحث "صفوح الأخرس" التي اهتمت بعلاقة تعليم الأبوين، ومدى استخدامهما لأسلوب الشدة، أو أسلوب التشجيع، دراسة "بول كليرك Paul Clerc" التي خلصت نتائجها إلى أن تحصيل أبناء الفئات التعليمية العليا يكون أفضل من مستوى تحصيل أبناء الفئات التعليمية الدنيا، دراسة المؤلفين "علي أسعد وطفة"، و"عبد الله المجيدل" التي قادت إلى أن عدد الطلاب في التعليم العالي يميل إلى التزايد وفقا لتدرج ثقافة الأب الحاصلة، وأنهم يتوزعون في الفروع العلمية كلما تم التدرج في السلم الاجتماعي للأب.¹

أما الدراسات التي عنيت بالوضع الاقتصادي للأسرة؛ فخلصت إلى أن مستوى التنشئة الاجتماعية الأفضل يرجح لصالح أبناء الأسر التي تستطيع توفير حاجات الطفل المادية من مأكّل، ومشرب، وألعاب، ورحلات علمية، وامتلاك أدوات تعليمية.. على خلاف أبناء الأسر التي لا تستطيع توفير مثل هذه الحاجات الأساسية، مما يسبب لهم انتكاسات عاطفية، وقد يفضي بهم هذا الوضع إلى سلوكيات لا مدنية. "دراسة المعهد العالي في فرنسا في "هينو" بينت علاقة ترابط قوية بين المستوى الاقتصادي للأسرة، وحاصل الذكاء عند التلاميذ"²

1 علم الاجتماع التربوي: لإبراهيم ناصر، ط، دار وائل للطباعة والنشر، ت 2011 ص: 136 - 137 بتصرف

2 علم الاجتماع التربوي ص: 139

فمثل هذه الدراسات وغيرها التي ركزت على تأثير الانتماء الاجتماعي على عملية تشرب الأطفال للثقافة تقودنا إلى استنتاجين هامين:

أولهما: يرتبط بضرورة محاربة الأمية للوالدين؛ التي ينبغي أن يندرج فيها التركيز على إبراز المكونات الثقافية، والقيم الحضارية الإسلامية، والحقوق والواجبات الوطنية. وفي هذا الخصوص يؤكد عبد الحميد أبو سليمان¹ أهمية دور الأسرة، باعتبار عامل الفطرة المتأصل في شخصية الأبوين، في تحقيق الإصلاح التربوي، والتغيير الاجتماعي والحضاري شريطة أن يقوم المفكرون والمربون بدورهم في توعيتها، وإمدادها بالأدبيات اللازمة.

وثانيهما: يتعلق بوجوب تحسين الظروف المعيشية للأسر، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وضمان مبدأ تكافؤ الفرص بين جميع التلاميذ، ولذلك لم يغفل الدكتور عبد الحميد سليمان أمر الدعوة إلى مواصلة جهود الإصلاح في الجوانب الاقتصادية والسياسية والدعوية وسواها، لتتظافر وتتكامل مع الجهود الإصلاحية المنهجية، والثقافية، والتربوية.

فيما يخص الاستنتاج الأول نود أن نشير إلى أن مفهوم الأمية الذي نرمي إليه لم يعد مقصوراً على تعلم الأساسيات الأولية في القراءة، والكتابة، والحساب، أي ما يصطلح عليه بـ "الأمية الأبجدية" فهذه الأخيرة وإن كانت لها أولويتها، وأهميتها إلا أن "اعتماد المقاربة الأبجدية وحدها في محاربة الأمية أصبح اليوم شيئاً متجاوزاً، ولا يتماشى والغاية الرامية إلى تغيير السلوكات، واكتساب المواقف، والقدرة على المبادرة، وعلى المشاركة في اتخاذ القرارات".²

1 الدكتور عبد الحميد أبو سليمان، كاتب ومفكر إسلامي سعودي، يتولى حالياً منصب رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سبق له أن تولى العديد من المناصب الرسمية والعلمية داخل وخارج السعودية، وهو المؤسس والمدير السابق للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. له العديد من الكتب والأبحاث والأوراق العلمية والفكرية التي تهتم -من المنظور الإسلامي- بالتغيير وبالجوانب الإبداعية الإصلاحية للأمة في العقيدة والرؤية الحضارية الإسلامية، وفي الفكر والمنهج والثقافة، وفي التربية والوجدان المسلم، ويكتب مقالاته بانتظام في عدد من الصحف والدوريات، وهو والد الإعلامية السعودية منى أبو سليمان.

2 محاربة الأمية، تحليل الحاجات، وطرق التنفيذ، ذ لحسن مادي، ط 1 ص: 15

ولا على مواءمة الفرد للممارسات المهنية فيما يعرف بـ "الأمية الوظيفية" حيث تتوخى إكساب المستفيدين مهارات وظيفية تحقق لهم الكسب والخروج من دوائر الفقر والتهميش.

بل يُعنى به "كل ما يجعل الإنسان يتحرر من مختلف القيود المكبلة لطاقاته، وكل ما يجعله على الهامش، ويحد من مشاركته في تفعيل محيطه، واستثمار إمكانات هذا المحيط وتسخيرها لصالحه. إنه يتضمن كل ما يعرقل إحداث تنمية بشرية شاملة، ومستدامة في كل أبعادها الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية".¹

ولعل أكبر عائق يمكن أن يواجهه المرء في حياته الأسرية أن يمنح نعمة الولد، ثم يحول العوز الثقافي والتربوي بينه، وبين ما ينشده داعي الفطرة لديه في أن تنتهياً لفلذة كبده ظروف العيش الكريم، وفي أن يحيا ويموت وهو متمسك بالقيم الإسلامية الفاضلة التي تمنعه من الوقوع في مزالق الهوى، ومصائد الشيطان، ومكائد الأعداء الحاقدين على دين الإسلام الحنيف.

الدور التربوي للأسرة:

إن التربية بالأساس لها منطلقاتها وضوابطها، فالأولاد هبة إلهية قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾². وقال عز وجل: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْ شَاءَ وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ

1 المرجع السابق ص: 18

2 النساء: الآية 1

الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجَهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَفِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ¹.

والأولاد أمانة؛ يقول الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ²﴾.

تكليف الوالدين بواجب التربية والرعاية؛ فإعداد الجيل المؤمن الصالح يقع على عاتق الآباء والأمهات، لأن الطفل ينظر إلى والديه وكأنهم المثل الأعلى، ويلتقت حوله، وي طرح عليه الأسئلة فكما قال صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه"³.

وعن جابر بن سمرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لأن يؤدب الرجل ولده، أو أحكم ولده، خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع"⁴.

وهناك إثم كبير يرتكب في حق الأبناء؛ لمن يُهمل تربيتهم، يتركهم لمن يعبت بهم وبأخلاقهم، ويهدر قيمهم، ويجعلهم يتخلقون بعبادات غريبة عنهم، ويسارعون إلى اقتناص الموضات، ويتشكلون بأشكال الهمجية والوحشية والبدائية، وإهمال النظافة، والارتقاء على الأرصفة، وإرواء الغرائز والشهوات.

فلكل هذه الاعتبارات، والوظائف والأدوار التي تتميز بها الأسرة في المجتمع، وغيرها استحققت الأسرة دعم تأسيسها، وواجب الرعاية والعناية بعد تكوينها، وهي مسؤولية جماعية لا بد أن تتكاتف الجهود من أجل سياسة عمومية مندمجة للأسرة، تعبر عن مكانتها في المرجعية الإسلامية.

1 الشورى: الآيات 50/49.

2 النساء: الآية 11

3 صحيح البخاري: باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم الحديث 1385

4 مسند الإمام أحمد، مسند جابر بن سمرة السوائي، ج: 3، ص 491.

المطلب الثالث: واقع التربية على القيم في المدرسة المغربية

أولاً: عينات البحث:

العينة الأولى:

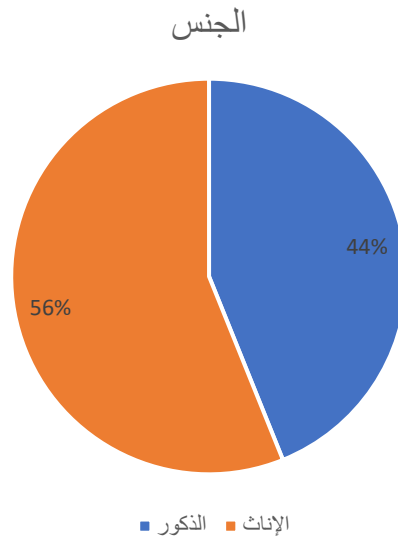
اشتملت العينة الأولى على 287 تلميذا وتلميذة موزعين على ثلاث مستويات دراسية:

المستوى الأول: السلوك الابتدائي.

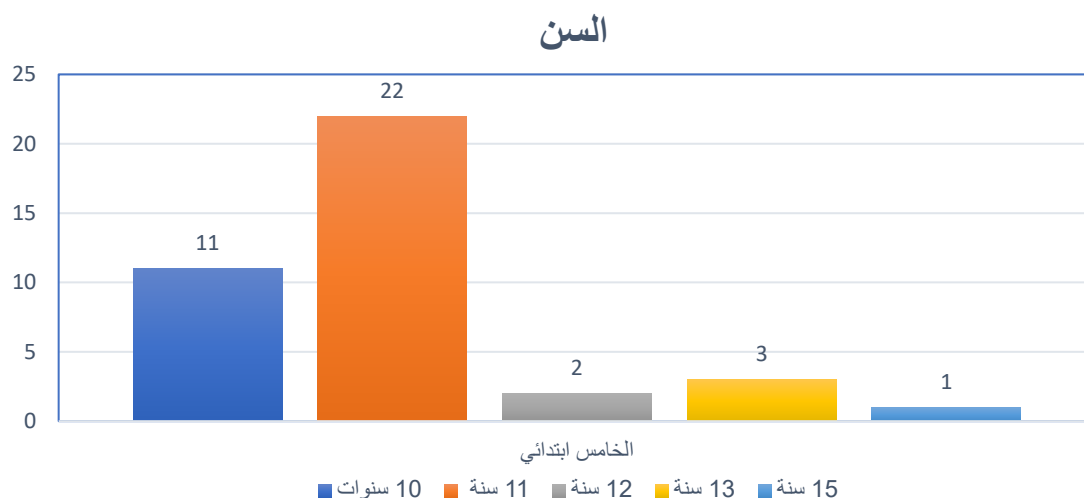
اشمل الاستبيان لهذه الفئة على 39 تلميذا وتلميذة موزعين على الشكل التالي:

المجموع	الإناث	الذكور	
39	21	18	الخامس ابتدائي

وشكلت نسبة الإناث بهذا السلوك 56% بينما انحسرت نسبة الذكور في 44%.



أما بالنسبة للسن فقد تراوح بين عشر سنوات وخمسة عشر سنة، لكن الفئة الأكثر تمثيلية؛ استقرت في إحدى عشر سنة.

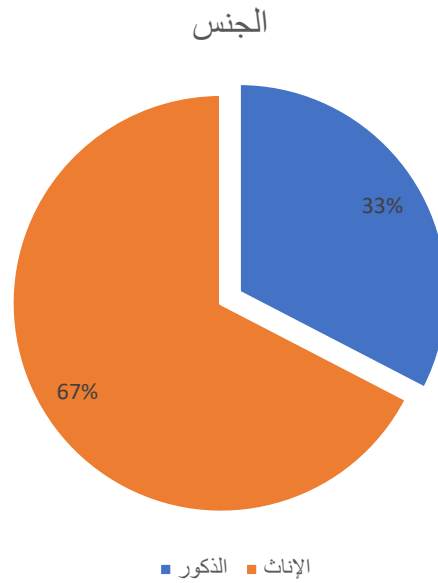


المستوى الثاني: السلك الثانوي الإعدادي.

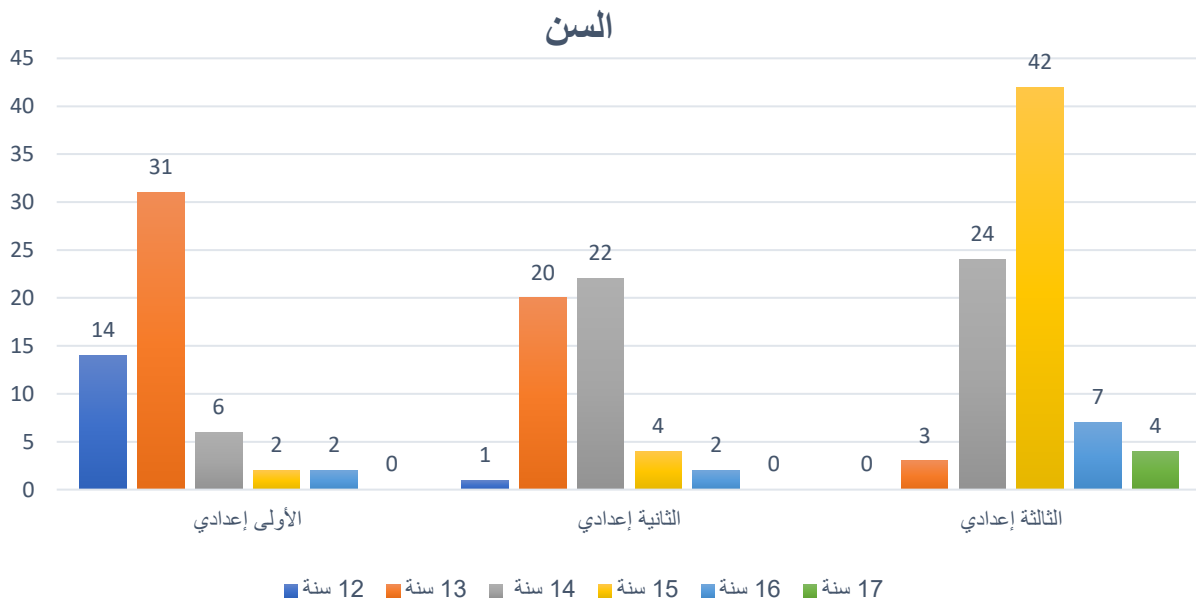
شمل الاستبيان بهذا السلك 184 تلميذا وتلميذة موزعين على الشكل التالي:

المجموع	الإناث	الذكور	
55	39	16	الأولى إعدادي
48	34	14	الثانية إعدادي
81	51	30	الثالثة إعدادي
184	124	60	المجموع

وتراوحت نسبة الإناث منهم 67% بينما نسبة الذكور في 33%.



أما معدل السن فقد تراوح بين اثني عشر سنة وسبعة عشر سنة.

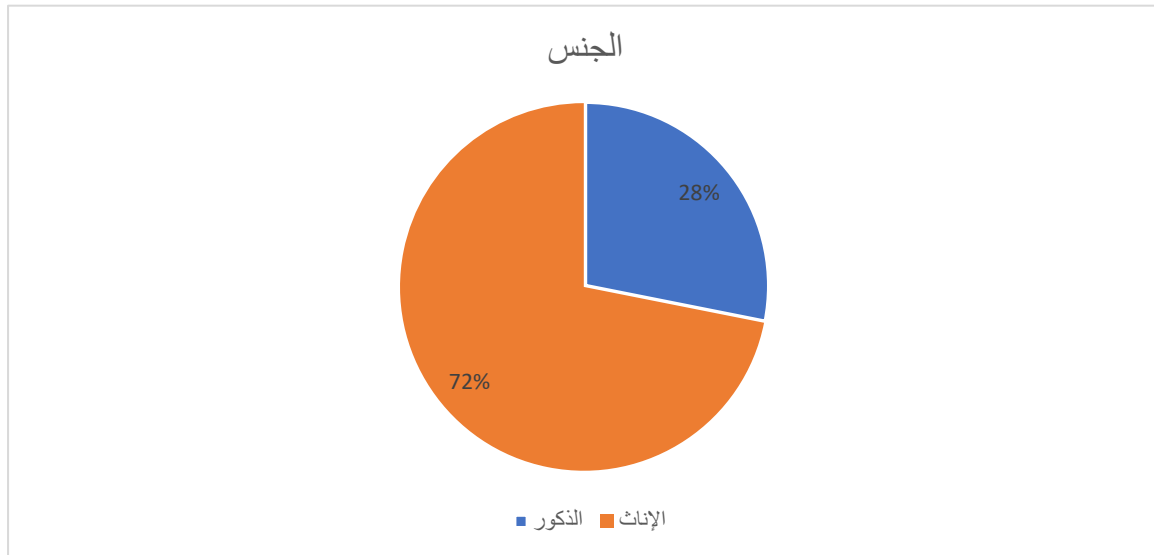


المستوى الثالث: السلك الثانوي التأهيلي.

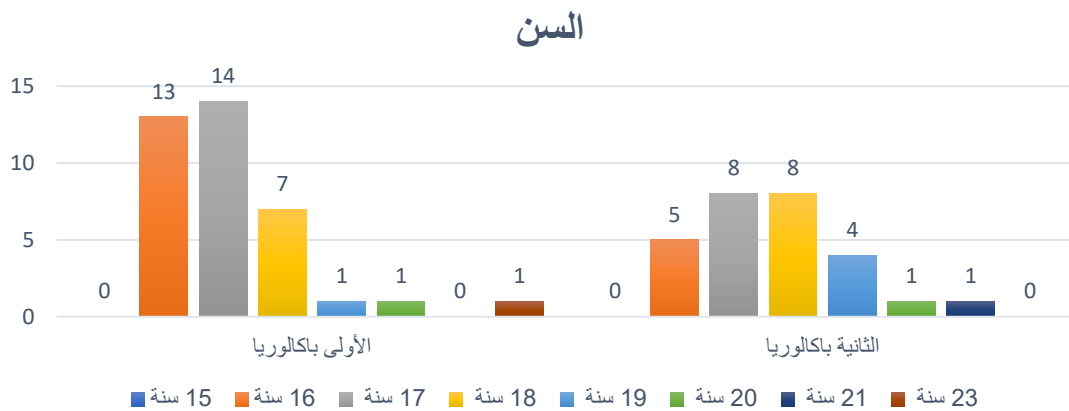
شمل الاستبيان بهذا السلك 64 تلميذا وتلميذة موزعين على الشكل التالي:

المجموع	الإناث	الذكور	
37	28	9	الأولى بكالوريا
27	18	9	الثانية بكالوريا
64	46	18	المجموع

وتراوحت نسبة الإناث منهم 72% بينما نسبة الذكور في 28%.



أما معدل سن هذه الفئة فقد تراوح بين اثني عشر سنة وسبعة عشر سنة.



ثانياً: محتوى الاستبيان:

اشتمل الاستبيان على ثلاثة أسئلة موجهة لكل عينات البحث حسب المستويات:

المستوى الأول: السلك الابتدائي.

السؤال الأول: اختر القيم التي اكتسبتها من الأسرة.

وهو سؤال مغلق؛ يقيس القيم التي اكتسبتها المتعلم من الأسرة؛ وكانت نتائج

الاستبيان على الشكل التالي:

الخامس ابتدائي		
النسبة المئوية	التكرار من (39)	
74%	29	الايمان بالله
72%	28	حب الخير للناس
67%	26	الصدق
64%	25	الأمانة
64%	25	التسامح
64%	25	احترام الآخر
62%	24	التعاون
59%	23	المسؤولية
56%	22	الانضباط
54%	21	العفو
51%	20	الرحمة
38%	15	حب الوطن
33%	13	المبادرة للعمل التطوعي
28%	11	الحرية
26%	10	التعايش

من خلال النتائج المتوصل إليها عن طريق الاستبيان وبعد حساب تردداتها عن

طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 29 فكانت النتائج على الشكل التالي:

القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد
الايمان بالله	1	احترام الآخر	0.86	الرحمة	0.69
حب الخير للناس	0.97	التعاون	0.83	حب الوطن	0.52
الصدق	0.9	المسؤولية	0.79	المبادرة للعمل التطوعي	0.45
الأمانة	0.86	الانضباط	0.76	الحرية	0.38
التسامح	0.86	العفو	0.72	التعايش	0.34

من خلال معاملات الارتباط بين القيم المستهدفة بالدراسة نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 39 يساوي 35 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.32 ما يعني؛ أن القيم مرتبطة في ذهن عينة الدراسة هي التي تفوق 0.32 وعددها 15 عشرة قيمة من أصل 15. بنسبة 100% مع الاختلاف في تكرار هذه القيم وعليه فإننا سوف نصنفها حسب هذا التكرار.

القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد
الايمان بالله	1	الأمانة	0.86	المسؤولية	0.79	المبادرة للعمل	0.45
حب الخير للناس	0.97	التسامح	0.86	الانضباط	0.76	التطوعي	0.38
الصدق	0.9	احترام	0.86	العفو	0.72	الحرية	0.34
		الآخر	0.86	الرحمة	0.69	التعايش	0.52
		التعاون	0.83	حب الوطن	0.52		

بالنظر إلى تكرار القيم أعلاه يظهر تصدر قيم الايمان بالله، حب الخير للناس، الصدق، لدى الفئة المستهدفة الأمر الذي ينبئ بحضور هذه القيم في الأسرة.

السؤال الثاني: اختر طريقة اكتسابك لهذه القيم.

سؤال مغلق؛ يقيس الطرق التي اكتسب بها المتعلم القيم من خلال الأسرة؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التكرار من (39)	النسبة المئوية
اقتداء بأبي أو أمي	29	74%
نصيحة أبوية	29	74%
نصيحة توجيهية من الأقارب	11	28%
مخالطة أفراد الأسرة	9	23%
الأساتذة	1	3%

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 29 فكانت النتائج على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التردد
اقتداء بأبي أو أمي	1
نصيحة أبوية	1
نصيحة توجيهية من الأقارب	0.38
مخالطة أفراد الأسرة	0.31
الأساتذة	0.03

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 39 يساوي 35 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.32 ما يعني؛ أن طرق اكتساب القيم التي لها تأثير في ذهن عينة الدراسة هي: الاقتداء بالأب و الأم، والنصيحة الأبوية، والنصائح التوجيهية من الأقارب، مع تفاوت ملحوظ فيما بينها وتكون بذلك أكثر هذه الوسائل تأثيراً هي: الاقتداء بالأب و الأم، والنصيحة الأبوية.

السؤال الثالث: اختر مدى تطبيقك لهذه القيم في حياتك اليومية.

سؤال مغلق؛ يقيس مدى تطبيق المتعلم للقيم التي اكتسبها من خلال الأسرة؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

النسبة المئوية	التكرار من (39)	مدى تطبيقك لهذه القيم
49%	19	دائماً
41%	16	غالباً
10%	4	أحياناً

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 17 كانت النتائج على الشكل التالي:

التردد	مدى تطبيقك لهذه القيم
1	دائماً
0.84	غالباً
0.21	أحياناً

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 39 يساوي 35 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.32 ما يعني؛ أن الحال التي تفوق 0.32 هي: دائماً وغالباً. ويكون بناء على ذلك أثر لهذه القيم في الواقع اليومي للفئة المستهدفة.

المستوى الثاني: الثانوي الإعدادي.

السؤال الأول: اختر القيم التي اكتسبتها من الأسرة.

وهو سؤال مغلق؛ يقيس القيم التي اكتسبتها المتعلم من الأسرة؛ وكانت نتائج الاستبيان

على الشكل التالي:

النسبة المئوية	التكرار				
	المجموع	الثالثة إعدادي	الثانية إعدادي	الأولى إعدادي	
68%	125	51	34	40	الإيمان بالله
66%	121	53	28	40	احترام الآخر
64%	117	46	32	39	الصدق
62%	114	50	29	35	المسؤولية
61%	112	47	27	38	حب الخير للناس
60%	111	42	28	41	التعاون
57%	105	44	27	34	التسامح
54%	100	43	21	36	التعايش
54%	99	34	27	38	الأمانة
51%	93	30	30	33	الرحمة
49%	90	41	23	26	الانضباط
40%	74	25	16	33	حب الوطن
36%	67	26	15	26	الحرية
35%	64	25	10	29	العفو
30%	55	22	10	23	المبادرة للعمل التطوعي

من خلال النتائج المتوصل إليها عن طريق الاستبيان تم حساب تردداتها عن

طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 125 فكانت النتائج على الشكل التالي:

القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد
الايمان بالله	1	التعاون	0.89	الانضباط	0.72
احترام الآخر	0.97	التسامح	0.84	حب الوطن	0.59
الصدق	0.94	التعايش	0.8	الحرية	0.54
المسؤولية	0.91	الأمانة	0.79	العفو	0.51
حب الخير للناس	0.9	الرحمة	0.74	المبادرة للعمل التطوعي	0.44

من خلال معاملات الارتباط بين القيم المستهدفة بالدراسة نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 184 يساوي 100 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5 % هو 0.19 ما يعني؛ أن القيم مرتبطة في ذهن عينة الدراسة هي التي تفوق 0.19 وعددها 15 عشرة قيمة من أصل 15. بنسبة 100% مع الاختلاف في تكرار هذه القيم وعليه فإننا سوف نصنفها حسب هذا التكرار.

القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد
الايمان بالله	1	المسؤولية	0.91	التعايش	0.8	الحرية	0.54
احترام الآخر	0.97	حب الخير للناس	0.9	الأمانة	0.79	العفو	0.51
الصدق	0.94	التعاون	0.89	الرحمة	0.74	المبادرة للعمل	
		التسامح	0.84	الانضباط	0.72	التطوعي	0.44
				حب الوطن	0.59		

بالنظر إلى تكرار القيم أعلاه يظهر؛ تصدر قيم؛ الايمان بالله، احترام الآخر، الصدق، لدى الفئة المستهدفة الأمر الذي ينبئ بحضور هذه القيم في الأسرة.

السؤال الثاني: اختر طريقة اكتسابك لهذه القيم.

سؤال مغلق؛ يقيس الطرق التي اكتسب بها المتعلم القيم من خلال الأسرة؛ وكانت نتائج

السؤال على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التكرار من (184)	النسبة المئوية
اقتداء بأبي أو أمي	120	65%
نصيحة أبوية	108	59%
نصيحة توجيهية من الأقارب	53	29%
مخالطة أفراد الأسرة	51	28%

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة

على التكرار الأكبر الذي يساوي 120 فكانت النتائج على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التردد
اقتداء بأبي أو أمي	1
نصيحة أبوية	0.9
نصيحة توجيهية من الأقارب	0.44
مخالطة أفراد الأسرة	0.43

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة

الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي

عددها 184 يساوي 100 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة

الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.19 ما يعني؛ أن طرق اكتساب القيم التي

لها تأثير في ذهن عينة الدراسة هي: كل الطرق المذكورة مع تفاوت ملحوظ فيما بينها،

وتكون بذلك أكثر هذه الوسائل تأثيراً هي: الاقتداء بالأب و الأم، والنصيحة الأبوية.

السؤال الثالث: اختر مدى تطبيقك لهذه القيم في حياتك اليومية.

سؤال مغلق؛ يقيس مدى تطبيق المتعلم للقيم التي اكتسبها من خلال المدرسة؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التكرار من (184)	النسبة المئوية
دائماً	86	47%
غالباً	63	34%
أحياناً	35	19%

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 17 كانت النتائج على الشكل التالي:

مدى تطبيقك لهذه القيم	التردد
دائماً	1
غالباً	0.73
أحياناً	0.41

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 184 يساوي 100 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.19 ما يعني؛ أن الحال التي تفوق 0.19 هي: دائماً وغالباً وأحياناً مع تفاوت بينها وتكون دائماً هي الحالة الأكثر.

المستوى الثالث: الثانوي التأهيلي.

السؤال الأول: اختر القيم التي اكتسبتها من الأسرة.

وهو سؤال مغلق؛ يقيس القيم التي اكتسبتها المتعلم من الأسرة؛ وكانت نتائج الاستبيان

على الشكل التالي:

النسبة المئوية	التكرار من (64)			
	مجموع	الثانية باكالوريا	الأولى باكالوريا	
67%	43	17	26	احترام الآخر
66%	42	17	25	الأمانة
63%	40	16	24	التسامح
61%	39	15	24	المسؤولية
59%	38	16	22	التعاون
59%	38	18	20	حب الخير للناس
58%	37	15	22	الصدق
58%	37	18	19	الايمان بالله
50%	32	14	18	العفو
47%	30	14	16	التعايش
44%	28	14	14	الرحمة
41%	26	15	11	الانضباط
33%	21	11	10	المبادرة للعمل التطوعي
31%	20	11	9	الحرية
23%	15	7	8	حب الوطن

من خلال النتائج المتوصل إليها عن طريق الاستبيان تم حساب تردداتها عن

طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 43 فكانت النتائج على الشكل التالي:

القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد
احترام الآخر	1	حب الخير للناس	0.88	الرحمة	0.65
الأمانة	0.98	الصدق	0.86	الانضباط	0.6
التسامح	0.93	الايمان بالله	0.86	المبادرة للعمل التطوعي	0.49
المسؤولية	0.91	العفو	0.74	الحرية	0.47
التعاون	0.88	التعايش	0.7	حب الوطن	0.35

من خلال معاملات الارتباط بين القيم المستهدفة بالدراسة نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 64 يساوي 60 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.25 ما يعني؛ أن القيم مرتبطة في ذهن عينة الدراسة هي التي تفوق 0.25 وعددها 15 عشرة قيمة من أصل 15. بنسبة 100% مع الاختلاف في تكرار هذه القيم.

القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد
احترام الآخر	1	التعاون	0.88	العفو	0.74	المبادرة للعمل	0.49
الأمانة	0.98	حب الخير للناس	0.88	التعايش	0.7	التطوعي	0.47
التسامح	0.93	الصدق	0.86	الرحمة	0.65	الحرية	0.35
المسؤولية	0.91	الايمان بالله	0.86	الانضباط	0.6	حب الوطن	0.35

بالنظر إلى تكرار القيم أعلاه يظهر؛ تصدر قيم؛ احترام الآخر، الأمانة، التسامح، المسؤولية. لدى هذه الفئة المستهدفة الأمر الذي ينبئ بحضور هذه القيم في الأسرة.

السؤال الثاني: اختر طريقة اكتسابك لهذه القيم.

سؤال مغلق؛ يقيس الطرق التي اكتسب بها المتعلم القيم من خلال المدرسة؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التكرار من (64)	النسبة المئوية
اقتداء بأبي أو أمي	40	63%
نصيحة أبوية	30	47%
مخالطة أفراد الأسرة	24	38%
نصيحة توجيهية من الأقارب	15	23%

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 40 فكانت النتائج على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التردد
اقتداء بأبي أو أمي	1
نصيحة أبوية	0.75
مخالطة أفراد الأسرة	0.6
نصيحة توجيهية من الأقارب	0.38

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 64 يساوي 60 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.25 ما يعني؛ أن طرق اكتساب القيم التي لها تأثير في ذهن عينة الدراسة هي: كل الطرق المذكورة مع تفاوت ملحوظ فيما بينها، وتكون بذلك أكثر هذه الوسائل تأثيراً هي: الاقتداء بالأب و الأم، والنصيحة الأبوية.

السؤال الثالث: اختر مدى تطبيقك لهذه القيم في حياتك اليومية.

سؤال مغلق؛ يقيس مدى تطبيق المتعلم للقيم التي اكتسبها من خلال المدرسة؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التكرار من (64)	النسبة المئوية
غالبا	34	53%
دائما	24	38%
أحيانا	6	9%

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 34 كانت النتائج على الشكل التالي:

مدى تطبيقك لهذه القيم	التردد
غالبا	1
دائما	0.71
أحيانا	0.18

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 64 يساوي 60 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.25 ما يعني؛ أن الحال التي تفوق 0.25 هي: غالبا ودائما مع تفاوت بينها، وتكون غالبا هي الحالة الأكثر.

العينة الثانية:

اشتملت العينة الخاصة بالفاعلين التربويين على 55 فاعل موزعين على الشكل التالي:

المجموع	الإناث	الذكور	
55	23	32	رب أسرة / ربة أسرة

المستوى الثقافي والعلمي للفئة المستهدفة

المجموع	دكتوراه	جامعي	ثانوي	إعدادي	ابتدائي	تعليم عتيق	
55	0	40	6	2	5	2	المؤهل العلمي

السؤال الأول: في نظرك؛ ما هي المؤسسات التي تساهم في التربية على القيم.

سؤال مغلق؛ يقيس أنواع المؤسسات التي تساهم في التربية على القيم؛ وكانت نتائج

السؤال على الشكل التالي:

النسبة المئوية	التكرار	
100%	55	الأسرة
87%	48	المدرسة
71%	39	المسجد
73%	40	الاعلام
2%	1	وسائل التواصل الاجتماعي
2%	1	الرفقة

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة

على التكرار الأكبر الذي يساوي 55 كانت النتائج على الشكل التالي:

المؤسسات التي تساهم في التربية على القيم	التردد
الأسرة	1
المدرسة	0.87
المسجد	0.71
الاعلام	0.73
وسائل التواصل الاجتماعي	0.02
الرفقة	0.02

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 55 يساوي 50 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.27 ما يعني؛ أن المؤسسات المساهمة في التربية على القيم بالنسبة لعينة البحث تنحصر: الأسرة، والمدرسة، والاعلام، والمسجد أما باقي المؤسسات فلا تأثير لها في ذهن عينة الدراسة.

السؤال الثاني: من خلال تجربتك التربوية هل قمت بإنجاز مشروع للتربية على القيم.

سؤال مغلق؛ يقيس مدى امتلاك الفاعلين التربويين لمشروع التربية على القيم؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

النسبة المئوية	التكرار من 55	
60%	33	نعم
40%	22	لا

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه يظهر أن نسبة 60% من الآباء والأمهات يمتلكون مشاريع مساهمة في التربية على القيم بينما كانت نسبة المصrchين بعدم امتلاكهم لهذه المشاريع 40%.

السؤال الثالث: حدد الأسباب التي حالت دون امتلاك مشروعا للتربية على القيم.
 سؤال مغلق؛ يقيس الأسباب التي حالت دون امتلاك الفاعل التربوي مشروعا للتربية على القيم؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

النسبة المئوية	التكرار من 44	
59%	13	لا أعرف كيف أقوم بها
18%	4	هناك من يقوم بها فلا حاجة لذلك
23%	5	لم يقدم مبررا

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 13 كانت النتائج على الشكل التالي:

الأسباب	التردد
لا أعرف كيف أقوم بها	1
هناك من يقوم بها فلا حاجة لذلك	0.31
لم يقدم مبررا	0.38

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 55 يساوي 50 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.27 ما يعني؛ أن الأسباب المساهمة في عدم امتلاك عينة البحث لمشروع قيمي هي: عدم معرفتهم لكيفية القيام به و أن هناك من يقوم به نيابة عنهم.

السؤال الرابع: حدد الفئات التي تستهدف من خلال مشروعك.

سؤال مغلق؛ يقيس أنواع الفئات المستهدفة بالتربية على القيم؛ وكانت نتائج

السؤال على الشكل التالي:

النسبة المئوية	التكرار من 55	
39%	13	الأطفال
27%	9	الأبناء
15%	5	الشباب
12%	4	المحيط العائلي
9%	3	كل الفئات
3%	1	الأسرة

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على

التكرار الأكبر الذي يساوي 13 كانت النتائج على الشكل التالي:

التردد	الفئات المستهدفة
1	الأطفال
0.69	الأبناء
0.38	الشباب
0.31	المحيط العائلي
0.23	كل الفئات
0.08	الأسرة

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط

الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 55 يساوي

50 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ

5% هو 0.27 ما يعني؛ أن الفئة المستهدفة بمشاريع التربية على القيم هي: الأطفال،

والأبناء، والشباب، والمحيط العائلي.

المبحث الثاني: المسجد والتربية على القيم

يعتبر المسجد أقدم المؤسسات التعليمية في الإسلام، ويعد أحد المؤسسات الهامة التي تلعب دوراً رئيساً في تهذيب النشء، وتربيتهم على الفضائل والقيم الخلقية المستمدة من ديننا الإسلامي الحنيف، لذلك حرص النبي ﷺ "على بناء المسجد أول قدومه إلى المدينة لما له من أهمية تربوية عظيمة فالمسجد في تاريخ الإسلام دار للعبادة، وبرلمان للشورى، ومؤسسة لتلقي العلوم، وجامعة التعلم عقائد وفرائض العبادات ومكارم الأخلاق ومحاسن الآداب وطرق المعاملات".¹

فالمسجد ليس مكاناً تؤدي فيه الفرائض وبعدها تغلق الأبواب، بل هو مكان يجتمع فيه الناس لتأدية عباداتهم، ويتباحثون قضايا تهم دنياهم ودينهم، ويتلقون من خلاله دروس العلم الذي يهتم بقضايا الفقه والعقيدة وتعليم الصلاة والفرائض المختلفة. "إن الأنشطة داخل المسجد تتنوع بين الأنشطة الروحية؛ من صلاة وذكر ودعاء واستغفار، ودروس ووعظ وإرشاد، وفقه وخطبة جمعة، ولا تخلو هذه الأنشطة من التوجيهات السلوكية والحث على مكارم الأخلاق؛ وذلك إنما يتم في إطار استعداد المصلين وتقبلهم وتجاوبهم مع هذه الأنشطة حيث جاءوا للمسجد طوعية غير مكرهين".²

والمسجد فاعل مهم في التربية وبناء الأفراد؛ فيه تتحقق القيم حيث تتوفر معاني التعاطف والمودة والرحمة والتعاون، وتستقل فيه المواهب وتقوى النواحي الروحية والجسمية والعقلية والوطنية. فرسالة المسجد التربوية الاهتمام بالشخصية الإنسانية،

1 محفوظ محمد جمال الدين. 1984، مصدر سابق، ص 166.

2 أبو دف، محمود وأبو مصطفى، نظمي. يناير 2000. ممارسة طلبة الجامعة الإسلامية بغزة لبعض الفضائل الخلقية وعلاقتها ببعض المتغيرات، مجلة حوليات، مجلة محكمة تصدر عن جامعة الأزهر بغزة، العدد الثاني ص 34.

والارتقاء بها روحيا وجسميا وعقليا ووجدانيا، وغرس القيم الفاضلة فيها، فإذا كانت المدرسة تهتم بالنشء من الصغار، فإن المسجد يهتم بالصغار والكبار معا.¹

ومن الخير أن تكون للمسجد جاذبية في نفوس الأطفال، وأن توجه دروسه وعظاته نحو تزويدهم بالفضائل التي تطهر قلوبهم، وتحل مشكلاتهم العاطفية والعقلية، وتثبت قلوبهم بالإيمان الراسخ والعقيدة السليمة، وأن يجدوا الإجابة الصحيحة الشافية عما يشغلهم من قضايا حياتهم.²

المطلب الأول المسجد ووظيفته في المرجعية الإسلامية

أولا: تعريف المسجد

المسجد بكسر الجيم وفتحها الذي يسجد فيه، وفي صحاح الجوهري مفرد مساجد، قال الزجاج كل موضع يتعبد فيه، ألا ترى أن النبي قال: "وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا"، قال ابن الأعرابي: بفتح الجيم محراب البيوت ومصلى الجماعات، والمسجدان: مسجد مكة ومسجد المدينة شرفهما الله تعالى.³

وذكرت لفظة سجد في القرآن الكريم 26 مرة بأوزان وصيغ كثيرة، وكذلك لفظة فساد فقد تعددت بصيغ وأوزان كثيرة، وقد يتكرر الوزن الواحد أو الصيغة الواحدة مرات كثيرة فاقت أحيانا 21 مرة سواء في لفظة سجد أم في لفظة فسد.

أما المسجد شرعا فكل موضع من الأرض لقوله: جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا. وسمي المسجد مسجدا لأنه مكان للسجود لله، ويطلق على المسجد أيضا اسم جامع، وخاصة إذا كان كبيرا.

1 محجوب، عباس. 1987. مصدر سابق ص 265 بتصرف.

2 محفوظ، محمد جمال الدين. 1984. مصدر سابق، ص 169.

3 الزبيدي، تاج العروس، الجزء: 5. الصفحة: 7

وهذا من خصائص هذه الأمة، " قال القاضي عياض رحمه الله: لأن من كان قبلنا كانوا لا يصلون إلا في موضع يتيقنون طهارته، ونحن خصصنا بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا ما تيقنا نجاسته".¹

وقد يعرف بحسب ما يؤديه من وظائف جمة بأنه: هو مؤسسة دينية، اجتماعية، سياسية، تربوية، اقتصادية ويسمى حالياً ومجازاً بدار العبادة لما أتى على دوره الريادي من تقلص.

ومن المعروف عن المسجد هو إقامة الصلوات الخمس به جماعة بالإضافة إلى صلاة الجمعة، ولكن ما ورد هو أحد أدوار المسجد.

ثانياً: وظيفة المسجد في الإسلام:

يعد المسجد جامعة الإسلام الأولى، ففيه تعلم المسلمون جيلاً عن جيل، ولذلك لم يتأخر النبي عن بنائه لحظة بعد الهجرة، فكان أول عمل قام به في المدينة بناء المسجد، ثم توالى بناء المساجد في حياته وبعد وفاته، وسيبقى ذلك إلى قيام الساعة. ومن حلقات العلم بمسجده تخرج سادة الدنيا وقادة الأمة، وعلى آثارهم سار التابعون لهم بإحسان.

إن رسالة المسجد أوسع من أن تختزل في وظيفة واحدة، فهي تمتد إلى مختلف مجالات حياتنا، ففي المسجد نتعلم فن الحياة، وفي المسجد نتعلم الأخلاق الجماعية، وفي المسجد نتعلم آداب الصحبة والأخوة والجوار، وفي المسجد نتعلم كيف نقدم أهل العلم والفضل، وكيف ننزل الناس منازلهم على حسب تقواهم وعملهم الصالح، وفي المسجد نتعلم أسلوب النظام والترتيب وحسن الإمامة وحسن الطاعة.

وكما يحتاج المسجد في بنائه إلى التعاون فإنه بحاجة إلى هذا التعاون لأداء رسالته بعد البناء، بين المؤذن والإمام والخطيب صاحب الدور المحوري في المسجد والواعظ والمصلين

1 شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الرازي، ج: 2. ص: 369. ضبطه وخرج آياته وأحاديثه، الشيخ عبد الرزاق المهدي. دار الكتب العلمية. 1971م.

والإدارة والمسؤولين وكل من له مشاركة في شؤون المسجد، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.

وكما أن المسجد ليس مكانا للخبائث الحسية من أوساخ وقاذورات، فإنه ليس مكانا للخبائث المعنوية من معاصي القلب واللسان والجوارح، كالغيبة والنميمة والكذب والجدال والمراء والتجسس والأذية بأي حال من الأحوال.

وبما أن العلم في الإسلام شرط أساسي في أداء العبادة الصحيحة بمفهومها الشامل، فلا بد إذن من أن يقوم المسجد بدور نشر العلوم بل وأن يصبح منارة ومقصدا علميا.

وقد قام المسجد بدوره التعليمي منذ أيامه الأولى، وحث رسول الله على هذا الدور العلمي لقوله: "من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرا أو يعلمه كان كأجر حاج تاما حجه"¹ وهذا المقصد التعليمي أوضحه وبينه في حديثه ليفرق بينه وبين البعد الشعائري من إقامة الصلوات في المساجد.

ولو أن الوسائل التعليمية المتاحة لنا في عصرنا هذا وجدت في عصر رسول الله عليه لحث على استعمالها، وكان أول من يستعملها.

واستمر المسجد في التطور والنمو جيلا بعد جيل، ليؤدي مهامه في صناعة الحياة ليصبح جامعات ومنارات علمية وفكرية رائدة، والأمثلة كثيرة نذكر بعضها مثل جوامع الألف. وسميت كذلك لأنه مضى على تأسيسها أكثر من ألف عام - مثل جامع عمرو بن العاص، قلب الفسطاط الفكري، ومهد الحركة العلمية في مصر، والذي كان يشهد مئات الزوايا العلمية، والجامع الأموي في دمشق وجامع المنصور ببغداد، وجامع القرويين في فاس بالمغرب الذي امتاز بالنظام التعليمي الجامعي وطرق التدريس فيه.

1 أخرجه أحمد (22296)، والطبراني (344/8) (8102) باختلاف يسير.

إن ضعف دور المسجد هو انعكاس لضعف الأمة الإسلامية، ولن تكون الصلوة الإسلامية إلا عندما يقوم المسجد بدوره الشامل ويرتقي بأساليبه ووسائله التربوية والتعليمية بما يتناسب مع احتياجات العصر ومقتضياته، ليصبح قلب الحياة الإسلامية من جديد، وهو واجب عصري حيث لا يتم واجب تعليم الجيل إلا به.

ثالثاً: المكانة الاجتماعية لمؤسسة المسجد.

يستمد المسجد مكانته السامية وشرفه العظيم من صلته بالإسلام، وارتباطه بتعاليمه وتطبيقاته العملية باعتباره وسيطاً وكونه رمزا وشعيرة من شعائر الإسلام، أمر الله عباده ببنائه ورفع عماده، كما أمرهم أن يحققوا عمارته الحقيقية بعبادته فيه، "ويستمد مكانته أيضاً من كونه مضافاً إلى الله سبحانه وتعالى باعتباره بيته الذي وضعه لعباده لإخلاص العبودية له، بما خص الله عز وجل نفسه بأنواع العبادات القولية والفعلية والعقدية"¹.

ومن مكانة المسجد العظيمة بما حواه من معاني الصلة بين العبد وربّه، بما فيه من أنواع العبادات المحضة له عز وجل، وغيرها من العبادات المأمورة بما تأتي مكانة المسجد الاجتماعية ومقامه في مجتمع المسلمين باعتباره مركز التجمع ونقطة الانطلاق لكثير من أعمال الحياة الاجتماعية². فهو مصدر توجيه المجتمع إيماناً مادياً، وهو مؤسسة للعلم تعلماً وتعليماً، وهو ندوته الأدبية تسلية وترويحاً وشحذاً للهمم ورفعاً للمعنويات.

والمسجد مكان تعارف المسلمين ووسيلة تألفهم يجتمعون فيه في اليوم أكثر من خمس مرات وهو محل تشاورهم وتناصحهم ومنبع تعاونهم على الخيرات، وقد ارتبطت بوظيفة الصلاة وصفوفها، والتي هي من أولى وظائفه وأهمها، مثل اجتماعية هي لب

1 معن خليل العمر، 2004، ص.193.

2 الوشلي، 1990، ص 13-14.

الإسلام يتدرب عليها المسلمون في اليوم خمس مرات، والتي في مقدمتها النظام والقوة، ومعالجة الأنانية، وإزالة الفوارق الطبقية، وكيفية التلاحم في البناء للمجتمع المسلم، من خلال رص الصفوف وانتظامها ببعض، حتى يشكلوا البناء المرصوص الذي أحب الله عز وجل به عباده كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُفْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَبًا كَأَنَّهُمْ بُنْيَ مَرَّصُونَ ﴾¹ وغير ذلك من المعاني الاجتماعية الكريمة الشريفة النظيفة. ولذلك كان المسجد يحتل مكانة عظيمة عند المسلمين وفي مجتمع الإسلام، كيف لا وهو يمثل حقيقة إحدى ركائزه التي لا يقوم بدونها من أول الأمر الذي أقيم فيه مجتمع الدين الحنيف، ملة أبينا إبراهيم عليه السلام - الذي سمانا المسلمين من قبل، ونلاحظ أنه لما تكونت أول أسرة مسلمة اللبنة الأولى المجتمع الإسلام الحنيف بإبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام وأهلهما، أمر الله تعالى سيدنا إبراهيم ببناء الكعبة الشريفة في مكة المكرمة حتى لا ينفك المسلم عن المسجد الحرام².

المطلب الثاني: دور المسجد في التربية على القيم:

يقوم المسجد بدور بارز في تنمية القيم الإسلامية، فالمسجد يعمل على تأكيد القيم المركزية المستمدة من الدين الإسلامي الحنيف والتي تعتبر أساسية لاستقرار المجتمع وتماسكه وتقدمه، وأئمة المساجد وخطبائها من خلال خطبة الجمعة، والمناسبات الدينية والندوات والحلقات النقاشية، التي تعقد بالمسجد يدعون الناس إلى إقامة الفرائض والتمسك بالقيم الدينية والعمل الصالح لخدمة المجتمع والتقرب من الله سبحانه وتعالى. فأصل تشريع العبادات هو تهذيب النفوس وإقرار مبدأ المساواة وتربية روح الاجتماع وتقوية أواصره، وهي إلى جانب هذا تدفع الإنسان إلى أن يتعامل مع أخيه الإنسان كما أراد المعبود، ولما كانت الشريعة الإسلامية شريعة إلهية قديمة، المعبود فيها هو الله تعالى والعابد هو المؤمن الممثل لأوامر الله المجتنب

1 الصف: الآية 4.

2 - الوشلي، 1990، ص 17-18

لنواهيهِ كان لابد لعبادته أن تكون شاملة لذلك البعد القيمي في المعاملة مع الآخر،
هذه المعاملة التي يمكننا إجمالها في العناصر التالية:

التحية ورد السلام:

من آداب المجتمع الإسلامي إفشاء السلام وذلك بتحية خاصة امتاز بها هي
تحية الإسلام "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته"، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ
فَحَيَّوْا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾¹، ومعلوم
ما لطرح السلام من آثار إيجابية تنعكس إيجاباً على الأفراد والمجتمع، ففيه تقوية
لأواصر الإيمان والمحبة بين الأفراد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تدخلوا
الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟
أفشوا السلام بينكم"²

ويصحب التحية وإفشاء السلام طلاقة الوجه لما في ذلك من توجه نحو الآخر
ودعوة للالتقاء والتقارب والمحبة، لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تحقرن من المعروف
شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق"³.

التزين والتطيب:

يحمل المسجد المسلم على أخذ زينته وهو ذاهب إليه لقوله تعالى: ﴿يَبْتَغِ
ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ
لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾⁴، قال ابن عباس رضي الله عنه: "كان رجال يطوفون بالبيت

1 النساء: الآية 85.

2 شرح النووي: ص 319.

3 شرح مسلم للنووي: ص 275.

4 الأعراف: الآية 29.

عراة فأمرهم الله بالزينة - والزينة اللباس وهو ما يوارى السوءة وما سوى ذلك " . قال ابن كثير: ولهذه الآية وما ورد في معناها من السنة يستحب التجميل عند الصلاة، ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد، ويستحب الطيب لأنه من الزينة، والسواك لأنه من تمام ذلك ومن أفضل اللباس البياض¹.

وعن اختيار أحسن الهيئة وأجمل الصورة كانت العديد من الحوادث عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم تدل على ذلك ففي حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فدخل رجل ثائر الرأس والحية، فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده أن أخرج، كأنه يعني إصلاح شعر رأسه ولحيته ففعل الرجل ثم رجع، فقال صلى الله عليه وسلم أليس هذا خيرا من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان؟².

الإفساح في المجالس:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ آنشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ ءُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾³ "إن الإفساح في المجالس من الظواهر الاجتماعية المنتشرة في مجتمعنا في الأماكن العامة مثل المسجد، ومن آثار ذلك نشر الألفة بين الأفراد وتعميق معاني الأخوة والاتحاد"⁴.

عدم تخطي الرقاب:

ومن آداب المسجد وآداب المعاملة فيه أن يجلس الإنسان في المسجد حيث ينتهي به المجلس ولا يتخطى رقاب الناس، روى الإمام البخاري بسنده عن أبي واقد الليثي قال: "بينما

1 علي عبد الحليم محمود، 1976، ص 25. بتصرف

2 أبو النصر أحمد الحسيني، 1988، ص 50.

3 المجادلة: الآية 11.

4 عماد عادل أبو مغلي، ص 212.

رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فأقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد، فأما أحدهما فرأى فرجة فجلس، وأما الآخر فجلس خلفهم، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألا أخبركم عن الثلاثة: أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله، وأما الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه¹.

خفض الصوت والإعراض عن اللغو وفحش القول:

قال تعالى: ﴿فَدَافَلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾² إن لغو الحديث سبب رئيس في الإهدار الذي يكثر معه الخطأ وتتبع العورات والاستهزاء بالآخرين، ونشر الفاحشة وتنمية الإشاعة، الأمر الذي يتسبب في هتك أواصر الترابط بين الأفراد، ثم أن لغو الحديث يورث صاحبه بذاءة بالرأي ونفورا عاما عنه من قبل الآخرين وأخذ كلامه على محمل الكذب وعدم الدراية، لهذا اعتبر الإعراض عن هذه الصفة من المقومات المدعمة للوحدة والترابط، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾³ إن قول الحق وعدم الزور من صفات المؤمن ولما كان اللغو مدعاة للكذب والكذب أساس الزور قرن هذا بهذا ونهي عن الاثنين لذات السبب وأمروا أن يَمُرُوا بأهل اللغو كراما مسرعين معرضين عنهم لا يجالسونهم⁴.

1 علي عبد الحليم محمود، 1976، ص 62.

2 المؤمنون: الآية 1-3.

3 الفرقان: الآية 72.

4 عماد عادل أبو مغلي، ص 274.

التعارف والتالف:

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾¹ والمسجد كفيل بإيجاد تعارف أخوي ايماني لا ينسى، ذلك أن المصلين في الحي الواحد يلتقون في المسجد في الصلوات وفي الدرس، وبعد فترة قصيرة يصبح أفراد الحي الواحد

التعارف هنا هو تقوية أواصر الأخوة الإيمانية التي يترتب عليها العمل بكل ما يقويها من المحبة والتزاور وعبادة المريض، وإجابة الدعوة وإغاثة المحتاج والضعيف وإفشاء السلام، وطلاقة الوجه وطيب الكلمة، والتواضع وقول الحق، والعفو والسماحة ودفع السيئة بالتي هي أحسن والإيثار وحسن الظن، ونصرة المظلوم، وستر المسلم إذا وجدت منه هفوة، وتعليم الجاهل والإحسان إلى الجار وأداء الحقوق إلى أهلها والنصح لكل مسلم وهذا كله منطلقه بيت الله².

إطعام الغريب:

ومن القيم الطيبة التي تربط بين أفراد الحي وتحوي المحتاج والغريب هي الإطعام في المسجد، وكانت هذه الصفة منذ القدم يتميز بها المجتمع الإسلامي، ففي الفتوحات المكية يقول محي الدين بن عربي: "إنه ما كان يقصد في أي بلد إلا إلى الجامع ليلقى أمثاله من الغرباء والسواحين ويأنس بهم، ويقول: إنهم كانوا إذا خرجوا من صلاة العشاء وجدوا رجالا كثيرين يحملون قصاعا من الطعام يرسلها أهل الخير للغرباء، ويقول إن هذه القصاع كانت كثيرة ولم تقتصر على الثريد وكسر الخبز وبقايا الموائد، وإنما كان فيها الجيد الرفيع الذي يصنعه أهل الخير لغرباء المسلمين خاصة، وكان الكثيرون من أهل الزهد يتعففون عن هذا الطعام لأنهم لا يعرفون إن كان من مال حلال أو حرام، أما ابن عربي فيقول: "وكننت إذا

1 الحجرات: الآية 13.

2 نوبي محمد حسن، ص 116.

هجم الليل وأنا خالي الوفاض أصيب من تلك القصاع ما يعينني على قيام الليل،
والأعمال بالنيات. وما نزلت بلدا إلا وجدت فيه هذه الخصلة اللطيفة من خصال أهل
القبلة، وما وجدت لها عند غيرهم وهذا من فضل الله عليهم وما كرهت فيها إلا أن بعض
الأرذال جعلوا دأبهم الاعتماد عليها في عيشهم كله".¹

¹ مؤنس حسين، المساجد. سلسلة عالم المعرفة العدد 37. يناير 1981. ص: 34

المطلب الثالث: واقع التربية على القيم في المسجد

أولاً: عينات البحث:

العينة الأولى:

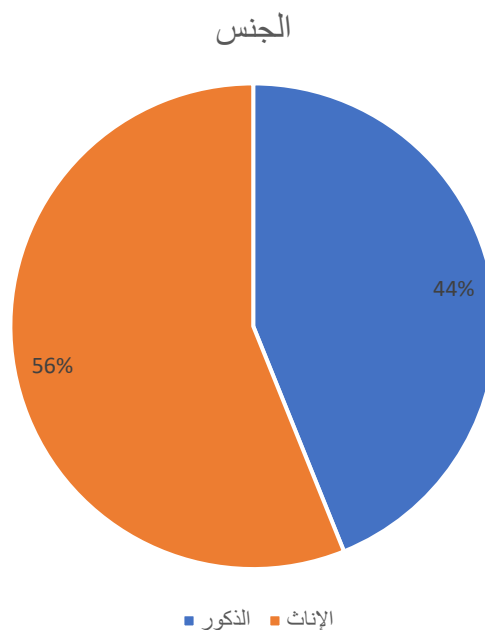
اشتملت العينة الأولى على 287 تلميذا وتلميذة موزعين على ثلاث مستويات دراسية:

المستوى الأول: السلوك الابتدائي.

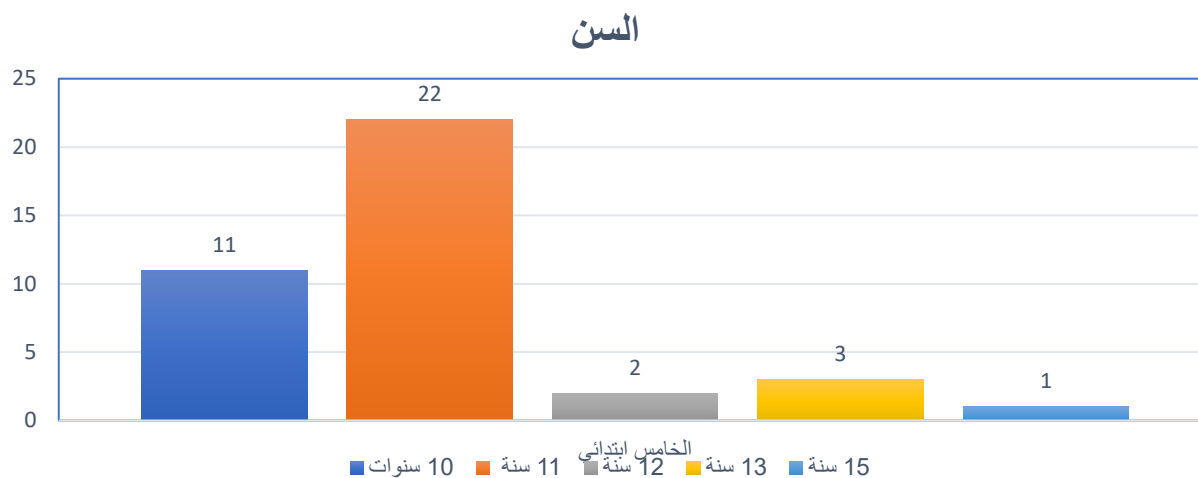
اشمل الاستبيان لهذه الفئة على 39 تلميذا وتلميذة موزعين على الشكل التالي:

المجموع	الإناث	الذكور	
39	21	18	الخامس ابتدائي

وشكلت نسبة الإناث بهذا السلوك 56% بينما انحسرت نسبة الذكور في 44%.



أما بالنسبة للسن فقد تراوح بين عشر سنوات وخمسة عشر سنة، لكن الفئة الأكثر تمثيلية؛ استقرت في إحدى عشر سنة.

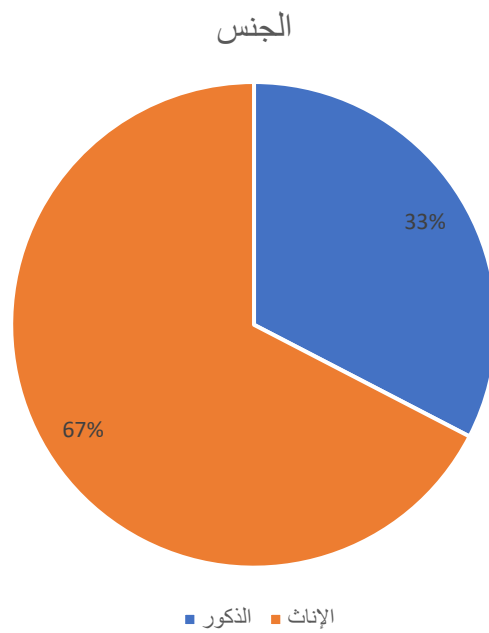


المستوى الثاني: السلوك الثانوي الإعدادي.

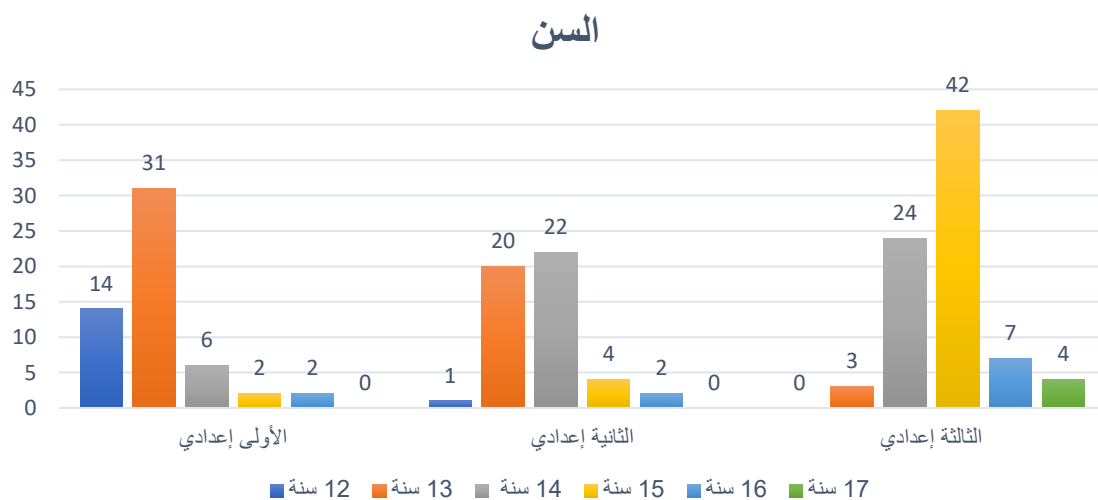
شمل الاستبيان بهذا السلوك 184 تلميذا وتلميذة موزعين على الشكل التالي:

المجموع	الإناث	الذكور	
55	39	16	الأولى إعدادي
48	34	14	الثانية إعدادي
81	51	30	الثالثة إعدادي
184	124	60	المجموع

وتراوحت نسبة الإناث منهم 67% بينما نسبة الذكور في 33%.



أما معدل السن فقد تراوح بين اثني عشر سنة وسبعة عشر سنة.

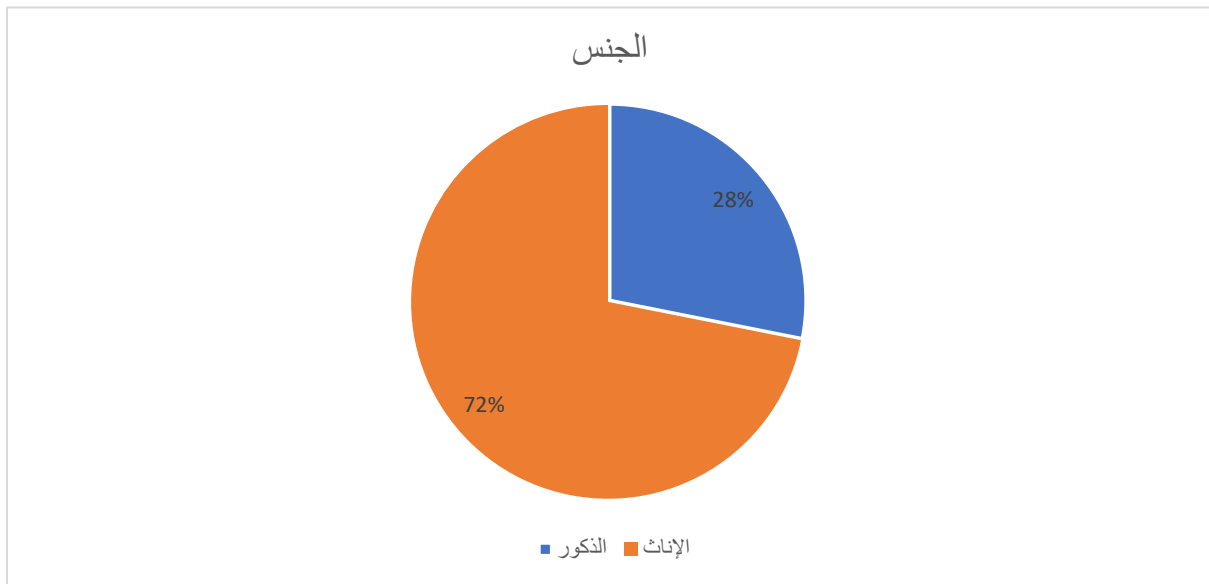


المستوى الثالث: السلك الثانوي التأهيلي.

شمل الاستبيان بهذا السلك 64 تلميذا وتلميذة موزعين على الشكل التالي:

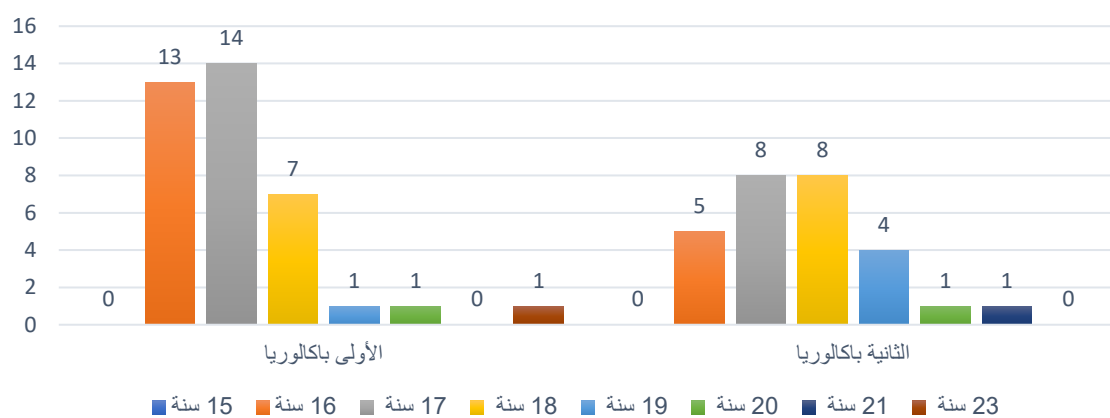
المجموع	الإناث	الذكور	
37	28	9	الأولى بكالوريا
27	18	9	الثانية بكالوريا
64	46	18	المجموع

وتراوح نسبة الإناث منهم 72% بينما نسبة الذكور في 28%.



أما معدل سن هذه الفئة فقد تراوح بين اثني عشر سنة وسبعة عشر سنة.

السن



ثانيا: محتوى الاستبيان:

اشتمل الاستبيان على ثلاثة أسئلة موجهة لكل عينات البحث حسب المستويات:

المستوى الأول: السلك الابتدائي.

السؤال الأول: اختر القيم التي اكتسبتها من المسجد.

وهو سؤال مغلق؛ يقيس القيم التي اكتسبتها المتعلم من المسجد؛ وكانت نتائج

الاستبيان على الشكل التالي:

الخامس ابتدائي		
النسبة المئوية	التكرار من (39)	
79%	31	الايمان بالله
74%	29	الرحمة
74%	29	حب الخير للناس
69%	27	الصدق
69%	27	الأمانة
59%	23	التسامح
56%	22	العفو
46%	18	التعاون
41%	16	الانضباط
41%	16	احترام الآخر
31%	12	المسؤولية
31%	12	المبادرة للعمل التطوعي
23%	9	حب الوطن
21%	8	الحرية
18%	7	التعايش

من خلال النتائج المتوصل إليها عن طريق الاستبيان تم حساب تردداتها عن

طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 31 فكانت النتائج على الشكل التالي:

القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد
الايمان بالله	1	التسامح	0.74	المسؤولية	0.39
الرحمة	0.94	العفو	0.71	المبادرة للعمل التطوعي	0.39
حب الخير للناس	0.94	التعاون	0.58		
الصدق	0.87	الانضباط	0.52	حب الوطن	0.29
الأمانة	0.87	احترام الآخر	0.52	الحرية	0.26
				التعايش	0.23

من خلال معاملات الارتباط بين القيم المستهدفة بالدراسة نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 39 يساوي 35 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.32 ما يعني؛ أن القيم مرتبطة في ذهن عينة الدراسة هي التي تفوق 0.32 وعددها 12 عشرة قيمة من أصل 15. مع الاختلاف في تكرار هذه القيم وعليه فإننا سوف نصنفها حسب هذا التكرار.

القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد
الايمان بالله	1	الصدق	0.87	الانضباط	0.52
الرحمة	0.94	الأمانة	0.87	احترام الآخر	0.52
حب الخير للناس	0.94	التسامح	0.74	المسؤولية	0.39
		العفو	0.71	المبادرة للعمل التطوعي	0.39
		التعاون	0.58		

بالنظر إلى تكرار القيم أعلاه يظهر تصدر قيم الايمان بالله، الرحمة، حب الخير للناس، لدى الفئة المستهدفة الأمر الذي ينبئ بحضور هذه القيم في المسجد، وأن للمسجد دور أساسي في ترسيخ هذه القيم.

السؤال الثاني: اختر طريقة اكتسابك لهذه القيم.

سؤال مغلق؛ يقيس الطرق التي اكتسب بها المتعلم القيم من خلال المسجد؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التكرار من (39)	النسبة المئوية
خطبة الجمعة	33	85%
درس ديني	33	85%
اقتداء بإمام المسجد	16	41%
نصيحة توجيهية من إمام	13	33%
مخالطة رواد المسجد	13	33%

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 33 فكانت النتائج على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التردد
خطبة الجمعة	1
درس ديني	1
اقتداء بإمام المسجد	0.48
نصيحة توجيهية من إمام	0.39
مخالطة رواد المسجد	0.39

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 39 يساوي 35 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.32 ما يعني؛ أن كل طرق اكتساب القيم المذكورة أعلاه لها تأثير في ذهن عينة الدراسة. مع تفاوت ملحوظ؛ تكون بذلك أكثر هذه الوسائل تأثيراً هي: خطبة الجمعة، والدروس الدينية.

السؤال الثالث: اختر مدى تطبيقك لهذه القيم في حياتك اليومية.

سؤال مغلق؛ يقيس مدى تطبيق المتعلم للقيم التي اكتسبها؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

مدى تطبيقك لهذه القيم	التكرار من (39)	النسبة المئوية
دائما	20	51%
غالبا	12	31%
أحيانا	5	13%

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 20 كانت النتائج على الشكل التالي:

مدى تطبيقك لهذه القيم	التردد
دائما	1
غالبا	0.6
أحيانا	0.25

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 39 يساوي 35 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.32 ما يعني؛ أن الحالة التي تفوق 0.32 هي: دائما وغالبا. ويكون بناء على ذلك أثر لهذه القيم في الواقع اليومي للفئة المستهدفة.

المستوى الثاني: الثانوي الإعدادي.

السؤال الأول: اختر القيم التي اكتسبتها من المسجد.

وهو سؤال مغلق؛ يقيس القيم التي اكتسبها المتعلم من المسجد؛ وكانت نتائج الاستبيان

على الشكل التالي:

النسبة المئوية	التكرار				
	المجموع	الثالثة إعدادي	الثانية إعدادي	الأولى إعدادي	
80%	147	65	36	46	الايمان بالله
59%	109	50	22	37	الرحمة
58%	107	46	25	36	الأمانة
58%	106	45	25	36	الصدق
54%	99	42	24	33	حب الخير للناس
53%	98	42	23	33	التسامح
49%	91	37	22	32	احترام الآخر
45%	83	35	14	34	العفو
44%	81	34	17	30	التعاون
41%	75	34	15	26	التعاضد
36%	66	29	15	22	الانضباط
29%	53	25	11	17	المسؤولية
27%	49	15	24	10	حب الوطن
26%	48	22	8	18	المبادرة للعمل التطوعي
22%	40	16	7	17	الحرية

من خلال النتائج المتوصل إليها عن طريق الاستبيان تم حساب تردداتها عن

طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 147 فكانت النتائج على الشكل التالي:

القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد
الايمان بالله	1	التسامح	0.67	الانضباط	0.45
الرحمة	0.74	احترام الآخر	0.62	المسؤولية	0.36
الأمانة	0.73	العفو	0.56	حب الوطن	0.33
الصدق	0.72	التعاون	0.55	المبادرة للعمل التطوعي	0.33
حب الخير للناس	0.67	التعايش	0.51	الحرية	0.27

من خلال معاملات الارتباط بين القيم المستهدفة بالدراسة نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 184 يساوي 100 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.19 ما يعني؛ أن القيم مرتبطة في ذهن عينة الدراسة هي التي تفوق 0.19 وعددها 15 عشرة قيمة من أصل 15. بنسبة 100% مع الاختلاف في تكرار هذه القيم وعليه فإننا سوف نصنفها حسب هذا التكرار.

القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد
الايمان بالله	1	حب الخير للناس	0.67	التعاون	0.55	حب الوطن	0.33
الرحمة	0.74	التسامح	0.67	التعايش	0.51	المبادرة للعمل	0.33
الأمانة	0.73	احترام الآخر	0.62	الانضباط	0.45	التطوعي	0.33
الصدق	0.72	العفو	0.56	المسؤولية	0.36	الحرية	0.27

بالنظر إلى تكرار القيم أعلاه يظهر؛ تصدر قيم الايمان بالله، الرحمة، الأمانة، الصدق، لدى الفئة المستهدفة الأمر الذي ينبئ بحضور هذه القيم في المسجد.

السؤال الثاني: اختر طريقة اكتسابك لهذه القيم.

سؤال مغلق؛ يقيس الطرق التي اكتسب بها المتعلم القيم من خلال المسجد؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التكرار من (184)	النسبة المئوية
خطبة الجمعة	59	32%
درس ديني	59	32%
نصيحة توجيهية من إمام	32	17%
اقتداء بإمام المسجد	23	13%
مخالطة رواد المسجد	16	9%

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 59 فكانت النتائج على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التردد
خطبة الجمعة	1
درس ديني	1
نصيحة توجيهية من إمام	0.54
اقتداء بإمام المسجد	0.39
مخالطة رواد المسجد	0.27

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 184 يساوي 100 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.19 ما يعني؛ أن كل طرق اكتساب القيم المذكورة لها تأثير في ذهن عينة الدراسة، مع تفاوت فيما بينها؛ وتكون بذلك أكثر هذه الوسائل تأثيراً هي: خطبة الجمعة، والدروس الدينية.

السؤال الثالث: اختر مدى تطبيقك لهذه القيم في حياتك اليومية.

سؤال مغلق؛ يقيس مدى تطبيق المتعلم للقيم التي اكتسبها من خلال المسجد؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التكرار من (184)	النسبة المئوية
دائما	79	43%
غالبا	57	31%
أحيانا	41	22%

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 17 كانت النتائج على الشكل التالي:

مدى تطبيقك لهذه القيم	التردد
دائما	1
غالبا	0.72
أحيانا	0.52

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 184 يساوي 100 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.19 ما يعني؛ أن الحال التي تفوق 0.19 هي: دائما وغالبا وأحيانا مع تفاوت بينها وتكون دائما هي الحالة الأكثر، ويكون بناء على ذلك أثر لهذه القيم في الواقع اليومي للفئة المستهدفة.

المستوى الثالث: الثانوي التأهيلي.

السؤال الأول: اختر القيم التي اكتسبتها من المسجد.

وهو سؤال مغلق؛ يقيس القيم التي اكتسبها المتعلم من المسجد؛ وكانت نتائج الاستبيان

على الشكل التالي:

النسبة المئوية	التكرار من (63)			
	مجموع	الثانية باكالوريا	الأولى باكالوريا	
81%	52	19	33	الايمان بالله
58%	37	16	21	احترام الآخر
56%	36	15	21	حب الخير للناس
50%	32	17	15	التعاون
48%	31	15	16	الرحمة
48%	31	12	19	الأمانة
47%	30	12	18	الصدق
45%	29	14	15	الانضباط
45%	29	12	17	التسامح
41%	26	12	14	التعاضد
39%	25	13	12	المسؤولية
39%	25	11	14	العفو
34%	22	10	12	المبادرة للعمل التطوعي
27%	17	6	11	حب الوطن
25%	16	8	8	الحرية

من خلال النتائج المتوصل إليها عن طريق الاستبيان تم حساب تردداتها عن

طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 52 فكانت النتائج على الشكل التالي:

القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد
الايمان بالله	1	الأمانة	0.6	المسؤولية	0.48
احترام الآخر	0.71	الصدق	0.58	العفو	0.48
حب الخير للناس	0.69	الانضباط	0.56	المبادرة للعمل التطوعي	0.42
التعاون	0.62	التسامح	0.56	حب الوطن	0.33
الرحمة	0.6	التعايش	0.5	الحرية	0.31

من خلال معاملات الارتباط بين القيم المستهدفة بالدراسة نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 64 يساوي 60 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.25 ما يعني؛ أن القيم مرتبطة في ذهن عينة الدراسة هي التي تفوق 0.25 وعددها 15 عشرة قيمة من أصل 15. بنسبة 100% مع الاختلاف في تكرار هذه القيم.

القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد
الايمان بالله	1	التعاون	0.62	التسامح	0.56	المبادرة للعمل	0.56
احترام الآخر	0.71	الرحمة	0.6	التعايش	0.5	التطوعي	0.42
حب الخير		الأمانة	0.6	المسؤولية	0.48	حب الوطن	0.33
للمناس	0.69	الصدق	0.58	العفو	0.48	الحرية	0.31
		الانضباط	0.56				

بالنظر إلى تكرار القيم أعلاه يظهر؛ تصدر قيم الايمان بالله، واحترام الآخر، و حب الخير للناس. لدى هذه الفئة المستهدفة الأمر الذي ينبئ بحضور هذه القيم في المسجد.

السؤال الثاني: اختر طريقة اكتسابك لهذه القيم.

سؤال مغلق؛ يقيس الطرق التي اكتسب بها المتعلم القيم من خلال المدرسة؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التكرار من (64)	النسبة المئوية
خطبة الجمعة	43	67%
درس ديني	43	67%
مخالطة رواد المسجد	26	41%
نصيحة توجيهية من إمام	19	30%
اقتداء بإمام المسجد	15	23%
الأنشطة الدينية والاجتماعية	1	2%

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 43 فكانت النتائج على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التردد
خطبة الجمعة	1
درس ديني	1
مخالطة رواد المسجد	0.6
نصيحة توجيهية من إمام	0.44
اقتداء بإمام المسجد	0.35
الأنشطة الدينية والاجتماعية	0.02

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 64 يساوي 60 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.25 ما يعني؛ أن طرق اكتساب القيم التي لها تأثير في ذهن عينة الدراسة هي: خطبة الجمعة والدروس الدينية ومخالطة رواد

المسجد ونصيحة توجيهية من إمام واقتداء بإمام المسجد؛ مع تفاوت فيما بينها؛ وتكون بذلك أكثر هذه الوسائل تأثيراً هي: خطبة الجمعة والدروس الدينية.

السؤال الثالث: اختر مدى تطبيقك لهذه القيم في حياتك اليومية.

سؤال مغلق؛ يقيس مدى تطبيق المتعلم للقيم التي اكتسبها من خلال المدرسة؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التكرار من (64)	النسبة المئوية
غالباً	26	41%
دائماً	24	38%
أحياناً	13	20%

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 34 كانت النتائج على الشكل التالي:

مدى تطبيقك لهذه القيم	التردد
غالباً	1
دائماً	0.92
أحياناً	0.5

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 64 يساوي 60 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.25 ما يعني؛ أن الحال التي تفوق 0.25 هي: غالباً ودائماً ثم أحياناً مع تفاوت بينها، وتكون غالباً هي الحالة الأكثر.

العينة الثانية

اشتملت العينة الثانية الخاصة بالفاعلين التربويين على 106 فاعل موزعين على الشكل

التالي:

النسبة	التكرار	
92%	97	مرشد ديني
7%	7	إمام مسجد
1%	1	خطيب جمعة
1%	1	عضو مجلس علمي
100%	106	المجموع

المستوى الثقافي والعلمي للفئة المستهدفة.

المجموع	تعليم عتيق	إعدادي	ثانوي	جامعي	دكتوراه	
1	0	0	0	1	0	خطيب جمعة
7	3	0	0	4	0	إمام مسجد
97	3	1	1	91	1	مرشد ديني
1	0	0	0	1	0	عضو مجلس علمي
106	6	1	1	97	1	المجموع

السؤال الأول: في نظرك؛ ما هي المؤسسات التي تساهم في التربية على القيم.

سؤال مغلق؛ يقيس أنواع المؤسسات التي تساهم في التربية على القيم؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

النسبة المئوية	التكرار	
97%	103	الأسرة
86%	91	المدرسة
85%	90	المسجد
72%	76	الإعلام
3%	3	المجتمع
2%	2	الجمعيات والمؤسسات الاجتماعية
1%	1	الإدارة
1%	1	دور الشباب الاندية الرياضية

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 217 كانت النتائج على الشكل التالي:

التردد	المؤسسات التي تساهم في التربية على القيم
1	الأسرة
0.88	المدرسة
0.87	المسجد
0.74	الإعلام
0.03	المجتمع
0.02	الجمعيات والمؤسسات الاجتماعية
0.01	الإدارة
0.01	دور الشباب الاندية الرياضية

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 106

يساوي 100 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.19 ما يعني؛ أن المؤسسات المساهمة في التربية على القيم بالنسبة لعينة البحث تنحصر: الأسرة، والمدرسة، والاعلام، والمسجد أما باقي المؤسسات فلا تأثير لها في ذهن عينة الدراسة.

السؤال الثاني: من خلال تجربتك التربوية هل قمت بإنجاز مشروع للتربية على القيم.

سؤال مغلق؛ يقيس مدى امتلاك الفاعلين التربويين لمشروع التربية على القيم؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

النسبة المئوية	التكرار من 106	
82%	87	نعم
15%	16	لا

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه يظهر أن نسبة؛ 82% من الفاعلين التربويين يمتلكون مشاريع مساهمة في التربية على القيم بينما كانت نسبة المصرحين بعدم امتلاكهم لهذه المشاريع فقط؛ 15%.

السؤال الثالث: حدد الأسباب التي حالت دون امتلاكك مشروعاً للتربية على القيم.

سؤال مغلق؛ يقيس الأسباب التي حالت دون امتلاك الفاعل التربوي مشروعاً للتربية على القيم؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

النسبة المئوية	التكرار من 16	
56%	9	لا أعرف كيف أقوم بها
25%	4	هناك من يقوم بها فلا حاجة لذلك
19%	3	لم يقدم مبرراً

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 23 كانت النتائج على الشكل التالي:

الأسباب	التردد
لا أعرف كيف أقوم بها	1
هناك من يقوم بها فلا حاجة لذلك	0.44
لم يقدم مبررا	0.33

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 16 يساوي 16 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.47 ما يعني؛ أن الأسباب المساهمة في عدم امتلاك عينة البحث لمشروع قيمى هي: عدم معرفتهم لكيفية القيام به.

السؤال الرابع: حدد الفئات التي تستهدف من خلال مشروعك.

سؤال مغلق؛ يقيس أنواع الفئات المستهدفة بالتربية على القيم؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

النسبة المئوية	التكرار من 87	
36%	31	الشباب
36%	31	الأطفال
36%	31	كل الفئات
9%	8	رواد المسجد
8%	7	الأئمة
7%	6	الأبناء
5%	4	الأسرة
5%	4	التلاميذ
3%	3	أصدقاء العمل

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 31 كانت النتائج على الشكل التالي:

التردد	الفئات المستهدفة
1	الشباب
1	الأطفال
1	كل الفئات
0.26	رواد المسجد
0.23	الأئمة
0.19	الأبناء
0.13	الأسرة
0.13	التلاميذ
0.1	أصدقاء العمل

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 87 يساوي 80 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.22 ما يعني؛ أن الفئة المستهدفة بمشاريع التربية على القيم هي: الشباب والأطفال وكل الفئات ورواد المسجد والأئمة.

المبحث الثالث: الإعلام والتربية على القيم.

تُعد وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة؛ من العوامل المؤثرة في تنمية القيم، فما يقدمه التلفاز من برامج متعددة وما تقدمه الصحف والمجلات والكتب وما تقدمه الإذاعة المسموعة من برامج وموضوعات، وما تنقاسمه شتى أنواع وسائل التواصل الاجتماعي؛ كل ذلك يمكن أن يكون وسيلة لغرس القيم إذا استغل الاستغلال الأمثل وخطط له التخطيط السليم، ذلك أن خطورة وأهمية وسائل الإعلام في تنمية القيم المعبرة عن حركة المجتمع واضحة؛ فهي تقوم بدور رائد وفعال في هذا المجال، حيث صارت فاعليتها أكثر بعد دخول التلفاز والفيديو ووسائل التواصل الاجتماعي والشبكة العنكبوتية معظم البيوت. إذ أنها تشرك أكثر الحواس في عرضها المشوق؛ فيتفاعل المشاهد معها صعوداً وهبوطاً وتبني القيم في داخلها على أساسها.

فوسائل الإعلام كلها محايدة؛ فهي ليست شريرة أو خيرة في حد ذاتها، ولكن طريقة استعمالها، بل المحتوى الذي تقدمه هو الذي يجعلها بناءة أو هدامة للقيم، ومن ثم يجب على مخططي محتوى كل وسائل الإعلام انتقاء القيم البناءة دون سواها.

وإذا كان التلفاز يقوم بدور فعال في بناء القيم - إذا ما استغل استغلالاً هادفاً - فإن المطبوعات والكتب تلعب دوراً كبيراً في غرس القيم النبيلة ذلك أن الكلمة المقروءة ما تزال حتى اليوم لها دورها في بذرة القيم وترسيخها في الإنسان.

وللصحافة المدرسية دور كبير في ترسيخ القيم التربوية ذلك أن من أهم واجبات الصحافة المدرسية ومن أبرز مسؤولياتها الاجتماعية هي عملية ترسيخ القيم لدى المتعلمين في المدارس، منذ حداثة سنهم. إذ أن المتعلم في هذه المرحلة العمرية التي تبدأ بالمرحلة الابتدائية وتنتهي بالمرحلة الثانوية غالباً ما يكون أكثر استعداداً للتقبل وتلقي المعلومات والتأثر بها، وهذا يبرز أهمية الدور الذي يمكن أن تقوم به الصحافة المدرسية في حياة التلاميذ وخاصة

في مجال ترسيخ القيم الدينية والاجتماعية؛ باعتبارها من أهم الأشياء التي يجب ترسيخها وتثبيتها لدى الناشئة.

المطلب الأول: مفهوم الإعلام ووسائله وتطوره.

أولاً: مفهوم الإعلام.

الإعلام لغة: هو؛ "التبليغ والإبلاغ أي الإيصال، يقال: بلغت القوم بلاغا أي أوصلتهم الشيء المطلوب، والبلاغ ما بلغك أي وصلك، وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بلغوا عني ولو آية»¹ أي أوصلوها غيركم وأعلموا الآخرين. وتشق كلمة الإعلام من علم الشيء، أي فهمه وأدركه، وأعلم بمعنى أخبر، والإعلام هو الإخبار بالشيء"².

والإعلام هو: "الاطلاع على الشيء فيقال: أعلمه بالخبر، أي أطلعته عليه"³.

وهناك من يقول الإعلام لغة: "يتقارب مع معنى الدعوة والتعليم، فالدعوة لغة النداء والإعلام والإبلاغ، وإذا كان التعليم مشتقا من علم الثلاثي، فإن الإعلام مشتق من أعلم الرباعي ومصدره إعلام بمعنى الإخبار، إلا أن الإعلام اختص بما كان بأخبار سريع، والتعليم اختص بما يكون بتكرار وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم."⁴

وفي الاصطلاح لم يقتصر الإعلام على المعنى اللغوي وهو مجرد الإخبار والتبليغ بوجه سريع؛ بل تجاوزه إلى معنى يتناسب مع وظيفته الحديثة، وهو التعبير عن ميول الناس واتجاهاتهم وقيمتهم؛ بحيث يمكن تعريفه بأنه: "نشر المعلومات والأخبار

1 الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد (بدون). سنن الدارمي. كتاب المقدمة، باب البلاغ عن الرسول صلى الله عليه وسلم وتعليم السنن، رقم الحديث 542، الجزء الأول، بيروت، دار الكتاب العربي، ص 146.

2 إبراهيم مصطفى وآخرون. 1972. المعجم الوسيط، الطبعة الثانية، ص 624.

3 عبد الفتاح أبو معال. 1990. أثر وسائل الإعلام على الطفل. عمان، الأردن، دار الشروق، الطبعة الأولى، ص 13.

4 الدليمي عبد الرزاق محمد. 2012 مصدر سابق ص 50.

والأفكار والآراء بين الناس على وجه يعبر عن ميولهم واتجاهاتهم وقيمهم بقصد التأثير"¹.

وهناك من عرفه على أنه: "هو التعريف بقضايا العصر وبمشكلاته، وكيفية معالجة هذه القضايا في ضوء النظريات والمبادئ التي اعتمدت لدى كل نظام أو دولة من خلال وسائل الإعلام المتاحة داخليا وخارجيا، وبأساليب المشروعة أيضا لدى كل نظام وكل دولة."²

ويعرفه كذلك الدكتور مقدار يالجن بأنه: "التعبير الفني والموضوعي عن عقلية الجماهير وروحها وقيمها وتربيتها وتجاربها وأوضاعها وأهدافها وأخبارها وحل مشكلاتها المختلفة".³

أما العالم الألماني أوتجروت قال على أن الإعلام هو: "التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهها في نفس الوقت"،⁴ ويضيف جروت بأن الإعلام تعبير موضوعي بعيد عن التعبير بصورة ذاتية من جانب الإعلامي قائم على طرح الحقائق المختلفة، وقد يعتمد على الأرقام أو الإحصائيات في بعض الأحيان، وعليها معا في أحيان كثيرة. وبعبارة أخرى إن الإعلام قد بني على الأخبار والمعلومات التي لا يرقى إليها الشك، ولا يجوز أن تبني على الأخبار الشخصية أو الأخبار التي أساسها الهوى أو الغرض.

والإعلام السليم هو الذي بني على حقائق معبرة تعبيراً صحيحاً عن عقلية الجماهير وعن ميولها واتجاهاتها من خلال تبنيه الصدق في طرح المعلومات التي تتصل بموضوع الإعلام... وبذلك عرفه الدكتور عبد اللطيف حمزة بأنه: "تزويد الجمهور بأكبر قدر ممكن من المعلومات أو الحقائق الواضحة وبقدر ما تكون هذه الصحة أو السلامة في المعلومات، أو الحقائق يكون الإعلام في ذاته سليماً وقوياً".⁵ ويذهب الدكتور إبراهيم إمام إلى أن الإعلام هو

1 المصدر السابق ص 50.

2 عمارة نجيب. 1980. الإعلام في ضوء الإسلام. الرياض، المملكة السعودية، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى ص 16

3 مقدار يالجن بحث. 2007. الثقافة التربوية والثقافة الإعلامية تكامل أو تناقض. المؤتمر الدولي الأول للتربية الإعلامية، من 4-7/ مارس.

4 حماد سهيلة زين العابدين. (2003). الإعلام في العالم الإسلامي: الواقع... المستقبل... الرياض، مكتبة العبيكات، الطبعة الأولى ص 11.

5 الدليمي عبد الرزاق محمد. 2012 ص 53

تزويد الناس بالأخبار الصحيحة السليمة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات بحيث يعبر هذا الرأي تعبيرا موضوعيا عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم".¹ أما الدكتور أحمد بدر فيعرفه بما لا يختلف كثيرا عن تعريف الدكتور إمام فيقول: "الإعلام هو تزويد الناس بالمعلومات الصحيحة والحقائق الصحيحة بقصد معاونتهم على تكوين الرأي السليم إزاء مشكلة من المشاكل أو مسألة عامة ". وثمة تعريف لباحث آخر هو الدكتور سمير محمد حسين يتسم بالعمومية أكثر من التركيز والتحديد حيث يقول: "الإعلام هو كافة أوجه النشاط الاتصالية التي تستهدف تزويد الجمهور بكافة الحقائق والمعلومات الصحيحة من القضايا والموضوعات والمشكلات ومجريات الأمور بطريقة موضوعية وبدون تحريف".²

ثانيا: وسائل الإعلام.

وسائل الاعلام؛ عبارة عن قنوات يمر منها المحتوى لا أكثر؛ إن أحسن استخدامها أعطت النتائج المحمودة، وإن أسيء استخدامها أعطت النتائج المذمومة، ولا ذنب عليها؛ والتبعة تقع على من استخدمها، ووفق هذا المعنى يمكن تعريفها بأنها: "أدوات صناعية تقوم بنقل المضمون في آن واحد أو على التدرج لمجموعة واسعة من الأفراد"³؛ وهي مجموعة من الأدوات والأجهزة التي تستقبل أو تبث المعلومات والأخبار والمسلسلات...وهي إما وسائل مسموعة الإذاعة - الأشرطة المسجلة - مكبرات الصوت... أو وسائل سمعية بصرية (التلفزيون - الأشرطة السينمائية أجهزة الفيديو - الهاتف...) أو وسائل رقمية مثل (الإنترنت) أو وسائل مكتوبة مثل الصحف (والمجلات). وفي هذا الصدد يقول هنري نيوزيد هي: " مجموع العمليات الكهربائية

1 نفس المرجع السابق ص 53

2 المرجع السابق ص 53

3 المرجع السابق ص 53

والإلكترونية المستعملة في إنتاج ونشر الصور والأصوات والرموز، من أجل تواصل العامة من الناس، والتقاط جمعي أو فردي منظم".¹

ثالثا: تطور وسائل الإعلام عبر التاريخ.

لقد وجد الاعلام منذ أن وجد الإنسان على سطح الأرض، فكان دائما يقوم بالإعلام والاتصال مع غيره من البشر من ناحية والبيئة المحيطة به من ناحية أخرى.

وبتقدم العصور لم يستطع الإنسان الاستغناء عن الإعلام، بل ازدادت حاجته إليه، وخاصة في دور العبادة وأماكن التجمعات حيث كان له أثر بالغ الأهمية.

فهو ليس وليد الساعة إنما عملية قديمة قدم الإنسان نفسه، منذ أن وجد على قيد الحياة. حيث حاول " بفطرته التفاهم وتبادل الأخبار والمشاركة في السراء والضراء ذلك لأنه اجتماعي بطبعه، ولكن في نطاق محدود فرضته عليه الظروف الجغرافية والاجتماعية".²

وإذا كان اكتشاف الكتابة والطباعة والكهرباء والثورة الصناعية والثورة التكنولوجية... الخ، محطات مهمة في تطور البشرية، فتعد ثورة المعلومات والاتصالات التي يحياها المجتمع المعاصر اليوم؛ قفزة مذهلة في ميدان الاتصال الجمعي الذي كان امتدادا لما أحرزه الإنسان من انتصارات في سبيل التغلب على ما يفصل بينه وبين أخيه الإنسان من حواجز وسدود، لكن هذه الثورة لها أبعادها الثقافية والأخلاقية التي غيرت ومازالت تغير الكثير من جوانب البناء القيمي للمجتمع المعاصر المتقدم منه والنامي. ومن ثم نتج عن هذه الثورة الجديدة عدد من الظواهر الاجتماعية كظاهرة "العولمة".

وقد انتقل الإنسان في تعاقب وقائعه وأحداثه من مجال التقاط الاتصال بحاستي الأذن والعين (الاتصال الشفوي) إلى مرحلة الاعتماد على حاسة العين (الاتصال المكتوب) ثم إلى

1 henri dienzide نقلا عن القباچ محمد مصطفى. 1997.

2 شاكر إبراهيم. 1975. الإعلام ووسائله ودوره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية. مؤسسة آدم للنشر والتوزيع، الطبعة

الأولى، ص 20

مرحلة العودة إلى الاتصال الأول (الوسائل السمعية - البصرية)، ثم الاتصال التفاعلي باستخدام الشبكات المعلوماتية كالبريد الإلكتروني والإنترنت.

فاختراع الإنسان للكتابة منذ آلاف السنين، كانت بمثابة نقطة تحول في تاريخ البشرية، وبات ما قبل ذلك يعرف "بقبل التاريخ" بيد أن اختراع الكتابة وإن حفظ لنا تاريخ الإنسانية وتراثها الثقافي وكان بمثابة وسيلة اتصال محدودة النطاق، فإنه لم يستطع أن يعمل على نشر الثقافة ونقل الأخبار على نطاق واسع. فقد كانت المخطوطات نادرة، وباهظة الثمن ولا يتسنى توفير عدد كبير منها، ومن ثم يمكن القول إن الكتابة لم تصبح عاملاً هاماً في ميدان الاتصال الجمعي إلا باختراع الطباعة الحديثة على يد العالم الألماني جوتنبرغ (1468-1338).¹

وفي بدايات القرن التاسع عشر ظهرت الصحف التي خاطبت الإنسان العادي والعام، وأيضاً وسائل الإعلام الكهربائية مثل التلغراف والتليفون. فقد تم اختراع التلغراف عام 1832م ومن ثم بدأ عصر اللاسلكي باكتشاف الموجات الكهرومغناطيسية عام 1873م بتأسيس شركة "ماركوني" التي جعلت الاتصال اللاسلكي حقيقة علمية ووسيلة تجارية في نفس الوقت، ومن ثم تبعها اختراع كاميرا السينما عام 1894م، وإخراج أول فيلم سينمائي صامت إلى حيز الوجود عام 1895م لمدة أربع دقائق، حتى نطقت الأفلام في عام 1928م بعد أن تطورت السينما تطوراً هاماً فيما بين هذين التاريخين². وبصورة أكثر واقعية، فإن عصر وسائل الإعلام "قد بدأ في مستهل القرن العشرين بظهور وانتشار الفيلم والراديو والتلفزيون بين عدد كبير من الناس. وكانت وسائل الإعلام هذه هي التي بدأت مرحلة الانتقال العظيم التي نواصلها الآن"³، التي جمعت

1 مجموعة من الباحثين. 2004. العرب والإعلام الفضائي. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، ص 19

2 د. محمد جودت ناصر. 1998. مصدر سابق ص 16.

3 ملفين ديفلير ساندرافولروكيثش. (بدون). نظريات وسائل الإعلام. (ترجمة آمال عبد الرؤوف). القاهرة، مصر؛ الدار الدولية للنشر والتوزيع؛ الطبعة العربية الأولى؛ ص 36.

بين الصورة والحركة والصوت فشدت إليها الجماهير الغفيرة وتركت أثارا بالغة في نفوسهم.

أخذ مفهوم الإعلام في التوسع ليشمل العديد من الوسائل والأدوات التي تستهدف الجمهور لتوصيل معلومات محددة إلى جمهور مستهدف.

وعلى الرغم من أن الحديث عن الوسائط لم يبدأ إلا في عشرينيات القرن العشرين، إلا أن الاهتمام بتلك الوسائط كان أقدم من ذلك بكثير بداية بفن البلاغة الذي مارسه اليونانيون والرومان القدماء، الاتصال الشفهي والبصري وغيرها حتى مرت البشرية بما سمي " بعصر الصحافة " و"عصر الإذاعة" و "عصر التلفزيون " الذي كان ظهوره أيضا مصحوبا بحالة من الخوف والقلق والأصوات التي تدعي بأنه مصدر خطر على البصر وعلى الأخلاق والعادات والتقاليد، تماما كما سبق أن حدث عند ظهور الراديو ومن قبله الصحيفة، و "عصر الفضة الرمزي أو التخيلي أو الافتراضي".¹

يجب أن نضع في الاعتبار أن نظرية التحولات هذه هي مسألة تراكم وتجمع؛ أكثر منها عملية بيان لبعض الفترات المرتبة بتسلسل ولكنها متميزة ومنفصلة، فإن تاريخ الاتصال الإنساني عبارة عن خليط أو مركب من أنظمة الاتصال وليس ببساطة مجرد انتقال من نظام إلى آخر.²

والآن يعتبر الإعلام متعدد الوسائط Multimedia هو عنوان الثورة الإعلامية التي نشهدها في العصر الحالي، إذ يمزج بين مختلف أنواع الإعلام والتكنولوجيا، فنجد الصوت والصورة والرسم والعمارة والنص الأدبي والمهارة اللغوية والتقنيات التكنولوجية، والبث الرقمي واستخدام الحاسوب والإنترنت، كل ذلك يتحالف معا لإنتاج إعلام بالغ التعقيد والكثافة والإبهار.

1 آسا، بريغز بيتر بورك. ماي 2005 "التاريخ الاجتماعي للوسائط من غتبرغ إلى الإنترنت". (ترجمة مصطفى محمد

قاسم). عالم المعرفة؛ العدد 315 ص 29.

2 المرجع السابق بص- ص 36-37 بتصرف.

المطلب الثاني: دور وسائل الإعلام في التربية على القيم أولاً: وسائل الإعلام والقيم.

رغم كثرة الدراسات والأبحاث التي تناولت علاقة وسائل الإعلام بالقيم، إلا أنه ما يزال موضوع الساعة، لأن الحقائق التي تنطوي عليها القيم ما تزال حاضرة من خلال الاعتبارات التالية:

"أن الأفراد يجدون أنفسهم إزاء جدول القيم على نحو مقرر تماماً وفق وضع خارجي بالنسبة لهم، فهو ليس من إنشائهم، ولا هو ترجمة لمشاعرهم الشخصية، كما أنهم لا يملكون إلا أن يكيفوا أحكامهم وفق هذا الجدول".¹

وهنا تطرح قضية الاغتراب التي طالما تحدثت عنها المدرسة النقدية التي تعتبر أن الفرد أمام وسائل الإعلام يعيش أعلى درجة الاغتراب لما يراه أو يقرأه أو يسمعه، فهو خاضع لمحيط لم يشارك في بنائه، ولهذا فإن القيم التي تحملها ليست من إنتاجه ويعتبرها قيماً يجب اعتناقها لأنها هي الأصلح.

"فوسائل الإعلام تعتبر إحدى أهم الوسائل الفعالة في تثبيت قيم المجتمع؛ وهذا لقدرتها على إحداث تأثير خاص لدى أفرادها، ويتوقف ذلك على نجاح الرسالة الإعلامية التي تقدمها"²، ويظهر ذلك من خلال ما يلي:

1- تعمل وسائل الإعلام على تثبيت قيم المجتمع من خلال نقلها من الأجيال السابقة إلى الأجيال التالية وحسب هارولد لاسويل Harold Lasswell "فإن المجتمعات البدائية كانت تعيش في نطاق العائلات أو القرى المعزولة، وكان الآباء والأمهات هم الذين ينقلون

1 بيومي محمد أحمد. (بدون). علم الاجتماع القيم. الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص: 39 بتصرف.

2 الغلاييني محمد نوفق. 1985. وسائل الإعلام وآثارها في وحدة الأمة. السعودية دار المنارة، الطبعة الأولى، ص 39 بتصرف.

القيم والثرات الثقافي عبر الأجيال، ولكن مع تطور المجتمعات والتمدن، حيث نوع من الانعزال مما استوجب قيام وسائل الإعلام بدور ناقل للقيم¹.

2- تعمل وسائل الإعلام خاصة التلفزيون لما يتمتع به من خصائص (الصوت والصورة والحركة) على تثبيت القيم وترسيخها لدى الجمهور الواسع وهذا من خلال عملية التكرار، فعرض وسائل الإعلام لقيمة معينة موجودة في المجتمع وتكرارها مرات عديدة يجعلها تترسخ في ذهن المتلقي خاصة الطفل الذي لا يزال في مرحلة الاستقبال دون تميز، وهذه المرحلة تعد الأساسية في ترسيخ القيم وتثبيتها.

3- تقوم وسائل الإعلام بتدعيم المعايير والقيم بمختلف أنواعها، وهذا عن طريق إعادة تأكيد هذه المعايير والقيم من خلال معاقبة الخارجين عنها، ومثال ذلك؛ الإشهار بالمجرمين وفضحهم أمام الرأي العام.

4- تقوم وسائل الإعلام بالتنشئة من خلال تعليم أفراد المجتمع الجيد القيم والمعتقدات والمهارات التي يقررها المجتمع حسب ويلبر شرام.

5- تقوم وسائل الإعلام بدعم القيم الشائعة، وتحقيق التواصل الاجتماعي؛ وذلك من خلال التعبير عن الثقافات السائدة، والكشف عن الثقافات الفرعية.

يرى صمويل بيكر أن دور وسائل الإعلام يتجاوز التأييد البسيط أو مواجهة التحديات التي تواجه بناء سلطة المجتمع وقيمه ومعتقداته، بالإضافة إلى أنها تقوم بكل ذلك فهي تمثل الطريقة الحيوية لاكتشاف قيم ومعتقدات مجتمع ما عن طريق دراسة أنواع الترفيه الشعبية السائدة فيه، والنظرية الكامنة وراء هذا الرأي هي أن كوميديا المواقف الشعبية والمسلسلات

1 هارولد لاسويل، نقلا عن: حسن عماد مكاي، ليلي حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، أكتوبر 1998 م، ص 72.

والقصص والأغاني وأفلام السينما أصبحت تعبر عن الوعي الشعبي لأنها تعكس قيم المجتمع ومعتقداته¹.

6- تقوم وسائل الإعلام بدعم القيم الموجودة؛ وهو الاتجاه الطبيعي للبشر بحيث يميلون إلى حماية أنفسهم من خلال التعرض الانتقائي والإدراك الانتقائي والتذكر الانتقائي، بحيث يميلون إلى التعرض للرسائل التي تتفق وأفكارهم ومعتقداتهم واتجاهاتهم وقيمهم، ويتجنبون الرسائل التي تتعارض مع أفكارهم.

7- تقوم وسائل الإعلام بدعم القيم الشخصية وأنماط السلوك المقبولة، وتوحدنا مع قيم المجتمع في اكتساب رؤية الفرد من خلال المقارنة والمطابقة مع الصور الأخرى التي تتعرض لها في وسائل الإعلام.

ثانياً: وسائل الإعلام وتغيير القيم:

لوسائل الإعلام القدرة على تغيير القيم، عن طريق دخول مضامينها؛ حياة الأفراد الذي أدى بدوره إلى تغيير في النسق القيمي للمجتمع، عن طريق صراع بين القيم التي ينادي البعض بالتحكم بها وتأصيلها، وبين القيم المصطنعة من قبل وسائل الإعلام والتي تظهر - كما قلنا - كمسلمات عند البعض الآخر، هذا ما يجعل ترشيد استخدام وسائل الإعلام ضرورة ملحة، حيث تؤدي القيم في المجتمع الإسلامي، أدواراً أكثر من كونها مجرد سلوك وأفعال تظهر وتختفي من حين إلى آخر.

يمكن لوسائل الإعلام أن تفضح القيم الفاسدة داخل المجتمع، مما يؤدي إلى حدوث توتر وبالتالي إلى التغيير، لأن التستر على مثل هذه القيم وعدم نشرها عبر وسائل الإعلام يؤدي إلى التسامح معها وإبقائها على حالها.

1 عنان إبراهيم أحمد محمد المهدي الشافعي. 2001. علم الاجتماع التربوي الأنساق الاجتماعية التربوية، ليبيا، جامعة سبها، ص: 278

وتعتمد وسائل الإعلام في عملية التغيير على قدرتها الفائقة على الاستهواء الذي يجعل الفرد المتعرض للوسيلة الإعلامية، يصدق ما يشاهد ويصعب إقناعه بعد ذلك بأن ما يشاهد هو مجرد خيال، وقد تأكد ذلك في إحدى الدراسات التي قام بها عالم الاتصال هالوران حيث توصل بأن 97% من المتعلمين أعلنوا أنهم يثقون بالتلفزيون كمصدر إعلامي أكثر من أي مصدر آخر. ويضيف هالوران قائلاً: عندما سألنا هؤلاء المتعلمين إذا سمعتم قصة من والديكم أو مديرتكم أو من إذاعة أو تلفزيون فأى رواية تصدقون؟ فأجاب 54% منهم أنهم يصدقون التلفزيون أكثر من أي مصدر آخر. ويظهر ذلك جلياً من خلال تقليده لتصرفات الممثلين والشخصيات البارزة والمعروفة، التي تقدمها مضامين وسائل الإعلام على أنها عظيمة¹.

وتقوم وسائل الإعلام بتغيير القيم وتعديلها بما يتوافق مع المواقف الجديدة، فمثلاً التعليم بالنسبة للمرأة كان ينظر إليه على أنه قيمة سلبية، ولكن مع التغيير الاجتماعي وانتشار وسائل الإعلام أصبحت هذه القيمة إيجابية، وهذا بفضل البرامج التي تبثها وسائل الإعلام على وجه الخصوص والتي تحفز المرأة على التعلم.

وأصبحت وسائل الإعلام من أقوى العوامل التي تدفع إلى التغيير الاجتماعي بما في ذلك تغير القيم، بحكم كونها الوسيلة الرئيسة إلى حد ما في تبادل الآراء والمعلومات والأفكار الجديدة.

وتقوم وسائل الإعلام بالإقناع عن طريق التأثير الذي تتركه مضامينها على الأشخاص الذين يتعرضون لها بقصد تغير القيم والمعارف والاتجاهات وأنماط السلوك.. ومن ثمة إدراك مشاعر الرضا من عدمه عن هذا التغير بواسطة الاتصال الجماهيري.

ويعتبر نسق الاتصال الجماهيري نسقاً جزئياً داخل نسق أكبر هو المجتمع الذي يوجد فيه، والمضامين التي ينقلها الإعلام تؤثر في الأنساق الاجتماعية الأخرى سلباً أو إيجاباً

1 الدليمي عبد الرزاق محمد. 2012 مرجع سابق، ص 24 بتصرف

وبشكل خاص النسق القيمي للمجتمع، مما يترك أثرا كبيرا في إحداث التغيرات الثقافية والمعرفية، خاصة إذا كانت هذه المضامين تحمل قيم ومعايير وأفكار تختلف عن تلك التي يتعامل بها المجتمع.

ثالثا: وسائل الإعلام ودورها في خلق قيم جديدة:

تعد وسائل الإعلام أداة حاسمة في تشكيل قيم الطفل، فهي تؤثر على تطوره الاجتماعي أثناء اكتسابه لقواعد سلوكه الاجتماعي.

فتساهم في نشر قيم جديدة، وتحولها إلى جزء ثابت من المنظومة القيمية للمجتمع؛ وبتعبير أدق تساهم وسائل الإعلام كما هو مسلم به في تنمية أنماط تفكير وعلاقات وبنيات اجتماعية جديدة باستمرار، من خلال تنمية قدرات وطموحات الأفراد والجماعات، إضافة إلى تعليم الأفراد مهارات جديدة.

وتقوم بإشباع مدارك الناس وإفساح المجال لخيالهم وضبط سلوكهم، وتشكيل المعايير والقيم التي يتمثلون بها والمقبولة من طرف المجتمع.

كما تقوم بالمساهمة في إعادة الترتيب القيمي والسلوكي للجماهير عن طريق خلق قيم ومعايير جديدة، وفرض الأوضاع والسلوكيات الاجتماعية المرغوبة، والعمل على نشرها وتنميتها في أذهان الناس.

ويعد دور وسائل الإعلام عاملا حاسما في خلق القيم عند الأفراد والمجتمعات، كما تعد من بين الوسائل التي تؤثر بشكل كبير في خلق وتشكيل قيم الطفل خاصة من خلال مضامين الأفلام والإعلانات والنماذج السلبية والإيجابية التي تحمل مجموعة من القيم المرغوبة أو المرفوضة عند الطفل.

وأثبتت البحوث الإعلامية العديدة أن وسائل الإعلام تعتمد على وعي الأفراد وفهمهم للتجربة الاتصالية في عملية خلق القيم الجديدة داخل المجتمع¹.

المطلب الثالث: واقع القيم في الإعلام.

أولاً: عينات البحث

العينة الأولى:

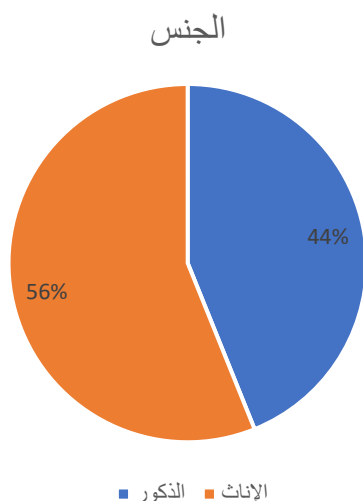
اشتملت العينة الأولى على 287 تلميذا وتلميذة موزعين على ثلاث مستويات دراسية:

المستوى الأول: السلك الابتدائي.

اشمل الاستبيان لهذه الفئة على 39 تلميذا وتلميذة موزعين على الشكل التالي:

المجموع	الإناث	الذكور	
39	21	18	الخامس ابتدائي

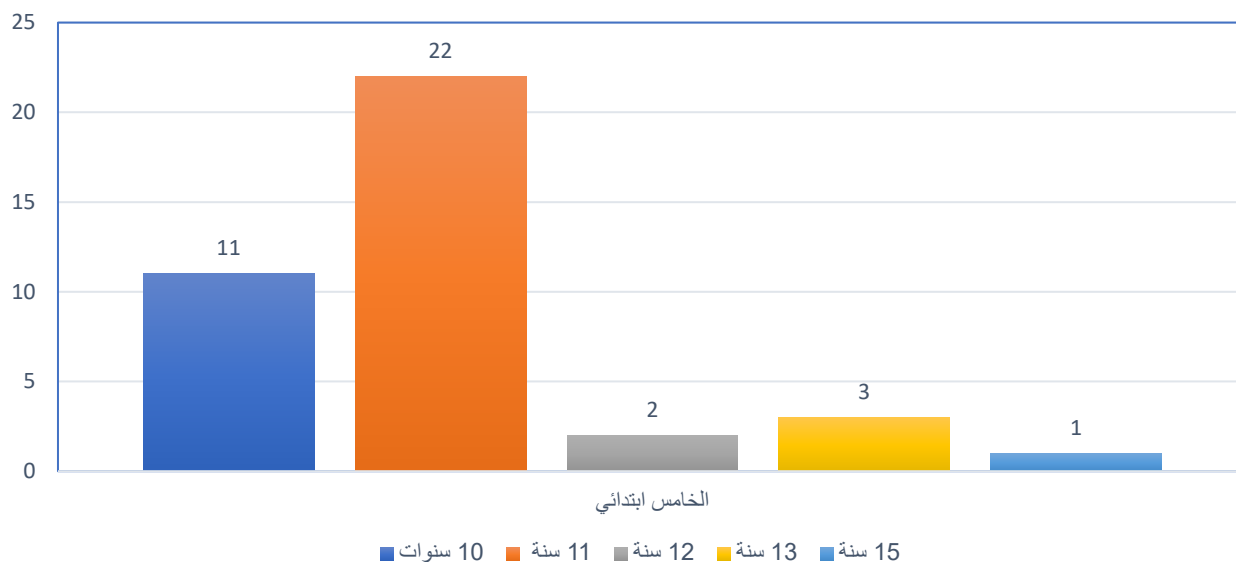
وشكلت نسبة الإناث بهذا السلك 56% بينما انحسرت نسبة الذكور في 44%.



¹ محمود إسماعيلي. 1998. مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير، القاهرة، الدار العلمية، ص118. بتصرف

أما بالنسبة للسن فقد تراوح بين عشر سنوات وخمسة عشر سنة، لكن الفئة الأكثر تمثيلية؛ استقرت في إحدى عشر سنة.

السن

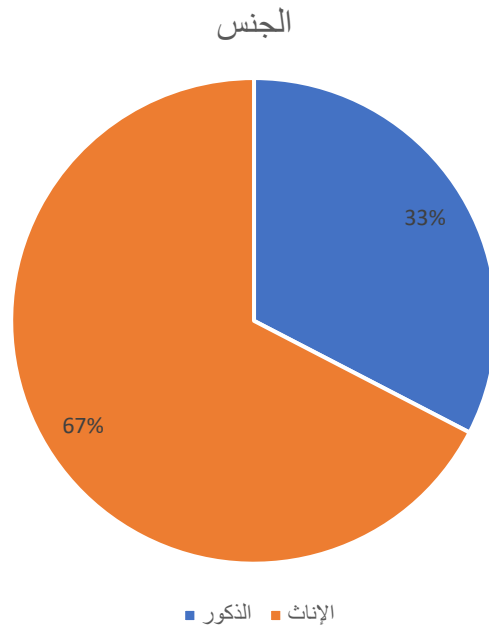


المستوى الثاني: السلك الثانوي الإعدادي.

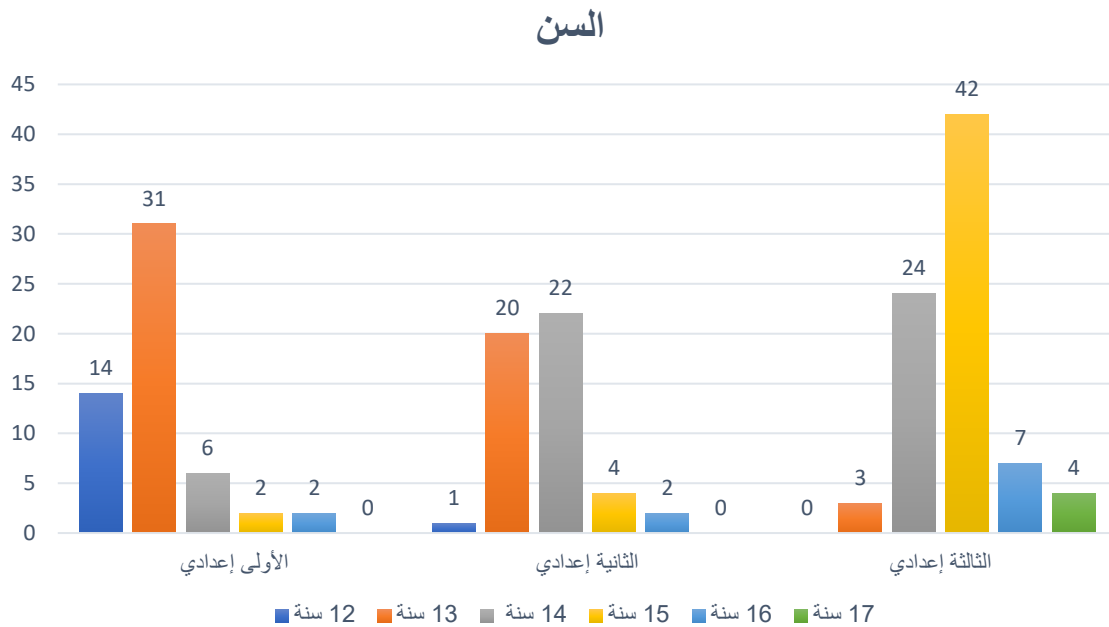
شمل الاستبيان بهذا السلك 184 تلميذا وتلميذة موزعين على الشكل التالي:

المجموع	الإناث	الذكور	
55	39	16	الأولى إعدادي
48	34	14	الثانية إعدادي
81	51	30	الثالثة إعدادي
184	124	60	المجموع

وتراوحت نسبة الإناث منهم 67% بينما نسبة الذكور في 33%.



أما معدل السن فقد تراوح بين اثني عشر سنة وسبعة عشر سنة.

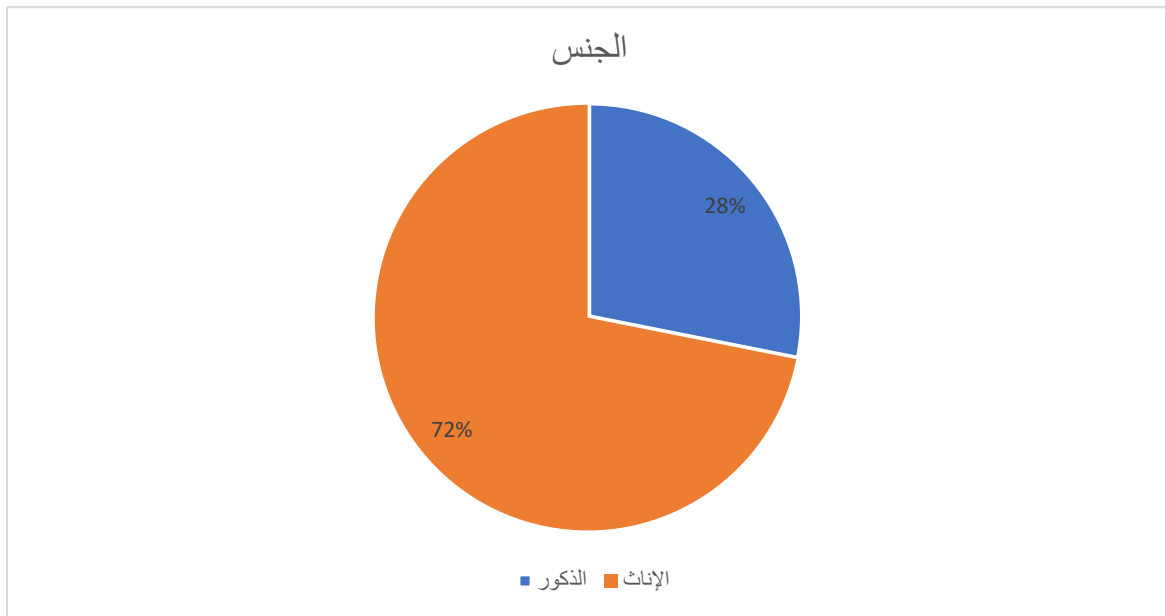


المستوى الثالث: السلك الثانوي التأهيلي.

شمل الاستبيان بهذا السلك 64 تلميذا وتلميذة موزعين على الشكل التالي:

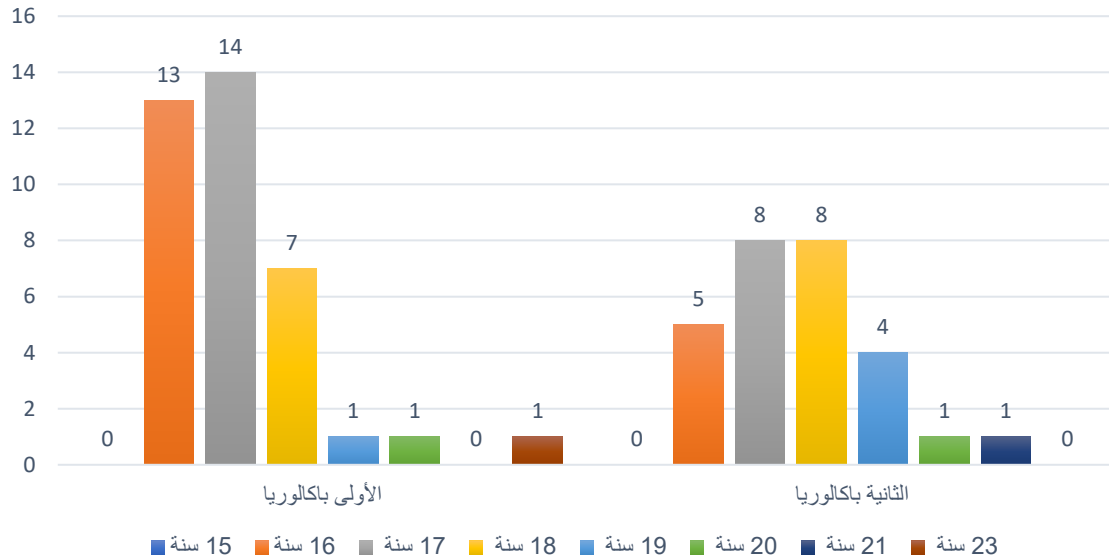
المجموع	الإناث	الذكور	
37	28	9	الأولى بكالوريا
27	18	9	الثانية بكالوريا
64	46	18	المجموع

وتراوحت نسبة الإناث منهم 72% بينما نسبة الذكور في 28%.



أما معدل سن هذه الفئة فقد تراوح بين اثني عشر سنة وسبعة عشر سنة.

السن



ثانيا: محتوى الاستبيان:

اشتمل الاستبيان على ثلاثة أسئلة موجهة لكل عينات البحث حسب المستويات:

المستوى الأول: السلك الابتدائي.

السؤال الأول: اختر القيم التي اكتسبتها من الإعلام.

وهو سؤال مغلق؛ يقيس القيم التي اكتسبتها المتعلم من خلال الإعلام؛ وكانت نتائج

الاستبيان على الشكل التالي:

الخامس ابتدائي		
النسبة المئوية	التكرار من (39)	
56%	22	المسؤولية
56%	22	احترام الآخر
51%	20	حب الوطن
51%	20	التعايش

49%	19	التعاون
49%	19	حب الخير للناس
46%	18	المبادرة للعمل التطوعي
41%	16	التسامح
36%	14	الايمان بالله
36%	14	الحرية
33%	13	الانضباط
31%	12	الصدق
26%	10	الرحمة
26%	10	الأمانة
26%	10	العفو

من خلال النتائج المتوصل إليها عن طريق الاستبيان تم حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 22 فكانت النتائج على الشكل التالي:

التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة
0.59	الانضباط	0.86	حب الخير للناس	1	المسؤولية
0.55	الصدق	0.82	المبادرة للعمل التطوعي	1	احترام الآخر
0.45	الرحمة	0.73	التسامح	0.91	حب الوطن
0.45	الأمانة	0.64	الايمان بالله	0.91	التعايش
0.45	العفو	0.64	الحرية	0.86	التعاون

من خلال معاملات الارتباط بين القيم المستهدفة بالدراسة نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 39 يساوي 35 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.32 ما يعني؛ أن القيم مرتبطة في ذهن عينة الدراسة هي التي تفوق 0.32 وعددها 15 عشرة قيمة من أصل 15. بنسبة 100% مع الاختلاف في تكرار هذه القيم وعليه فإننا سوف نصنفها حسب هذا التكرار.

القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد
المسؤولية	1	التعاون	0.86	الايمان بالله	0.64	الرحمة	0.45
احترام الآخر	1	حب الخير للناس	0.86	الحرية	0.64	الأمانة	0.45
حب الوطن	0.91	المبادرة للعمل	0.82	الانضباط	0.59	العفو	0.45
التعايش	0.91	التطوعي	0.73	الصدق	0.55		
		التسامح					

بالنظر إلى تكرار القيم أعلاه يظهر تصدر قيم المسؤولية، واحترام الآخر، و حب الوطن؛ لدى الفئة المستهدفة الأمر الذي ينبئ بحضور هذه القيم في وسائل التواصل وأن للإعلام دور أساسي في ترسيخ هذه القيم.

السؤال الثاني: اختر طريقة اكتسابك لهذه القيم.

سؤال مغلق؛ يقيس الطرق التي اكتسب بها المتعلم القيم من خلال الإعلام؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التكرار من (39)	النسبة المئوية
برنامج تلفزيوني	26	67%
مواقع التواصل	21	54%
مخالطة أصدقاء افتراضيين	10	26%

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 26 فكانت النتائج على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التردد
برنامج تلفزيوني	1
مواقع التواصل	0.81
مخالطة أصدقاء افتراضيين	0.38

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 39 يساوي 35 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.32 ما يعني؛ أن كل طرق اكتساب القيم المذكورة أعلاه لها تأثير في ذهن عينة الدراسة. مع تفاوت ملحوظ؛ تكون بذلك أكثر هذه الوسائل تأثيرا هي البرامج التلفزيونية ومواقع التواصل.

السؤال الثالث: اختر مدى تطبيقك لهذه القيم في حياتك اليومية.

سؤال مغلق؛ يقيس مدى تطبيق المتعلم للقيم التي اكتسبها؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

النسبة المئوية	التكرار من (39)	مدى تطبيقك لهذه القيم
36%	14	أحيانا
33%	13	دائما
31%	12	غالبا

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 17 كانت النتائج على الشكل التالي:

التردد	مدى تطبيقك لهذه القيم
1	أحيانا
0.93	دائما
0.86	غالبا

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي

عددها 39 يساوي 35 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.32 ما يعني؛ أن الحال التي تفوق 0.32 هي: دائما وغالبا. وأحيانا ويكون بناء على ذلك أثر لهذه القيم في الواقع اليومي للفئة المستهدفة.

المستوى الثاني: الثانوي الإعدادي.

السؤال الأول: اختر القيم التي اكتسبتها من الإعلام.

وهو سؤال مغلق؛ يقيس القيم التي اكتسبتها المتعلم من خلال الإعلام؛ وكانت نتائج الاستبيان على الشكل التالي:

النسبة المئوية	التكرار				
	المجموع	الثالثة إعدادي	الثانية إعدادي	الأولى إعدادي	
53%	98	35	34	29	التعايش
43%	80	26	20	34	حب الوطن
42%	77	35	17	25	الحرية
42%	77	34	18	25	احترام الآخر
41%	75	26	19	30	المبادرة للعمل التطوعي
37%	68	28	17	23	التعاون
32%	59	24	12	23	المسؤولية
32%	59	20	15	24	حب الخير للناس
28%	51	21	10	20	التسامح
26%	48	22	8	18	الانضباط
24%	45	18	11	16	الصدق
23%	43	18	9	16	العفو
20%	37	19	5	13	الرحمة
19%	35	12	8	15	الايمان بالله
14%	26	11	3	12	الأمانة

من خلال النتائج المتوصل إليها عن طريق الاستبيان تم حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 98 فكانت النتائج على الشكل التالي:

التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة
0.46	الصدق	0.69	التعاون	1	التعايش
0.44	العفو	0.6	المسؤولية	0.82	حب الوطن
0.38	الرحمة	0.6	حب الخير للناس	0.79	الحرية
0.36	الايمان بالله	0.52	التسامح	0.79	احترام الآخر
0.27	الأمانة	0.49	الانضباط	0.77	المبادرة للعمل التطوعي

من خلال معاملات الارتباط بين القيم المستهدفة بالدراسة نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 184 يساوي 100 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.19 ما يعني؛ أن القيم مرتبطة في ذهن عينة الدراسة هي التي تفوق 0.19 وعددها 15 عشرة قيمة من أصل 15. بنسبة 100% مع الاختلاف في تكرار هذه القيم وعليه فإننا سوف نصنفها حسب هذا التكرار.

التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة
0.38	الرحمة	0.52	التسامح		المبادرة للعمل	1	التعايش
0.36	الايمان بالله	0.49	الانضباط	0.77	التطوعي	0.82	حب الوطن
0.27	الأمانة	0.46	الصدق	0.69	التعاون	0.79	الحرية
		0.44	العفو	0.6	المسؤولية	0.79	احترام الآخر
				0.6	حب الخير للناس		

بالنظر إلى تكرار القيم أعلاه يظهر؛ تصدر قيم التعايش، احترام الآخر، وحب الوطن، و الحرية؛ واحترام الآخر، لدى الفئة المستهدفة الأمر الذي ينبئ بحضور هذه القيم في الإعلام.

السؤال الثاني: اختر طريقة اكتسابك لهذه القيم.

سؤال مغلق؛ يقيس الطرق التي اكتسب بها المتعلم القيم من خلال الإعلام؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التكرار من (184)	النسبة المئوية
مواقع التواصل	143	78%
برنامج تلفزيوني	76	41%
مخالطة أصدقاء افتراضيين	57	31%

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 29 فكانت النتائج على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التردد
مواقع التواصل	1
برنامج تلفزيوني	0.53
مخالطة أصدقاء افتراضيين	0.4

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 184 يساوي 100 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.19 ما يعني؛ أن كل طرق اكتساب القيم المذكورة أعلاه لها تأثير في ذهن عينة الدراسة. مع تفاوت ملحوظ؛ وتكون بذلك أكثر هذه الوسائل تأثيرا هي مواقع التواصل والبرامج التلفزيونية.

السؤال الثالث: اختر مدى تطبيقك لهذه القيم في حياتك اليومية.

سؤال مغلق؛ يقيس مدى تطبيق المتعلم للقيم التي اكتسبها من خلال الإعلام؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التكرار من (184)	النسبة المئوية
دائماً	74	40%
غالباً	58	32%
أحياناً	52	28%

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 74 كانت النتائج على الشكل التالي:

مدى تطبيقك لهذه القيم	التردد
دائماً	1
غالباً	0.78
أحياناً	0.7

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 184 يساوي 100 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.19 ما يعني؛ أن الحال التي تفوق 0.19 هي: دائماً وغالباً وأحياناً مع تفاوت بينها وتكون دائماً هي الحالة الأكثر.

المستوى الثالث: الثانوي التأهيلي.

السؤال الأول: اختر القيم التي اكتسبتها من الإعلام.

وهو سؤال مغلق؛ يقيس القيم التي اكتسبتها المتعلم من الإعلام؛ وكانت نتائج الاستبيان على الشكل التالي:

النسبة المئوية	التكرار من (64)			
	مجموع	الثانية باكالوريا	الأولى باكالوريا	
41%	26	10	16	المبادرة للعمل التطوعي
41%	26	10	16	الحرية
41%	26	7	19	التعايش
39%	25	10	15	حب الخير للناس
39%	25	8	17	احترام الآخر
36%	23	7	16	حب الوطن
34%	22	9	13	التعاون
34%	22	9	13	المسؤولية
27%	17	7	10	الايمان بالله
27%	17	8	9	التسامح
22%	14	7	7	الرحمة
19%	12	6	6	الانضباط
16%	10	5	5	الصدق
14%	9	5	4	العفو
13%	8	4	4	الأمانة

من خلال النتائج المتوصل إليها عن طريق الاستبيان تم حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 26 فكانت النتائج على الشكل التالي:

القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد
المبادرة للعمل التطوعي	1	حب الوطن	0.88	الرحمة	0.54
الحرية	1	التعاون	0.85	الانضباط	0.46
التعايش	1	المسؤولية	0.85	الصدق	0.38
حب الخير للناس	0.96	الايمان بالله	0.65	العفو	0.35
احترام الآخر	0.96	التسامح	0.65	الأمانة	0.31

من خلال معاملات الارتباط بين القيم المستهدفة بالدراسة نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 64 يساوي 60 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.25 ما يعني؛ أن القيم مرتبطة في ذهن عينة الدراسة هي التي تفوق 0.25 وعددها 15 عشرة قيمة من أصل 15. بنسبة 100% مع الاختلاف في تكرار هذه القيم.

القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد	القيمة	التردد
المبادرة للعمل	1	حب الخير للناس	0.96	المسؤولية	0.85	الانضباط	0.46
التطوعي	1	احترام الآخر	0.96	الايمان بالله	0.65	الصدق	0.38
الحرية	1	حب الوطن	0.88	التسامح	0.65	العفو	0.35
التعايش	1	التعاون	0.85	الرحمة	0.54	الأمانة	0.31

بالنظر إلى تكرار القيم أعلاه يظهر؛ تصدر قيم المبادرة للعمل التطوعي، والحرية، والتعايش؛ لدى هذه الفئة المستهدفة الأمر الذي ينبئ بحضور هذه القيم في الإعلام.

السؤال الثاني: اختر طريقة اكتسابك لهذه القيم.

سؤال مغلق؛ يقيس الطرق التي اكتسب بها المتعلم القيم من خلال الإعلام؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التكرار من (64)	النسبة المئوية
مواقع التواصل	50	78%
مخالطة أصدقاء افتراضيين	26	41%
برنامج تلفزي	21	33%

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 50 فكانت النتائج على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التردد
مواقع التواصل	1
مخالطة أصدقاء افتراضيين	0.52
برنامج تلفزي	0.42

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 64 يساوي 60 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.25 ما يعني؛ أن كل طرق اكتساب القيم المذكورة أعلاه لها تأثير في ذهن عينة الدراسة. مع تفاوت ملحوظ؛ وتكون بذلك أكثر هذه الوسائل تأثيرا هي مواقع التواصل ومخالطة أصدقاء افتراضيين.

السؤال الثالث: اختر مدى تطبيقك لهذه القيم في حياتك اليومية.

سؤال مغلق؛ يقيس مدى تطبيق المتعلم للقيم التي اكتسبها من خلال الإعلام؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

طرق اكتساب القيم	التكرار من (64)	النسبة المئوية
دائماً	21	33%
غالبا	33	52%
أحيانا	10	16%

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 21 كانت النتائج على الشكل التالي:

التردد	مدى تطبيقك لهذه القيم
1	دائماً
1.57	غالبا
0.48	أحيانا

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 64 يساوي 60 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.25 ما يعني؛ أن الحال التي تفوق 0.25 هي: غالبا ودائما ثم أحيانا مع تفاوت بينها، وتكون دائما هي الحالة الأكثر.

العينة الثانية:

اشتملت العينة الثانية الخاصة بالفاعلين التربويين على 7 فاعلين موزعين على الشكل التالي:

المجموع	الإناث	الذكور	
7	1	6	إعلامي

المستوى الثقافي والعلمي للفئة المستهدفة.

المجموع	تعليم عتيق	إعدادي	ثانوي	جامعي	دكتوراه	

7	0	0	1	6	0	

السؤال الأول: في نظرك؛ ما هي المؤسسات التي تساهم في التربية على القيم.

سؤال مغلق؛ يقيس أنواع المؤسسات التي تساهم في التربية على القيم؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

النسبة المئوية	التكرار	
100%	7	الأسرة
86%	6	المدرسة
86%	6	المسجد
71%	5	الإعلام

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه وبعد حساب تردداتها عن طريق القسمة على التكرار الأكبر الذي يساوي 7 كانت النتائج على الشكل التالي:

المؤسسات التي تساهم في التربية على القيم	التردد
الأسرة	1
المدرسة	0.86
المسجد	0.86
الإعلام	0.71

ومن خلال معاملات الارتباط بين طرق اكتساب القيم نحصل على قيمة الارتباط الأدنى ذو الدلالة الإحصائية فمعامل الحر DL بالنسبة لعينة الدراسة التي عددها 7 يساوي 7 وبالتالي فإن الحد الأدنى لقيمة معامل الارتباط ذو الدلالة الإحصائية باعتماد نسبة الخطأ 5% هو 0.67 ما يعني؛ أن المؤسسات المساهمة في التربية على القيم بالنسبة لعينة البحث تنحصر: الأسرة، والمدرسة، والمسجد، والإعلام.

السؤال الثاني: من خلال تجربتك التربوية هل قمت بإنجاز مشروع للتربية على القيم.

سؤال مغلق؛ يقيس مدى امتلاك الفاعلين التربويين لمشروع التربية على القيم؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

النسبة المئوية	التكرار من 55	
86%	6	نعم
14%	1	لا

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه يظهر أن نسبة 86% من الفاعلين التربويين يمتلكون مشاريع مساهمة في التربية على القيم بينما كانت نسبة المصرحين بعدم امتلاكهم لهذه المشاريع فقط؛ 14%.

السؤال الثالث: حدد الأسباب التي حالت دون امتلاكك مشروعاً للتربية على القيم.

سؤال مغلق؛ يقيس أسباب عدم امتلاك الإعلاميين لمشروع التربية على القيم؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

النسبة المئوية	التكرار من 44	
14%	1	هناك من يقوم بها فلا حاجة لذلك

من خلال النتيجة المتوصل إليها أعلاه أن أسباب عدم امتلاك الإعلاميين لمشروع التربية على القيم هو أن هناك من يقوم بها فلا حاجة لذلك.

السؤال الرابع: حدد الفئات التي تستهدف من خلال مشروعك.

سؤال مغلق؛ يقيس أنواع الفئات المستهدفة بالتربية على القيم؛ وكانت نتائج السؤال على الشكل التالي:

النسبة المئوية	التكرار من 184	
57%	4	الأطفال
29%	2	التلاميذ

من خلال النتائج المتوصل إليها أعلاه يظهر أن الفئة المستهدفة هي الأطفال والتلاميذ.

ملخص الفصل:

انطلاقاً من النتائج أعلاه والتي استهدفت المحاضن والمؤسسات الفاعلة في التربية على القيم بالبحث والتحليل؛ المدرسة والأسرة والمسجد والإعلام والفاعلين المؤثرين في بناء هذه القيم في المجتمع المغربي وكذا الفئات المستهدفة فكانت خلاصة هذه الدراسة على الشكل التالي:

توزعت الفئات المستهدفة إلى عينتين العينة الأولى اشتملت على تلاميذ المؤسسات التعليمية باعتبارهم فئات مستهدفة بالتربية والتنشئة الاجتماعية على كافة المستويات وخاصة الجانب القيمي والأخلاقي أما العينة الثانية فتمثلت في الفاعلين التربويين أباء وأمهات وأساتذة وقيمين دينيين وإعلاميين باعتبارهم أهم المؤثرين في التنشئة في مجتمعنا، وهي كالتالي:

العينة الأولى:

النسبة المئوية	التكرار من 287	الفئات المستهدفة
14%	39	السلوك الابتدائي
64%	184	الثانوي الإعدادي
22%	64	الثانوي التأهيلي

العينة الثانية:

النسبة المئوية	التكرار من 396	الفئات المستهدفة
58%	228	مدرسين
14%	55	أباء وأمهات
27%	106	قيمين دينيين
2%	7	إعلاميين

النتائج:

القيم الأكثر استهدافا حسب المراحل العمرية:

المؤسسات الفاعلة	القيم الأكثر استهدافا حسب المراحل العمرية		
	الثانوي الإعدادي	الثانوي التأهيلي	السلك الابتدائي
المدرسة	التعاون؛ الانضباط؛ احترام الآخر؛	الانضباط؛ احترام المسؤولية	التعاون؛ الانضباط؛ احترام الآخر
الاسرة	الايمان بالله؛ حب الخير للناس؛ الصدق	احترام الآخر؛ الأمانة؛ التسامح	الايمان بالله؛ حب الخير
المسجد	الايمان بالله؛ الرحمة؛ حب الخير للناس	الايمان بالله؛ احترام الآخر؛ حب الخير للناس	الايمان بالله؛ الرحمة؛ حب
الإعلام	المسؤولية؛ احترام الآخر؛ حب الوطن	المبادرة للعمل التطوعي؛ الحرية؛ التعايش	التعايش؛ حب الوطن؛ الحرية

وسائل ترسيخ القيم حسب المراحل العمرية:

المؤسسات الفاعلة	أهم الوسائل لترسيخ القيم حسب المراحل العمرية		
	الثانوي الإعدادي	الثانوي التأهيلي	السلك الابتدائي
المدرسة	نصائح توجيهية من الأستاذة؛ دروس	نصائح توجيهية من الأستاذة؛ دروس	نصائح توجيهية من الأستاذة؛ دروس
الاسرة	اقتداء بالوالدين؛ النصيحة الأبوية	اقتداء بالوالدين؛ النصيحة الأبوية	اقتداء بالوالدين؛ النصيحة الأبوية
المسجد	خطبة الجمعة؛ دروس دينية	خطبة الجمعة؛ دروس دينية	خطبة الجمعة؛ دروس دينية
الإعلام	برامج تلفزيونية؛ مواقع التواصل	مواقع التواصل؛ برامج تلفزيونية	مواقع التواصل؛ مخالطة أصدقاء افتراضيين

وسائل توظيف القيم حسب المراحل العمرية:

مؤشرات توظيف القيم حسب المراحل العمرية			المؤسسات الفاعلة
الثانوي التأهيلي	الثانوي الإعدادي	السلك الابتدائي	
دائماً؛ غالباً	دائماً؛ غالباً	دائماً؛ غالباً	المدرسة
دائماً؛ غالباً	دائماً؛ غالباً	دائماً؛ غالباً	الأسرة
دائماً؛ غالباً	دائماً؛ غالباً	دائماً؛ غالباً	المسجد
دائماً؛ غالباً	دائماً؛ غالباً	دائماً؛ غالباً	الإعلام

الخاتمة:

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فقد من الله علي ووفقني لطلب العلم وإكمال دراستي العليا، ويسر لي البحث في مجال القيم من حيث ثباتها وتغيرها في الإسلام وفي الفكر الغربي المعاصر، فاستفدت فوائد جمة، حيث قرأت مئات المراجع، وتفرغت الساعات للبحث، والنقد والمقابلة والتمحيص والاستنباط والتأمل والمراجعة؛ فله الحمد والفضل والمنة، ثم لمن كان سببا في هذه الرحلة العلمية جزيل الشكر وخالص الدعاء؛ من أساتذة أجلاء وعلى رأسهم أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور سعيد شبار، وجميع أساتذة وحدة تكوين الدكتوراه في الحوار الديني والثقافي في الحضارة الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال، سائلا المولى عز وجل أن يجعل هذا الجهد في صحيفة أعمالهم، وأن يحفظهم وأن يبارك فيهم.

وفي خاتمة هذا البحث خلصت إلى فوائد ومعلومات مهمة دونت أهم نتائجها المتوصل إليها وبعض المقترحات؛ لعل الله أن ينفع بها.

ولابد من الإشارة إلى أن موضوع القيم؛ ما زال يحتاج إلى زيادة عناية من الباحثين والأساتذة في كل جزئية وفرع من فروعها، لأنه لم ينل - بعد - حقه في البحث من قبل الدارسين، وقد حاولت تسليط الضوء على بعض جزئياته، حيث لا يمكن الإحاطة الكاملة به لشسااعته؛ على أمل استمرار البحث والدراسة فيه.

وفي هذا الإطار، وبعد البحث والرجوع إلى المراجع المتعلقة بالموضوع؛ توصلت إلى نتائج قد تكون نقطة انطلاق لمن ينتدب نفسه لولوج هذا الغمار، ومن أهمها:

أولاً: أن القيم في الإسلام ثابتة لثبات مصدرها (القرآن والسنة)، ولا تتغير منذ أن بُعث النبي ﷺ إلى يومنا هذا، فالفضيلة هي الفضيلة، والحق هو الحق، والرديلة هي الرديلة لا تتغير مع مرور الأزمان وتغير المكان.

ثانياً: المرونة سمة للشريعة في الفرع دون الأصل، وهذا ما جاء به الشرع المطهر للمحافظة على القيم الإسلامية، وإن ظهر للمتأمل أنها تتغير فهي ليست كذلك إنما هي مرونة لمصلحة الإسلام والمحافظة عليه.

ثالثاً: الثبات مرتبط بالدين، والدين ثابت لا يتغير، والإسلام جعل القيم مرتبطة بالدين، بل جعل القيم مرتبطة بالعقيدة، بخلاف المجتمعات الغربية التي تحلت من الدين ثم فقدت أهم المقومات، ومن أهمها؛ القيم التي هي الأساس في بقاء المجتمعات.

رابعاً: سعة مجالات القيم في الإسلام، فهي مع الإنسان ونفسه، ومع الإنسان وربه، ومع الإنسان ومجتمعه، ومع الإنسان وذويه، ومع الإنسان والحيوانات والبهائم، ومع الإنسان وما في الطبيعة من أشجار ومحتويات، بل إن القيم ملازمة لسلوك الإنسان طيلة عمره، وهذا أكبر دليل على ثبات القيم في الإسلام.

خامساً: أن جميع العبادات في الإسلام تسعى لتحقيق غاية مهمة وهي القيم، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والزكاة تزكية وتطهير للمسلم، والصيام طهرة للصائم وتربية على الصبر وضبط النفس وقوة الإرادة، والحج تعارف وتآلف ومساواة، والجهاد عزة ومنعة ونصرة وإعلاء لكلمة الله عز وجل وتربية للمسلم على الشجاعة، لهذا فشريعة الإسلام كلها قيم سامية يتربى عليها المسلم ليل نهار حتى يصبح مثاليا متميزا مستقيما، وهذا ما فعله الإسلام الذي أخرج أعظم جيل عرفته البشرية في القرون المفضلة.

سادساً: فقدان الثبات في القيم الغربية بسبب تحولها عن الدين بعد العصر الذي سيطرت فيه الكنيسة على الناس، فنفر الناس من الدين الكنسي وابتعدوا عنه، ومن ثم ذهبت القيم

عن الدين، لأن الدين قمة القيم وأساسها، ولهذا وصل الناس - في الغرب - إلى هذه الدرجة من الانحلال والانحطاط.

سابعاً: في المجتمع الغربي قيم مثالية صعبة؛ لا يستطيع القيام بها إلا فئة قليلة ونادرة من الناس. أما في الإسلام فالقيم واقعية؛ سهلة ميسرة، بعيدة عن الأصرار والأغلال والعسر، وتعاليمه واضحة سهلة ميسرة مرنة.

ثامناً: ما يراه البعض من أن القيم مثالية عند الغرب، حيث لا يكذبون، ولا يغشون، وعندهم انضباط ودقة في المواعيد وجودة في الصناعة؛ لكن الدافع هو المنفعة والمصلحة فقط لترويج بضاعتهم، والحرص على مصداقية تجارتهم وسمعة شركاتهم، وإلا فالغش والمكر والخديعة والطمع والجشع؛ منتشر في مجتمعاتهم.

تاسعاً: يؤمن المجتمع الغربي (بالتطور) في كل شيء؛ في الدين، وفي القيم في الاجتماع، في التربية، في السياسة، ومن ثم لا شيء ثابت عندهم على الإطلاق.

عاشراً: البرجماتية أو المنفعة أو الذرائعية؛ مبدأ مطبق حالياً في المجتمعات الصناعية الأمريكية والأوروبية، فلا يحكم العلاقات إلا المنفعة، ومن ثم لا يوجد أواصر محبة أو تعاون أو قرابة أو تآلف، حيث فُقدت المعاني الأخلاقية السامية.

حادي عشر: يرى - بعض الغربيين - أن القيم نسبية حسب الظروف والمواقف، ولا يرون مطلقة القيم، ومن ثم فهم يسعون لتحقيق مصالحهم، ولا توجد قيم يحتكمون إليها ويقفون عند حدها.

ثاني عشر: الاشتراكية لم تؤمن بالقيم ولم تبشر بها؛ لأنها تقتل كيان الفرد؛ فلا قرابة ولا روابط ولا أواصر، وإنما شيوعية ممقوتة تقتل كرامة الإنسان، ولم تناد بالعدالة الاجتماعية.

ثالث عشر: العالم اليوم يعاني من أزمة خطيرة في القيم؛ فالوحشية والإجرام، وقتل الإنسان، وسلب الحقوق، والهيمنة والقرصنة، القوي يأكل الضعيف. وقيم الإسلام تستطيع تقديم حلول لكل ذلك.

رابع عشر: إن علم القيم - علم جديد - لم ينل حقه من الدراسة والبحث، ويحتاج مزيداً من الجهد والتأليف والتوسع من قبل الدارسين، بالإضافة إلى التطبيق في واقع الحياة، فهو علم معياري.

خامس عشر: المدرسة، والأسرة، والمسجد، والإعلام: هي أبرز مؤسسات التربية على القيم.

سادس عشر: نصائح توجيهية من الأساتذة؛ والدروس المدرسية؛ والافتداء بالوالدين؛ والنصيحة الأبوية؛ وخطبة الجمعة؛ ودروس دينية؛ ومواقع التواصل؛ ومخالطة أصدقاء افتراضيين: هي أهم الوسائل لترسيخ القيم.

سابع عشر: دائماً؛ وغالباً هي مؤشرات توظيف القيم.

ثامن عشر: تنمية القيم والحفاظ عليها مسؤولية فردية واجتماعية، يشارك فيها أفراد المجتمع ومؤسساته، ابتداءً بالفرد المسؤول عن أعماله وتصرفاته وانتهاءً بالمعلم ومؤسسات المجمع كافة: الأسرة، والمدرسة، والمسجد، ووسائل الإعلام.

اقتراحات:

وفي الختام أقدم هذه الاقتراحات التي بدت لي هامة؛ وهي:

أولاً: تدريس مادة تحمل اسم «القيم الإسلامية» في جميع مراحل التعليم العام والجامعي، لأن القيم من الثوابت التي قام عليها ديننا الإسلام، والإسلام جاء لإتمام مكارم الأخلاق.

ثانياً: التركيز في مراحل التعليم الجامعي على «القيم في الغرب» من بداية تنحية الدين إلى عصر الانحطاط في العصر الحاضر، لأخذ العبرة والعظة ولإزالة موجة الفتنة والانبهار بالمجتمع الغربي.

ثالثاً: إنشاء معهد للقيم الإسلامية على غرار معهد القيم الأمريكية؛ الذي يعد معهداً متخصصاً في القيم البرجماتية التي يؤمن بها الأمريكيون. وهدف المعهد رصد ما كُتب وما يكتب عن القيم، وتشجيع الكتاب والباحثين على البحث والنشر، ومواجهة الغزو الفكري.

رابعاً: تبسيط مفاهيم القيم وتسهيلها؛ حتى يفهمها الصغار ويلم بها الشباب، حيث لوحظ أن بعض ما كتب أو ترجم من مؤلفات في القيم يغلب عليها الطابع الفلسفي.

خامساً: إنشاء مجلة علمية متخصصة تعني بجانب القيم، وتُقدم بحيث تصل إلى كل بيت ومكتبة ومدرسة لتوجيه الناس، وخاصة الناشئة للتعريف بقيم الإسلام النبيلة للتمسك بها.

سادساً: التحلي بقيم الإسلام واقعياً لنكون نموذجاً يُقتدى به.

سابعاً: عقد الندوات والأيام الدراسية والمؤتمرات العلمية التي تهتم بالقيم على مستوى المؤسسات التعليمية بكل مستوياتها؛ مع إشراك المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية المحلية، ويمنح أحسن بحث أو موضوع جائزة قيمة.

ثامنا: الاستفادة من وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة لدورها المؤثر في تكوين الشخصية الإسلامية، ولغرس القيم في نفوس الناشئة مع الإفادة منها خاصة للمتخصصين في القيم.

تاسعا: مزيد من الاهتمام بالمنهاج التربوي وفهم أسسه وعناصره وأهدافه، والقيم الذي يتضمنها ويدعوا إلى ترسيخها لدى الطلاب والمتعلمين من خلال الممارسة التعليمية والتربوية لمادة التربية الإسلامية والمواد الحاملة للقيم.

عاشرا: تدريب الأساتذة والمدرسين على كيفية تدريس القيم الإسلامية من خلال ممارسة الأنشطة المختلفة والأساليب المتنوعة وفق القيم التي يتضمنها المنهاج التربوي من حيث قيم العقيدة الإسلامية، وقيم الهوية الحضارية ومبادئها الأخلاقية والثقافية، وقيم المواطنة، وقيم حقوق الإنسان ومبادئها الكونية.

حادي عشر: توعية الآباء والمربين بدورهم لترسيخ القيم في نفوس الناشئة ودعم تعزيزها بطريقة تتمشى مع مستوى فهمهم العقلي وتحصيلهم التعليمي والعلمي.

ثاني عشر: على المؤسسات الاجتماعية؛ الأسرة، والمسجد، والمدرسة، ووسائل الإعلام، أن تتكامل في غرس القيم، والمساهمة في تنميتها والحفاظ عليها باعتبارها مسؤولية جماعية.

ثالث عشر: على المدرسين والفاعلين التربويين أن يخططوا لما سيقومون به من عمليات تربوية تستهدف القيم بطرق علمية تمكن من اكتساب الكفايات وترسيخ القيم.

رابع عشر: عملية التربية على القيم ترتبط بضرورة محاربة أمية الوالدين؛ والتي ينبغي أن يندرج فيها التركيز على إبراز المكونات الثقافية، والقيم الحضارية الإسلامية، والحقوق والواجبات الوطنية.

خامس عشر: التربية على القيم تستوجب تحسين الظروف المعيشية للأسر، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وضمان مبدأ تكافؤ الفرص بين جميع.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، الاعتصام، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة
- إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: مكتبة علي محمد صبيح وأولاده، القاهرة
- إبراهيم مصطفى (وآخرون)، المعجم الوسيط، الطبعة الثانية، 1400 هـ / 1980 م ط: مطابع دار المعارف، نشر: الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مجمع اللغة العربية، مصر توزيع: دار المطبوعات الحديثة، جدة
- أبو الأعلى المودودي، الإسلام ومواجهة التحديات المعاصرة، تعريب: خليل الحامدي، ط، دار القلم، الكويت، 1974م.
- أبو حامد محمد بن حمد الغزالي، إحياء علوم الدين، وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأسفار للعلامة: زين الدين عبد الرحيم بن حسين العراقي، دار المعرفة، بيروت.
- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي المنحول من تعليقات الأصول، تحقيق: محمد حسن هيتو، الطبعة الثانية، 1400 هـ 1980 م، دار الفكر، دمشق
- أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن الكريم، الطبعة الثالثة، 1407 هـ 1987 م، ط، مطابع دار الرائد العربي، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت، لبنان.
- أحمد بن إبراهيم مهنا، الحرية الفردية في الإسلام، مجلة الأزهر، الجزء الأول، السنة الثامنة والثلاثون، 1389 هـ / 1999 م، القاهرة
- أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، عناية: عبد المعطي قلعجي، الطبعة الأولى 1405 هـ / 1985 م، دار الكتب العلمية، بيروت
- أحمد بن حنبل، المسند، الطبعة الأولى 1411 هـ / 1991 م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، توزيع: المكتبة التجارية، مكة المكرمة

- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، العبودية، تعليق: محمد منير الدمشقي ط، مطابع النصر الحديثة، الرياض، توزيع: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، 1404هـ، الرياض.
- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، ط: مطابع مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت
- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، دار الكتب العلمية، بيروت
- أحمد بن عبد العزيز الحلي، المسؤولية الخلقية والجزاء عليها (دراسة مقارنة)، الطبعة الأولى، 1417هـ / 1999م، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، الناشر: شركة الرياض للنشر والتوزيع، الرياض
- أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، 1410هـ / 1989م، دار القماطي للطباعة والنشر، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت
- أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، تحقيق وتعليق: أحمد شعبان، 1979م، الناشر: مكتبة الكلية الأزهرية، القاهرة
- أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت.
- أحمد بن فارس بن زكريا، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، الطبعة الأولى، 1404هـ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت
- أحمد بن محمد الرازي «مسكويه»، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، الطبعة الثانية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت

- أحمد سلامة، وحمدي بن عبد الرحمن، الوجيز المدخل لدراسة القانون، ط، دار النهضة العربية بالقاهرة، 1970م
- أحمد عبد الرحمن إبراهيم، الفضائل الخلقية في الإسلام، الطبعة الأولى، 1982م، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض
- أحمد علي سير مباركي، العرف وأثره في الشريعة والقانون، الطبعة الأولى، 1992م، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، المملكة العربية السعودية، الرياض
- أحمد عليان، الأخلاق في الشريعة الإسلامية، الطبعة الأولى، 1420هـ / 2000م، ط، مطابع الحميضي، الرياض، الناشر: دار النشر الدولي، الرياض.
- أحمد فهمي أبو سنة، العرف والعادة في رأي الفقهاء، 1947م، مطبعة الأزهر.
- أحمد محمد الفيومي، المصباح المنير، عناية: يوسف الشيخ محمد، الطبعة الأولى، 1999م، ط، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت
- إسماعيل البدوي، دعائم الحكم في الشريعة الإسلامية والنظم الدستورية المعاصرة، الطبعة الأولى، 1980م دار الفكر العربي، بيروت
- إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح المسمى تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، الطبعة الأولى، 1418هـ / 1998م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت
- إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الطبعة الأولى، 1418هـ / 1997م، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض
- إسماعيل بن محمد العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، الطبعة الرابعة، 1405هـ / 1980 م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت
- إسماعيل مظهر، فلسفة اللذة والألم، الطبعة الأولى، مطبعة حجازي القاهرة، لم يذكر تاريخ الطبعة

- أكرم ضياء العمري، الإسلام والوعي الحضاري، الطبعة الأولى، 1407هـ / 1987م، دارا لمنازة للنشر والتوزيع، جدة، السعودية.
- أليكسي كاريل، الإنسان ذلك المجهول، تعريب: شفيق سعد فريد، 1419هـ / 1998م، مكتبة المعارف، بيروت.
- أمير عبد العزيز، النظريات الماركسية في ميزان الإسلام، الطبعة الأولى 1401هـ / 1981م، ط، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، نشر وتوزيع مكتبة الأقصى، عمان
- أمير عبد العزيز، دراسات في الثقافة الإسلامية (مدخل إلى الدين الإسلامي، 1399 هـ / 1979م)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت
- أميل بوترو، العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني، الهيئة المصرية للكتاب، 1973م.
- أندريه كرسون، تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطى حتى العصر الحديث، ترجمة: نهاد رضا، الطبعة الأولى، 1992م، مكتبة عويدات
- أنوار الجندي، مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام، الطبعة الأولى، 1397 هـ / 1977م، ط، دار العلوم للطباعة، القاهرة، الناشر: دار الاعتصام
- أنور الجندي، الإسلام والحضارة، منشوات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.
- أنور الجندي، هزيمة الشيوعية في عالم الإسلام، ط، دار النصر للطباعة الإسلامية 1983م، الناشر: دار الاعتصام
- أيوب موسى الكفوي، الكليات، خدمة: عدنان درويش، ومحمد المصري، الطبعة الثانية، 1413هـ / 1993م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- برتراند رسل، العقل والمادة، ترجمة: أحمد إبراهيم الشريف، 1957م، القاهرة
- برتراند رسل، تاريخ الفلسفة.

- بروتوكولات حكماء صهيون، الطبعة الأولى 1403هـ / 1983م، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، دار القرآن الكريم.
- بول موي، المنطق وفلسفة العلوم، ترجمة: فؤاد حسن زكرياء، القاهرة.
- توفيق الطويل، أسس الفلسفة، الطبعة السابعة، 1979م، ط، دار النهضة العربية، القاهرة.
- توفيق الطويل، فلسفة الأخلاق، «نشأتها وتطورها»، الطبعة الرابعة، 1980م، ط، مطبعة دار نشر الثقافة، القاهرة، نشر: دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
- توفيق الطويل، قصة الصراع بين الدين والفلسفة، الطبعة الثالثة، 1979م، دار النهضة العربية، مصر.
- توفيق الطويل، مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، الطبعة الأولى، 1953م، ط، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، نشر: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة
- توفيق محمد سبع، قيم حضارية في القرآن الكريم، ط، دار الفتح الإسلامي للطباعة، 1984م، الناشر: دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة.
- توفيق يوسف الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، الطبعة الأولى، 1408هـ / 1988م، ط، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة.
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ط، الشركة العربية للكتاب والطباعة والنشر والتوزيع، 1414هـ / 1994م، بيروت
- جنفيات روديس لويس، ديكارت والعقلانية، ترجمة: عبده الحلو، الطبعة الثانية، 1977م، ط، مطبعة الرعيل الجديد، بيروت، نشر: منشورات عويدات، بيروت
- جورج بليخانوف، المادية والمثالية في الفلسفة، ترجمة: جورج طرابيشي، الطبعة الأولى، 1982م، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت. جورج بوليتزر (آخرون)، أصول الفلسفة الماركسية، ترجمة: شعبان بركات، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان

- جون ديوي، تجديد في الفلسفة، ترجمة: أمين مرسي قنديل، مراجعة: زكي نجيب محفوظ، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة
- جون كميني، الفيلسوف والعلم، ترجمة: أمين الشريف، بيروت، 1995م. حامد زهران، علم النفس الاجتماعي، الطبعة الأولى، 1977م، ط، عالم الكتب، القاهرة
- حسن الخياري، التصور الإسلامي للوجود، 1989م، الناشر: دار البشير للنشر والتوزيع، عمان
- حسن الشرقاوي، الأخلاق الإسلامية، الطبعة الأولى، 1988م، الناشر: مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة.
- حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، الطبعة الرابعة، 1403هـ/1983م، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان
- حمادي العبيدي، الشاطبي ومقاصد التشريع، الطبعة الأولى، 1992م، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دمشق
- حمد علي الشوكاني، رفع الرتبة عما يجوز من الغيبة، 1907هـ، رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الرياض.
- حمدي عبدالعال، الأخلاق ومعياريها بين الوضعية والدين، الطبعة الثالثة، 1405هـ/1980م، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت.
- خير الدين الزركلي، الأعلام، الطبعة السابعة، 1989م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- د. محمد رواس قلعجي، وحامد صادق قينبي، معجم لغة الفقهاء، الطبعة الثانية 1988 م، دار النفائس للطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان.
- ديون رويه، فلسفة القيم، الترجمة العربية عام 1960م جامعة دمشق.
- راجح الكردي، نظرية المعرفة بين التراث والفلسفة، الطبعة الأولى 1992م، مكتبة المؤيد، الرياض، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بأمريكا.

- راجو برت، د. رونز، فلسفة القرن العشرين، تعريب: عثمان نويه، زكي نجيب محفوظ، ط: مطابع دار الكتاب العربي، مصر، الناشر: مؤسسة سجل العرب 1993م.
- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الطبعة الثانية، 1418 هـ / 1997م، ط، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت.
- رالف بارتن بيري، آفاق القيمة، ترجمة: د. عبد المحسن عاطف سلام مراجعة: د. محمد علي العريان، تقديم: د. زكي نجيب محمود، الناشر: مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 1998.
- راندال، تكوين العقل الحديث، ترجمة: جورج طعمة، دار الثقافة- رجب أبو دبوس، أخلاق الاجتماع، 1983م، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا.
- روبرت داونز، كتب غيرت وجه العالم، ترجمة: أحمد صادق وزميله، إدارة الثقافة، وزارة التربية والتعليم، القاهرة.
- روزنتال، ب. يودين، الموسوعة الفلسفية، إشراف ترجمة: سيمر كرم، مراجعة: صادق العظم، وجورج طرابيشي، الطبعة السابعة، 1977م، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
- رونالد سترومبرج، تاريخ الفكر الأولى الحديث، ترجمة: أحمد الشيباني، الطبعة الثالثة، 1410 هـ، دار القارئ العربي للنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة.
- زكريا إبراهيم، المشكلة الخلقية، مشكلات فلسفية»، ط، دار مصر للطباعة، الناشر: مكتبة مصر، الفجالة.
- زكي البري، أصول الفقه الإسلامي، الطبعة الأولى، 1979م دار النهضة العربية، لقاهرة.
- زين العابدين ابن نجيم المصري، غمزيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر، الطبعة الأولى، 1405 هـ / 1980م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- سارة بنت عبد المحسن ابن جلوي آل سعود، قضية العناية والمصادفة في الفكر الغربي المعاصر دراسة نقدية في ضوء الإسلام، الطبعة الأولى، 1415هـ / 1990م، مكتبة العبيكان، الرياض.
- سارتر، الوجودية والإنسانية، ترجم إلى الإنجليزية بواسطة: فيليب بيريتلندن، شيهون، 1949م. سامية عبد الرحمن عبد الرحيم، القيمة الأخلاقية، الطبعة الأولى، 1992م، ط: دار الشباب للطباعة، القاهرة، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي. سدجويك، المجمل في تاريخ الأخلاق، ترجمة وتعليق: توفيق الطويل، وعبد الحميد حمدي، دار نشر الثقافة بالإسكندرية، 1989م.
- سعيد المرصفي، المادية والروحية في الميزان، الطبعة الأولى 1406هـ / 1986م، ط، مطبعة الفيصل، الكويت، نشر: مكتبة المعلاء، الكويت.
- سعيد بن منصور، السنن، تحقيق ودراسة، د. سعد بن عبد الله آل حميد، الطبعة الأولى 1414هـ / 1993م، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض.
- سعيد شبار. الاجتهاد والتجديد في الفكر الاسلامي المعاصر. المعهد العالمي للفكرة الاسلامي 2007
- سعيد شبار. الاسس المرجعية والمنهجية لتجديد الفكر الإسلامي. منشورات المنظمة الاسلامية. الإيسيسكو 2011
- سعيد شبار. المصطلح خيار لغوي.. وسعة حضارية كتاب الأمة العدد 78 / 1421هـ
- سفر الحوالي، العلمانية نشأتها وتطورها وأثرها في الحياة الإسلامية المعاصرة، مطبوعات مركز البحث العلمي، وإحياء التراث، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، الطبعة الأولى، 1393 هـ، دار الحديث، حمص، سوريا.

- سليمان بن عبد القوي الطوفي، شرح مختصر الروضة، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الثانية، 1419هـ / 1998م، توزيع، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.
- سليمان دنيا، المذاهب المادية عاجزة عن تفسير نفسها، مجلة الأزهر، المجلد الثلاثون، ذو القعدة، سنة 1378 / 1909م.
- سمير الجنزوري، الأسس العامة لقانون العقوبات مقارنة بأحكام الشريعة، 1397 هـ مطبعة: دار نشر الثقافة، القاهرة.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، الطبعة العاشرة، 1402 هـ / 1982م، مطابع الشروق، الناشر: دار الشروق، بيروت.
- صالح بن أحمد الشامي، الظاهرية الجمالية في الإسلام، الطبعة الأولى، 1407هـ المكتب الإسلامي، بيروت.
- صالح بن عبد الله بن حميد وآخرون، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، الطبعة الأولى، 1418هـ / 1998م، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة.
- صالح بن عبد الله بن حميد، رفع الحرج في الشريعة الإسلامية ضوابطه وتطبيقاته، الناشر: مركز البحث وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى 1403هـ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة.
- صبيحة رشيد رشدي، الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية، الطبعة الأولى، 1980م، الناشر: مؤسسة المعاهد الفنية، بغداد.
- صلاح قنصره، نظرية القيم في الفكر المعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
- صلاح مقبول احمد، زوابع فيوجه السنة قديمة وحديثة، دار عالم الكتب، الرياض، دون تاريخ طباعة.
- ضياء زاهر، القيم في العملية التربوية، مركز الكتاب للنشر، 1999م، القاهرة.
- طارق حجي، الشيوعية والأديان، طبع: مطبوعات الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية.

- الطيب خضري السيد، بحوث في الاجتهاد فيما لا نص فيه، الطبعة الأولى، 1979م، دار الطباعة المحمدية، الأزهر.
- عابد السفيناني، الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، الطبعة الأولى، 1988م، نشر وتوزيع، مكتبة المنار، جدة.
- عابد توفيق الهاشمي، المدخل إلى التصور الإسلامي في الإنسان والحياة، الطبعة الأولى 1402 هـ / 1981م، ط، مطبعة الدستور التجارية، عمان، الناشر: دار الفرقان للنشر والتوزيع. عمر محمد التومي الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، الطبعة الخامسة، 1394 هـ، النشأة العربية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا.
- عادل التل، النزعة المادية في العالم الإسلامي، الطبعة الأولى 1415 هـ / 1990م، دار البينة للنشر والتوزيع.
- عادل العوا، العمدة في فلسفة القيم، الطبعة الأولى، 1989م، ط: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق. عادل العوا، المذاهب الأخلاقية، 1378 هـ / 1959م، ط، مطبعة الجامعة السورية.
- عاطف أحمد، نقد العقل الوضعي، دراسة في الأزمة المنهجية لفكر زكي محفوظ، تقديم إبراهيم فتحي، الطبعة الأولى، 1980م، دار الطليعة، بيروت.
- عامر سعيد الزبياري، مباحث في أحكام الفتوى، الطبعة الأولى 1416 هـ / 1995م، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
- عباس حسني، اتجاهات النهضة والتغيير في العالم الإسلامي، طبع: دار نشر الثقافة، القاهرة، الناشر: مكتبة السلام العالمية.
- عبد الحليم خفاجي، محاورة مع الشيوعيين في أقبية السجون، الطبعة الرابعة، 1986م، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت.
- عبد الخالق بن شرف القدسي، مفهوم الحرية في الفكر الإسلامي، «دراسة وتقويم رسالة دكتوراه في كلية الشريعة، قسم الثقافة الإسلامية، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، 1409 هـ / 1988م، غير منشور.

- عبد الرحمن الزنبيدي، حقيقة الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، 1415هـ/ دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، ط، مطبعة طيبة، الرياض.
- عبد الرحمن بدوي، الأخلاق النظرية، الطبعة الثانية، 1977م، الناشر: وكالة المطبوعات الكويت، توزيع: دار القلم، بيروت.
- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، الطبعة الأولى، 1403هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، الطبعة الأولى، 1987م، الناشر: دار الريان للتراث، ط، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، مصر.
- عبد الرحمن بن حسن حنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، الطبعة الرابعة، 1999م، دار القلم، دمشق، الدراسات الشامية، بيروت، دار البشير.
- عبد الرحمن بن حسن حنكة الميداني، الكيد الأحمر، سلسلة أعداء الإسلام، الطبعة الأولى، 1400هـ/ 1980م، الناشر: دار القلم، دمشق، بيروت.
- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، الطبعة الثالثة، ط، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.
- عبد الرحمن بن خلدون، شفاء السائل لتهديب المسائل، تحقيق: محمد تاويت الطنجي، ط، مطبعة عثمان بالجين 1907م، استنبول، نشر: كلية الإلهيات جامعة أنقرة، تركيا.
- عبد الرحمن بن زيد الزنبيدي، السلفية وقضايا العصر، الطبعة الأولى 1418هـ، ط، مركز الدراسات والإعلام، دار إشبيليا، الرياض.
- عبد الرحمن بن زيد الزنبيدي، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، تقديم: عمر عبد الله الخطيب، الطبعة الأولى، 1412هـ/ 1992م، ط، دار الجيل للطباعة، القاهرة، توزيع: مكتبة المؤيد، الرياض، من إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية.

- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الرياض، الناظرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، الطبعة الرابعة، 1402هـ / 1982م، مكتبة المعارف، الرياض.
- عبد الرحمن عميرة، المذاهب المعاصرة وموقف المسلم منها، الطبعة الخامسة، 1984م، دار اللوء، الرياض.
- عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، الطبعة الأولى، 1990م، ط، مطبعة قطب، الناشر: عالم الكتب، القاهرة.
- عبد الرؤوف برجايوي، فصول في علم الجمال، الطبعة الأولى، 1401هـ، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد، ابن قدامة وآثاره الأصولية، الطبعة الثالثة 1983م، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- عبد العظيم المطعني، الإسلام في مواجهة الأيدلوجيات المعاصرة، الطبعة الأولى، 1987م، ط، مطبعة السعادة، القاهرة، الناشر: مكتبة وهبة القاهرة.
- عبد الغني عبد الخالق، حجية السنة، الطبعة الثانية، 1413هـ / 1993م، ط، مطابع الوفاء، المنصورة، الناشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أمريكا.
- عبد الغني عبود، قضية الحرية وقضايا أخرى، الطبعة الأولى، 1979م، دار الفكر العربي، بيروت.
- عبد الكريم بكار، فصول في التفكير الموضوعي، الطبعة الأولى 1413هـ / 1993م، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت.
- عبد الكريم عثمان، معالم الثقافة الإسلامية، الطبعة الثانية عشرة، 1405هـ / 1980م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- عبد الله إبراهيم الطريقي وآخرون، «الثقافة الإسلامية تخصصاً ومادة وقسمة علمية، الطبعة الأولى، 1417هـ.

- عبد الله إبراهيم الطريقي، الحكومة الإسلامية، رسالة ماجستير، المعهد العالي للقضاء.
- عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي، المقنع، والشرح الكبير لأبي الفرج عبد الرحمن بن محمد بن قدامة المقدسي، ومعهما الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف لأبي الحسن علي بن سليمان المرداوي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، 1416هـ / 1995م، طبع ونشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة.
- عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، المغني، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وعبد الفتاح الحلو، الطبعة الثانية، 1413هـ / 1992م، طبع ونشر: دار هجر للطباعة والنشر والإعلان، القاهرة، توزيع: وزارة الشؤون الدينية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الريا.
- عبد الله بن عبد العزيز العجلان، القواعد الكبرى في الفقه الإسلامي، ط، دار طيبة، الرياض.
- عبد الله بن عبد المحسن التركي، اصول مذاهب الإمام أحمد، الطبعة الرابعة، 1999م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- عبد الله محمد الفطميل، تغير الفتوى، مفهومه، وضوابطه، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد الخامس والثلاثون، السنة التاسعة، ربيع الآخر، جمادى أولى، جمادى ثاني، 1418هـ.
- عبد المعطي محمد بيومي، الماركسية في مواجهة الدين حقائق ووثائق، ط، دار الطباعة المحمدية، نشر: دار الأنصار، القاهرة.
- عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، الطبعة الأولى، دار ابن زيدون للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- عبد النعم الحفني، الإسلام في مواجهة الأيدلوجيات المعاصرة.

- عبد الوهاب الشيشاني، حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، الطبعة الأولى، 1980م، ط، الجمعية الملكية، عمان.
- عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، الطبعة الثانية، مكتبة الدعوة الإسلامية شباب الأزهر.
- عبد الوهاب خلاف، مصادر التشريع فيما لا نص فيه، الطبعة الرابعة، 1398هـ، دار القلم، الكويت.
- عبدالله شعبان، ضوابط الاختلاف في ميزان السنة، الطبعة الأولى، 1417هـ، دار الحديث، القاهرة 1989م، طبعة وعلق عليه: سعيد اللحام، الناشر: دار الفكر بيروت، لبنان.
- العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، مؤسسة الريان، 1410هـ، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- عزمي إسلام، جون لوك، دار الثقافة للطباعة والنشر، 1998م، القاهرة.
- علال الفاسي، مقاصد الشريعة ومكارمها، الطبعة الخامسة، 1993م، دار الغرب الإسلام.
- على أحمد العجلان، القواعد الفقهية، الطبعة الرابعة، 1418هـ/1998م، دار القلم دمشق، الناشر: دار القلم دمشق، والدار الشامية، بيروت، توزيع: دار البشير.
- على خليل أبو العينين، القيم الإسلامية والتربية. عبد الرحمن عتر، معالم السنة النبوية، الطبعة الثالثة، 1415هـ/1990م، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.
- على خليل مصطفى أبو العينين، القيم الإسلامية والتربية، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م، ط، مطابع المختار الإسلامي، الناشر: مكتبة إبراهيم الحلبي بالمدينة المنورة.
- علي بن محمد الماوردي، أدب الدنيا والدين، تحقيق: ياسين محمد السواس، الطبعة الثانية، 1415هـ/1990م، طبع ونشر: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.

- علي جريشة، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، الطبعة الثالثة، 1411هـ / 1990م، مطابع الوفاء، المنصورة، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة.
- علي جمعة (وآخرون) بناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، سلسلة المفاهيم والمصطلحات، الطبعة الأولى 1418هـ / 1998م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي بأمريكا، مكتبة المعهد، القاهرة.
- علي حسب الله، أصول التشريع الإسلامي، الطبعة الخامسة، 1394 هـ / 1979م، دار المعارف، مصر.
- علي راشد، الجامعة والتدريس الجامعي، الطبعة الأولى 1988م، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة.
- علي عبد المعطي محمد، الفكر السياسي الغربي، الناشر: دار الجامعات المصرية.
- علي معبد، عبد العزيز عبيد، محاضرات في الأخلاق (السنة الرابعة في جامعة الأزهر، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1390 هـ / 1970م.
- عمر بن عبد الله عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، الطبعة الثامنة 1404هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- عمر بن عبد الله عودة الخطيب، نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري، الطبعة الثالثة، 1403هـ / 1983م، ط، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- عمر سليمان الأشقر، نحو ثقافة إسلامية أصيلة، الطبعة الرابعة، 1414هـ / 1994م، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- عمرو بن بحر الجاحظ، تهذيب الأخلاق، الطبعة الأولى 1989، مطابع الوفاء، المنصورة، الناشر: دار الصحابة للتراث، طنطا.
- الغربية برتراند راسل، المجتمع البشري، ترجمة: عبد الكريم أحمد وزميله، 1990م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة
- غوستاف لوبون، روح الجماعات، ترجمة: عادل زعيتر، 1955م، دار المعارف بمصر، القاهرة.:

- فاروق أحمد الدسوقي، الإسلام والمعلم التجريبي، الطبعة الأولى 1407هـ / المكتب الإسلامي، بيروت، مكتبة الخاني، الرياض.
- الفخر الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، الطبعة الأولى 1411هـ / 1990م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- فهد بن عبد الرحمن الرومي، خصائص القرآن الكريم، الطبعة الرابعة، 1409هـ / (لم يذكر الطبعة ولا الناشر).
- فؤاد البهي السيد، علم النفس الاجتماعي، الطبعة الثالثة، 1908م، دار الفكر العربي.
- فؤاد زكريا (وآخرون)، موسوعة تراث الإنسانية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.
- فون أرنفلس، منظومة نظرية القيم، القطب محمد القطب طبلية، الإسلام وحقوق الإنسان، (دراسة مقارنة)، 1396 هـ، دار الفكر، بيروت.
- كونستانيس فوستر، تربية الشعور بالمسؤولية عند الأطفال، ترجمة: خليل كامل إبراهيم، مكتبة النهضة المصرية، 1993م.
- كرسون، المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ترجمة: عبد العليم محمود، الطبعة الثانية، القاهرة. كرسيموريسون، العلم يدعو للإيمان، ترجمة: محمود صالح الفلكي، تقديم: أحمد زكي، الطبعة السادسة، 1978م، الناشر: مكتبة النهضة المصرية.
- كريبيرنتن، افكار ورجال، (قصة الفكر الغربي)، ترجمة: محمود محمود، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1995م.
- لويس ماسينيون، تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية، المحاضرة الخامسة عشر، كتاب مخطوط في المعهد الفرنسي بالقاهرة.
- ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، ط، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، 1419هـ / 1998م، بيروت.

- المبارك بن محمد بن الأثير مجد الدين أبو السعادات الجزري، النهاية في غريب الحديث، الطبعة الأولى، 1418 هـ / 1997م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- مجلة البيان، العدد الثالث والستون، ذو القعدة 1413 هـ / 1993م، المنتدى الإسلامي، لندن، ط، مطابع الأهرام، القاهرة، توزيع الشركة السعودية للتوزيع.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، هـ / 1979م، القاهرة.
- مجموعة من المستشرقين، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، الاتحاد الأممي للمجامع العلمية، أ. ي ونسك، دار الدعوة، إستانبول، 1989م. محمد أحمد بيومي، علم اجتماع القيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- محفوظ عزام، نظرات في الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى 1404 هـ / 1984م، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض.
- محفوظ عزام، نظرية التطور عند مفكري الإسلام «دراسة مقارنة»، الطبعة الأولى / 1980م، ط، مطبعة النهضة، الرياض، الناشر: الدار الوطنية للنشر والتوزيع، الرياض.
- محمد إبراهيم كاظم، التطور القيمي وتنمية المجتمعات الدينية.
- محمد أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، تقديم: عبد السلام هارون، 1384 هـ / م، ط، دار القومية العربية، مصر.
- محمد أحمد بيومي، علم اجتماع القيم، ط، دار المعرفة الجامعية، 1990م، الإسكندرية.
- محمد أحمد جاد المولى بك، الخلق الكامل، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة. مقدار يلجن، العبقرية، الطريق إلى العبقرية، الطبعة الأولى، 1907 هـ / 1987م، دار الهديل للنشر والتوزيع، الرياض.
- محمد أديب الصالح، لمحات في أصول الحديث، الطبعة الرابعة، 1405 هـ / المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت.

- محمد البهي، الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، الطبعة الرابعة، الناشر: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1997م، القاهرة.
- محمد البهي، الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، الطبعة التاسعة، 1981م، دار غريب للطباعة، القاهرة.
- محمد الزحيلي، التكريم الإلهي للإنسان، الطبعة الأولى 1415هـ / 1990م، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، دار البشر، جدة.
- محمد الزفزاف، التعريف بالقرآن والحديث، الطبعة الثالثة، 1399 هـ / 1979م، ط، دار القرآن الكريم، بيروت، الناشر: مكتبة الفلاح، الكويت.
- محمد السيد الجليند، فن الفلسفة الخلقية لدى مفكري الإسلام، الناشر: مكتبة نهضة مصر، جامعة القاهرة.
- محمد الصادق عفيفي، الفكر الإسلامي مبادئه - مناهجه - قيمة - أخلاقياته، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة.
- محمد الطاهر الزرقي، عامل الزمن في العبادات والمعاملات، الطبعة الأولى، 2000م، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض.
- محمد الطاهر بن عاشور، أصول النظام الاجتماعي، الشركة التونسية للتوزيع، الدار العربية للكتاب، 1979م.
- محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، نشر الشركة التونسية للتوزيع سنة 1978م.
- محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، نشر الشركة التونسية للتوزيع سنة 1978م.
- محمد المبارك، نظام الإسلام «العقيدة والعبادة»، الطبعة الأولى 1411هـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، راجعه: طه عبد الرؤوف طه، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، مراجعة وتعليق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة بيروت.
- محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق وتصحيح وتعليق: محمد حامد الفقي، مكتبة الرياض الحديثة، البطحاء، الرياض، (بدون ذكر الطبعة وسنة الطبع).
- محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
- محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بابن قيم الجوزية، الفوائد، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضل، الطبعة الثالثة، 1920هـ / 2000م، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت.
- محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومشهور ولاية أهل العلم والإرادة، عناية: علي بن الحسين الحلبي، مراجعة بكر بن عبد الله أبوزيد، الطبعة الأولى 1416هـ / 1997م، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الخبر.
- محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بان قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد بن حامد الفقي، ط، مطبعة السنة المحمدية، 1375هـ / 1959م، القاهرة، الناشر: دار الكتاب العربي، 1392هـ / 1972م، بيروت.
- محمد بن أبي بكر الزرعي، الشهير بابن القيم، الطب النبوي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، الطبعة السادسة، 1406هـ / 1998م، بيروت.
- محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تخريج وشرح: أحمد شاكر، دار الكتب، بيروت دون ذكر الطبعة والتاريخ.

- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ط، المكتبة الإسلامية، استنبول، توزيع: مكتبة العلم، السعودية، وكذلك الطبعة الثانية، 1419هـ، مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض.
- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ط، دار الفكر، 1405هـ/م، دار الفكر، لبنان.
- محمد بن صالح عثيمين، شرح رياض الصالحين، الطبعة الأولى، 1415هـ/1990م، دار الوطن، الرياض.
- محمد بن عبد الله الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تصحيح: أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية، 1380هـ/1990م، مكتبة الرياض الحديثة.
- محمد بن عبد الله الحاكم، المستدرک على الصحيحين، الطبعة الأولى، 1411هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- محمد بن عبد الله الحاكم، المستدرک على الصحيحين، الطبعة الأولى، 1411هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- محمد بن عبد الله بن ماجه، السنن، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، إشراف وتعليق، زهير الشاويش، الطبعة الثالثة، 1408هـ/1988م، ط، مكتب التربية الدول الخليج، الرياض، توزيع، المكتب الإسلامي، بيروت.
- محمد بن عبد الله بن ماجه، السنن، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، إشراف وتعليق، زهير الشاويش، الطبعة الثالثة، 1408هـ/1988م، ط، مكتب التربية الدول الخليج، الرياض، توزيع، المكتب الإسلامي، بيروت.
- محمد بن عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، تحقيق: عبد الصبور شاهين، مراجعة: السيد محمد بدوي، الطبعة الرابعة، 1402 هـ/1982م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دار البحوث العلمية الكويت.

- محمد بن عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، تحقيق: عبد الصبور شاهين، مراجعة: السيد محمد بدوي، الطبعة الرابعة، 1402 هـ / 1982م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دار البحوث العلمية الكويت.
- محمد بن علي التهانوي، موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، إشراف: رفيق العظم، تحقيق: علي دحروج، نقل النص إلى العربية: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية، جورج زينات، الطبعة الأولى، 1999م الناشرون: مكتبة لبنان.
- محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، الطبعة الأولى 1408هـ / 1987م، ط، دار الكتب العلمية، بيروت، وكذلك الطبعة الثانية، 1998 م، دار الجيل، بيروت، ودار الغرب، بيروت.
- محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، الطبعة الأولى 1408هـ / 1987م، ط، دار الكتب العلمية، بيروت، وكذلك الطبعة الثانية، 1998 م، دار الجيل، بيروت، ودار الغرب، بيروت.
- محمد بن مفلح المقدسي، الآداب الشرعية، الطبعة الثانية، 1417هـ / 1999م، مؤسسة الرسالة، بيروت. المنتدى الإسلامي، التجديد في الإسلام، الجزء الأول، الطبعة الثانية، 1990م، المنتدى الإسلامي، لندن.
- محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ط، دار صادر، بيروت.
- محمد بن ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، 1415هـ / 1995م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
- محمد بن ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، 1415هـ / 1995م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
- محمد بن ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة، الطبعة الأولى، 1912هـ / 1993م، مكتبة المعارف، الرياض.
- محمد بن ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة، الطبعة الأولى، 1912هـ / 1993م، مكتبة المعارف، الرياض.

- محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ط، دار الجيل، بيروت.
- محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز في الطائف الكتاب العزيز، الناشر المكتبة العلمية، بيروت (لم يذكر الطبعة ولا سنة النشر).
- محمد حامد الناصر، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، الطبعة الأولى، 1417 هـ / 1994م، مكتبة الكوثر، الرياض.
- محمد زكي عشاوي، فلسفة الجمال في الفكر المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت. محمد رشاد سالم، المدخل إلى الثقافة الإسلامية، الطبعة السادسة، 1402 هـ، دار القلم، بيروت.
- محمد سعد البوطي، مقاصد الشريعة الإسلامية، وعلاقتها بالأدلة الشرعية، الطبعة الأولى، 1418 هـ / 1998م، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الثقبه، المملكة العربية السعودية.
- محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية، الطبعة السادسة، 1977م، مؤسسة الرسالة بيروت.
- محمد شفيق غربال، (وآخرون)، الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة لبنان للطبع والنشر، بيروت.
- محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، 1401 هـ / 1981م، دار نهضة لبنان للطبع والنشر، بيروت، لبنان.
- محمد شلتوت، الإسلام عقيدة وشرعية، الطبعة الثالثة عشر، 1414 هـ / 1995م، ط، مطابع الشروق، بيروت، توزيع: دار الشروق، بيروت. محمد المبارك، نظام الإسلام «العقيدة والعبادة»، الطبعة الأولى 1411 هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- محمد شلتوت، الإسلام عقيدة وشرعية، الطبعة الثالثة عشر، 1414 هـ / 1995م، ط، مطابع الشروق، بيروت، توزيع: دار الشروق، بيروت.

- محمد عبد الرؤوف بهنسي، الإسلام بين المادية والروحية، الطبعة الثانية، 1407هـ، ط، مطابع الوفاء، المنصورة، توزيع: مؤسسة الخليج العربي، القاهرة.
- محمد عبد الستار نصار، دراسات في فلسفة الأخلاق، الطبعة الأولى، 1402هـ/1982م، دار القلم، الكويت.
- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم (نظرات جديدة في القرآن)، الطبعة السابعة، 1993م، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت. مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1979م، القاهرة.
- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم (نظرات جديدة في القرآن)، الطبعة السابعة، 1413هـ/1993م، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت.
- محمد عبد الله عفيفي، النظرية الخلقية عند ابن تيمية، الطبعة الأولى 1408هـ، ط، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، نشر وإصدار: مؤسسة الملك فيصل للبحوث والدراسات، المملكة العربية السعودية، الرياض.
- محمد عقله، النظام الأخلاقي في الإسلام، الطبعة الأولى، 17 مكتبة الرسالة الحديثية، عمان، الأردن.
- محمد علي أبو ريان، الإسلام في مواجهة تيارات الفكر الغربي، رقم (1) موقف الإسلام من الماركسية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989م.
- محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، (الفلسفة الحديثية) الجزء الرابع، 1999م، دار المعرفة الجامعية.
- محمد علي الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق فن علم الأصول، الطبعة الأولى، 1417هـ/1997م، إعداد: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، الرياض.
- محمد فاروق النبهان، نظام الحكم في الإسلام، ط، جامعة الكويت، 1979م. محمد الطاهر بن عاشور، أصول النظام الاجتماعي، الشركة التونسية للتوزيع، الدار العربية للكتاب، 1979م.

- محمد فريد وجدي، الإسلام دين علم خالد، الطبعة الثانية، (دون ذكر نشر أو مكانه).
- محمد قطب، التطور والثبات في حياة البشرية، الطبعة الخامسة، 1403هـ / 1983م، دار الشروق، القاهرة
- محمد قطب، التطور والثبات في حياة البشرية، الطبعة الخامسة، 1403هـ / 1983م، دار الشروق، القاهرة.
- محمد قطب، معركة التقاليد، 1407هـ / 1987م، دار الشروق، القاهرة، بيروت.
- محمد محسن مهيدات (وآخرون)، دراسات في الفكر العربي الإسلامي، الطبعة الأولى، 1991م، مكتب الكندي للنشر والتوزيع، أربد، الأردن. - محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، الطبعة الأولى / 1999م، ط، مطبعة المدني القاهرة، الناشر: دار الحديث، القاهرة.
- محمد محمود بابلي، الإنسان وحرية في الإسلام، الطبعة الأولى، 1411هـ، دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة، الرياض.
- محمد محمود بابلي، الإنسان وحرية في الإسلام، الطبعة الأولى، 1411هـ، ط، دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة، الرياض.
- محمد ممدوح العربي، الأخلاق والسياسة في الفكر الإسلامي والليبرالي والماركسي، ط، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- محمد ممدوح العربي، الأخلاق والسياسة في الفكر الإسلامي والليبرالي والماركسي، ط، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير) إشراف: زهير الشاويش، الطبعة الثانية، 1989م، المكتب الإسلامي، بيروت.
- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير) إشراف: زهير الشاويش، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت.

- محمد نجاح شبيب، الشرائع والأخلاق بين الحضارة والانحطاط، توزيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا. محمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، الطبعة الثالثة، 1407، دار اللواء، الرياض.
- محمود حمدي زقزوق، قضايا فكرية واجتماعية في ضوء الإسلام، الطبعة الأولى 1988م، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.
- محمود حمدي زقزوق، مقدمة في الأخلاق، الطبعة الرابعة، 1993م، دار الفكر العربي، القاهرة.
- محمود زيدان، وليم جيمس، 1958م، دار المعارف بمصر، القاهرة.
- محمود عثمان، الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه، مكتبة الأنجلو، القاهرة.
- محمود محمد الخزندار، هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقة، الطبعة الثانية، 1997م، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.
- مراد وهبة، قصة الفلسفة، الطبعة الرابعة، 1998م، الناشر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- مرتضى المطهرية الدوافع نحو المادية، ترجمة: محمد علي التسخيري، الطبعة الثانية، 100هـ / 1980م، دار التبليغ الإسلامي، دار التعارف للمطبوعات.
- مسلم بن حجاج النيسابوري، صحيح مسلم، الطبعة الثانية، 1419هـ / 1998م، ط، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت.
- مصطفى أحمد الزرقاء، المدخل الفقهي العام، الطبعة الأولى، 1418هـ، دار القلم، دمشق.
- مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، الطبعة الرابعة 1405هـ / المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- مصطفى حلمي، الإسلام والمذاهب الفلسفية المعاصرة، الطبعة الثالثة، 1406هـ، ط، دار الهدى للمطبوعات، الإسكندرية، توزيع: دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع الاسكندرية /

- مقدار يلجن، الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، الطبعة الأولى، 1392 هـ / 1973م، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية.
- مقدار يلجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، الطبعة الثانية، 1417هـ / 1999 م، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض.
- مناع خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، الطبعة الثامنة، 1401هـ / 1981م، مكتبة المعارف، الرياض.
- منير محمد الشواف، تهافت القراءة المعاصرة، الطبعة الأولى، 1993م، الناشر: الشواف للنشر والدراسات. معروف زريق، علم النفس الإسلامي، الطبعة الأولى، 1408هـ / 1989م، دار المعرفة، دمشق.
- موريس بوكاي، أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، ترجمة: فوزي شعبان، المكتبة العلمية، 1410 هـ / 1990م.
- مؤسسة سلطان بن عبد العزيز آل سعود الخيرية، الموسوعة العربية العالمية، الطبعة الثانية، هـ / الناشر: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض.
- نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، الطبعة الثانية، 1404هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- نادية شريف الغمري، الاجتهاد في الإسلام، الطبعة الثالثة، 1406هـ / 1989م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. -
- الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة، الطبعة الأولى، 1409هـ / 1988م، مطبعة سفير الرياض. وكذلك الطبعة الثالثة 1418هـ / بإشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.
- نديم الجسر، قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، طرابلس، لبنان.

- نديم وأسامة مرعشلي، الصحاح في اللغة والعلوم، دار الحضارة العربية، بيروت.
- نعمان السامرائي، في التفسير الإسلامي للتاريخ، الطبعة الأولى، 1406هـ، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.
- نور الدين عنتر منهج النقد في علوم الحديث، الطبعة الثالثة، 1401هـ / 1981م، دار الفكر، دمشق.
- نيروبي، مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، الطبعة الثانية، 1980م، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- هنري توماس، ودانالي توماس، المفكرون من سقراط إلى سارتر، ترجمة: عثمان نويه، دار الهلال.
- هنية مفتاح القماطي، الأخلاق والعرف، الطبعة الأولى، 1991م، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا.
- هيجل، المدخل إلى علم الجمال، ترجمة: جورج طرابيشي، الطبعة الأولى، دار الطليعة، بيروت.
- وحيد الدين خان، سقوط الماركسية، ترجمة: ظفر الإسلام خان، الطبعة الأولى، 1408هـ / 1987م، ط، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، نشر دار الصحوة للنشر، القاهرة.
- ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران 1908هـ / 1988م، ط، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الناشر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس. ود ديورانت، قصة الفلسفة، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، الطبعة السادسة، منشورات مكتبة المعارف، بيروت.
- وليم جيمس، العقل والدين، ترجمة: محمود حب الله 1946م، ط، دار إحياء الكتب العربية، بيروت.
- وليم ليلي، المدخل إلى علم الأخلاق، ترجمة وتقديم وتعليق، علي عبد المعطي محمد، 1991م، الناشر: دار المعرفة الجامعية، الإسكندري.

- ويلز هـ. فيري مان، التعليم الطبيعي في مجتمع الولايات المتحدة المتغير، سنة 1977م.
- ويلز، معالم تاريخ الإنسانية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، الطبعة الثانية، 1991م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
- يحيى بن شرف النووي، رياض الصالحين، تحقيق: جماعة من العلماء، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، 1412 هـ / 1912م، الناشر: المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، عمان.
- يحيى بن شرف النووي، شرح صحيح مسلم، نشر وتوزيع: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.
- يعقوب المليجي، الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية، 1405 هـ / 1980م، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية.
- يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، الطبعة الثامنة، 1402 هـ / 1982م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، الطبعة الثالثة، 1405 هـ / 1999م، الناشر: مكتبة وهبة القاهرة.
- يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، الطبعة التاسعة عشر، 1408 هـ / 1988م، ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، توزيع الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت.
- يوسف القرضاوي، شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان، الطبعة الخامسة، 1417 هـ / 1997م، ط، مطبعة المدني، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.
- يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ط، دار الحديث بالقاهرة، والدار السودانية بالخرطوم، بدون ذكر الطبعة وسنة الطبع.
- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، 1995م، دار المعارف بمصر.
- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار القلم، بيروت، لبنان.

- محمد يوسف موسى، تاريخ الأخلاق، الطبعة الثالثة، 1373 هـ / 1953م، مطابع دار الكتاب العربي، مصر.

الباب الثالث: آفاق بناء منظومة القيم في المدرسة المغربية.....	380
الفصل الأول: واقع منظومة القيم في المدرسة المغربية والمجتمع.....	382
المبحث الأول: القيم في المنظومة التربوية.....	382
المطلب الأول: القيم في الوثائق التربوية.....	383
أولاً: القيم في الخطابات الرسمية.....	383
ثانياً: القيم في الميثاق الوطني للتربية والتكوين.....	385
ثالثاً: القيم في الكتاب الأبيض.....	387
رابعاً: القيم في الرؤية الاستراتيجية للإصلاح / الوثيقة الإطار (2015-2030)....	390
خامساً: القيم في تقرير المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي عن "التربية على القيم بالمنظومة الوطنية للتربية والتكوين والبحث العلمي".....	393
المجال الأول: المناهج والبرامج والتكوينات.....	395
المجال الثاني: الوسائط المتعددة والفضاء الرقمي.....	396
المجال الثالث: الحياة المدرسية والجامعية والممارسات المواطنة.....	396
المجال الرابع: الفاعلون التربويون.....	396
المجال الخامس: علاقة المؤسسة التربوية بالمحيط والشراكات مع الفاعلين المؤسسيين والمجتمع المدني.....	397
المجال السادس: البحث العلمي والتربوي.....	397
المجال السابع: الفئات في وضعية إعاقة، وفي وضعيات خاصة، والفئات المعرضة أو الحاملة للهشاشة.....	397
المطلب الثاني: القيم في المناهج التعليمية؛ منهاج مادة التربية الإسلامية مثالا.....	399
المنهاج في اللغة:.....	399
المنهاج في الاصطلاح:.....	400
منظومة القيم في المنهاج الجديد لمادة التربية الإسلامية.....	404
القيم التي يتوخى المنهاج نقلها للمتعلمين.....	405

408	المبحث الثاني: القيم في المدرسة المغربية.....
408	المطلب الأول: المدرسة المغربية.....
408	أولاً: مفهوم المدرسة.....
409	ثانياً: خصائص المدرسة.....
410	أ - الطابع الاجتماعي للمدرسة.....
410	ب - النقل الثقافي.....
411	ج - التكامل الاجتماعي.....
411	د - النمو الشخصي السليم.....
412	ثالثاً: أنواع المدرسة المغربية.....
412	أ - المدارس العمومية؛.....
412	ب - المدارس الخاصة؛.....
412	ج - مدارس التعليم العتيق؛.....
413	المطلب الثاني: القيم في المدرسة المغربية.....
413	أولاً: اعتبار التربية على القيم من أهداف مخرجات المدرسة المغربية.....
413	مواصفات من حيث القيم والمقاييس الاجتماعية المرتبطة بها تتجلى في كون المتعلم:
414	ثانياً: دمج التربية على القيم في أنشطة المدرسة المغربية.....
415	ثالثاً: وضع آليات لتحقيق التربية على القيم.....
417	المطلب الثالث: واقع التربية على القيم في المدرسة المغربية.....
417	أولاً: عينات البحث:.....
417	العينة الأولى:.....
418	المستوى الأول: السلك الابتدائي.....
419	المستوى الثاني: السلك الثانوي الإعدادي.....
421	المستوى الثالث: السلك الثانوي التأهيلي.....
423	ثانياً: محتوى الاستبيان:.....
423	المستوى الأول: السلك الابتدائي.....
423	السؤال الأول: اختر القيم التي اكتسبتها من المدرسة.....
425	السؤال الثاني: اختر طريقة اكتسابك لهذه القيم.....

السؤال الثالث: اختر مدى تطبيقك لهذه القيم في حياتك اليومية.....	426
المستوى الثاني: الثانوي الإعدادي.....	427
السؤال الأول: اختر القيم التي اكتسبتها من المدرسة.....	427
السؤال الثاني: اختر طريقة اكتسابك لهذه القيم.....	429
السؤال الثالث: اختر مدى تطبيقك لهذه القيم في حياتك اليومية.....	430
المستوى الثالث: الثانوي التأهيلي.....	431
السؤال الأول: اختر القيم التي اكتسبتها من المدرسة.....	431
السؤال الثاني: اختر طريقة اكتسابك لهذه القيم.....	433
السؤال الثالث: اختر مدى تطبيقك لهذه القيم في حياتك اليومية.....	434
العينة الثانية:.....	435
المستوى الثقافي والعلمي للفئة المستهدفة.....	435
السؤال الأول: في نظرك؛ ما هي المؤسسات التي تساهم في التربية على القيم.....	436
السؤال الثاني: من خلال تجربتك التربوية هل قمت بإنجاز مشروع للتربية على القيم.....	438
السؤال الثالث: حدد الأسباب التي حالت دون امتلاكك مشروعاً للتربية على القيم ..	438
السؤال الرابع: حدد الفئات التي تستهدف من خلال مشروعك.....	439
الفصل الثاني: مؤسسات التربية على القيم في المجتمع المغربي.....	441
المبحث الأول: الأسرة والتربية على القيم.....	441
المطلب الأول الأسرة ومكانتها في المرجعية الإسلامية:.....	441
أولاً: مفهوم الأسرة.....	441
ثانياً: مكانة الأسرة في الإسلام.....	443
المطلب الثاني . العوامل الأسرية ودورها في التنشئة الاجتماعية:	447
الدور التربوي للأسرة:.....	450
المطلب الثالث: واقع التربية على القيم في المدرسة المغربية.....	452
أولاً: عينات البحث:	452
العينة الأولى:	452
المستوى الأول: السلك الابتدائي.....	452

453	المستوى الثاني: السلك الثانوي الإعدادي.
455	المستوى الثالث: السلك الثانوي التأهيلي.
456	ثانيا: محتوى الاستبيان:
456	المستوى الأول: السلك الابتدائي.
456	السؤال الأول: اختر القيم التي اكتسبتها من الأسرة.
457	السؤال الثاني: اختر طريقة اكتسابك لهذه القيم.
458	السؤال الثالث: اختر مدى تطبيقك لهذه القيم في حياتك اليومية.
460	المستوى الثاني: الثانوي الإعدادي.
460	السؤال الأول: اختر القيم التي اكتسبتها من الأسرة.
462	السؤال الثاني: اختر طريقة اكتسابك لهذه القيم.
463	السؤال الثالث: اختر مدى تطبيقك لهذه القيم في حياتك اليومية.
464	المستوى الثالث: الثانوي التأهيلي.
464	السؤال الأول: اختر القيم التي اكتسبتها من الأسرة.
466	السؤال الثاني: اختر طريقة اكتسابك لهذه القيم.
467	السؤال الثالث: اختر مدى تطبيقك لهذه القيم في حياتك اليومية.
468	العيينة الثانية:
468	المستوى الثقافي والعلمي للفئة المستهدفة.
468	السؤال الأول: في نظرك؛ ما هي المؤسسات التي تساهم في التربية على القيم.
469	السؤال الثاني: من خلال تجربتك التربوية هل قمت بإنجاز مشروع للتربية على القيم.
470	السؤال الثالث: حدد الأسباب التي حالت دون امتلاكك مشروعا للتربية على القيم. ..
471	السؤال الرابع: حدد الفئات التي تستهدف من خلال مشروعك.
472	المبحث الثاني: المسجد والتربية على القيم.
473	المطلب الأول المسجد ووظيفته في المرجعية الإسلامية.
473	أولا: تعريف المسجد.
474	ثانيا: وظيفة المسجد في الإسلام:
476	ثالثا: المكانة الاجتماعية لمؤسسة المسجد.

477	المطلب الثاني: دور المسجد في التربية على القيم:
478	التحية ورد السلام:
478	التزين والتطيب:
479	الإفراح في المجالس:
479	عدم تخطي الرقاب:
480	خفض الصوت والإعراض عن اللغو وفحش القول:
481	التعارف والتألف:
481	إطعام الغريب:
483	المطلب الثالث: واقع التربية على القيم في المسجد:
483	أولاً: عينات البحث:
483	العينة الأولى:
483	المستوى الأول: السلك الابتدائي:
484	المستوى الثاني: السلك الثانوي الإعدادي:
486	المستوى الثالث: السلك الثانوي التأهيلي:
488	ثانياً: محتوى الاستبيان:
488	المستوى الأول: السلك الابتدائي:
488	السؤال الأول: اختر القيم التي اكتسبتها من المسجد:
490	السؤال الثاني: اختر طريقة اكتسابك لهذه القيم:
491	السؤال الثالث: اختر مدى تطبيقك لهذه القيم في حياتك اليومية:
492	المستوى الثاني: الثانوي الإعدادي:
492	السؤال الأول: اختر القيم التي اكتسبتها من المسجد:
494	السؤال الثاني: اختر طريقة اكتسابك لهذه القيم:
495	السؤال الثالث: اختر مدى تطبيقك لهذه القيم في حياتك اليومية:
496	المستوى الثالث: الثانوي التأهيلي:
496	السؤال الأول: اختر القيم التي اكتسبتها من المسجد:
498	السؤال الثاني: اختر طريقة اكتسابك لهذه القيم:
499	السؤال الثالث: اختر مدى تطبيقك لهذه القيم في حياتك اليومية:

500	العينة الثانية.....
500	المستوى الثقافي والعلمي للفئة المستهدفة.....
501	السؤال الأول: في نظرك؛ ما هي المؤسسات التي تساهم في التربية على القيم.
502	السؤال الثاني: من خلال تجربتك التربوية هل قمت بإنجاز مشروع للتربية على القيم.
502	السؤال الثالث: حدد الأسباب التي حالت دون امتلاكك مشروعا للتربية على القيم. ..
503	السؤال الرابع: حدد الفئات التي تستهدف من خلال مشروعك.....
505	المبحث الثالث: الإعلام والتربية على القيم.....
506	المطلب الأول: مفهوم الإعلام ووسائله وتطوره.....
506	أولا: مفهوم الإعلام.....
508	ثانيا: وسائل الإعلام.....
509	ثالثا: تطور وسائل الإعلام عبر التاريخ.....
512	المطلب الثاني: دور وسائل الإعلام في التربية على القيم.....
512	أولا: وسائل الإعلام والقيم.....
514	ثانيا: وسائل الإعلام وتغيير القيم:.....
516	ثالثا: وسائل الإعلام ودورها في خلق قيم جديدة:.....
517	المطلب الثالث: واقع القيم في الإعلام.....
517	أولا: عينات البحث.....
517	العينة الأولى:.....
517	المستوى الأول: السلك الابتدائي.....
518	المستوى الثاني: السلك الثانوي الإعدادي.....
520	المستوى الثالث: السلك الثانوي التأهيلي.....
521	ثانيا: محتوى الاستبيان:.....
521	المستوى الأول: السلك الابتدائي.....
521	السؤال الأول: اختر القيم التي اكتسبتها من الإعلام.....
523	السؤال الثاني: اختر طريقة اكتسابك لهذه القيم.....
524	السؤال الثالث: اختر مدى تطبيقك لهذه القيم في حياتك اليومية.....

525	المستوى الثاني: الثانوي الإعدادي.....
525	السؤال الأول: اختر القيم التي اكتسبتها من الإعلام.....
527	السؤال الثاني: اختر طريقة اكتسابك لهذه القيم.....
528	السؤال الثالث: اختر مدى تطبيقك لهذه القيم في حياتك اليومية.....
529	المستوى الثالث: الثانوي التأهيلي.....
529	السؤال الأول: اختر القيم التي اكتسبتها من الإعلام.....
531	السؤال الثاني: اختر طريقة اكتسابك لهذه القيم.....
531	السؤال الثالث: اختر مدى تطبيقك لهذه القيم في حياتك اليومية.....
532	العينة الثانية:.....
532	المستوى الثقافي والعلمي للفئة المستهدفة.....
533	السؤال الأول: في نظرك؛ ما هي المؤسسات التي تساهم في التربية على القيم.
534	السؤال الثاني: من خلال تجربتك التربوية هل قمت بإنجاز مشروع للتربية على القيم.
534	السؤال الثالث: حدد الأسباب التي حالت دون امتلاكك مشروعاً للتربية على القيم. ..
534	السؤال الرابع: حدد الفئات التي تستهدف من خلال مشروعك.....
536	ملخص الفصل:.....
536	العينة الأولى:.....
536	العينة الثانية:.....
537	النتائج:.....
537	القيم الأكثر استهدافاً حسب المراحل العمرية:.....
537	وسائل ترسيخ القيم حسب المراحل العمرية:.....
538	وسائل توظيف القيم حسب المراحل العمرية:.....
539	الخاتمة:.....
543	اقتراحات:.....
546	المصادر والمراجع.....
575	الفهرس:.....